منبر الإسلام

مع العدد
- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- الفردوس مجلة الطفل المسلم

الثمن ١٥ قرشا

العدد ١٢ - السنة ٣٤ - ذى الحجة ١٣٩٦ - ديسمبر ١٩٧٦

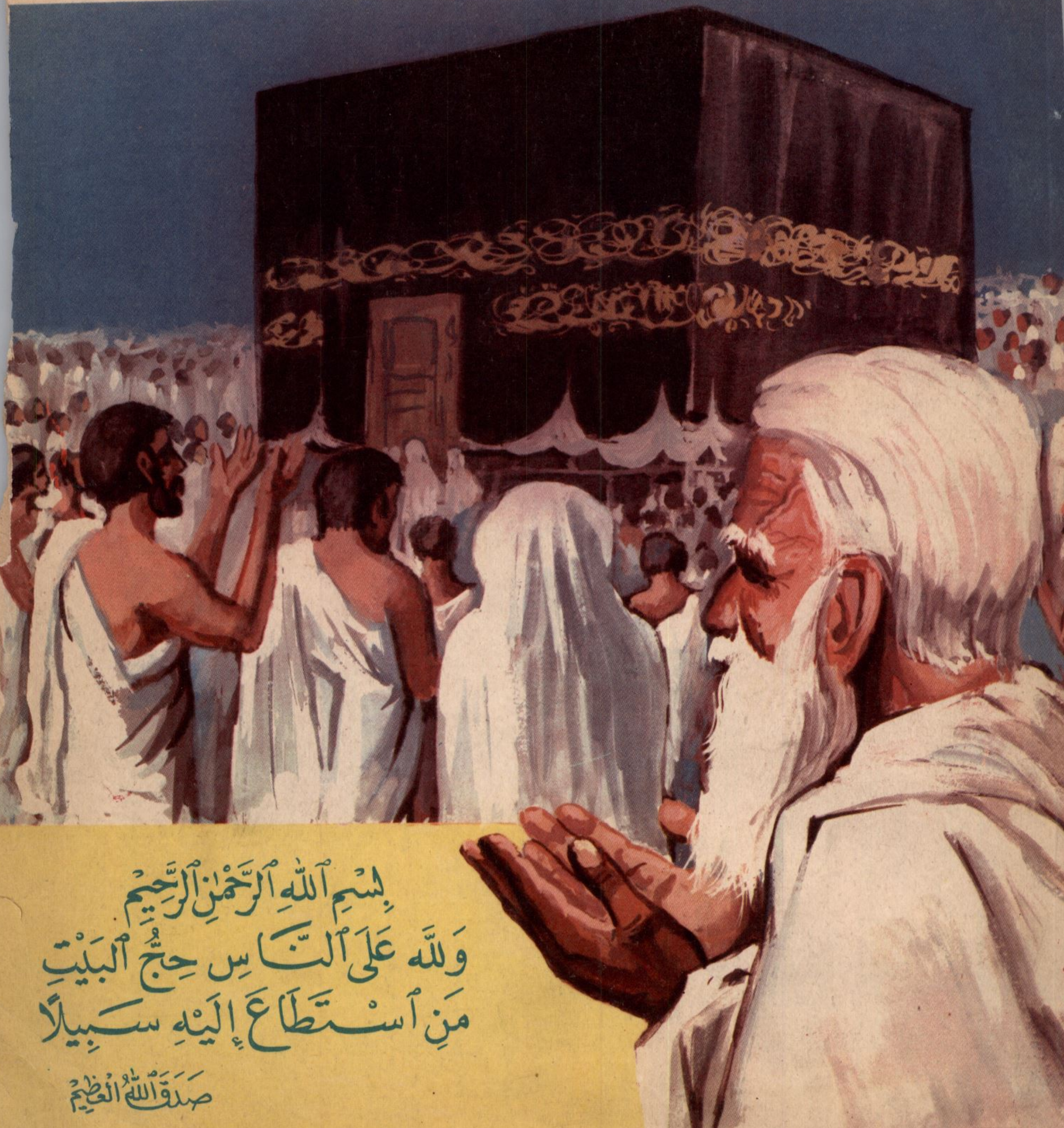

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ

مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

صدق الله العظيم

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة
كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العدد ١٢ - السنة ٣٤
ذي الحجة ١٣٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

• نص الخطاب التاريخى الهام الذى القاه الرئيس المؤمن محمد انور السادات فى مجلس الشعب ٧٦/١١/١١

• تفسير سورة آل عمران	الاستاذ احمد حسين
• انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى
• خصائص القصة القرآنية	الاستاذ فتحى رضوان
• الجهاد الدينى لجمال الدين الافغانى	الدكتور احمد الحوفى
• الاخلاق الانسانية	الاستاذ عبد العظيم منصور
• العلم فى القرآن	الدكتور احمد حسنين القفل
• الحج والاستطاعة	الشيخ موسى محمد على
• ليشهدوا منافع لهم	الدكتور على صافى حسين
• زيارة الحرم النبوى	الشيخ عبد الفتاح مصطفى
• من امثال القرآن ...	الشيخ احمد كامل الخضرى
• شخصية الرسول عليه السلام واثره	المستشار احمد محمود خليل
• الطب الوقائى بين الهدى النبوى والنظريات الحديثة	الدكتورة ابتسام عبد الحليم
• فى الفن الاسلامى : المدرسة العثمانية	الاستاذة سميحة محمد منير الجبالى
• رجل ومعارك (قصة العدد)	الاستاذ محمد صالح

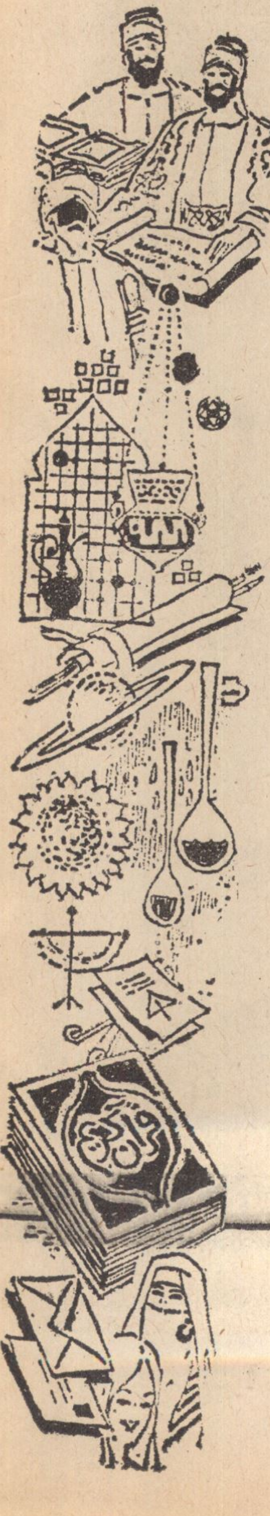

العنوان : ٢ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ – تلغرافيا : الاسلام – القاهرة

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية – ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف اليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى .. تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين ..

معالم الطريق

الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

نص الخطاب التاريخى الهام
الذى ألقاه الرئيس المؤمن
محمد أنور السادات

فى مجلس الشعب
١٩ ذى القعدة ١٣٩٦
١١ نوفمبر ١٩٧٦

ألقى الرئيس محمد أنور السادات فى مجلس الشعب الجديد خطابا سياسيا هاما تحدث فيه عن قضايا الساعة الداخلية والخارجية وأعلن سيادته قرارا تاريخيا فى حياة مصر وحياة شعبها وهو تحويل التنظيمات السياسية الثلاثة الى أحزاب ..

وفيما يلى نص خطاب الرئيس .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الاخوة والاخوات أعضاء مجلس الشعب أحب أن أبدأ كلمتى هذه بأن أهنئكم تهنئة قلبية خالصة بثقة الشعب بحجم تلك الثقة التى حملتكم الى مقاعد المسئولية من السلطه التشريعية فى البلاد واحب ايضا ان اهنىء الشعب بكم فقد رأى شعبنا ورأى العالم كله كيف أن الانتخابات التى أتت بكم كانت آية فى الحرية والنزاهه واحترام رأى الشعب كاملا فى ابداء رأيه واعطاء كل مواطن حقه كاملا فى آن يتصدى لترشيح نفسه ولا شك ان شعبنا يسعده اليوم ان يرى ربما لاول مرة فى تاريخه النيابى نوابه الذين اختارهم بمـلء حـريـته يجلسـون تحـت هـذه القبة ولا شك أيضا أنه سعيد أن يقرأ فى كل صحافة العالم أن شعبنا كان جديرا بالتجربة وأنه خاضها بنجاح .. أما بالنسبة لى شخصيا فانني أشعر بسعادة خاصة لهذا اللقاء . هذا اللقاء الاول بينى وبينكم فقد كنت انتظر هذا اللقاء واتوق اليه منذ عشرين سنة .. واذا كان هذا اللقاء قد تأخر عشرين عاما الا أنها لم تكن عشرين سنة ضائعة ولكنها كانت حافلة بالاحداث والتطورات بل وبأهواس كانت تجعل المرء يكاد يفقد الامل فى أن يرى هذا الحلم يتحقق ولكننى كما قلت مرة من قبل أن الله سبحانه وتعالى وهو علام الغيوب قد أخرجنا من العسر الى اليسر وانى لاحمده سبحانه وتعالى على أنه قد ادخر لى دورا فى تحقيق هذا الحلم الذى يتجسد أمامنا اليوم .

الثورة والديمقراطية

ان ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لم تقم أبدا ضد الديمقراطية تماما بل اننا كنا ونحن نحلم بالثورة أو ونحن نعمل وندبر لها أقول كنا نفكر دائما فى أن تتويجها وقمة نجاحها هو فى أن يكون الحكم للشعب حقا بمساهمة من أوسع جماهيره وباختياره لممثليه الحقيقيين بملء حريتهم ..

كانت ثورة ٢٣ يوليو تستهدف تغييرا بالغ العنف كانت ثورة على وضع كامل فقد أسباب وجوده وصار عقبه فى طريق تطور الشعب واستقلال ارادة مصر وكانت السمة العامة لما ثرنا عليه هى تحالف الانجليز والقصر والاقطاع على حكم مصر .. وكان من مظاهر هذا التحالف الذى سقط أو من أساليبه الهاء الشعب عن مشاكله الاساسية فى حياة حزبية غير سليمة مهما حاول فيها افراد مخلصون الا ان الطابع العام كان حرمان أغلبية الشعب من حقها الطبيعى فى الحكم واصطناع الاحزاب الورقية اصطناعا وتزوير ارادة الشعب دون انقطاع مما جعل الاجل يمتد ببقاء الاستعمار ويمتد أيضا الضلال بالقصر ويمتد الاستغلال بالاقطاع المنتفع بهذه الاوضاع .. من أجل هذا كله كانت ثورتنا على حياة حزبية فاشلة بحكم كونها جزء من النظام كله ولم تقم ثورتنا ابدا على الديمقراطية ذاتها كمبدأ ولا كأسلوب له فى مصر جذور ذلك أننا كنا نعرف أن مصر لها فى هذا المجال بين دول العالم الثالث وضع خاص .. فالثقافة وحركات التنوير فى مصر قديمة وبدايات المجالس النيابية ولو كانت استشارية أقدم من معظم دول أوروبا ..

.. وان التاريخ يسجل أن الاستعمار البريطانى جاء الى مصر ليحبط أول محاولة لاقامة دستور وبرلمان به سلطات فعلية تحمى مصالح الشعب ازاء الخديوى .. وكان رد جماهير الاسكندرية حين ضربها الاسطول الانجليزى سنة ٨٢ هو الاستبسال فى القتال من جهة وهتاف الجماهير للدستور من جهة ثانيه .. من أجل هذا كله وعدت الثورة فى بيانها الاول بتحقيق أهدافها الستة ومن أهمها : **الهدف السادس وهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة .. ولم يغب هذا الهدف أبدا عن البال وان كانت الاحداث الجسام التى قابلتها الثورة كانت تؤجله ..** فبعد فشلنا فى تحقيق الاصلاح بواسطة الاجهزة القديمه أو كما يقولون اقامة البناء الجديد بالطوب المتساقط القديم كان لابد للثورة اما أن تنكفىء على أعقابها وتترك الامال العظام التى علقها عليها الشعب تذروها الرياح . واما ان تتحمل الثورة مسئوليتها كامله امام التاريخ وأمام الشعب الذى خرج من أول لحظة يؤيدها ويمنحها شرعية تمثيله والعمل من أجله ..

وهكذا اتخذ مجلس قيادة الثورة فى ١٦ يناير ٥٣ قرارا جعل فيه السلطتين التشريعية والتنفيذية فى مجلس مشترك من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء وأعلن الغاء الاحزاب القديمة كما أعلن بدء فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات تنتهى فى ١٦ يناير سنة ٥٦ .

التجربة السابقة للاحزاب

كان هذا بعد أن جربنا دعوة الاحزاب الى تطهير نفسها . ووضع برامج حيث لم يكن لها برامج ولا نظم داخليه مرتبة ولا اى شىء مما يميز التنظيمات الحزبية الحديثة .. ولكن هذه الجهود فشلت **لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..** وكانت أمامنا فى هذه السنوات الثلاث فوق الضغوط الخارجية لاحتواء الثورة أو الداخلية بالتآمر عليها - أقول كانت أمامنا مواجهة العمر مع الاستعمار .. الاستعمار الانجليزى الذى كان قد قضى حتى ذلك الوقت أكثر من سبعين سنه فى مصر . لا ينقطع عن اعطاء الوعود بالجلاء ثم النكوص عنه .. وكان لابد لنا أن نواجهه مواجهة جديدة .. وأن يتأكد له من خلال المقاومة الفعلية والتصميم الشامل أن الشعب قد وحد صفوفه ولم يعد يقبل بقاء الاستعمار يوما واحدا .

كان موعد الدستور والانتخابات التى وعدنا بها هو كما قلت ١٦ يناير ٥٦ .. ولكن نضالنا ضد الاستعمار كان قد نجح فى استخلاص اتفاقية تخرج القوات الانجليزية بمقتضاها نهائيا يوم ١٨ يونيو سنة ٥٦ .. وبحكم تجارب السبعين سنة كنا نتوقع من الانجليز اى شىء ..

وكنا نضع الخطط ونرتب أمورنا على مواجهة كافة الاحتمالات اذا أخل الانجليز بالاتفاق كالعادة .. وازاء ذلك رأينا أن مصلحة البلاد العليا تقتضى التركيز المطلق على هذا الهدف الذى حاربت من اجله الاجيال ومات دونه شهداء .. ونفذنا فعلا وعدنا بانهاء فترة الانتقال هذه واعلان الدستور المؤقت فى ١٦ يناير سنة ٥٦ .. وفى ١٨ يونيو ٥٦ خرج الانجليز من آخر قواعدهم فى مصر ..

.. وانتهى احتلال ٧٤ عاما وبالفعل بادرنا على الفور فى ٢١ يونيو ٥٦ اى بعد خمسة أيام فقط من الجلاء باجراء أول انتخابات عامة لانتخاب أول رئيس مصرى لجمهورية مصر المستقلة منذ آلاف السنين . وكان تقديرنا أننا بدأنا نضع أقدامنا على أول طريق اقامة حياة ديمقراطية سليمة . ولكن سرعان ما تلبدت السماء بالسحب المحملة بنذر خطيرة جدا ، ولعلكم تلاحظون من هذا السرد الموجز كيف كانت الثورة من يومها الاول تتوالى عليها التحديث لا تريد لهذا الشعب أن يلتقط أنفاسه أو أن ينال حقوقه فيعود كما كان عملاقا ورائدا كما كان دوره التاريخى .. كنا نكسر ونحطم القمقم الذى حبسوا فيه مصر ، وجعلوها مستعمرة من مستعمرات التاج البريطانى .. اقول تلبدت السماء بسحب خطيرة منذرة فقد كنا الى جانب هذا كله نخوض المعركة التى حاولوا بها فرض الاحلاف علينا ، وكنا نخوض معركة احتكار السلاح بعد أن بدأت اسرائيل غاراتها المقصودة على حدودنا .

السد العالى أول المشروعات الكبرى للثورة

وكان أول مشروعات الثورة الكبرى فى الداخل بعد الاصلاح الزراعى ، هو بناء السد العالى ، كن هذا المشروع قد بدأ يتحول الى معركة سياسية متشعبة الاهداف ، واحسسنا بالمؤامرات تدبر لنا والكل يطلب رأس مصر من جديد .. فرنسا دى موليه يريد كسب حرب الجزائر باخضاع مصر .. وانجلترا ايدن يريد قمع موجة التحرر العربية باخضاع مصر .. اسرائيل تريد الاحتفاظ بقدرتها على ارهاب المنطقة باخضاع مصر .. دلاس فى أمريكا يريد قتل حركة عدم الانحياز بقتلها فى مصر .

هكذا جرت الاحداث فى نفس تلك السنة .. سنة ٥٦ فقد أعلنت الدول الغربية الكبرى ومعها البنك الدولى سحب عرض السد العالى واعلان افلاس مصر .

وبعد انتخاب أول رئيس جمهورية مصرى منتخب منذ ألفى سنة بأيام ، أعلن جمال عبد الناصر قرار تأميم القناة ودخلنا معركة سياسية هائلة باجتماع الدول التى أسمت نفسها فيما بعد « جمعية المنتفعين بالقناة بلندن ثم تصاعدت الضغوط والتآمر السرى الذى انتهى بالهجوم الثلاثى وحرب السويس فى اكتوبر ٥٦ .

بعد أربعة شهور فقط من جلاء الانجليز عن مصر حاولوا العودة الى احتلال قناة السويس بالقوة المسلحة ، ومعهم تلك المرة فرنسا واسرائيل .. لم تتحمل الامبراطوريات الراحلة ان نمارس مصر ارادتها الحرة لمدة أربعة شهور فقط . ودخلنا الحرب السياسية والعسكرية ، واضطر الانجليز وحلفاؤهم الى الجلاء عن بورسعيد الباسلة فى ٢٣ ديسمبر ٥٦ للمرة الثانية فى سنة واحدة ..

وقد ألقى هذا كله علينا مهام ثورية هائلة وجديدة واجراءات كان لابد منها لاتمام استقلال مصر وتأكيده .

ففى أول يناير ١٩٥٧ اسقطنا معاهدة الجلاء التى كانت معقودة مع الانجليز وبعدها قررنا تمصير كل المرافق الاقتصادية الاجنبية فى مصر ، وفى نفس السنة اجرينا اول انتخابات نيابية رغم كل شىء . على أن تلك الانتخابات التى وقعت فى عام ٥٧ كانت محوطة - بحكم الظروف - بقيود كثيرة منها : حق الاعتراض على بعض المرشحين . ومنها اغلاق بعض الدوائر لمرشحين آخرين . ثم لم يكن اذن برلمانا ديمقراطيا كاملا . ولكنه كان مفيدا باعتبارات الصراع الواسع الذى بدأ مع الثورة والذى قامت من اجله الثورة وهذا ما سميته أمام الشعب مرارا باسم « الشرعية الثورية » والمستمدة استمدادا مباشرا من تأييد القاعدة الشعبية الواسعة تمييزا لها عن « الشرعية الدستورية » التى تعود فيها الحياة الى قوانينها وتستند فيها الديمقراطية الى نصوص ومؤسسات .

ثم لم تلبث الاحداث ان جاءت بحدث عظيم هو الاستفتاء الشعبى الحر على الوحدة بين مصر وسوريا واعلانها فى فبراير ٥٨ . ومهما كان من أمر تلك الوحدة فقد اطلقت شرارة أمل عظمى فى المنطقة وجددت آمال العرب امام العالم على نحو لم يحدث من قبل وقد اقتضى هذا حل البرلمانين : المصرى والسورى ، ثم تكوين مجلس واحد سنة ٦٠ من بين اعضاء البرلمانين وهو مجلس كان لابد له من أن ينتهى حين نجحت المؤامرات الدولية ضد الوحدة فى اقتناصها أول الامر ووقوع الانفصال فى سبتمبر ٦١ .

أيها الاخوة والاخوات اعضاء مجلس الشعب .

اننى لم اقصد بهذه اللمحات الموجزة الى سرد

التاريخ كاملا ، ولا الى تقليب كل الصفحات .. لقد اردت بعد ان اقصر عبارتى التى قلتها فى اول هذا الحديث من ان هذا اللقاء قد تاخر عشرين سنة . اردت اولا ان اوضح كيف أننا لم نقم بالثورة ضد مبدأ الديمقراطيه برغم ما وقع بعد ذلك من تجاوزات ، ولكن كنا بالذات ضد التطبيق الممسوخ لهذا المعنى واردت ثانيا أن أسجل من موقع مسئوليتى ومشاركتى فى القرارات الكبرى منذ ليلة ثورة ٢٣ يوليو انه اذا كانت الظروف قد قضت احيانا بتاخير هذا اللقاء فاننى من موقع المسئوليه ذاتها وفى مجال النقد الذاتى اسجل أن بعضا من أسباب تأخير هذا اللقاء يعود . الى استمرار كثير من الاجراءات الاستثنائية بعد أن انتهت ضرورتها ، وما ولده هذا من عقليات نبتت فى طريق الثورة كالاعشاب الطفيلية وارادت أن تطيل من وصايتها على الشعب .

قرار من ثلاث شعب

أيها الاخوة والاخوات أعضاء مجلس الشعب .

لقد توليت المسئولية الاولى سنة ٧٠فى ظروف تعرفونها جميعا .. احتلال اسرائيلى جاثم على القناة .. أزمة اقتصادية تتفاقم كل يوم بحكم الانفاق العسكرى وتوقف المشروعات .. تمزق نفسى .. توتر اجتماعى عام ... مراكز قوة لا تفكر فى حصم هذه الاخطار الرهيبة الا ما يمكن لها سلطتها ويحكم قبضتها على مقدرات البلاد على أن قرارى بينى وبين ضميرى وعهدى الذى أخذته على نفسى أمام الله وامام الشعب كان قرارا قاطعا ، وطريقا واضحا وان كان لابد من ان يصادف ما لابد ان يصادفه كل نضال من منحنيات .

كان قرارا من ثلاث شعب لا يمكن ان يتم أحدها بدون الاخر : اولها المعركة العسكريه والمواجهه القتاليه الهجوميه ، وان نغير بالدم وضعنا ووضع العرب جميعا بعد هزيمه ٦٧ . وثانيها الانفتاح الاقتصادى لاطلاق كل محركات الانتاج العامة والخاصه والصديقه المستعده لمشاركتنا فى مهمة البناء . وثالثها البدء فى عملية اعادة أمانه الثورة الى الشعب والغاء كل الاجراءات الاستثنائيه والسير فى طريق الديمقراطية السليمه حتى أتمم الهدف السادس الناقص من الاهداف السته التى عاهدنا عليها الشعب . وأنتم تعرفون حرب أكتوبر المجيدة واثارها .. وترون ملامح الانفتاح الاقتصادى وان كان مازال فى اطواره الاولى . ثم اعود الى سياق حديثنا اليوم عن الطريق الى الديمقراطية .

الشعب والمسئولية

لقد كانت الاستراتيجية التى وضعتها تقضى بأن نمضى فى هذه الشعب الثلاث مرة واحدة وبخطوات متوازيه . وهكذا لم أعلن أن البدء على طريق الديمقراطيه مربوط أو معلق على أى شروط ، ولم اؤجله لاى اعتبار ايمانا منى بأن الشعب الحر أقدر على تحمل المسئوليات العظمى وخصوصا شعبنا الاصيل العريق ذو الصفات الحضارية المتميزة .

هكذا تم وضع الدستور الدائم بعد أن كان مقدرا له فى بيان ٣٠ مارس أن يصدر بعد ازالة آثار العدوان .

واغلقت المعتقلات نهائيا ، وأعيدت الى القضاء كامل سلطته ، وعملت السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية أيضا بكل مسئولياتها ، ورفعت الرقابة عن الصحف بوصفها السلطة الرابعة .

وبعد ان تم لنا النصر العزيز فى اكتوبر ٧٣ ، وأعادت لنا قواتنا المسلحة كرامتنا وهيبتنا وعادت القوات المسلحه ذاتها الى شرف مسئوليتها وهو الاحتراف العسكرى والاستعداد الدائم للقيام بمهمتها للدفاع عن الوطن والدفاع عن الدستور الشرعى . بعد هذا كله طرحت على الشعب وثيقتين : وثيقة اكتوبر كخطة لبناء مصر المستقبل (مصر سنة ٢٠٠٠) ، وورقه تطوير العمل السياسى التى طرحت فيها لاول مرة فكرة المنابر المتعددة فى اطار تحالف قوى الشعب وقد تم تكتيل المنابر فى غير تعسف بل شكلت لجنة مثلت فيها كل الاتجاهات وجرت مناقشات واسعه فى الصحف وباقى وسائل الاعلام وكما رايتم تقدمت طلبات بانشاء ٣١ منبرا ولكن الامر طبعا كان أخطر من أن تترك الامور بلا ضوابط ، وقد كان ولا يزال من مشاكل الديمقراطية فى بلاد كثيرة الفوضى والتسيب ، فكان أن أخذنا بما استقر عليه رأى الاغلبيه من البدء بتكوين ثلاثة تنظيمات تمثل اليمين ، والوسط ، واليسار .

وقد أتم مجلس الشعب السابق فى ذلك الوقت مدته الدستورية كاملة لاول مرة .

انتخابات مثالية

وانتى لانتهز هذه الفرصة لاحيى الذين سبقوكم فى هذه القاعة فقد قاموا بالواجب كاملا وشاركوا فى المعارك كلها وكانت لهم أدوارهم المرموقة فيها . وعندما جاء موعد الانتخابات الجديدة كان قرارى الذى اتخذته هو أولا أن تكون هذه الانتخابات انتخابات مثالية فى حريتها الكاملة ونظافتها الحقة . وثانيا أن تخوض التنظيمات الثلاثة المعركة كتنظيمات مستقلة تماما كل هذا فضلا عن أنها كانت

أول انتخابات يطبق فيها النص الدستورى الذى يعطى كل مواطن حق التقدم للترشيح مستقلا دون أى قيد او شرط او اجراءات أو عقبات وأصارحكم أن البعض كان يزايد ويرى فى خطواتنا نحو الديمقراطية نوعا من البطء بينما كان هناك من يتخوفون باننا نسير بخطوات اسرع مما يجب ولكنى اعترف لكم ان هذه امور لا أضع لها جداول زمنية جامدة ان المهم هو أن نكون سائرين على الطريق ومصممين على بلوغ الهدف بعد ذلك .. واذا أرادت ايه قيادة أن تكون حكيمة فان عليها ان تكون صلبة فى المبدا ومرنه فى تقدير الظروف واختيار وسائل التطبيق .. وقد جرت المعركه الانتخابية مفتوحة على مرأى ومسمع من العالم كله .. السلطة الادارية كانت على حياد مطلق لم يسبق له مثيل منذ قيام الحياة النيابيه ولم يطعن فيه أحد .. الاتحاد الاشتراكى لم يشارك من بعيد أو قريب اللهم الا فى تمويل التنظيمات الثلاثه على قدم المساواة بل لقد سقط فى الانتخابات كثير من قياداته الذين كانوا فى مواقع بارزة .. وكأى معركه انتخابية كان لابد أن تقع فيها تجاوزات من بعض المرشحين او صدامات تحت تأثير لضغط النفس لاى معركة وهذه الحالات مألوفة فى أى صراع حر ولكن المعركه الانتخابية فى مجملها جاءت على صورة من أروع الصور من حقنا أن نباهى بها بين الامم .. من اجل هذا وبناء على نجاح تجربة الانتخابات واستئنافا للمسيره التى عاهدت الله والشعب عليها نحو الديمقراطية السليمة فقد اتخذت قرارا شكلته وأملته معركتكم الانتخابية وما أبرزه فيها الشعب من ارادة قرار سيتم تاريخيا يرتبط بكم وبيوم افتتاح مجلسكم الموقر فى أولى دوراته التشريعية هذا القرار هو أن تتحول التنظيمات السياسية الثلاثة ابتداء من اليوم الى أحزاب .

أيها الاخوة والاخوات .. ان هذا القرار ينطوى على تحول أعمق مما يخرج منه .. وعلى مسئوليات أكثر مما ترى العين فى النظرة الاولى .. فالدستور الدائم فى تقديرى يتسع لهذا التطور الجذرى فى البناء السياسى العام لبلدنا وهذا أمر قد يعن لكم بحثه وتأمله .. ولكن هناك نصوصا أخرى لابد من أن تراجع على ضوء هذا القرار وخصوصا النظام الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى .. وفى تصورى أنه أصبح من المحتم أن يكون هذا النظام الاساسى منظما للاحزاب بعد أن قفز الشعب بالتجربة الديمقراطية وبكم هذه القفزة الرائعة خلال المعركة الاخيرة فى الاحزاب الثلاثة .

ولا أريد أن أسبقكم الى التفاصيل ولكن هناك نتائج لابد ان تترتب منطقيا على هذا القرار .. ان هذا الاتحاد الاشتراكى بالضرورة سوف يرتفع نهائيا عن الاحزاب . وسوف يصبح كل حزب حرا تماما فى ادارة نشاطه فى حدود القوانين والدستور .. وقد لا يبقى للاتحاد الاشتراكى فى المرحلة المقبلة الا ثلاثة أمور .

أولها : المنظمات الجماهيرية المساعدة لتنظيم المرأة والشباب من مرحلة الطلائع الى مرحلة الاستعداد بالانضمام للاحزاب ..

ثانيا : المشاركة فى ملكية الصحف حتى لا تعود تلك الاجهزة بالغة الاهميه ملكا لافراد .. مع ضمان الكفاية للتعبير عن الاحزاب الثلاثة على أن يتم ذلك على الفور بين الاحزاب الثلاثة والامين العام للاتحاد الاشتراكى ..

ان أسباب الحرص هنا مازالت قائمة .. ونرى أنه من مآسى قاد اليها الانقلاب الصحفى فى بلاد أخرى مازال ماثلا ..

ثالثا : لجنة مركزية موسعة تصبح بمثابة المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى مهمتها الاساسيه هى المحافظة على صيغة تحالف قوى الشعب التى مازلنا نتمسك بها ونحن نواجه معارك عاتية تنتظرنا على طريق التحرير والتعمير .. ينضم الى هذه اللجنه المركزيه كل أعضاء مجلس الشعب من أعضاء الاحزاب الثلاثة ومن المستقلين وهيئات مكاتب المنظمات الجماهيريه كالنقابات المهنيه والعماليه والتعاونيات الزراعيه والغرف التجاريه .. ان لجنة مركزيه على هذا النحو العام تضم الاحزاب والمستقلين وممثلى كل المنظمات على النحو الذى ذكرته فى الفقرة السابقه هى أصدق تعبير عن بقاء صيغة التحالف اذ سوف تكون مهمتها الاولى حراسة هذا التحالف وجمع كل هذه القوى كلما لزم الامر تحت سقف واحد من المصلحة الوطنية العليا التى لا تتجزأ .. وفى نفس الوقت فاننى أتصور أن النظام الاساسى للاتحاد الاشتراكى لابد أن ينظم للاحزاب نشاطها ولابد ان ينص على اسلوب للرقابه على مواردها المالية ولابد ان تكون لها برامج ومهما اختلفت فهى ملتزمه بالاسس الثلاثه التى لا خلاف عليها وهى الوحدة الوطنيه فلا تقوم الاحزاب على أسس دينيه أو عنصريه وحتميه الحل الاشتراكى فلا رجعه الى حكم الراسماليه والاقطاع ولا نكوص عن مكاسب الفلاحين والعمال وكل المحرومين الذين قامت الثورة اساسا لازالة ظلم القرون عن كواهلهم ..

رابعا : السلام الاجتماعى فلا حقد ولا انتقام ولا بث للكراهية بين الفئات ..

أيها الاخوة والاخوات .. ممثلو الشعب ... أن هذه تصورات عامه لبعض الامور التى سوف تفرض نفسها .. ولكنى لا أتصدى لكل التفاصيل التى سوف

تواجهنا : لانني لا أريد أن أثابر على أي اجتهادات في هذا المجال . ولاسي اؤمن دائما وكاسلوب لي في العمل - أن نتخذ القرار ونبدأ الممارسة ومن خلال الممارسة الفعلية علينا أن نواجه المشكلات الفعلية وأن نجد لها الحلول المناسبة .. ساعتها ستكون حلول حقيقيه وليست حلولا افتراضية أو مأخوذة من كتب قد لا تمت لظروفنا ومجتمعنا بأية صلة ..

أيها الاخوة والاخوات .. لابد لي في أول خطاب أحدثكم فيه وأول خطاب لي بعد أن شرفني الشعب باعادة اختياري رئيسا له من أن أشير اشارة عابرة الى بعض ما نعيشه من قضايا ..

بالنسبة للداخل : فاننا نعرف جميعا ونحس جميعا بكل ما يشكو الشعب منه من مشكلات في حياته اليومية ..

وقد كلفت رئيس الحكومة الجديد أن يقدم لكم بيانا مفصلا لما لدى الحكومة من حلول واتجاهات حول هذه القضايا جميعا .. ولعل الجديد الذي انتظره وينتظره الشعب معي وقد وصلنا الى هذه المرحلة المتقدمة من الديمقراطيه هو أن لا يقف دور مجلسكم الموقر عند حد الانتقاد ، بل أن يتعدى ذلك الى المساهمه في ايجاد الحلول .. وفي تحديد الاولويات بعد أن صارت هناك أحزاب لها أفكار وبرامج واراء .. أنه من الجوهر أن يشعر الشعب عن طريق ممثليه أنه شريك فعلي في رسم السياسة وليس متفرجا فحسب .. وعلى المستوى العربي . فلعلكم تذكرون ما قررته دائما من مبادىء تحكم سياستنا العربيه .. فايماني بأن التضامن العربي هو الاصل ، وأنه سيتغلب على أي خلافات - لم يكن مجرد تفاؤل بل كان قناعه لها اسبابها العميقه في نفسي .. وما أخذنا به من استراتيجية ترفض سياسه المحاور في الوطن العربي وتلغي التصنيفات النظريه للدول العربيه ولا تضع فيها الا المساهمة في معركه التحرير .. أقول ما زال هو استراتيجيتنا ومبدؤنا الى اليوم ..

ندعو لسركيس بالتوفيق في مهمته الصعبة

وقد أثبتت الايام أن سياستنا المبنية على هذه الاسس كانت على صواب وقد تجلى هذا في انعقاد مؤتمر القمة السداسي في الرياض ثم مؤتمر القمة العربي الموسع في القاهرة حيث فاجأ العرب العالم كله مرة أخرى بقدرتهم على التضامن وها هو اقتتال الاخوة في لبنان يقترب من النهايه ويبدأ الجديد يولد من بين الانقاض والمقاومة الفلسطينيه باقية وممثلة لاراده شعب فلسطين واننا لنؤيد الرئيس اللبناني الجديد اليوم الياس سركيس في مهمته الصعبه وندعو له من صميم قلوبنا بالتوفيق . وانني انتهز هذه الفرصة وأحيي باسمكم جميعا النضال البطولي العنيف الذي يبديه شعب فلسطين في الاراضي المحتلة في الضفة الغربية وغزة في وجه القوة الاسرائيلية الغاشمة وانتهاكها لمقدسات المسلمين والمسيحيين جميعا ..

أما المستوى الدولي فقد جرت في الاسابيع الاخيرة تغييرات كثيرة على مسرح السياسة العالمية . لقد رحل أحد عمالقة هذا القرن هو الزعيم الصيني ماوتسي تونج وأمسك بزمام القيادة من بعده الرئيس هوا كيوفنج واننا لنهنئه ونحييه ونحيي في شخصه الصفات العظيمة لشعب الصين كله . وقد انتخب الشعب الامريكي رئيسا جديدا له هو الرئيس جيمي كارتر واننا اذ نقدر لسلفه الرئيس فورد صدقه معنا ورغبته الفعلية في اقامة سلام عادل في المنطقة وفي بناء علاقات أمريكية عربية جديدة فاننا في نفس الوقت نهنىء الرئيس المنتخب كارتر ونرجو ان يكون متفهما لعدالة القضية حتى تتطور علاقات امريكا بالمنطقة الى أحسن .

ولقد استؤنفت الاتصالات الدبلوماسية والجادة بيننا وبين الاتحاد السوفيتي بعد انقطاع طويل واننا لنقرر ان يدنا دائما ممدودة الى كل دولة صديقة خصوصا اذا كان بيننا تاريخ وتعاون وتفاهم طويل طالما ان الطرف الاخر يحترم ارادتنا ويقيم معنا علاقات صريحه متوازنة ..

وقد اتسعت دوائر اتصالاتنا الدولية باستمرار قمت ببعضها بنفسي وقابلت عددا من الزعماء العالميين الاصدقاء وقد لا اذكر الجميع هنا ولكن اخص بالذكر الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان الذي كان يبدي دائما تفهمه الكامل لقضايانا واستعداده الفوري لمساعدتنا وابقاء جسور التشاور بيننا مفتوحه باستمرار كذلك ليس بغريب أو جديد أن أخص بالذكر ايضا الصديق القديم الوفي لمصر والبلاد العربيه الرئيس تيتو احد رموز هذا العصر الرئيس تيتو .. الذي نعيشه والرجل الذي كنا نجده دائما أقرب ما يكون الينا في الساعات الحرجة ولا ينسى شعبنا لايران وشاه ايران ما قدمه من فهم أخوي ومساعدة ماديه فعالة في أوقات الشدة .

وقد شاهدنا مؤتمر عدم الانحياز ومؤتمر القمة الافريقي ومازلنا نقوم بدورنا الرائد في كل من المجموعتين واننا اول ما ندين الهجمات العنصرية على دول المواجهة الافريقيه البائسه التي لا تطلب اكثر من حق الافريقيين جميعا في المساواة وتقرير المصير وانني لا أقول لابناء مصر ولابناء الامه العربيه كلها ان مصيرنا ومستقبلنا ليس مرهونا بمن يذهب او من يجيء هنا أو هناك فطالما أن ارادتنا حرة وصفوفنا

متماسكة وثرواتنا الطبيعية والبشرية نحسن استخدامها، فسوف نكون قادرين دائما بعون الله على التحكم فى مصيرنا ومواجهة أى موقف .

ولقد عادت العلاقات بين مصر وسوريا اصحاب قرار ٦ أكتوبر التاريخى بعد مؤتمر الرياض والقاهره الى سابق عهدها . واننى أحيى الرئيس حافظ الاسد بهذه المناسبه من أجل مستقبل عربى أفضل ومن أجل نزيف الدم فى لبنان .

نحن لسنا أمه صغيرة تزعزعها اى ريح تهب . كلا .. ان أمتنا العربية ، امه كبيره كبيره بكل المعانى . كبيرة بماضيها . كبيره بمساحتها . كبيرة بامكانياتها . كبيرة بعداله قضاياها . وامه هذا شأنها جديرة ان تحقق العدل لنفسها و لامن نعيرها وان تساهم فى خلق عالم جديد قائم على العداله والمساواة .

قرار ثورى

لخوض امتحان صعب

السيد رئيس المجلس .. ايها الاخوة والاخوات اعضاء المجلس .. اعود وانا اقترب من نهايه هذا الحديث الى الموضوع الاساسى .. ان القرار الذى اعلنته بأن تصبح التنظيمات منذ اليوم احزابا هو قرار ثورى نخوض به امتحانا صعبا جديدا وليسأل كل واحد منكم نفسه لماذا قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ثم ثورة ١٥ مايو ٧١ .. قامت ثورة ٢٣ يوليو لاسباب منها اسقاط النظام الحزبى الفاشل واقامه حياه نيابيه سليمة وكانت ثورة ١٥ مايو لازالة العوائق التى انحرفت فى ثوره ٢٣ يوليو فتره عن هذا الهدف فالديمقراطية السليمة اذن ليست هى مجرد قيام احزاب ولكن الممارسة السياسية للاحزاب وللمستقلين ولكل المنظمات الجماهيرية هى التى تصنع من مجموع حركتها الديمقراطية السليمة قد تصنع هذا قد نكون ديمقراطية سليمة أو قد تنتكس فتكون ديمقراطيه فاسدة لا تلبث ان تبتعد عن الشعب وتقضى على نفسها بيديها وها هو الزمن منذ يوليو ٥٢ الى ١١ نوفمبر ٧٦ يومكم ويوم مجلسكم فيتم دورة من دوراته الواسعة فينال الشعب مكاسبه التى حرم منها طويلا وتغيير الخريطة الاجتماعية تغيير عميقا ونعود لنبدأ من هذه المنطلقات تجربة ديمقراطية متكاملة والديمقراطية طريق ليس له نهايه بشرط أن تكون خطواته على هذا الطريق ثابته وممارستنا سليمة وتصرفاتنا مسئولة .. من أجل هذا لابد أن تضع القوانين المنظمة للاوضاع الجديدة ضوابط للممارسة السياسية الحزبيه ضوابط حازمة ومرنة فى نفس الوقت ان الصراع بين الاحزاب أمر طبيعى لكى يصل يوما الى تسلم الحكم ولكن هناك فارقا كبيرا بين الوقت ان الصراع بين الاحزاب أمر طبيعى ومن حق كل حزب ان يمارس حركته لكى يصل السلطه هذا صراع سلبى لا يفيد منه الشعب وبه صارت ديمقراطيات حزبية كثيرة الى حذفها والى انصراف الجماهير عنها تماما .. ان الكلمة من فوق هذا المنبر بعد هذه الخطوة لابد أن تكون مسئولة الى اخر الحدود فالكلمة من فوق هذا المنبر لها وقع غير الكلمة فى أى مجال آخر خصوصا والحزب بمعناه الحديث لابد ان يصدر كلام أعضائه عن دراسة وعن تأمل وان يضع الحزب نفسه فى موضع المسئولية وان يفكر فى كل قضية وان يحاول ان يجد لها حلا فلا مجال ابدا من فوق هذا المنبر بالذات للجرى وراء الشائعات ولا لاثارة الاحقاد ولا للمزايده عن طريق استثمار متاعب الشعب التى هى متاعبنا جميعا واى سلوك فى هذا الاتجاه السلبى واللامسئول لابد ان تكشفوا عنه فورا بكل الوسائل السياسية الممكنة وشعبنا العريق الناضج المترسبه فى ضميره تجارب الاف السنين كفيل بأن يفرق بسرعة بين الزبد الذى يذهب جفاء وبين ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ولا يجب أن ننسى قبل كل شىء وبعد كل شىء أن هناك اولوية مقدسه وهى تحرير الاراضى المصرية والعربية من دنس الاحتلال واستعادة كامل التراب الوطنى والقومى حتى اذا لم تنفع السبل السياسية نكون جميعا وبلا استثناء جاهزين للوقوف خلف قواتنا المسلحة الباسلة المستعدة دائما لشرف اداء هذه المهمة عند أول اشارة .

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا .. ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا .. ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

دراسات قرآنية

تفسير سورة
آل عمران

الآيات من ٣٣ ـ ٤١

- الاسلام والنصرانية
- عمران من هو
- معجزة توفير الرزق لمريم
- ميلاد يحيى ارهاص بميلاد المسيح

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ● ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ● اذقالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم ● فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ● فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ● فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ● قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء ● قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار ●

الاسلام والنصرانية :

بهذه الايات الكريمة يعرض القرآن الكريم عقيدة المسيحية التى هى فى تقدير الاسلام نفس العقيدة الاسلامية من حيث وحدانية الله سبحانه وتعالى وافراده بالعبادة ، وتنزيهه عن الشبيه والشريك والولد ويسرف المستشرقون ويتجنون على الحقيقة وعلى انفسهم عندما يحاولون أن يقفوا طويلا امام قصه مقابلة رسول الله صلوات الله عليه وسلامه أثناء سفره الى الشام فى صباه مع عمه ، حيث مرت قافلة قريش على « بحيرا » الراهب ، ليضع ساعات او أيام ثم يصرخون ويملاون أفواههم بالشقشقة من أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم تعلم المسيحية . من بحيرا الراهب النصرانى حيث تقوم العقيدة الاسلامية على تعاليم ومبادىء أساسيه تضاد على خط مستقيم العقيدة المسيحية ، فحيث تقوم المسيحية او النصرانية كما كانت تسمى على فكره خاصة محدودة بحدود زمانها ومكانها ، يقوم الاسلام على أفكار عامة مطلقة غير مرتبطة بزمان او مكان أو جنس فهو دين عام انسانى للبشرية كافة الى أبد الابدين .

فحيث تقوم العقيدة المسيحية على معنى محدود ومرتبط بمفاهيم قررتها الكنيسة على مدى عدة قرون ، ويتلخص جوهر هذه العقيدة فى أن آدم أبو البشر سقط فى الخطيئة وبالتالى سقطت ذريته واستحقوا بذلك غضب الله ؛ ثم شاءت ارادة الله ان يرحم عباده فأرسل ابنه الحبيب (الذى هو الله بذاته) ليتجسد على الارض فى صورة انسان ويعيش

بين الناس ويتالم ويعذب ثم يرفع على الصليب ويقتل فيكون موته كفارة للبشر ويتوب الله عليهم . وتتلخص العقيدة المسيحية ، فى أنه من آمن بالمسيح فى هذه الحدود ، وانه ابن الله الذى عذب ومات فداء للبشر ، من آمن بهذه الحقيقة فقد نجا ، ومن لم يؤمن بها فقد هلك فاعجب لهؤلاء الذين ادعوا أن سيدنا محمدا قد استقى تعاليم الاسلام من « بحيرا » الراهب المسيحى ، حيث يقوم الاسلام من اول حرف فيه حتى آخر حرف على ما يناقض كل ذلك ابتداء من وقوع سيدنا آدم فى الخطيئة ، فحقا اخطأ آدم ، ولكن الله سبحانه وتعالى عفا عنه بعد ان تاب وأناب على ما بينا فى سورة البقرة .

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هـو التواب الرحيم) .

ولا تزر وازرة وزر أخرى

بل ان القرآن الكريم قرر مبدأ عاما وهو ان لا يتحمل الخطيئة الا من ارتكبها .

[لا تزر وازرة وزر اخرى]

والمسيح فى العقيدة الاسلامية هو واحد من رسل الله الذين بعث بهم الله سبحانه وتعالى الى البشر مبشرين ومنذرين وليس ما يسمونه « العجائب » وهو بلغه القرآن « المعجزات » التى احاطت بالسيد المسيح منذ ولادته بالشىء المستبعد عن قدرة الله ، الذى يفعل ما يشاء حين يشاء كيف يشاء واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون .

وسنرى الان كيف تصدى القرآن الكريم للعقيدة النصرانية ، وراح يصوبها ويصححها ويقوم معوجها ، وسنرى كيف صيغت المعانى لتدحض كل التصورات الخاطئة فى العقيدة « النصرانية » .

(ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (.

اصطفى : اختار .

وبدأ القرآن الكريم من البداية لتصحيح المفاهيم المسيحية الخاطئة ، فادم عليه السلام لا يصح وصفه بانه وقع فى الخطيئة ولاخلاص له منها فهو والخطيئة شىء واحد ، كلا وانما هو مختار الله ومصطفاه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه ليكون خليفة لله فى الارض ويكون اولا للحياه البشرية ، وكما اصطفى ادم ليكون أبا للبشر فقد اصطفى سيدنا نوحا ليكون رسولا الى قومه يهديهم بهداية الحق وليكون الاب الثانى للبشرية هو ومن نجا معه من الطوفان .

وال ابراهيم :

وكما شاءت ارادة الله ان يختار آدم ونوحا لاداء مهمات معينة ، فقد اختار كذلك سيدنا ابراهيم اب الانبياء ، فمنه تفرع الفرع الذى جاء باسحاق فيعقوب فبنى اسرائيل فموسى وعيسى فقدتفرع منه كذلك سيدنا اسماعيل الذى سينتهى الى سيدنا محمد خاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام .

وآل عمران :

ليس آل عمران فى الحقيقة والواقع الافرعا من آل ابراهيم ، ولكنهم خصوا بالذكر لان الحديث سوف يدور عليهم ولقد سميت السورة كلها بـ « آل عمران » مع انها كما سوف نرى ستشمل موضوعا خطيرا آخر هو « غزوة احد » .

ولكن شاءت ارادة الله أن تسمى السورة « آل عمران » لتدل على موضوع العقيدة النصرانية الذى سوف تتصدى له بالتصحيح والتقويم .

على العالمين :

وهو تعبير عام شامل لكل البشر فى كل زمان ومكان لانه يمثل حقيقة تمت وانتهت ، وهواختيار الله سبحانه لمن اختارهم ليحملوا رسالته الى البشر وهم الانبياء والرسل والصالحون من آل ابراهيم وفرع آل عمران .

ذرية بعضها من بعض :

الذرية : النسل .

بعضها من بعض : اى فى الايمان والاخلاص والعمل الصالح .

وهذه اشارة صريحة وقاطعة لقانون الوراثة وانه يحدد مسار الانسان وهذه مسألة مشاهدة وملحوظة وما من أم او والد الا ويرون مصداق ذلك فى اطفالهم منذ لحظة الولادة فلون الجلد ولون العيون ولون الشعر ، والهيكل العام للطفل يكون فى الاغلب والاعم صورة مكررة من النسخة الاصلية ، اما أو ابا او جدا وجدة ، ولا يلبث الطفل كلما كبر ونما أن يكشف عما انتقل اليه عن طريق الوراثة . فالامراض والعاهات الخلقية تنتقل أحيانا عن طريق الوراثة ، وقد حاول بعض الماديين ان ينكروا علم الوراثة وان يدعوا ان العمدة كلها تتوقف على التربية والتعليم ، وهى سفسطة وشقشقة يكذبها الواقع ، ويكذبها العلم المادى ذاته ، فالانسان يعمل على استنبات السلالات الجيدة من صنوف النباتات والحيوانات ، وعلم الزراعة الحديث يقوم كله على هذا المبدأ ، مبدأ انتقاء البذور واختيار الصالح منها فعندما يحدثنا القرآن . ان الصالحين ينجبون الصالحين ، فهذا علم يقينى يقطع بذلك . وغنى عن البيان أن من سنن الله ايضا ان لكل قاعدة استثناء ، بمعنى أنه قد ينجب الصالح غير الصالح ، كما هو الشأن فى ابن سيدنا نوح ، حيث وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه « عمل غير صالح » فلكل قاعدة شاء الله أن يكون لها استثناء وقد قيل بحق « الاستثناء يؤكد القاعدة » .

والقاعدة أن قانون الوراثة من حيث الصلاح والفساد ، ينتج آثاره .

ذرية بعضها من بعض

والله سميع عليم : ويؤكد الله قدرته وهيمنته فهو سامع لكل ما يصدر من اقوال عليم بكل ما يقع من أعمال .

اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم .

محررا : أى خالصا .

وبدأ القرآن الكريم يقص علينا قصة سيدنا عيسى ، ويبدأها من بداية البداية ، وحيث تشرع كتب ما يسمى بـ « العهد الجديد » فى الحديث عن مريم بعد أن أصبحت كبيرة ليفاجئنا بعضها (متى ولوقا) بالحديث عن ملاك الرب الذى خاطب مريم بلا مقدمات ، فان القرآن الكريم يعود بنا الى ما قبل ميلاد مريم نفسها ، ليشعرنا بخطورة ما نحن مقدمون عليه ، وأن مريم لم تكن مجرد فتاة عذراء كأى فتاة أخرى بل ان الله سبحانه وتعالى وهو الذى يعلم أى شأن سيكون شأنها ، جعلها منذ البداية وحتى قبل أن تولد ، وقبل أن تعرف هويتها مخصصة لخدمة الرب .

اذ قالت امرأة عمران .

والمتحدث هنا هى امرأة عمران ، أى أن عمران هو والد مريم وامرأته هى أم مريم ، والمسيحيون لا يعرفون شيئا عن عمران ، وبالتالى لا يعرفون شيئا عن هذه الواقعة لا عن قرب أو بعد وهذا هو الدليل أولا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ينقل معارفه عن البشر (كما يزعم البعض) ولم يكن فيما يقوله يتحسس وقعه أو أثره عند ذوى الشأن ، وانما كان الوحى يهبط عليه بمايقول ، فيقوله للناس ، ولا يعنيه سرهم أو ساءهم ، طابق ما عندهم أو خالفه ، ان مهمته أن يبلغ ما أوحى اليه به ، وقد أوحى اليه فى هذا الموضع انه وقد سبق له فى علمه الشأن الذى سيجعله لمريم ، فقد أحاطها بالقدسية والطهارة ، حتى قبل أن تولد .

رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا .

هذه هى القداسة التى تحف بمريم قبل أن تولد بأن نذرتها أمها لله بمعنى أن تكون خادمة له ووقفا على عبادته . وهنا يقول لنا البعض ممن حاولوا أن يفسروا القرآن على ضوء ما يقول به الكتابيون سواء كانوا يهودا أو نصارى ، أن خدمة الهيكل كانت وقفا على الغلمان الصبيان ، وأحسب أن هذا ما كان ليغيب عن امرأة عمران ، فلو أن ذلك كان هو القاعدة المتبعة ، لذكرتها فى نذرها فتقول مثلا « ان كان ولدا فسوف أهبه لخدمتك » ولكنها أطلقت القول « **ما فى بطنى** » وما فى بطنها قد يكون ذكرا وقد يكون أنثى ، ويدل السياق والوقائع بعد ذلك ، أن كون المولود كان أنثى ، لم يثر أى صعوبة أو اشكال من أى نوع كان ، وحققت امرأة عمران نذرها فعاشت مريم منقطعة للعبادة مما سيرد علينا .

وأقصى ما يمكن أن يفهم من خيبة أمل امرأة عمران ، عندما رأت مولودها أنثى انه لن يعمل عمل الرجال كأن يكون كاهنا مثلا ، ولكن لابد أن يكون للاناث سبيل للانقطاع لخدمة الله وعبادته ولكن بأسلوب يختلف عن أسلوب الرجال كما سيتضح فى الآيات القادمة ان شاء الله .

فتقبل منى انك أنت السميع العليم .

وهكذا تنطق الالفاظ وتشع اشعاعا بالضراعة التى تضرعت بها امرة عمران ، وصدق ما انتوت ان تفعله فى قولها « **فتقبل منى** » اى كن راضيا عن هذا النذر الذى نذرته واعنى على تحقيقه ايذانا بقبولك له ، انك أنت السميع ، تسمع ضراعتى ، العليم بنيتى .

فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى .

وعندما تمت عملية الوضع تبينت امرة عمران أن المولود أنثى وليس ذكرا ، فتتوجه الى الله سبحانه وتعالى بأن ما نذرته لله قد جاء أنثى ، وهى تعرف أن لكل منهما دور فى خدمة الله ، ولكنها اذ تقرر أن ما وضعته « أنثى » فهى تعرف وتؤمن من غير شك ، أن تلك مشيئة الله ، وأنها اذا كانت تطمع فى أن يكون المولود ذكرا ليقوم بخدمة الله فى الاعمال التى يقوم بها الذكور ، ولكن شاءت ارادة الله أن تكون أنثى ، فلن تضطلع الا بالاعمال التى يقوم بها النساء ، ومضت امرأة عمران فى الوفاء بنذرها من تخصيصها مولودها لخدمة الرب فأطلقت على ابنتها اسم « **مريم** » .

وقال بعض المفسرين ان اسم مريم معرب كلمة « مارية » التى تعنى « جارية » وقال بعض آخر بل هى تعنى فى لغة امرأة عمران « العابدة » وهذه اللغة اما أن تكون العبرية ، أو السريانية ، فعلى من يعرف هاتين اللغتين أن يتحقق من ذلك ، أما نحن فحسبنا ما قال القرآن من أن أم مريم قد سمتها بهذا الاسم .

والله أعلم بما وضعت .

بقى أن الاية الكريمة قد استدركت بمجرد أن ناجت امرأة عمران ربها ، ان وليدها جاء انثى ، فاستدركت الاية بقولها « **والله أعلم بما وضعت** » ، وعندنا ان هذا الاستدراك قد أريد به ،اظهار خطورة هذا المولود والذى سيكون له من عظم الشأن ما سوف يؤثر على البشرية الى ابد الابدين .

وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .

من المحقق ان هذا الكلام هو جزء من مناجاة أم مريم لربها ساعة أن وضعت مريم ، فهى وقد وهبتها خالصة لعبادة الله فمن الطبيعى جدا أن تتوجه الى ربها بالدعاء ان يجنبها هى ونسلها من بعدها من وسوسة الشيطان وهمزاته .

أعيذها بك : بمعنى أجيرها بك، ووصف الشيطان بانه رجيم اى المطرود من رحمة الله ، ولما كان هذا القول هو حكاية لما دعت به « أم مريم » ربها فنحن نقف عند هذا الحد .

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا .

هذه حكاية القرآن التى جعلتنا نستبعد كل ما قيل من أن الخدمة فى الهيكل أو المعبد ولنقف عند حد القرآن « **المحراب** » كانت وقفا على الذكور ، فغنى عن

البيان أن الله سبحانه وتعالى لم يرسل نبيا ليقول للقوم ان يغيروا شريعتهم ونظمهم ميقبلوا هذه الانثى بالذات رغم مخالفة ذلك لما درجوا عليه ، وانما سارت الامور سيرها المعتاد ، وكان قدسبق فى علم الله اى شان سيكون لمريم هذه فهو الذى اختارها وراح يعدها بواسع فضله وكرمه للدور الذى ستقوم به فحفها ببركاته ونعمائه « **وانبتها نباتا حسنا** » اى رباها على طاعته وعبادته بأن جعلها بداءة ذى بدء فى رعاية زكريا .

وكفلها زكريا .

وكان أول مظهر لرعاية الله سبحانه وتعالى لمريم وانه تقبلها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا أن جعل زكريا يكفلها فيعلمها ويرعاها ويربيها ماديا (بالطعام والشراب) وروحيا بالتدين والتقوى ، فمن هو زكريا ؟

زكريا عليه السلام :

ورد اسم سيدنا زكريا ثمان مرات فى القرآن الكريم باعتباره نبيا فى سورة « آل عمران والانعام ومريم والانبياء » وزكريا الوارد فى القرآن كما سنرى هو والد يحيى ، والمسيحيون واليهود من قبلهم لا يعرفونه ، وهذا لا يعنينا فى قليل او كثير فالقرآن وحى من رب العالمين وكون الكتابيين يجهلونه فان شاءوا تعلموا ما لم يكونوا يعلمون وان شاءوا أن يبقوا على جهلهم فهذا شانهم ، ولنا أن الله يعلمنا أن مظهر نعمته على مريم وأنه أنبتها نباتا حسنا أن عهد بتربيتها الى أحد أنبيائه وهو زكريا .

وفى حديث الاسراء والمعراج وصف سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام « يحيى وعيسى » بأنهما ابنا الخالة ومعنى ذلك أن امراة عمران كانت اخت مريم ، وان زكريا هو زوج أختها فاختاره الله برعايتها كما سوف نرى لتحقيق مشيئته .

كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .

وبدأ القرآن الكريم يحدثنا عن اكرام الله سبحانه وتعالى لمريم منذ هذا الوقت المبكر واحاطته اياها بـ « الكرامات » من الامور الخارقة ، فكان سيدنا زكريا كلما دخل عليها « المحراب » وقيل ان المحراب لغة يعنى أكرم موضع فى البيت : (الغرفة العالية) أى انه يصعد اليها بالسلالم وأصبح يطلق اصطلاحا على المسجد ، او صدر المسجد ونحن نعرفه اليوم على انه « القبلة » التى نصلى اليها .

وايا كان معنى المحراب فى الاية فهو ينطق بانه كان مخصصا لمريم تعتكف وتتعبد فيه ويبدو أن سيدنا زكريا كان هو الوحيد الذى يعولها ويتردد عليها بدليل اندهاشه لمرأى « الرزق » عندها ، ولو كان الكثيرون يترددون عليها ، لما كان هناك محل لدهشته فضلا عن تساؤله « **انى لك هذا** » ويدل ذكر القرآن للسؤال والرد عليه « **هو من عند الله** » على أن الامر لم يكن يسير طبيعيا ، وأن وصول الرزق للسيدة مريم كان يتم بطريقة خارقة .

وقد تحدث صاحب المنار على غرار أستاذه « الشيخ محمد عبده » من قبله ، فاستبعد ما قال به بعض قدامى المفسرين من أن زكريا كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء الى آخر ما قيل من هذه التفاصيل ، وحجتهما فى ذلك أن هذه تفاصيل لم ترد فى القرآن من ناحية ، ولم يقل بها سيدنا محمد من ناحية أخرى ، ونحن نقرهما على ان هذه التفاصيل من باب التزيد ومما لم ينزل الله به سلطانا ، ولكن الذى أخالفهما فيه وبكل قوة ، ان الرزق كان يأتيها بطريقة طبيعية ، ونص عبارته : « **وانت ترى ان لا دليل فى الاية على أن الرزق كان من خوارق العادات** » . ولا حيلة لنا اذا كان الشيخان الجليلان لم يريا فى الاية ما يدل على أن الرزق كان يأتى بطريقة خارقة ، حيث نرى نحن فى الالفاظ والسياق ما يقطع بذلك فالتعبير بكلما « كلما » ثم السؤال والجواب لا يعنيان الا ان الامر كان خارقا . فاذا أضفنا الى ذلك ان القصة كلها تروى لاظهار ما اضفى الله على مريم من كرامة ولابد أن تكون الكرامة قد ظهرت بصورة خارقة بحيث حفزت زكريا عليه السلام على أن يدعو الله بأن يحقق له أمرا خارقا وهو ان يرزقه الولد ، على الرغم من بلوغه سن الشيخوخة هو وزوجته ، وقد ربط الله تعالى بين هذا الدعاء بطلب أمر خارق ، بما عاينه زكريا من أحوال مريم حيث يقول القرآن الكريم « **هنالك دعا زكريا ربه ...** » الاية .

وذلك لا يفهم الا على ضوء القول « والشىء بالشىء يذكر » فاما وقد رأى زكريا اية ربانية ، فقد حفزه ذلك الى ان يعترف من هذه النعمة فيدعو طالبا امرا خارقا وسنرى أن كون ما طلبه كان خارقا ، كان باعترافه هو .

وعندنا انه لما كان لا سند للمسيحيين فى اعتبار المسيح هو الله الا أن الخوارق كانت تجرى على يديه ، فقد شرع القرآن الكريم يصور كيف ان الله سبحانه وتعالى لا يضن بالخوارق على اى عبد اصطفاه من عبيده . وبدأ السرد بما أجراه لمريم قبل المسيح نفسه ، ونحن نتصور أن القصة كلها قد سيقت لتحقيق هذا الغرض .

ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .

ويختلف المفسرون أهذا القول بقية كلام مريم وهى ترد على السؤال ، أم أن القول من انشاء رب العالمين ، وعندنا أن المعنى واحد فى كلتا الحالتين ، فهو تقرير واقع ومؤكد ومشاهد ومحسوس وهو ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وفقا للسنن المألوفة وغير المألوفة مما يدخل فى دائرة الكرامات والخوارق

والقول بغير ذلك معناه انه لا يرزق الا بحساب وحسب المألوف ، وتعالى الله عن ذلك .

هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ● فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ● قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء ● قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ●

هنالك : يشار بها للزمان والمكان وهي هنا تربط بين رؤية زكريا ما رأى وبين توجيهه للدعاء لله ويستوى في ذلك أن تكون الاشارة الى زمان الرؤيا أو مكانها فالنتيجة واحدة .

بكلمة من الله : تكررت الاشارة في القرآن الكريم الى سيدنا عيسى بأنه « **كلمة من الله** » والمستفاد من القرآن أن هذه الكلمة هي أمره سبحانه وتعالى لعيسى « **كن** » فكان بغير أب .

وحصورا : اختلف المفسرون في معناها فالبعض قال انه الذي لا يباشر النساء ، والبعض قال بل هو الذي يحبس نفسه عن الشهوات .

بلغني الكبر : أي ادركته الشيخوخة .

وامرأتي عاقر : أي عقيم لا تلد .

الا رمزا : أي بالاشارة دون الصوت .

ما جاء في سورة مريم :

وقبل أن نفصل قصة زكريا ويحيى ، نرى أن نثبت نص الآيات التي وردت في سورة مريم لتمهد لقصة سيدنا عيسى كما هو الحال هنا .

« ذكر رحمة ربك عبده زكريا ● اذ نادى ربه نداء خفيا ● قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا ● واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ● يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ● يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ● قال رب اني يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ● قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ● قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ● يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ● وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ● وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ● وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » ●

وتفيد هذه القصة أن زكريا كان مشغولا بل ومهموما أنه لم يكن له ولد ليرثه ويبدو انه كان قد يئس بعد ان تبين له ان امرأته عاقر وانه قد أصبح شيخا عجوزا ولكن الآيات التي رآها تحف بمريم جددت في نفسه الآمال فاتجه من جديد الى الله يدعوه ، ولما كان قد سبق في علم الله أن عيسى عليه السلام سيجيء على غير المألوف ، فقد شاءت ارادته ان يمهد له عن طريق غير المألوف كذلك ، فيجيء بيحيى من ابوين لاعهد للبشرية من ان ينجب مثلهما وليس أدل على ذلك من أن زكريا نفسه رغم اشتهائه للخلفة وتضرعه الى الله أن يرزقه بالخلف لم تكد الملائكة تبشره بأن الله استجاب لندائه وانه سوف يرزقه بالخلف الصالح حتى راح يتساءل كيف يتحقق ذلك مع كونه قد اصبح شيخا عجوزا وامرأته عاقر ، ويتساءل بعض المفسرين ، كيف يعترض زكريا وهو النبي الذي يعرف قدرة الله بمثل هذا الاعتراض ؟ ثم يحاولون ان يردوا على تساؤلهم ، والامر عندنا ان كل ما في القرآن قد سيق للتربية والتعليم والوعظ والارشاد ، وهو هنا يريد أن يلفت النظر الى ان يحيى سيجيء على خلاف المألوف ، فيجري الاعتراض على لسان زكريا ، بل ويجعله ملهوفا على تحقق هذا الامر الخارق الذي وعد به بغير حاجة لانقضاء فترة الحمل ثم الوضع فيطلب من الله آية فورية فيمنحه اياها وهي أن يحبس عن كلام الناس ثلاث ليال ، فيكون في هذه « الحبسة عن الكلام » في هذه المدة المحددة الدليل على أن الله الذي يفعل ما يشاء سوف يحقق له ما وعده به .

ومرة أخرى لا يتساءلن متسائل ، وكيف يطلب زكريا دليلا على قدرة الله ، ومرة أخرى نقول ان الله سبحانه وتعالى قد اختار هذا السياق لتحقيق الغاية المبتغاة وهو تعميق لفت النظر لقدرة الله على كل شيء ، وان مجيء عيسى على غير المألوف ليس حادثا فريدا لا تفسير له الا بأنه ابن الله ، وسيرد علينا الاستشهاد بآدم فاذا كان عيسى قد جاء من غير أب ،

ونقف عند يحيى فقد جاء على خلاف المألوف ووعد به ابوه من قبل ان ينشأ انشاءا بل وحدد الله سلفا شخصيته وصفاته ورسالته وانه سيجعله مقدمة لمجيء عيسى ، وسيكون اول من يصدق به .

التسبيح بالعشي والابكار :

واذ يبشر الله سبحانه وتعالى زكريا بهذه النعمة فهو يطالبه بما يحب أن يعلمنا اياه وهو أن يكون شكر النعمة بالتسبيح والاستغفار بالعشي والابكار ويحاول البعض ان يحدد فترات محددة كأن يقول «العشي» من الزوال الى المغرب وعندنا أن المقصود هو أن لا يفتر الانسان عن ذكر الله ليلا أو نهارا .

يتبع -

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

جرائم بنى إسرائيل كما قصها القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

الجريمة رقم ٥٦

محاولة اليهود احباط الدعوة المحمدية وهى لازالت فى مهدها بايقاد نار الفتنة والبغضاء بين القبائل العربية التى دخلت فى الاسلام فيمزقهم التخاصم وينصرف نشاطهم عن الاسلام فيخلو الجو لهم فينشطون لمحاربة الاسلام وهم مطمئنون

وبيان ذلك : أنه كان بين قبيلتين كبيرتين بالمدينة « الاوس والخزرج » كان بينهما فى الجاهلية حروب شديدة استغرقت زمنا طويلا ، قالوا انه كان نحو خمسين عاما . وكان لكل قبيلة شاعر او اكثر يشجع قبيلته بالثناء عليها وذكر أمجادها وانتصاراتها ويعرض بخصمها وينذره بالهزيمة ، كل هذا الشعر محفوظ فى صدور الرجال ولما جاء الاسلام أعرض الاوس والخزرج عن هذا الشعر . فماذا فعل خبثاء اليهود فى استغلال انشاد هذا الشعر ثانيا بحيل شيطانية .

مر خبيث منهم بجماعة من الاوس والخزرج يجمعهم مجلس واحد متسامرين فكهين فغاظه ما رأى من محبة كل قبيلة الاخرى فأسرع باستدعاء شاب يهودى كان يجالس العرب كثيرا ويحفظ أشعارهم القديمة وأمره ان يذهب ويجلس معهم ويستدرج فى الحديث حتى يعلن انه معجب بشعر فلان « شاعر من شعراء الاوس » مثلا . ويبدأ يروى ما قاله فى دم القبيلة الاخرى واذا بأفراد القبيلة المذمومة يأمرونه بالكف عن انشاد الشعر فيعارضهم الاخرون ويشتد النزاع واذا بهم يتصايحون : الحرب الحرب ويتضاربون ، ولما لم يكفهم التضارب بالايدى أسرع كل فريق الى بيته ليأتى بالسيف . فى هذه اللحظة اسرع رجل طيب الى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره ما حصل فأسرع صلى الله عليه وسلم بالحضور الى مكان الاجتماع قبل ان يحضر احد منهم وبعد لحظات حضروا تباعا وكل حامل سيفه فلما شاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم واقفا فى المكان الذى يقصدونه توقف كل فى مكانه. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ادعوى الجاهلية وأنا لازلت بين أظهركم ؟ **ألم تكونوا كفارا فهداكم الله .. ألم تكونوا ضلالا فأرشدكم الله .. ألمتكونوا أعداء فجعلكم الله أخوانا . ولازال صلى الله عليه وسلم يكرر هذا النوع من اللوم حتى تساقطت السيوف من أيديهم وتبعتها دموعهم معها ثم أخذ كل فريق يعانق الفريق الاخر وادركوا انها كانت فتنة ايقظها شيطان . وأنزل الله سبحانه فيها هذه الايات .**

« يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد أيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .

ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » الايات ١٠٠ الى ١٠٥ سورة آل عمران ».

المفردات :

« **يعتصم بالله** » : أى يطلب العصمة من الخطأ بلجوئه الى الله دائما فيقيه من كل شر .

« **اتقوا الله حق تقاته** » : هى ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر دائما فلا ينسى .

« **واعتصموا بحبل الله** » : وتمسكوا بحبل الله المتين وهو القرآن الكريم فان من تمسك به ضمن خيرى الدنيا والاخرة .

« **شفا حفرة** » : اى طرف حفرة من جهنم والمراد كنتم قريبين من الوقوع فى جهنم لولا أن تدارككم الله بالاسلام .

« **أمة** » : اى طائفة - « **جاءهم البينات** » : اى البراهين الواضحات

المعنى :

لم يكف خبثاء اليهود الكيد بالتشكيك فى تحليل بعض الطعام وفى جعل الكعبة قبلة بل عمدوا الى نوع آخر ليحبطوا الدعوة المحمدية وهى فى مهدها فأنزل الله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب** » **يقصد خبثاء اليهود يردوكم بعد ايمانكم الى الكفر . وكيف تكفرون أى لا يصح ذلك وأنتم تتلى عليكم آيات الله من القرآن الذى لو نزل على جبل لتصدع من خشية الله . وايضا حاضر بينكم رسول الله يزيل شبهاتكم ويرسم لكم طريق خلاصكم** ، ومن يتمسك بدين الله فقد هدى الى طريق مستقيم موصل لدار النعيم . يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقواه ، وحافظوا على اسلامكم فى كل لحظة حتى لا يفاجئكم الموت الا وانتم مسلمون . وتمسكوا بالقرآن الذى هو حبل الله المتين ولا تعملوا ما فيه تفرقكم شيعا وأحزابا . وتذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم فى الجاهلية أعداء فألف بين قلوبكم بالاسلام فأصبحتم ببركة نعمته تعالى اخوانا متحابين . واذكروا انكم كنتم بسبب كفركم على طرف حفرة من نار جهنم ، أى ليس بينكم وبين الوقوع فى جهنم الا الموت على الكفر ، فأنقذكم الله منها بالايمان . بهذا البيان البديع يبين الله لكم دائما دلائل طرق الخير لعلكم تهتدون اليها وتجتنبون الشر .

ولتكن منكم أمة .. الخ ، المراد يجب أن تكونوا كلكم أمة من خصائص افرادها انهم يدعون .. الخ . فالكلام من قبيل قولهم « ليكن لى منك صديق حميم » وشرط الدعوة أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة . وكل هذا فى الامور المعلومة لكل الناس . اما ما قد يخفى على غير الفقهاء فى الدين فلا يتصدى للامر به والنهى عنه الا الخبير به والخير كل ما فيه سعادة الدارين .

ثم بين سبحانه كيف تكون الدعوة اليه فقال : يأمرون بالمعروف وهو كل ما فيه طاعة ، وينهون عن المنكر وهو ما فيه معصية . ومن يفعل ذلك ضمن الفلاح اى الفوز بالسعادة . ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين تفرقوا شيعا يعادى بعضها بعضا ، واختلفوا فى الدين يكفر بعضهم بعضا ، من بعد ما جاءهم البينات والبراهين الموجبه للاتفاق على الحق ، واولئك المختلفون لهم عذاب عظيم . وللبحث بقية ان شاء الله

خصائص القصة القرآنية

الأستاذ فتحي رضوان

يعتبر ما أورده الله تعالى فى كتابه الكريم من أنباء وأحاديث كليم الله ، موسى بن عمران ، نموذجا ، بينا ، تتضح فيه خصائص المنهج القرآنى فى ايراد أنباء الغيب ، وأخبار الامم الغابرة ، وما جرى للرسل والانبياء عليهم السلام مع اقوامهم ، وبالجملة خصائص ما نسميه القصة القرآنية فان غاية القرآن وحكمته من ذكر تلك الانباء والأحاديث ، ليس التسرية ولا التسلية ، ولا اثارة خاطر قارىء كتاب الله أو المستمع اليه ، ولا امتاعه وتحريك انتباهه واهتمامه حتى يصل مع النبأ الى ختامه . ولقد أعلن كتاب الله ـ كما سبق القول ـ غاياته من تلك الانباء والاخبار ، فى وضوح وجلاء ، فى تضاعيفها ، وعند التمهيد لها ، وفى ختامها ، وأصل هذه الغايات والأهداف ، الذى تتفرع عنه سائرها ، هو اثبات وحدانية الله ، وأن انكفر هو الضلال المبين ، وأساس البلاء ، وأن انكار هذه الحقيقة ، التى أرسل الله رسله من أجل اعلانها ، وتعليمها للناس عبث لا طائل منه ، ولا جدوى . فان الله لابد ان ينصر رسله ، وان اهملوا قبل أن يتحقق هذا النصر ، عناء ، وشقاء ، لا قبل لغير المؤيدين بكلمة الله تعالى وسنده بهما : ولا بالصبر عليهما .

وفى أحاديث موسى عليه السلام وأنبائه فى القرآن الكريم ، نري ذلك ، حتى حينما تأتى هذه الاحاديث ، على سرد حكاية وقائع حياة موسى عليه السلام ، وهو طفل قبل أن يبعث نبيا ، وهو شاب يعيش فى قصر فرعون مصر ، يروح ويغدو ، متمسكا بحب الملك والملكة ، وبذوى النفوذ والكلمة المسموعة فى الدولة ، فهو ربيب الملك ، والاثير عند الملكة ، والمقربون الى الملك والملكة ، ومن يكون على شاكلتهم من الرؤساء وأصحاب المكانة فى الدول ، قديما وحديثا ، يعاملهم الناس من حكام ومحكومين ، وكأنهم آلهة ، لا تخالف ، وأمرهم يصدع ؟ .

وفى كل خبر ونبأ عن حياة موسى عليه السلام ، فى كل مرحلة من مراحل تلك الحياة التى لعبت فى تاريخ تكوين العقيدة الانسانية ، فى خالق السموات والارض دورا عظيما وبما يقاضي اليوم ، نلمس بأيدينا الغاية من النبأ ، ونرى ان الالفاظ والمعانى التى تكون منها ، تشير الى ارادة الله فى كل خطوة يخطوها الرجل الذى اصطفاه الله بكلامه وبرسالاته ، وان هذه الارادة ، تتجه الى هدف واحد ، هو ان يصبح هذا الرجل جديرا بالرسالة التى اختير لها ، قادرا على أدائها ، مستطيعا تحمل تبعاتها ، ثم بيان ما صادف من عقبات ، وما عانى من آلام وأحزان كلما تعثرت الرسالة ، ولقيت من بنى اسرائيل عزوفا وصدودا ، ثم كفرا وجحودا ، ثم اظهار قدرة الله الخارقة في الاتيان بالعجائب والمعجزات ، على يدى رسوله ومن اجل تثبيت هذا الرسول وتأييده ، وعدم

التعجيل بالنصر ، حتى يتهيأ الذين توجهت اليهم الدعوة ، لفهمها ثم الايمان بها ، ثم العمل بها بدافع من هذا الايمان .

ولا ادل على ذلك ، من أن القرآن الكريم أورد حياة موسى عليه السلام منذ كان طفلا رضيعا حتى أرسله الله هو وأخاه هارون عليهما السلام الى فرعون ليدعواه الى دين الله ، ثم عبوره ببنى اسرائيل البحر الاحمر ، الى سيناء ، حتى سنى التيه فى الصحراء . وهى وقائع تثير اهتمام السامع والقارىء ، ولو اتصل الحديث فى شأنها حلقة بعد حلقة لكانت - بالمعايير الحديثة - قصة كاملة ، لا يبدأ الناس بسماع أول طرف فيها ، حتى ينصرف اليها بكلياته وجزئياته ، متطلعا الى ما فيها من مفاجآت تدهش ، وغرائب غير مسبوقة تثير ، ولكن كتاب الله لم ينزل ، ليبعث الدهشه فى نفوس الناس ، بما يرويه لهم من انباء واخبار الرسل والاقوام الغابرين ، والا لجاءت أحاديث موسى ، فى موضع واحد ، كما جاءت قصة يوسف عليهما السلام . ولكن القرآن الكريم وزع هذه الوقائع وما اتصل بها ،على نحو ستة وثلاثين سورة من سور القرآن ، وان استأثرت بأكبر نصيب من تلك الاحاديث سور البقرة والاعراف ويونس وطه والشعراء والقصص وغافر مع اشارات قصيرة فى آل عمران والنساء والمائدة والانعام وهود وابراهيم والاسراء والكهف ومريم والانبياء والحج والمؤمنون والفرقان والعنكبوت والسجدة والاحزاب والصافات وفصلت والشورى والزخرف والاحقاف والذاريات والنجم والصف والنازعات والاعلى . وعدد تلك المواضع جميعا مائة وسبع وثلاثون موضعا .

وقد كان تفريق هذه الاحاديث ، أساسا على سبع سور ، هو أن يكون كل جزء منها ، مجددا لنشاط السامع والقارىء القرآن ، اذ يرى فى تلك الانباء المثير للاهتمام والمحرك لكل الحواس ، أنباء ، لم يسمع بمثلها فيما رواه له الرواة ، مع اتصالها الوثيق بالدعوة الى العقيدة ، وقدرتها الخارقة على تبسيط دقائق هذه العقيدة ، واثرها فى حياة الناس قدامى ومحدثين . دون أن يكون أدنى شاهد على أن هذه الوقائع وردت لتكون قصة ، تسمع لذاتها ، كوسيلة من وسائل الامتاع والتشويق ، بدليل واضح جلى ، أن القص ، لا يستمر ويتصل ، والحكاية لا تصل الى غاية تلك الوقائع الرائعة الفريدة ، بل ان الحديث ينقطع عند منعطف فيها دون أن يكون فى الرواية ما يشعر ، بأنها ستستكمل فى موضع آخر . فيكون كل حصة من تلك الوقائع ، **شاهدا على ما جاء فى كلام الله تعالى : قبلها وبعدها . على عظمته وقدرته ، وصدق دعوة رسله الى توحيده والايمان به والاطمئنان اليه . وقد لا يلحظ الكثيرون من قرأوا القرآن الكريم ، انه سكت عن الحديث عن وفاة أكثر أنبياء الله . فليست ثمة اشارة الى تاريخ وظروف ومكان وفاة كل من ابراهيم ويوسف وموسى وصالح وهود وشعيب ولوط فى حين أن التوراة المتداولة الان أثبتت هذه الظروف والتواريخ والاماكن بتطويل واسهاب . ذلك ان هذه الوفاة وظروفها وما لابسها ، لا يحقق غرضا من أغراض كتاب الله فى ايراد أنباء الرسل وأخبارهم ، فليس هو كتاب تاريخ ، ولا هو يروى قصة ، كسائر القصص ، التى كان العرب يسمعونها ، ويزجون فراغهم بهذا السماع ، ويروحون عن أنفسهم ، ويلتمسون المتعة الفنية المطلقة بتناقلها وتداولها .**

وسيبدو هذا الذى نقوله ، واضحا كل الوضوح ، فى الايات السابعة حتى الثالثة عشرة من سورة القصص .

وقبل أن نقف أمام هذه الايات ، نذكر ان التوراة التى بين أيدى اليهود والمسيحيين الان تحدثنا عن ظروف ميلاد موسى عليه السلام ، فتقول ان والده عمرام بن قاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قد تزوج من عمته - على عادة العبرانيين - وهى يوكابد بنت لاوى ولما رزقت بأول غلام ذكر لها هو موسى خبأته عن أعين الناس ، لان فرعون كان قد أصدر أمرا بقتل ما يولد لليهود من ذكور ، وبقيت تخفيه مدة ثلاثة أشهر ، فلما خافت أن تفتضح ، لان من الصعب اخفاء صبى فى مثل هذه السن ، كثير الحركة ، ينطلق على سجيته فى الدروب والازقة المجاورة لبيته ، ويتحدث بلا تحفظ ولا احتياط ، اذا ما استطاع النطق ، أعلمها أن تصنع له صندوقا وتطليه بالحمر (بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة) وهو الزفت وتضعه على ساحل النيل ، فنفذت ما أوحى الله به اليها ، وأمرت ابنتها أن تتبع اثر الصندوق فى الماء ، فمازالت البنت فى مراقبته ، حتى رأت انه التقط وادخل دار فرعون ، وان ابنة فرعون حينما رأته ، أحبته وكانت تستحم فى ماء النيل ، فعثرت على الصندوق بين شجر الحلفاء فأمرت جواريها فأتين به اليها ، وعلى الرغم من انها عرفت انه طفل يهودى ، فقد رغبت فى ابقائه عندها لانها أحبته ، وفى هذه اللحظة جاءت [مريم اخت موسى وعرضت على من فى بيت فرعون أن تأتيهم بأمه لترضعه .

وقد قص القرآن الكريم فى سورة القصص هذه الاحداث فقال تعالى :

« وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم . ولا تخافى ولاتحزنى ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ، وهم لا يشعرون ، وأصبح فؤاد ام موسى فارغا ان

كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لاخته قصيه فبصرت به ، عن جنب وهم لايشعرون ، وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

وفى سورة طه عن هذه الوقائع فى عبارة اكثر ايجازا فى الايات من السابعة والثلاثين حتى التاسعة والثلاثين .

« **ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى . أن اقذفيه فى التابوت . فاقذفيه فى اليم ، فيلقه اليم بالساحل ، يأخذه عدو لى وعدو له ، والقيت عليه محبة منى ، ولتصنع على عينى ، اذ تمشى اختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك . كى تقر عينها ولا تحزن** » .

وبالتأمل فى هذه الايات البينات ، نجد أنها خلت من لفظ واحد ، لا يتصل اتصالا مباشرا بالاغراض التى عددناها وحددناها لانباء الرسل وأخبار الغيب فى كتاب الله العظيم .

فليس ثم لفظ واحد ، ورد فى تلك الايات بقصد التشويق لذاته ، أو بقصد الحكاية وحدها .

فالحديث يستفتح بقول الله تعالى « **وأوحينا الى أم موسى** » ، فما حدث بعد ذلك ، ليس من قبيل الوقائع التى تجرى فى حياة الانسان ، بل ان هذه رواية لميلاد نبى أرسل الى بنى اسرائيل . فما فعلته أمه ، لم يكن عن تدبير منها ، وحسن مسعى ، بل انها كانت تنفذ أمر الله ، وقد امرها الله أمرا صريحا (**بأن تلقيه فى اليم**) وهو أمر لا تقوى أم على اتيانه الا اذا أيدتها قوة ، فوق قوتها ، وارادة تعلو كثيرا عن ارادتها .

ولم تدع الارادة الالهية هذه الام المسكينة الضعيفة نهبا للخوف على وليدها الصغير الضعيف الذى ستتقاذفه الامواج ، وهو لا يملك لها دفعا ، كما لا يستطيع فيها ، سبحا ، فقد طمأنتها العناية الربانية بقول الله تعالى : « **ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين** » ففى هذا الوقت المبكر من حياة هذا النبى ، أعلن الله تعالى لامه ، انه جاعله رسولا .

ثم يورد كتاب الله ، فى هذا الموضع ، حكمه على أعداء موسى ، فيقول « **ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** » .

فالامر الذى أصدره فرعون بقتل ذكور اليهود كان خطأ وظلما ، وافتياتا على حقوق الضعفاء وأمنهم ، ومن ثم فسينالون جزاءهم على ما أقدموا عليه ، بفضل هذا الوليد الذى سيكون فى قابل الايام من المرسلين .

ثم قال الله تعالى : **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا**» وتمضى آيات كتاب الله الكريم ، بغير ابطاء ، ولا تسويف ، الى الغاية من هذه الاحداث ، فيلتقط الصندوق أو السفط الذى به هذا الوليد ، اهل بيت فرعون ، مع انه سيكون عدوا لهم وسببا لحزنهم ، يعنى ان ما يجرى فى هذه الدنيا ، لا يطلع على عواقبه ونتائجه ، حتى أكبر الناس قوة ، وأشدهم بطشا ، بدلالة أن فرعون وزوجته ، التقطوا غلاما من اليهود ، الذين امروا بأن يذبحوا ، وآووه اليهم ، واحبوه ، فالله اعماهم ، وجعلهم يتجرعون السم الذى سيودى بهم ، لان تدبير الناس ، مهما علا ، وبذل فى اتقانه أقصى مايملكون من مهارة ومايتقنون من علم ، عبث لا طائل منه ، أمام تدبير الله العظيم . ولكن كتاب الله ، نبهنا الى ان التى استبقت موسى واستحيته هى امراة فرعون ، التى ستبقى الى آخر العمر ، تقية ، مؤمنة ، كارهة للكفر ، حتى ضرب الله بها مثلا للذين آمنوا ، وقال تعالى انها اتجهت اليه سبحانه وطلبت أن يبنى لها بيتا فى الجنة ، وأن ينجيها من القوم الظالمين . وبذلك تكون أوائل القصة قد اتصلت بأواخرها .

وعلى الرغم من أن الله بشر أم موسى بانه راده اليها ، الا أن القرآن الكريم حرص على أن يبدى الام) اى أم (على صورتها الحقيقية وأن يصور لنا قلقها وجزعها على طفلها الذى انتزع منها فقال تعالى « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به » ليكون ذلك درسا للانسان يعرف به ضعفه ، لولا ما يتدرع به من ايمان ، وما يتوسل به من تقوى « مصداقا لقول الله تعالى : لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فقد قال عز وتبارك : « لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » .

ثم قال تعالى : « **وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون** » .

وفى كل لفظ من هذه الايات ، تتبدى ارادة الله ، وتدبيره ، متصلا مستمرا ، مخالفا لارادة البشر ، وان كانوا من الطراز الذى يحسب ان الامور كلها دانت لهم ، وأنهم يتصرفون فى الاشياء والاشخاص كما يحلو لهم ، وأنه ليس فى وسع جماعة ولا طائفة ولا فرد ، أن يخالف لهم أمرا ، أو يعكس لهم تدبيرا ، او يفسد عليهم سعيا . فالمرأة الساذجة البسيطة ، المنتمية الى طائفة مغلوبة على أمرها ، تعيش فى خوف من فرعون وملئه ، تستطيع أن تهزأ من الملك العظيم ، وأن تغزو بيته ، بارادته وموافقته بل مع سروره واغتباطه ، لان الله اراد ذلك ، فهيأ له الاسباب فأخت موسى الفقيرة غير المجربة تدخل الى قصر الملك

ذلك لان اخاها الطفل الصغير الذى لم يتجاوز عمره الشهر الثالث ، يعرض عن كل مرضعة ولقد القى الله محبته فى قلب زوجة فرعون ، فأحبه الملك لحبها ، واذا هما معا قلقان مشغولا البال لان الطفل الذى التقطوه من النيل منذ ساعات قليلة ، يأبى أن يرضع من ثدى المراضع اللواتى عرضن عليه جميعا . وقد كان ممكنا فى ظروف أخرى ، أن ينفد صبر الملك لبكاء الطفل المزعج ، فيصم أذنيه لنداء زوجته واستعطافها ، ويامر بالقاء الطفل خارج القصر ، بل بخنقه اذا لزم الامر ، ولكن الملك أصبح ضعيفا أمام بكاء الطفل ، بل لعله اصبح اكثر ضعفا أمامه من زوجته لان الله جعله يتعلق به ، ويشفق عليه ، فاذا جاءت فتاة ربما كانت حافية القدمين ، من عرض الطريق ، فقالت لحراس القصر دعونى أدخل الى الملك والملكة ، فيسرع الحراس الى الملك ، يبلغونه ان بالباب فتاة تقول انها تعرف للطفل مرضعة ، تستطيع أن تسكن ثائرته ، وتشبعه من جوع ، فيتقبل الملك وزوجته هذا العرض فى لهفة ، وقد كانا خليقين فى الظروف السياسية التى كانت قائمة آنذاك والتى اقتضت الملك ان يأمر بذبح كل صبى ذكر ، أن يتوجس من هذا الطفل والفتاة التى تاتى فى أعقاب التقاطه لتدلهم على أهل بيت يكفلونه ، فقد كان جديرا بهم ان يتساءلوا ، من أين عرفت هذه الفتاة ان زوجة الملك قد التقطت الطفل من ماء النهر ، وانه وقع من نفسها موقع الاعزاز والحب ، وأنها استبقته ، وانه رفض المراضع ، ولكن الله صرف أذهانهم ونفوسهم عن هذا كله ، لفرط حبهم للطفل ، وافتتانهم بجمال وجهه ، وصحة بدنه ، ولطف حركاته واشاراته ، وقلقهم على مصيره . وهو ما نسميه القبول ، أما عبر عنه كتاب الله الكريم « **والقيت عليك محبة منى ، ولتصنع على عينى** » فى سورة طه . التى أوردت هذه الوقائع ، كما قلنا فى ايجاز رائع ، واضافت اليها هذا البيان الذى هو بيت القصيد فيها، تأكيدا لما قاله الله تعالى بعد ذلك من أنه سبحانه قد اختار موسى لرسالاته وكلامه ، وما قاله تبارك فى سورة القصص « **وجاعلوه من المرسلين** » .

قال تعالى فى سورة طه : « **ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ اوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه فى التابوت ، فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى ، اذ تمشى أختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن** » وهذه الايات على ايجازها ، قد اضافت بعض الحقائق الصغيرة ، تزيد عملية القاء الطفل فى ماء النهر وضوحا فقد بينت أنه لم يقذف به فى اليم مباشرة بل وضع فى تابوت ، وان تيار النهر القى به الى الساحل كما جاء فى التوراة .

ولا يظن ظان ان هذه الوقائع أعيد ذكرها فى سورة طه بعد ان ذكرت فى سورة القصص ، ليضاف اليها هذان التفصيلان الصغيران اللذان لا يقدمان ولا يؤخران والذى درج القرآن الكريم على عدم الاحتفال بامثالهما ، لانه لم يات ليشغل الناس بهذه الحقائق التافهه التى قد يشغل بها قاص ، **يود ان يبدى مهارته فى تصوير الاماكن والمواقف ، بكل صغيرة وكبيرة فيها ، مما ينقل الى القارىء أو السامع ، صورة دقيقه كانه يعيش فى تلك الاماكن ، ويتحرك فى تلك المواقف ، فى حين ان كتاب الله العزيز يود أن ينقل الناس الى جو الواقعه ، وأن يحسوا بكل جوارحهم دلالاتها الروحيه ، ولو اخفت الصورة المادية للاشخاص والمواقع ، وما يتصل بهم وبها .**

واذا تتبعنا باقى الوقائع التى أوردها القرآن الكريم من حياة كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ، لوجدنا كل ما جاء من هذه الوقائع يؤدى نفس الغرض الذى حققته الايات الكريمة التى نزلت فى سورتى القصص وطه التى ناقشناها فيما سبق ، وفيما يلى من حلقات هذا الحديث نتناول باذن الله ما جاء فى السور الاخرى ، ومن الله العون .

العلم في القرآن

وَجعلنا نومَكم سُباتا .. وَجعلنا الليل لِباسا .. وَجعلنا النهار مَعاشا .

(قرآن كريم)

الدكتور أحمد حسنين القفل

– ٢ –

ولكن ماذا عن النوم ؟

يقول المولى سبحانه وتعالى :

● « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون » – ٢٣ – الروم .

والنوم ضرورة حتمية بالنسبة للانسان ، بل انها ظاهرة ضرورية لجل الحيوانات . بل ان بعض الحيوانات والنباتات الدنيا تعيش احيانا مرحلة سكون تطول او تقصر تمارس بعدها نشاطها وقد يعتبر هذا السكون فى عرف كثير من العلماء نوما . فالاميبة مثلا حين تسوء الظروف حولها – وهى حيوان من وحيدات الخلايا – فانها تغلف نفسها بغلاف تقبع فيه ساكنة – فى حالة تحوصل كما يعرف ذلك علميا – مدة تطول أو تقصر حتى اذا عاودتها الظروف المناسبة نشطت وانقسمت وعاودت الحياة النشيطة من جديد .

وتختلف مدة النوم اللازمة للانسان باختلاف سنه فيلزم للطفل فى المهد مدة أطول كثيرا عما يلزم للرجل الكهل . وفى البشر من سن واحد قد تختلف المدة اللازمة تبعا لعوامل عدة منها الحالة الصحية والمناخ الى غير ذلك . وقد تتعدد فترات النوم خلال اليوم بالنسبة لبعض الاشخاص نهارا أو ليلا ولكن معظم الناس ينامون فترة واحدة وخلال الليل ويعتادون ذلك .

ويبدأ النوم باغفاءة تنقل الانسان من حالة اليقظة الى حالة النوم فيقل الانتباه تدريجيا ، وترتخى عضلات الجسم ثم يفقد الانسان الوعى تماما ليدخل فى نوم عميق يفقد الصلة الواضحة بكثير مما يحيط به ، وفى أثناء النوم تقل سرعة ضربات القلب وينخفض ضغط الدم قليلا وتختفى حركات العضلات الارادية والافعال المنعكسة ويقل التنافس والافراز البولى ، ولكن عمليات الجسم الحيوية ينظمها الجهاز العصبى التلقائى [الذاتى] فالهضم مثلا ، وحركات الحجاب الحاجز اللازمة للنفس وضربات القلب .. الخ كل هذه الامور تسير رغم نوم صاحبها وهذا من فضل الله عليه .

وفى السنوات الاخيرة اخترع جهاز الرسام الكهربى للمخ وامكن بواسطته تحديد بعض الظواهر المتصلة بالنوم كحالة الاسترخاء قبله والدخول فيه وقياس عمق النوم ومدته وتحديد حالة الاستيقاظ وما الى ذلك .

والحرمان من النوم يؤدى الى الموت ، وقيل انه يهلك الممنوع من النوم فانه لا يستطيع ان يؤدى عملياته الحيوية كما يجب ان تؤدى اذ ينخفض مستوى الانتباه فيه وينحرف مزاجه ويثور لاتفه الاسباب .

هذا ومع أنه أجريت دراسات كثيرة حول ظاهرة النوم هذه ، فان طبيعتها لازالت تكتنفها الاسرار وتحيط بها الملابسات التى لا تجد تفسيرا . ولو ان كل انسان ينام الا أن طبيعة النوم الكيفية الدخول فيه أو الخروج منه وأسباب ذلك لازالت كلها تحتاج الى القاء الضوء عليها رغم اهتمام كثير من علماء فسيولوجيا الحيوان بدراستها لمعرفة كنهها واسبابها . وحتى الان لا توجد اجابة يقينية قاطعة تجيب عن الامور السابقة ولكن توجد نظريات مختلفة تشير الى بعض أسباب النوم ومنها :

١ – نقص كمية الدم الواردة الى المخ ، والحقيقة ان المخ ليس العضو الوحيد الذى يقل ورود الدم اليه اثناء النوم .

٢ - يعتقد بعض العلماء أن هناك مادة كيماوية تجمع أثناء فترة اليقظة والنشاط الجسماني وعندما تصل هذه المادة الى حد معين فان جسم صاحبها يتهيأ للنوم ويدخل فيه [ومع ذلك ففي التوائم الملتصقة قد ينام أحد التوأمين دون الاخر] .

٣ - هناك ادلة قوية ثبتت بالملاحظات والتجارب التشريحية تثبت وجود مراكز عصبية للنوم في المخ فتسبب النوم كما تسبب اليقظة . ولقد أصبحت مراكز النوم في المخ امرا مسلما به ، لكن الدخول في النوم وتدرجه وعمقه والتدرج تجاه اليقظة لازالت كلها امور تتطلب الاجابة عليها من حيث دور مراكز النوم العصبية ازاءها .

٤ - تقول نظرية « بافلوف » ان الخلايا العصبية تنظم نفسها بنفسها من حيث نشاطها والكف عنه فعندما يصل نشاطها الى حد معين ، فانها تعمل من جانبها على ردع هذا النشاط وايقافه . وعلى اساس ذلك فان عملية النوم ما هي الا حالة عامة من الردع الذاتي تقوم به الخلايا العصبية في القطاعات العليا من المخ . تلك الحالة من الردع تعقب فترة طويلة من النشاط الذي مارسته هذه الخلايا فكونت اثنـاءه مركبات غيرت من طبيعتها الداخلية واجبرتها على الردع الذاتي المفضي الى النوم .

ويتضح مما سبق ان تعليل ظاهرة النوم ، لا يستند الى أساس يقيني أو حكم قاطع والحق ان آليتها أي كيفية حدوثها غير مفهومة فهما دقيقا . وتشير بعض المراجع العلمية الى عضـو يلحق بالمخ ويعـرف باسـم « هيبـو تلامس » يقـع تحت البطين الايسر له وينمو به جزء أمامي وجزء خلفي وفي الاول توجد مراكز الجهاز العصبي التلقائي الجانبي ومركز النوم واحد منها وهو يتأثر بالعقاقير المخدرة واذا اعتراه خلل وقع المرء في غيبوبة يمثل هذا العضو [هيبو تلامس] مركز الاستيقاظ فنشاطه يوقظ الحيوان الذي ينام حين يضيع التأثير الايجابي من هذا العضو عليه . ومع ذلك فهناك سؤال لازال يتطلب الاجابة وهو : ما الذي ينشط هذا العضو أو يدعوه الى النشاط ؟ بل ما الذي يستدعي وجود دورة من نوم تعقبها حالة استيقاظ ؟ الحق انه لا توجد اجابة شافية تماما ، ولكن المفروض ان هذا العضو ينشط في البداية ، وان هذا النشاط يتأثر بمختلف أجزاء الجهاز العصبي التي تبدأ نشاطها هـي الاخـرى ، كما ان نشـاطها ينشط من جـديد عضو « الهيبو تلامس » ومن ثم ، تتولد دورة تلقائية يستكمل فيها الانسان - أو الحيوان - أو نشاطه وبالتالي يكون أتم حالة من الاستيقاظ . ولكن كيف نتهادى الى النوم حثيثا ؟ يتأتى ذلك حين يقل نشاط الجسم فيصل الى أدناه من جراء الاجهاد فيتأثر بذلك عضو « الهيبو تلامس » حتى يصبح في حالة ركود أو سكون ، ويضيع تأثيره المنشط ، فتأخذ الانسان - أو الحيوان - سنة من نوم يعقبها اغفاءة فنوم عميق .

والحقيقة ان هذا الافتراض على أساس التفسير السابق يبسط تفسير ظاهرة النـوم الى أقصى الحدود . ذلك لان النوم بلا جدال عملية معقدة جدا ، يعلم حقيقتها الذي خلقها واوجدها سبحانه .

ومن العلماء من يعتقدون أن النوم ينشأ عن تأثيرات خارجية تتسبب في ردع مراكز الاحساس العصبية في المخ فتثبط همتها وتسلبها نشاطها . فالطفل حين تحتضنه أمه وتربت وتربد على ظهره مع صوت رتيب قد يبعث ذلك على انخراطه في النوم رويدا رويدا . على ان حالة الغيبوبة التي تتميز بها ظاهرة النوم ، قد تزول فجائيا بمؤثر مثير قوي ، وقد يستفاد من هذه الظاهرة في قياس مدى تعمق النائم في نومه وذلك بقياس قوة المؤثر الذي يلزم لايقاظه ، عن طريق حاستي السمع أو اللمس غالبا . وقد لوحظ ان الانسان ينام نوما عميقا خلال الساعات الاولى من نومه ، ثم يقل مدى هذا العمق تدريجيا بعد ذلك ، ومعنى ذلك ان الصوت الذي يفشل في ايقاظ نائم في ساعاته الاولى من نومه قد ينجح في ايقاظه في الساعات الاخيرة منه .

وضياع النوم أشد ضررا على الحيـوان - والانسان - من ضياع الغذاء ، فالكلب يمكنه ان يحرم من غذائه - دون الماء - مدة قد تصل الى عشرين يوما ، لكنه يتأثر حتى الموت اذا حرم من النوم لمدة تزيد على خمسة أيام . كما ان الليل هو الوقت المفضل للنوم بالنسبة لكثير من الناس ومعظم الحيوانات وربما كان حلول الظلام في حد ذاته عاملا يبعث على النوم كما أن تباشير الصباح قد تكون عاملا يبعث على الاستيقاظ والنشاط .

ويستطيع القارىء الكريم ، أن يدرك من كل ما سبق تبيانه عن النوم أو النعاس انه ظاهرة معقدة ، ليس من اليسير تفسيرها رغم الدراسات والتجارب المستفيضة التي قام بها علماء الشرق والغرب . ومن العجيب أن الكل ينام ، ولكن الكل لا يستطيع تفسير طبيعة النوم ولا الكيفية التي تحدث بها من بداية الى نهاية . انها لازمة وحتمية لراحة الانسان ، ويرى الكثيرون أن هناك تشابها بين الموت والنوم من أوجه كثيرة ، فحين يموت حيوان أو انسان فانه يقع في غيبوبة تقف معها كل الانشطة الحيوية في جسمه الذي فارقته الروح أما حين ينام حيوان أو انسان فانه يقع في غيبوبة ولكن الكثير من انشطته الحيوية - خاصة اللاارادية منها - لاتتوقف وان كان يعتريها بعض التعديل والتوجيه . ويستنتج البعض من ذلك أن الروح تغادر جسد الميت ولا ترجع اليه - الا حين يشاء الله لها ذلك - أما النائم فانها تغادره مؤقتا لترجع اليه عند الاستيقاظ حتى يتوفى اجله مصداقا لقوله تعالى :

البقية ص ٣٢

من أمثال القـــرآن

• فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى •

القرآن الكريم . ذلك الكتاب الازلى الخالد ، الذى لا ياتيه الباطل مـن بين يديه ولا مـن خلفه .. تنزيل من حكيم حميد .

أنزله رب العزة سبحانه وتعالى . على حبيبه وصفيه ومجتباه خاتم انبيائه . وسيد رسله . صلوات الله وسلامه عليه ..

أنزله هدى للناس . وبينات من الهدى والفرقان . فأنار للبشرية طريق الخير والسعادة . وهيأ للانسانية سبيل العزة والسؤدد والمجد .. ذلك الكتاب الذى اشتمل على الشرائع والاحكام . والاخلاق السامية . والاداب الرفيعة . وقصص الاولين . واخبارهم الرائعة .. لتكون عظة وعبرة ..

يقول جل ذكره « نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن » من الاية ٣ من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام .. أى نحن نبين لك . ونقص عليك . ونروى لك يا محمد .. أخبار الامم السالفة . والقرون الماضية .. أحسن بيان ..

ويقول سبحانه أيضا « لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب » من الاية ١١١ من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام .. أى عبرة وعظة لذوى العقول الراجحة ..

وقد قص الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم . قصص بعض الانبياء للعظة وللعبرة أيضا ـ يقول جل ذكره « **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** » من الاية ٧٨ من سورة غافر

وضرب القرآن الكريم الامثال للناس لهدايتهم وتثقيف عقولهم . وتبصيرهم وتذكيرهم بما فيه خيرهم وسعادتهم ـ يقول جل ذكره « **ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون** » الاية ٢٧ من سورة الزمر .. أى لعلهم يتعظون ويعتبرون ..

وهكذا جاء القرآن الكريم . جامعا لاسباب السعادتين الدنيوية والاخروية ـ يقول سبحانه « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » من الاية ٣٨ من سورة الانعام ..

وهذا كله من فضل الله تبارك وتعالى على خلقه . ومن رحمته بعباده . ومن نعمه الكبرى التى لا تعد ولا تحصى ..

ولا غرو . فهو سبحانه وتعالى . العليم الحكيم الخبير . الذى يعلم بحكمته وخبرته . ما فيه الخير والسعادة لعباده . الذين يحبهم ويرعاهم . ويهيىء لهم سائر وسائل النعيم البشرى ..

ولقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يضرب الامثال الرائعة لاصحابه . رضوان الله عليهم حينما يقدم لهم العظات . لتكون أكثر تأثيرا فى نفوسهم . وأبقى وعيا فى أفئدتهم .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لاصحابه) **أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرا يغتسل منه كل يوم خمس مرات . أكان يبقى من درنه شىء ؟ .. قالوا لا .. قال ذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا** (

فمثل الصلوات الخمس . بما فيها من تطهير للذنوب . وتنظيف للقلوب من الخطايا ، بالاغتسال خمس مرات كل يوم ـ فانه لا يبقى من درنه شيئا . والدرن هو القذر الذى يلحق البدن من عرق وتراب ونحوهما ..

وانما جعل المصطفى صلى الله عليه وسلم فى تمثيله النهر الذى يغتسل فيه المرء كل يوم خمس مرات ـ على بابه لما فى ذلك من يسر وسهولة ..

وعدم تحمل اى مشقة .. كما ان الصلاة سهلة ميسورة لا مشقة فى ادائها .. بل هى متعة روحية . دونها كل متعة ..

وهنا يقف المرء وقفة المتأمل . أمام اولئك الذين يتثاقلون عن الصلاة . ولا يؤدونها فى أوقاتها ! .. فيحرمون بذلك انفسهم من خير كثير . ويتعرضون لغضب الحق تعالى عليهم ..

والله تعالى يقول « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** » الاية ٢٣٨ من سورة البقرة ..

فهذا أمر صريح من رب العزة سبحانه وتعالى . لعباده بأن يحافظوا على الصلوات الخمس المفروضة . ويداوموا على أدائها فى أوقاتها .. مستوفاة شرائطها . مستكملة آدابها . وان يقوموا لله قانتين . طائعين عابدين . داعين له سبحانه . طالبين منه كل شىء يحتاجونه .. فهو وحده الذى يعطى ويمنح . وهو وحده الذى يسعدهم السعادتين الدنيوية والاخروية . ولا شىء يقع فى ملكه الا بأمره وارادته ومشيئته .

ومعنى الصلاة الوسطى . اى الفضلى .. التى تفضل سائر الصلاوات الخمس من قولهم للافضل اوسط ـ وقيل الوسطى . اى التى تقع وسط الصلوات محلا ووقتا ..

وقد اختلف العلماء فيها . فقال جمع من الصحابة انها صلاة الفجر . وبه قال مالك والشافعى رحمهما الله تعالى . واستدلوا على ذلك بأدلة منها . ان الناس يشغلون عنها بالنوم . وان الله قد خصها بالذكر فى قوله « **أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا** » الاية ٧٨ من سورة الاسراء ـ فصلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار . وهى فى صحائف كل منهم .. وانما سميت الصلاة قرآنا لانها لا تصح الا بقرآن .. وقيل انها صلاة الظهر . وبه قال جمع من الصحابة .. ورواية عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها .. واحدى روايتين عن أبى حنيفة رحمه الله . **قالوا لانها تاتى وسط النهار وفى شدة الحر ..**

وقيل انها صلاة العصر .. وهو قول كثير من الصحابة . والرواية الثانية عن عائشة رضى الله عنها ـ وهو رأى جمهور العلماء . منهم أبو حنيفة وأحمد رحمهما الله تعالى

وفى مصحف حفصة ام المؤمنين رضى الله عنها « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** » **صلاة العصر** واخرج غيرواحد . قوله صلى الله عليه وسلم (**الصلاة الوسطى صلاة العصر**) ..

وقيل انها صلاة المغرب . لان أول صلاة صليت فى الاسلام هى صلاة الظهر . حينما نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم صبيحة الاسراء يعلمه الصلاة .

وقيل انها صلاة العشاء .. ولم يذكر هذا عن أحد من السلف . ولكنه رأى بعض المتأخرين . قالوا لانها تقع متوسطة بين صلاتين لا تقصران . هما المغرب والصبح .

وقيل انها صلاة لا بعينها . لم يبينها سبحانه بذاتها . ليحافظ الناس على الصلوات الخمس كلها .. كما أخفى سبحانه ليلة القدر فى رمضان . ليحيى الناس ليالى كثيرة بالعبادة ـ واخفى ساعة الاجابة من يوم الجمعة . ليكثر الناس من الدعاء فيه كله ـ وأخفى اسمه الاعظم . الذى اذا دعى به أجاب .. واذا سئل به أعطى . ليدعوه الناس بأسمائه الحسنى كلها ..

وقد اختار هذا الراى جمع كثير من العلماء .. فهذه اقوال سته اصحها انها صلاة العصر ..

والمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول فى الحث على أداء الصلوات والمحافظة عليها (**الصلاة عماد الدين . من أقامها فقد أقام الدين . ومن تركها فقد هدم الدين**) ويقول ايضا « **بين العبد وين الكفر ترك الصلاة**] .. وهو حديث صحيح رواه الامامان مسلم وأبو داود رحمهم الله ..

وكانت آخر كلمة قالها النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته الشريفة الكريمة الغالية المباركة (**وصيكم بالصلاة**) ..

قال الرواه والمحدثون [**كانت روح النبى صلى الله عليه وسلم فى صدره وهويقول . اوصيكم بالصلاة . اوصيكم بالصلاة . أوصيكم بالصلاة فما زال يرددها حتى انقطع كلامه ..**

فأى انسان يعرف هذا . ويسمح لنفسه بأن يترك الصلاة . ولا يستمع لوصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

لا شك ان من يفعل ذلك . يكون فى غاية التعاسة .. والبعد عن الله تبارك وتعالى ـ بل انه بذلك . يجرد نفسه من انسانيته ..

ومعلوم أن الحكم الشرعى بالنسبة لتارك الصلاة أنه ان تركها معتقدا عدم وجوبها فهو مرتد خارج عن الاسلام يجب على الامام قتله ..

ولا يغسل ولا يكفن . ولا يصلى عليه . ولا يدفن فى مقابر المسلمين ..

وان كان يعتقد وجوبها . ولكنه يتركها كسلا .. فانه يجب على الحاكم الشرعى أن يلزمه بالصلاة ـ

فان تاب الى الله تعالى وصلى قبل منه ذلك . وان لم يصل قتل حداً لا كفراً .. فيموت مسلما عاصيا ويغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ..

هذا هو حكم الله تعالى فى تارك الصلاة .

نسأله عز وجل أن يوفقنا واخواننا المسلمين فى كل مكان الى المحافظة على أداء هذا الركن الاسلامى العظيم ..

ومن أمثال الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا قوله **(مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد. اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .**

فقد مثل المجتمع الاسلامى . الذى توجب الشريعة الغراء ان يكون مجتمعا متكاملا متكافلا قائما على التعاون والمحبة والمودة . بالجسد الواحد . اذا مرض منه عضو فان الالم يسرى الى جميع الاعضاء ويصاب المرء بالحمى والسهر ..

فكذلك اذا سلك احد المسلمين مسلك العداوة والقطيعة لاخوانه .. فان ذلك يؤذى المجتمع كله ..

وقد نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان عن كل من لا يحب اخوانه المسلمين بقوله **(لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولن تؤمنوا حتى تتحابوا)**

وهجر المسلم أخاه ومشاحنته شؤم دائما لا يرضى عنه رب العزة سبحانه يقول صلى الله عليه وسلم **(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما من يبدأ بالسلام » .**

فما أروع هذا ؟ .. وما أجله ؟ .. وما أحوجنا الى الاستمساك بآدابنا الاسلامية الرفيعة ؟

ومن الامثال الرائعة فى القرآن الكريم قوله تعالى « **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا . وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن ان تبيد هذه ابدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا . ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا . وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا** » من الاية ٣٢ الى الاية ٤٢ من سورة الكهف ..

ذلك أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يجلس حوله فى المسجد ضعفاء المسلمين وفقراؤهم . يأخذون عنه أحكام الدين ويتلقون منه آداب الشريعة الغراء . أمثال بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان . وكانت ملابسهم بسيطة خشنة . وبعضها بالية . ولها رائحة خاصة . وكانوا قبل اسلامهم عبيدا مملوكين لاغنياء قريش . **ولكن الاسلام حررهم ورفع عن كاهلهم ذل العبودية . واستبداد أسيادهم الطغاة .. ومنحهم العزة النفسية والكرامة الانسانية ..**

فكان الاغنياء من قريش . المؤلفة قلوبهم . حديثو العهد بالاسلام .. يحتقرونهم ويأبون أن يجلسوا معهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . بل ان بعض المشركين ما كان يمنعهم من الاسلام . الا سبق ضعفاء المسلمين الى الاسلام . ونيلهم الحظوة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكانوا يقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟

والذين أسلموا منهم حديثا .. دفعهم غرورهم واعتزازهم بأموالهم وخدمهم وحشمهم وحسبهم ونسبهم .. أن يلحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يجعل لهم وضعا خاصا .. فتارة يقولون له اجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا . فان وفود العرب تأتى اليك فنستحى أن يرونا مع هؤلاء العبيد . فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا - واذا نحن قمنا فأعدهم ان شئت - وتارة يقولون اجعل لنا يوما نلقاك فيه . ولهؤلاء يوما آخر - وتارة يقولون اذا نحن جئناك فاجعل وجهك الينا وظهرك اليهم .. !

ولكن القرآن الكريم رفض ذلك كله .. وأعلنها فى صراحة مدوية . أن الحق من عند الله . وأن من شاء أن يؤمن فليؤمن . ومن شاء أن يستمر على كفره وجاهليته فليفعل ..

وأمر الله تعالى نبيه الكريم بقوله « **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين .. وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين** » الايتان ٥٢ ، ٥٣ من سورة الانعام .

وكان صلى الله عليه وسلم يجلس مع هؤلاء الضعفاء من المؤمنين فاذا أراد أن يقوم قام

وتركهم .. فانزل الله تعالى عليه قوله « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** الايتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة **الكهف ..**

فصار يجالسهم . ويرفق بهم . ويدنون منه . حتى كانت ركبهم تمس ركبتيه الشريفتين صلوات الله وسلامه عليه . وكان يصبر معهم حتى يقوموا من مجلسه . وكان يقول (**الحمد لله الذى جعل فى أمتى من امرت ان اصبر نفسى معهم**)

ثم ان الحق تبارك وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يضرب لهؤلاء الاغنياء المتغطرسين المغرورين بأموالهم وجاههم وخدمهم وحشمهم - مثلا رجلين . أحدهما غنى آتاه الله مالا كثيرا وجعل له جنتين عظيمتين وفيهما أنواع الاعناب وحولهما نخل عظيم كثير الثمر .. وبين الاعناب والنخيل أنواع من الزروع التى ينتفع بها . وجعل بين الجنتين نهرا جاريا عظيما يرتويان منه ..

وثانيهما فقير أنفق ماله كله فى سبيل الله تعالى ..

فكان الغنى يتطاول على الفقير . ويفتخر عليه بماله وخدمه وحشمه ..

وكان الفقير ينصحه ويلوم عليه . كيف يكفر بالله الذى خلقه وانعم عليه بهذه النعم - ويقول له .. أما تدرى أن الله سبحانه وتعالى . قد يؤتينى مالا خيرا وأكثر من مالك . وجنة خيرا من جنتك ؟ وانه سبحانه وتعالى قد يرسل على اموالك وجنتك صواعق من السماء تحرقها وتدمرها ؟ وأن يذهب هذا النهر ويجفف ماؤه ؟

وكان من عدل الله عز وجل أن أهلك مال ذلك الكافر المتغطرس وخرب جنتيه ودمر عروشهما . وقضى على كل ما يملك فأصبح كئيبا حزينا نادما . يتمنى انه لم يكن كفر بأنعم الله عليه . ولكن كان ذلك بعد فوات الاوان ..

فذلك قوله تعالى ... « **واضرب لهم** » الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم . أى اضرب يا محمد . ونسبهم وحسبهم . الذين احتقروا ضعفاء المسلمين وفقراءهم . واستنكفوا أن يجالسوهم عندك . وطلبوا منك ان تجعل لهم وضعا خاصا « **مثلا رجلين** » أحدهما غنى وكافر . وثانيهما فقير مؤمن « **جعلنا لاحدهما** » وهو الغنى الكافر « **جنتين** » حديقتين « **من أعناب** » أى أنواع كثيرة من العنب . « **وحففناهما بنخل** » اى جعلنا حول الحديقتين نخلا كثيرا . يثمر ثمرا عظيما « **وجعلنا بينهما زرعا** » أى بين الاعناب والنخيل انواعا كثيرة من الزروع التى ينتفع بها « **كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا** » أى أن كلا من هاتين الحديقتين أعطت ثمرها كثيرا وافيا . ولم تنتقص منه شيئا « **وفجرنا خلالهما نهرا** » أى جعلنا بين الحديقتين نهرا جاريا عظيما يرتويان منه « **وكان له ثمر** » أى كان له زياده على هاتين الحديقتين العظيمتين أموال كثيره متنوعه « **فقال لصاحبه وهو يحاوره** » أى قال لزميله المؤمن الفقير . متفاخرا متطاولا متعاليا . وهو يناقشه « **أنا اكثر منك مالا واعز نفرا** » أى أكثر منك أموالا وأعز جاها بخدمى وحشمى وأتباعى « **ودخل جنته** » أى ان الكافر دخل جنته . ومعه أخوه المؤمن . يطيف به فى جوانبها . ويريه اياها . معجبا متفاخرا بها « **وهو ظالم لنفسه** » اى بكبره وطغيانه « **قال ما أظن ان تبيد هذه أبدا** » فأنكر فناء الدنيا . وزعم ان جنته باقية لا يدركها الفناء أبدا « **وما أظن الساعة قائمة** » يعنى انه انكر البعث والقيامة « **ولئن رددت الى ربى** » أى لئن كان ما تزعمونه من قيام الساعه . ومجىء القيامة . ووجود اله . فاننى ساجد عند ذلك الاله المزعوم . جنه خيرا من هذه . لكرامتى واستحقاقى لذلك . فكما نلت فى الدنيا . فلابد ان انال فى الاخره .. وهذا كله غرور وغفله « **قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب** » أى قال له ناصحا منبها . كيف تكفر بالله الذى خلق اصلك وابوك آدم عليه السلام من تراب « **ثم من نطفة ثم سواك رجلا** » اى جعلك معتدل القامة والخلق . صحيح الاعضاء . انسانا بشرا بالغا مبلغ الرجال « **لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى أحدا** » أى أن المؤمن يقول لذلك الكافر . انى أومن بالله . وانه سبحانه ربى . ولا أشرك بربى أحدا « **ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله** » .

اى قال له ناصحا مبينا ما يجب عليه ان يفعله . وهو أن يؤمن بالله سبحانه ويذكره ويقول حينما يشاهد نعم الله عليه . ما شاء الله . أى الذى انعم على بهذه النعمة . لا قوة الا بالله . اى لا قدرة لى على فعل شىء الا بأمر الله وارادته ...

قال العلماء .. من آداب العبودية لله عز وجل . ان المرء اذا رأى شيئا من ماله أعجبه .. أن يقول - ما شاء الله لاقوة الا بالله

وروى عن عروة بن الزبير رحمه الله . أنه كان اذا رأى من ماله شيئا أعجبه . أو دخل حائطا من حيطانه

[أى بستانا من بساتينه] قال ما شاء الله لا قوة الا بالله ...

« **ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا** » أى أنت تكبرت وتعاظمت على . لانك ترانى أقل منك مالا وأولادا وخدما وحشما . [**فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك**] أى فلعل الله سبحانه وتعالى يعطينى خيرا من جنتك فى الاخرة . نعيما خالدا مقيما « **ويرسل عليها** » أى على جنتك « **حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا ، او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا** أى ينزل على جنتك صواعق من السماء تحرقها وتدمرها . وتجعل أرضها جرداء ملساء لا نبات فيها . أو يجعل ماءها غائرا بعيدا لا تستطيع أن تصل اليه . ولا أن تناله « **وأحيط بثمره** اى أن الله تبارك وتعالى . بعدله وقدرته أنزل العذاب على ذلك الكافر . وعلى ماله . فأحرق ثمر جنته . وغار ماؤها « **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها** » أى أن الكافر حينما رأى العذاب قد نزل به وبحديقته . واصبحت خاوية على عروشها المتداعية .. ندم وجعل يقلب كفيه أسفا وحزنا وحسرة « **ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا** » وهكذا ندم حيث لم ينفعه الندم . أنه وقع منه بعد فوات الاوان .

والمتأمل فى هذا المثل العظيم .. الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم . أن يضربه لاولئك المتغطرسين . الذين احتقروا ضعفاء المسلمين . وأبوا أن يجالسوهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . يرى فيه وفيما اتصل به مع أمور . عبرا كثيرة : _ منها .. أن اكثر الناس سبقا الى الاسلام . والى الدخول فيه .. والتقاف حول رسول الله صلى الله عليه وسلم . والاخذ عنه . والاستنارة بهديه .. هم الفقراء ...

ذلك لان الاصل فى المال . أنه يطغى ويبعد عن الخير _ يقول جل ذكره « **كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى** » الايتان ٦ ، ٧ من سورة العلق .. أى حقا أن الانسان ليطغى ويتجبر ويتعالى ويستكبر على ربه عز وجل . اذا رأى نفسه غنيا ذا مال كثير _ وذلك منه غفلة وجهالة ! ...

ومنها ... ان الناس درجوا فى كل زمان ومكان . على احتقار الفقراء واستصغار شأنهم _ وذلك خطأ . فرب فقير لا مال عنده .. خير وأقرب عند الله تعالى من الغنى _ يقول صلى الله عليه وسلم) **رب أشعث اغبر ذى طمرين . تنبو عنه اعين الناس . لو أقسم على الله لا بره** (وهو حديث صحيح رواه الحاكم وأبو نعيم رحمهما الله . عن أبى هريرة رضى الله عنه .. والاشعث الملبد الشعر . والاغبر الذى غير الغبار لون شعره _ والطمران مثنى طمر ... وهو الثوب الخلق ... ومعنى تنبو عنه أعين الناس .. أى ترجع وتغض عن النظر اليه .. والالتفات نحوه .. احتقارا له .. وتصغيرا لشأنه _ لا معنى لو أقسم على الله لابره . أى لو دعا الله سبحانه وتعالى . فانه يستجب له .. لعظيم منزلته عنده ..

ويقول صلى الله عليه وسلم) **ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم . ولكن انما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم** (وهو حديث صحيح رواه مسلم وابن ماجه رحمهما الله تعالى . عن أبى هريرة رضى الله عنه ...

والدنيا بما فيها من أموال وزينة . لا قيمة لها عند الله عز وجل _ يقول صلى الله عليه وسلم) **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة . ما سقى الكافر منها شربة ماء** (وهو حديث صحيح رواه الترمذى رحمه الله . عن سهل رضى الله عنه ...

ومن أدعيته صلى الله عليه وسلم . التى كان يرددها (**اللهم أحينى مسكينا . وتوفنى مسكينا . واحشرنى فى زمرة المساكين** (رواه الحاكم رحمه الله . عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ...

ومن هنا قال بعض العلماء . **ان الفقير الصابر .. أفضل من الغنى الشاكر ...**

والحق ما قاله الاكثرون من العلماء والباحثين .. **أن الغنى الشاكر . الذى يذكر الله تعالى . ويشكر نعمه عليه . ويؤدى حق الله فى ماله . باخراج زكاته . والتصدق منه أفضل عند الله ..**

ومنها ... أن المال الذى يطغى صاحبه . ويبعده عن الله تعالى الذى أنعم به عليه .. قد يذهبه الله سبحانه ويدمره فى طرفة عين .. ولا يورثه الا الحسرة والندامة والخيبة ...

فواجب المرء .. أن يراقب الله تعالى ويرعاه دائما . فى حال يسره وعسره . وغناه وفقره .. وأن يذكر أنه عبد مربوب له سبحانه . لا يستطيع أن يسوق لنفسه خيرا . ولا أن يدفع عنها شرا . وأن الامر كله بيد الله وحده .. فيطمع فى فضله وعطائه واحسانه ورحمته _ ويخاف بطشه وعقابه وغضبه ونقمته ...

فاذا عاش العبد هكذا .. بين الرجاء فى الله .. وبين الخوف منه .. فانه بذلك . يكون قد سلك الطريق المستقيم . طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين . والشهداء والصالحين ..

والى العدد القادم ان شاء الله . حيث نسوق اليك أيها القارىء الكريم . من أمثال القرآن العظيم . ما فيه من العظة والعبرة . والله ولى التوفيق .

السمو بالإنسان من الحرفية إلى المعاني والمقاصد في ضوء القرآن الكريم

الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

ليس أخطر على المرء فى حياته وعلى تفكيره من الجمود الذى يقف به عند مجرد التمسك بحرفية النص ، دون نظر الى المقصود منه ، والحكمة من ايراده .. فالله عز وجل يخاطب العقول لتتفكر وتتذكر ثم تعتبر ، ويخاطب القلوب لتتدبر وتتفقه ثم تهتدى . ومن أراد الله به خيرا يفقهه فى دينه ويلهمه رشده ، ومن آفة الهبوط بالتمسك الحرفى أنها تضيع على أصحابها خيرا كثيرا ، وتحرمهم الانتفاع بالمقصود . ثم تحملهم اما على انكار ما لم يعرفوا أو كيل التهم بما لم يعلموا .. ولما ادعى قوم اختصاص على كرم الله وجهه ، بشىء من الرسالة ، أسر به النبى صلى الله عليه وسلم اليه ، أعلن على بطلان ذلك قائلا : والله ما عندنا شىء سوى هذه الصحيفة وفهم يعطيه الله عبده ، ثم نشر الصحيفة وقرأ الناس ما بها ، وأيقنوا أنه لم يغب عن علمهم ما كان دونه على .. فالذى تلقاه ودونه تلقاه ودونه غيره ايضا ، ولم يكن هناك ما يدعو لهذا الادعاء الخاطىء سوى الجمود والقصور ..

وأسلم السبل للسلامة من تلك الآفة ان يقف كل عند حدود علمه ، وأن يوقن بأن فوق كل ذى علم عليم ..

وفرق كبير بين ألا يعلم الانسان وبين أن ينكر على غيره ما يعلم ، قال تعالى :

«ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون» ..

واول ما يلفت النظر أن الله ينفى البر عن اولئك المتوجهين الى المشرق أو المغرب . مع أن التوجه أحيانا قد يأمر به الله ـ كوجوب توجه المسلمين فى صلاتهم الى الكعبة الشريفة .. ولا مخلص من هذا الاعتراض سوى ملاحظة الترقى بالفكر الانسانى من مجرد التمسك الحرفى واعتباره كل شىء الى المقصد الاسمى والهدف الاعلى ..

ومن غير شك أن التوجه مفروض على المسلمين . وعليهم ان يقوموا به تنفيذا لامر الله فى قوله :

« فول وجهك شطر المسجد الحرام » ..

وبعد اتمام ذلك التوجه ، عليهم ان يتعمقوا فيما وراء ذلك من أسرار .

فليس فى الاسلام مجرد عمل روتينى يبعث على النفاق وضياع الوقت من غير فائدة .. وانما فى الاسلام عمل يؤدى كما أمر الله . وبنفس الطريقة التى أمر بها مع وجوب ملاحظة كل ما يرتبط بالامر والامر معا .. فالامر حكيم منزه عن العبث .. والامر لصالح المأمور لا لصالح الامر ..

وفى قضية التوجه ـ الامر لا يحل فى مكان ، ولا تحصره جهة :

« فاينما تولوا فثم وجه الله » ..

ومع هذا :

« فول وجهك شطر المسجد الحرام » ..

وعليه ، فالمطلوب بعد التوجه وتنفيذ الامر ـ الايمان بالامر ، والاستسلام له ، والانقياد الى أمره أولا ـ ليستقر فى نفس المؤمن اساس الايمان من الطاعة والتسليم .. وهو ما أفصح عنه قوله :

« ولكن البر من آمن بالله » ..

فالمنفي هو الزعم بأن البر مجرد توجه خال من الايمان . والمثبت هو التوجه المصحوب بالايمان ..

ومن المحال شرعا أن يكون البر الذى هو جماع الخير ، محصورا فى مجرد توجه لا ايمان فيه .. ويعني الايمان بالله : اليقين بوجوده ، واليقين بصفاته وأسمائه على النحو الذى جاءت به كتبه وبينته رسله من غير تحديد لكيف ولا تمثيل بشىء ، اذ :

« ليس كمثله شىء » ..

ومن قواعد الايمان بالله ـ تنزهه عن المكان والجهة ، وعن الحلول فيهما .. والواصلون الى الله قد وصلوا الى العلم به ، وجل البارى أن يتصل بشىء أو يتصل به شئ اتصالا يفيد المحاذاة ..

ومن المقرر أن قرب العبد من الله ـ معناه أن يكون العبد محسا لقرب الله منه ، يراقبه وسيحاسبه :

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه: ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » ..

وفى موضع آخر يقول الحق :

« فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن اقرب اليه منكم ، ولكن لا تبصرون » ..

ولم يقل سبحانه وتعالى :

« ولكن لا تعلمون » ..

لاننا نعلم ونوقن بانه اقرب الينا من حبل الوريد .. فالله عز وجل باعتبار قربه من عبده لا يدرك بالنظر وان حملق الانسان بعينيه ، لانه اجل من ان يدركه بصر فان تمنع عنه الرؤيه ادنى غشاوة .. وانما تحس به البصيرة :

« أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » ..

ومن اتمام البر بعد الايمان بالله ـ الايمان بالملائكة . وهى أجسام نورانية ، لا تحكم عليهم الصورة ، فاذا كان بعض خلق الله لا تحكم عليهم الصوره وهم قادرون على التشكل ـ فكيف بالخالق سبحانه ؟ ..

وأما ما ورد من نحو قوله :

« ءأمنتم من فى السماء » ..

وقوله :

« وهو الله فى السموات وفى الارض » ..

فنؤمن به كما أورده الله من غير أن نتعرض لكيفية . مع التنزيه عن الحلول الذى هو حلول الحوادث فى مكان ما ..

ثم أضافت الاية للايمان بالله وملائكته ـ الايمان بكتبه ، لانها الطريق الى معرفته .. ثم الايمان بالنبيين لانهم المبلغون عن الله ، وكل رسول نبى، فمن آمن بالنبيين فقد آمن بالمرسلين . ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم ، والجزاء المحتوم لا ريب فى وقوعه وهو ما أنبأنا عنه فى قوله :

« ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر » ..

وللايمان مبدا ونهاية .. فمبدؤه : الايمان بالله .. ونهايته : الايمان باليوم الاخر .. وبين هذا وذاك ايمان الملائكة لتلقيهم الاوامر قبلنا ، والايمان بالكتب لاحتوائها لها .. والايمان بالنبيين لانهم الذين اصطفاهم الله لحمل رسالته ..

ولما كان الايمان من عمل القلب فى أصل مدلوله اللغوى ـ أضاف اليه الشارع ما يعود بنفعه على الاخرين ، مراعيا فى ذلك تهذيب نفسية المنتفع منه اولا قبل المنتفع . فمن الحماقة أن تنفع غيرك ولا تنفع نفسك ، قال تعالى بعد ما أوجب الايمان بما ذكر ، قال :

« وآتى المال على حبه » ..

وفى عود الضمير مجال للتأمل .. فيمكن أن يكون على حب الله باعتبار انه الامر وانه المجازى . ويمكن أن يكون على حب المال باعتبار أن المعطى آثر ثواب الله على ما يحتاج اليه الان ، واختار ما يبقى على ما يفنى ، قال تعالى :

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ..

ويمكن أن يقال على حب الايتاء باعتبار جود النفس وسخائها ..

ومن أجل ذلك لم يحدد للنفس الكريمة السخية مقدارا تبذله ، لانه وكله الى كرمها وجودها ..

وكأنه اكتفى عن تحديد المقدار بالعواطف الجياشة بالحب والخير لذوى القربى الذين تربطهم صلة الدم ، ثم اليتامى الذين تربطهم بالمعطى رابطة انسانية خاصة يفكر فيها بالنسبة لموقعه . فاليتامى قد فقدوا أباهم الذى كان يحنو عليهم ويكد من اجلهم ، فاذا راعى الانسان من هو اليتيم ثم تحول بنظره الى أولاده الصغار - اندفع باحساس خاص يعطى من فقدوا أباهم خشية على أولاده .. ثم بعد ذلك يرتقى من الاحساس الخاص الى الاحساس العام بكل محتاج - مسكينا كان لا يسأل الناس الحافا ولا يفطنون اليه ، أو ابن سبيل الجأته ظروف خاصة ، أو سائل يعبر عن احتياجه بلسانه ، أو فاقد لجزء من حريته يعمل على استرجاع ما فقده :

« وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب » ..

ومن البر اقام الصلاة ، لا مجرد الاتيان بها .. فاقامة الشيء الاتيان به على الوجه الاكمل الذى يؤتى ثماره ، وفى القرآن :

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ..

ثم ايتاء الزكاة - وهى مقدرة فى مال مخصوص تختلف عن ايتاء المال على حبه .. وفيه دليل على أن فى المال حقا سوى الزكاة ..

وتقرير الاسلام لهذا الحق المبهم - كفيل بالقضاء على مجرد العمل الروتينى من نفسية العامل ، لتزكو نفسه ، وتعلو همته ..

ومن البر الالتزام بالكلمة التى يقطعها الانسان على نفسه ويرتبط بها مع غيره . ولا تقل الكلمة فى اهميتها عن الدين المودع فى الذمة ، وقد امر الاسلام بالوفاء بالعهد متى التزم الطرف الثانى بمراعاة ذلك ، قال تعالى وهو يحدثنا عن البر :

« والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » ..

ولا ريب ان الحياة مليئة بالشدائد وان صفت للبعض لا تخلو عن أكدار أمرنا الاسلام أن نواجهها بصبر النفس . فالصبر نصف الايمان . ومن حكمة الله ان جعل الدنيا محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار ، تزهيدا لنا فيها . وقد علم سبحانه أن البعض منا لا ينفعه النصح المجرد فذوقنا من ذواقها ما يسهل به علينا وجود فراقها ، قال تعالى :

« والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » ..

ما أجمل هذا الختام ، وما أحسن هذا الوصف .. صدقوا فى الماضى فبرئوا من الكذب والنفاق ، وتساموا عن الحرفية ، وهم الان فى أعلى منازل التقوى ، تلازمهم بكل ما تحتويه من خير للفرد والمجتمع على حد سواء ..

وكان من عدهم لم يصلوا الى ما وصلوا هم اليه من الثبات على المبادىء ، والبحث وراء الاهداف والمقاصد .. وصلى الله على معلم الناس الخير .

« بقية مقال - العلم فى القرآن »

● **« الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها . فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى . ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون »** ٤٢ - الزمر

● **« وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون »** ٦٠ - الانعام

ويلاحظ ان لفظ « يتوفى » فى الايتين مأخوذ من « التوفية » أى الاكمال والمعنى ان الله يأمر بقبض روح الانسان بعد توفيته لاجله ، كما يوفى النائم أجله المسمى له فيعيد اليه روحه حتى يتوفى هذا الاجل .

وعلى هذا الاساس فالانسان يموت أثناء نومه موتا مؤقتا ويبعث عند استيقاظه - كما يستدل من الاية الكريمة الثانية - وهذا تذكير للانسان متكرر بالموت الحقيقى والبعث الحقيقى حتى يكون دائما على بينة من أمره .

وهناك دليل على مغادرة الروح لجسم النائم ولو مؤقتا ، فروح النائم يمكن - عن طريق ما نسميه الاحلام - ان تنتقل الى مناطق بعيدة وان تتجول فى اماكن كثيرة وان تفعل الاشياء الكثيرة وحين يستيقظ النائم قد يرى ان تحقيق حلمه واقعيا فى يقظته يستلزم شهورا او اعواما أولا يمكن تحقيقه بالمدة ، مع أن روحه حققته فى فترة قد لا تجاوز الدقائق التى نامها صاحبها . واذن فالروح لا تتقيد بالزمان والمكان كما يتقيد جسد الانسان حتى مع حلول الروح فيه .

فسبحان من جعل الليل لباسا والنوم سباتا والنهار نشورا وسبحان من خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور .

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً

حسين أمين

أيام الاسبوع	ذو الحجة ١٣٩٦	نوفمبر ١٩٧٦	فجر ق	فجر ت	شروق ق	شروق ت	ظهر ق	ظهر ت	عصر ق	عصر ت	مغرب ق	مغرب ت	عشاء ق	عشاء ت
الثلاثاء	أول ذي الحجة	٢٣	٥٦	٤	٢٧	٦	٤١	١١	٣٦	٢	٥٦	٤	١٨	٦
الاربعاء	٢	٢٤	٥٧		٢٧		٤٢		٣٦		٥٦		١٨	
الخميس	٣	٢٥	٥٨		٢٨		٤٢		٣٦		٥٥		١٧	
الجمعة	٤	٢٦	٥٨		٢٩		٤٢		٣٦		٥٥		١٧	
السبت	٥	٢٧	٥٩		٣٠		٤٢		٣٦		٥٥		١٧	
الأحد	٦	٢٨	٥٩		٣١		٤٣		٣٦		٥٥		١٧	
الاثنين	٧	٢٩	٠٠	٥	٣١		٤٣		٣٦		٥٥		١٧	
الثلاثاء	٨	٣٠	١		٣٢		٤٤		٣٦		٥٥		١٧	
الاربعاء	٩	أول ديسمبر	٢		٣٣		٤٤		٣٦		٥٥		١٧	
الخميس	١٠	٢	٢		٣٤		٤٤		٣٦		٥٥		١٧	
الجمعة	١١	٣	٣		٣٥		٤٥		٣٦		٥٥		١٧	
السبت	١٢	٤	٣		٣٦		٤٥		٣٦		٥٥		١٧	
الاحد	١٣	٥	٤		٣٦		٤٥		٣٦		٥٥		١٧	
الاثنين	١٤	٦	٥		٣٧		٤٦		٣٦		٥٥		١٧	
الثلاثاء	١٥	٧	٦		٣٨		٤٦		٣٦		٥٥		١٧	
الاربعاء	١٦	٨	٦		٣٩		٤٧		٣٧		٥٥		١٧	
الخميس	١٧	٩	٧		٣٩		٤٧		٣٧		٥٥		١٧	
الجمعة	١٨	١٠	٧		٤٠		٤٧		٣٧		٥٦		١٨	
السبت	١٩	١١	٨		٤١		٤٨		٣٨		٥٦		١٩	
الاحد	٢٠	١٢	٩		٤١		٤٨		٣٨		٥٦		١٩	
الاثنين	٢١	١٣	٩		٤٢		٤٩		٣٨		٥٧		١٩	
الثلاثاء	٢٢	١٤	١٠		٤٢		٤٩		٣٨		٥٧		٢٠	
الاربعاء	٢٣	١٥	١١		٤٣		٥٠		٣٩		٥٧		٢٠	
الخميس	٢٤	١٦	١١		٤٤		٥١		٣٩		٥٨		٢٠	
الجمعة	٢٥	١٧	١٢		٤٥		٥١		٤٠		٥٨		٢٠	
السبت	٢٦	١٨	١٣		٤٦		٥٢		٤١		٥٨		٢١	
الاحد	٢٧	١٩	١٣		٤٦		٥٢		٤١		٥٩		٢٢	
الاثنين	٢٨	٢٠	١٤		٤٧		٥٣		٤٢		٥٩	٤	٢٢	
الثلاثاء	٢٩	٢١	١٤	٥	٤٧	٦	٥٣	١١	٤٢	٢	٠٠	٥	٢٣	٦

من أخلاق القرآن

الإسلام

فضيلة الدكتور أحمد الشرباصي

قد يبدو غريبا أن نتحدث عن « الاسلام ! على أنه خلق من أخلاق القرآن لان العادة جرت على أن الاسلام هو ذلك الدين المعروف الذى جاء به رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكن الاسلام له معنى اخلاقى روحى عام يصح أن يدخل به نطاق أخلاق القرآن على أنه فضيلة من الفضائل التى يتحلى بها الانسان المؤمن ونستطيع أن نفهم ذلك بوضوح اذا عرفنا معنى كلمة ؟ الاسلام ! .

الاسلام من مادة السلامة وهى التعرى من الافات الظاهرة والباطنة ، والسلامة الحقيقية ليست الا فى الجنة ، اذ فيها بقاء بلا فناء : وغنى بلا فقر وعز بلا ذل ، وصحة بلا سقم : ولذلك قال القرآن الكريم : ؟ لهم دار السلام عند ربهم » والسلام هو الدخول فى السلم ، والاسلام هو الانقياد لامر الله تعالى بالخضوع والاقرار بجميع ما أوجب ، وقد يطلق الاسلام بمعنى الاخلاص ، وقد قال زيد بن عمرو بن نفيل :

أسلمت وجهى لمن أسلمت
له الارض تحمل صخرا ثقالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا

والاسلام فى الشرع على ضربين : أحدهما دون الايمان ، وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن دم الانسان ، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل ، وهو المقصود بقوله تعالى ؟ **قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** » . والثانى فوق الايمان ، وهو ان يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالعمل ، واستسلام لله تعالى فى جميع ما قضى وقدر ، كما ذكر من ابراهيم عليه السلام فى قول

القرآن : « **اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** » .

والاسلام بمعنى الانقياد لله ، والخضوع المطلق لاوامره ، خلق من أخلاق القرآن ، وفضيلة من فضائل الاسلام ، وتاج الهدى فى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ولذلك يقول الله تعالى فى سورة البقرة ، « **قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ! أى مذعنون لامر الله ، منقادون لحكمه ، لا نتبع الهوى او الشيطان أو الناس .

وفى سورة آل عمران يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم .« **فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن** » اى انقدت لامر الله فى اخلاص التوحيد له ، وأعرضت عن كل معبود سواه ، واخلصت قصدى بالعبادة اليه ، انا ومن اتبعنى من المؤمنين ، ولا ينبغى أن أضيع الوقت سدى فى الجدال والمراء بعد أن تبين الحق : « **وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** ! والاسلام بهذا المعنى الروحى القلبى هو من أخلاق الانبياء والمرسلين فهذا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت ويقولان : « **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم** » فأهل التفسير يذكرون هنا أن المسلم هو المنقاد الخاضع ، والمراد بالكلمة ما يشمل التوحيد والاخلاص لله تعالى فى الاعتقاد والعمل جميعا ، والاخلاص فى الاعتقاد هو أن لا يتوجه المسلم بقلبه الا الى الله ، ولا يستعين بأحد - فيما وراء الاسباب الظاهرة - الا بالله .

والاخلاص فى العمل هو أن يقصد بعمله مرضاة الله تعالى ، لا ارضاء الشهوة ولا اتباع الهوى . والله تعالى انما يرضيه منا أن نزكى نفوسنا بمكارم الاخلاق ونثقف عقولنا بالاعتقاد الصحيح المؤيد بالبرهان ، وبهذا نكون محل عناية الله تعالى ومستودع معرفته وموضع كرامته .

واما الذى يقصد بأعماله ارضاء شهوته واتباع هواه فانه لا يزيد نفسه الا خبثا ، ويكون بعيدا عن المعنى الجليل الاصيل للاسلام والله تعالى يقول : « **أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا** » . ويقول القرآن فى سورة آل عمران « **ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين** ! أى كان مخلصا لربه الطاعة والاذعان والخضوع فابراهيم المتفق على اجلاله عند اهل الملل الثلاث لم يكن على ملة واحدة منهم بل كان - كما يذكر تفسير المنار مائلا عن مثل ما هم عليه من الوثنية والتقاليد ، مسلما خالصا لله تعالى ، وليس المراد بكونه مسلما أنه كان على مثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشريعة بالتفصيل ، وانما المراد أنه كان متحققا بمعنى الاسلام الذى هو التوحيد والاخلاص لله فى عمل الخير .

ويقول القرآن فى سورة البقرة « **ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** » . اى ان الله اختار لكم دين الاسلام القائم على أساس التوحيد والاخلاص والانقياد ، فلا تتركوا الاسلام فيصادفكم الموت وانتم تاركون له ، بل الزموا الاسلام دائما ، فاذا أدرككم الموت صادفكم مسلمين ، وأنتم مذعنون خاضعون منقادون لامره ونهيه .وخلاصة هذه العقيدة كما يرى الاستاذ الامام - هى اسلام القلب لله تعالى والاخلاص له ، فدين الله واحد فى حقيقته وروحه ومعناه :لاستسلام لله تعالى والخضوع والاذعان لهداية الانبياء . ولذلك قال الله تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » فالتفرق فى الدين انما جاء من الجهل والتعصب للاهواء ، والمحافظة على المنافع المتبادلة بين المرووسين والرؤساء ، والقرآن يطالب الجميع بالاتفاق فى الدين والاجتماع على أصليه : العقلى وهو التوحيد والبراءة من الشرك بأنواعه ، والقلبى وهو الاسلام والاخلاص لله فى جميع الاحوال ، ومن لم يكن متحققا بهذا المعنى فليس بمسلم ، أى ليس على دين الله القيم الذى كان عليه جميع أنبياء الله تعالى يقول القرآن الكريم فى سورة يوسف على لسان يوسف عليه السلام : « **رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين** » اى اجعلنى ممن استسلم لرضاك ، أو اجعلنى سالما من أسر الشيطان .

ويقول الذكر الحكيم فى سورة البقرة : « **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ! » أى من سلك مرضاة الله واتجه بوجهه الى طاعته ، وفوض أمره اليه ، وانقاد له وخضع ، فلهجزاء عمله الطيب عند الله ولا يناله خوف ولا حزن فى الاخرة ، ومن الواضح أن الاسلام هنا لا يراد به احكام دين بعينه ، بل يراد به الاسلام الاخلاقى الروحى القائم على الانقياد والاخلاص ، وهذا معنى طالب الله به عباده المؤمنين فى كل الازمان والاديان ، ولعل هذا ما ينظر اليه قول الله تعالى فى سورة آل عمران : « **ان الدين عند الله الاسلام** » .

وقد جاء فى تفسير « ظلال القرآن » تعليق على هذه العبارة القرآنية الحكيمة جاء فيها :

« **ألوهية واحدة ، واذن فدينونة واحدة ..**

واستسلام لهذه الالوهية لا يبقى معه شيء فى نفوس العباد ولا فى حياتهم خارجا عن سلطان الله .. ألوهية واحدة .. واذن فجهة واحدة هى صاحبة الحق فى تعبيد الناس لها ، وفى تطويعهم لامرها ، وفى أنفاذ شريعتها فيهم وحكمها ، وفى وضع القيم

والموازين لهم وأمرهم باتباعها ، وفى اقامة حياتهم كلها وفق التعليمات التى ترضاها .. ألوهية واحدة .. واذن فعقيدة واحدة هى التى يرضاها الله من عباده . عقيدة التوحيد الخالص الناصع ومقتضيات التوحيد هذه التى اسلفنا : « ان الدين عند الله الاسلام » .

الاسلام الذى هو ليس مجرد دعوى . وليس مجرد راية ، وليس مجرد كلمة تقال باللسان ، ولا حتى تصورا يشتمل عليه القلب فى سكون ، ولا شعائر فردية يؤديها الافراد فى الصلاة والحج والصيام .. لا . فهذا ليس بالاسلام الذى لا يرضى الله من الناس دينا سواه انما الاسلام الاستسلام . الاسلام الطاعة والاتباع . الاسلام تحكيم كتاب الله فى أمور العباد . كما سيجيء فى السياق القرآنى ذاته بعد قليل . والاسلام توحيد الالوهية والقوامة .. بينما كان أهل الكتاب يخلطون بين ذات الله سبحانه وذات المسيح عليه السلام كما يخلطون بين ارادة الله وارادة المسيح أيضا .. ويختلفون فيما بينهم على هذه التصورات اختلافا عنيفا يصل فى أحيان كثيرة الى حد القتل والقتال .. هنا يبين الله لاهل الكتاب وللجماعة المسلمة علة هذا الاختلاف « **وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم . بغيا بينهم** » .

ويقول الله تعالى فى سورة آل عمران مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم : « **قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين** » .

فقوله « ونحن له مسلمون » أى منقادون بالرضا والاخلاص ، منصرفون عن اهوائنا وشهواتنا ، لا نتخذ الدين لاجل حظوظ الدنيا ، وانما نبتغى به التقرب الى الله تعالى ، باصلاح النفوس واخلاص القلوب والصعود بالارواح الى سماء الكرامة والفلاح ، ولما كان هذا هو الاسلام الدينى الذى كان عليه جميع الانبياء ، اتبع ذلك بقوله « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** » لان الدين اذا لم يكن هو الاسلام الذى أوضحنا معناه ، فما هو – كما يذكر تفسير المنار – الا رسوم وتقاليد يتخذها القوم رابطة للجنسية وآلة للعصبية ، ووسيلة للمنافع الدنيوية ، وذلك مما يزيد القلوب فسادا ، والارواح اظلاما فلا يزيد الناس فى الدنيا الا عدوانا ، وفى الاخرة الا خسرانا ولذلك قال : « **وهو فى الاخرة من الخاسرين** » أى يكون هنالك خاسرا للنعيم المقيم ، فى جوار الرب الرحيم ، لانه خسر نفسه اذا لم يزكها بالاسلام لله ، واخلاص السريرة له جل علاه .

وقوله تعالى : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** » يؤيد قوله تعالى « **ان الدين عند الله الاسلام** » لان هذا التعبير يتناول جميع الملل التى جاء بها الانبياء والمرسلون ، لان الاسلام بمعنى الانقياد الخالص لله هو الروح الكلى لهذه الملل ، ولانه الاساس الذى اتفقت فيه على اختلاف بعض التكاليف وصور الاعمال ، فالمسلم الحقيقى فى حكم القرآن هو من كان خالصا من شوائب الشرك بالرحمن ، مخلصا فى أعماله مع الايمان فى أى زمان أو مكان لان الله تعالى شرع الدين لامرين أصليين أحدهما تصفية الارواح وتخليص العقول من شوائب الاعتقاد بالسلطة الغيبية للمخلوقات وقدرتها على التصرف فى الكائنات ، لتسلم من الخضوع والعبودية لمن هم من أمثالها . أو لما هو دونها فى استعدادها . وثانيهما اصلاح القلوب بحسن القصد فى جميع الاعمال ، واخلاص النية لله وللناس .

فمتى حصل هذان الامران انطلقت الفطرة من قيودها العائقة لها عن بلوغ كمالها فى أفرادها وجماعاتها . وهذان الامران هما روح المراد من كلمة الاسلام ، وأما أعمال العبادات فانما شرعت لتربية هذا الروح الامرى فى الروح الخلقى ، ولذلك يشترط فيها النية والاخلاص ، ومتى تربى هذا الروح سهل على صاحبه القيام بسائر التكاليف الادبية والمدنية التى يصل بها الى المدينة الفاضلة وتحقيق أمنية الحكماء .

ولو أننا رجعنا الى روضة السنة المطهرة لوجدنا المعنى القلبى الاخلاقى لكلمة الاسلام موجودا فى مواضع منها ففى البخارى نجد من دعوات النبوة : « **اللهم لك أسلمت** » وفى رواية : « **اللهم أسلمت نفسى اليك** » وهذا التعبير معنى الاستسلام والانقياد لامر الله والخضوع لمشيئته . وقد جاء فى مسند ابن حنبل : « **لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه** » أى ان يكون قلب الانسان خالصا لربه منقادا لامره ، لا يشغله سواه .

نسأل الله جل جلاله أن يجعلنا بفضيلة الاستسلام اليه وبعمة الانقياد لامره ويجعلنا ممن يعتصمون بحبله القوى المتين ، فنزدان بالاسلام فضيلة وخلقا ، ونستمسك بالاسلام شريعة ودنيا ، وعلى الله قصد السبيل .

تأملات في البيان القرآني

الصورة القرآنية

● الدكتور ابراهيم عوضين ●

٣ ـ ويلاحظ المتأمل فى البيان القرآنى أن من أبرز مقاصد الصورة القرآنية تجلية الطبيعة الارضية والتعريف بالمشاهد الكونية ، بما يكشف عن أسرارها ، ويظهر دقائقها وخفاياها .

والبيان القرآنى فى تقديم هذا النمط التصويرى يسير وفق خطة تصويرية متكاملة ، فهو يؤسس الصورة على حقائق الطبيعة والكون المشاهدة والمعروفة لدى الانسان .

بيد أن هذه الحقائق مشاهدة ومعروفة باعتبار كل منها وحدة قائمة بذاتها ، لا رابط بين المشهد والمشهد الاخر ، كما أنه لا ارتباط بين المشهد الارضى والمشهد الكونى ، فلكل منها ميدانه ومقوماته ، ولكل منها مساره وابعاده ، ولكل منها تأثيره الصادر عنه فحسب .

أما البيان القرآنى فيقيم الصورة هنا على دعائم من وحدة الوجود ـ أرضه وسمائه ـ فهو حين يتناول تلك المشاهد بالتصوير يحرص على أن يراها متلقى البيان القرآنى ، فلا يرى المشهد المجرد ، بل يرى المشهد ويرى ما بين هذا المشهد وبين المشهد الاخر من علائق وروابط تعلن عما بين المشاهد جميعا من وحدة ، كما تعلن عما بين تلك المشاهد وبين

الانسان من وحدة كذلك ، ليصل متلقى البيان القرآنى الى التعرف على وحدة الخالق وقدرته .

• • •

ا ـ مثال ذلك قول الله عز وجل فى سورة البقرة :

« والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » .

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » .

لوحة تجمع بين السماء والارض وما فيهما ومن فيهما وما بينهما ، لتقدم كل ذلك فى مشهد متناسق بديع .. !

ينظر متلقى البيان القرآنى فيها فيجدها تبدءه بعرض شامل للسموات والارض ، ولكنه ـ مع التأمل ـ لا يلبث أن يتبين جزئيات المشهد .

فيرى فى جانب من اللوحة دورة الليل والنهار ، وما ينشأ عنها من ظلام وضياء ، وما أنشأ ذلك من علاقات بين الارض والشمس والقمر وغير ذلك من الكواكب .

ويرى فى جانب آخر ما يجرى فى البحر من فلك وسفائن تربط الناس بعضهم ببعض ، وتصل البلاد بعضها ببعض ، فتنقل المعارف من قطر الى قطر ، وتعين على تبادل الخبرات والخيرات ، فتشيع الانس فى عالم الارض الذى يتغلب فيه الماء على اليابس فيكاد يعزل كل بلد عن الاخر لولا تلك الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس .

وتنقله رؤية البحر المحيط وما فيه من عجائب وأسرار الى النظر فيما ينزل من السماء من ماء ، فيرى ما وراء الماء النازل من تدبير الخالق ، اذ لولاه لظلت الارض مواتا لا تصلح لاقامة الحياة فوقها .

ولا يكاد المتأمل يدير عينيه فى ذلك الجزء من المشهد حتى يشد نظره نظام الرياح وتحريكها واختلاف قوتها من مكان الى مكان ، ومن وقت الى وقت ، فتارة تعنف وتارة تهدأ ، وتارة تتجه يمينا وأخرى تتجه شمالا ، فهى تتحرك وفق خطة مرسومة ونظام معد لا يدرك منه الانسان الا ما يبدو من آثار حركتها وتصريفها .

وفى نهاية المشهد يرى المتأمل أحد آثار ذلك كله ، فيرى السحاب مسخرا بين السماء والارض ، صاعدا على هيئة بخار ، ونازلا على هيئة ماء عذب .. فهو من الارض والى الارض .

ويعيد المتأمل النظر فى تلك اللوحة على اجمالها ، فيرى أنها مع تجزئها لوحة واحدة تقدم مشهدا واحدا ، تتكامل مرائيه لتشكل فى النهاية بناء واحدا .. هو هذا الكون ـ سماء وأرضا ـ وما فيه ومن فيه .

ويشد انتباه المتأمل فى تلك اللوحة الطبيعية الكونية تركيز الصورة على الماء ، فمرة يقدم الماء فى البحر ، ومرة أخرى يقدم منزلا من السماء ، والثالثة يراه المتأمل سحابا مسخرا بين السماء والارض .

ويشد انتباه المتأمل فى تلك اللوحة أنه لا يرى فى اللوحة ـ مع تكرار بعض مشاهدها ـ شذوذا ، و لا يحس مللا ولا فتورا ، فكل مشاهدها متجدد ، يدعو الى مزيد من التأمل المصحوب دائما بالمزيد من المتعة الفنية .

ويبحث عن السر الكامن وراء ذلك التكرار الذى لا يمله الناظر ، ولا يضيق به الفكر ، فيجد أن التكرار فى الصورة ان هو الا تكرار مظهرى لا وجود له فى الحقيقة ، اذ اللوحة تقدم فى المشهد الاول ماء البحر . وتقدم فى المشهد الثانى ماء المطر المنزل من السماء ، وتقدم فى المشهد الثالث الدورة التى أقام عليها فاطر الكون علاقة البحر المالح بالماء العذب .. تلك الدورة المتمثلة فى تبخر مياه البحر وصعودها الى السماء لتتكثف وتعود الى السقوط فى هيئة مطر خال من شوائب البحر وأملاحه ، فاذا هو صالح للحياة الكونية فوق سطح الارض .

هذا الى أن اللوحة تقدم المشاهد المائية الثلاثة فى حالاتها الوظيفية .

فالبحر لا يقدم لذاته ، ولكنه يقدم باعتباره وسيلة من وسائل ربط البشر فوق الارض بعضهم ببعض ، فهو سطح متحرك تجرى فوقه الفلك بما ينفع الناس .

والمطر لا يقدم ـ كذلك ـ لذاته ، وانما هو وسيلة احياء الارض واقامة الحياة فوق سطحها .

والسحاب لا يقدم مجردا من وظيفته ، **فهو تصوير لدورة الماء بين الارض والسماء المتمثلة فى تخليص الماء مما يعوقه عن اداء وظيفته الحيوية ، وارتفاعه فى هيئة بخار خفيف تنقله الرياح بعيدا عن مواطن البحار ليصل الى الارض اليابسة فى صورة سحاب ، فينزل فوقها ماء عذبا يحمل أسباب الحياة للارض ومن فوقها وما فوقها .**

والاية ـ مع محدوديتها ـ تلفت نظر المتأمل الى أن الصورة لم يقصد بها الامتاع الفنى فحسب ، بل هى الى الامتاع الفنى مقصود بها الاقناع العقلى .. ويكفى المتأمل أن ينظر الى مفتاح الصورة وقفلها ، **«ان فى ....»** : **« ... لايات لقوم يعقلون »** .

فهى لوحة مرسومة باعتناء كامل ، ومبنية خطوطها على علم محيط ، ومقدمة مشاهدها من خلال رؤية شاملة لكل حقائق الكون والحياة والعلاقات القائمة بينها جميعا بحيث تصبح كاصبع تشير الى الخالق الواحد .. !

وهذا هو السر فى تصدير اللوحة باية الوحدانية المطلقة . « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم! » .

فالايات التى تحرك من يعقلون ليست فى خلق السموات وحدها ، ولا فى خلق الارض كذلك .. بل هى فى خلق هذه المشاهد الكونية مجتمعة مترابطة متكاملة ، لايستقل واحد منها بالوجود والحركة والقيام بالوظيفة الحيوية عن الاخرين ، فهى لوحة رسمها بالكلمة من ابدع خلقها وابرزها فى الوجود الواقعى كائنات تتحرك .

• • •

ب ـ ومثال ذلك قول الله تبارك وتعالى فى سورة الانعام :

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ».

« انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ».

« ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون ».

لوحة تقدم المرائى الطبيعية مشدودة بسبب الى السماء لتذكر المتأمل بأن اللوحة بما تشتمله من روائع الطبيعة ليست بمقطوعة عن السماء وان لم تتناول بالعرض شيئا من مشاهدها.

« وهو الذى انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ... ».

ومن ثم تتوالى أمام العين مشاهد الصورة، تفصيلا بعد اجمال، فيرى المتأمل ما يغمره به خالقه من نعم تفى بحاجاته وتلبى مطالبه فى حياته على الارض.

« ... فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية، وجنات من أعناب، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ... ».

فالمتأمل يلاحظ أن اللوحة تقدم مشهدا من مشاهد الطبيعة يضم نبات الحب، ونخيل البلح، وحدائق العنب، وأشجار الزيتون والرمان .. ترينا هذا المشهد المختلف الاشكال والالوان والخصائص مسببا عن أصل واحد هو الماء المنزل من السماء.

أى أن اللوحة لا تترك المتأمل يستولى عليه روعة المشهد، بل تسلمه الى روعة أخرى، هى اعجاز الخلق والانشاء ...

« انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ... ».

واذا كنا فى الصورة الاولى قد رأينا أصبعا تشير الى وحدانية الخالق وقدرته، فاننا مع تلك الصورة نلمس روح الطمأنينة تسرى، وجو التفاؤل يشيع وينتشر فيشمل المؤمنين بالله حيث يجدون الله يدبر لهم كل شئون حياتهم، ويوفر لهم كل ما يتطلبونه .. ليس من ضروريات الحياة فحسب بل الضرورى مصحوب بالكمالى .. وهذا وذاك ألوان وصنوف، حتى لا يمله ذوق، أو يضطرب به حلق.

« ... ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون ».

● ● ●

جـ - ومثال ذلك كذلك قول الحق جل وعلا فى سورة الحج:

« وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ».

واللوحة هنا تقدم الطبيعة الارضية فى حالتين، حالة الجفاف وانعدام الماء، وحالة الرى ونزول الماء. أما المشهد الاول فيرينا الارض كائنا حيا سلبت منه مظاهر الحياة لفقده أسباب الحياة، فهى فى نظر الرائى هامدة لا تبدى حراكا، ولا تبدو عليها حياة.

ولكنك فى المشهد الثانى ترى الارض الهامدة تنتفض فتنفض عنها الهمود وأسباب الهمود، وتهتز بمجرد انزال الماء عليها وتنتفخ وتربو، حتى كأنها الحامل تقدمت بها أشهر الحمل، ثم لا تلبث أن تقدم ما فى بطنها نباتا من كل زوج بهيج، فهى تقدم صنوفا من النبات تبهج الرائى، وتسر الناظر، وتؤمن الكائن الحى على حياته.

وهنا لا يطول بالمتأمل الوقوف أمام تلك اللوحة ليتعرف على سرها ويقف على مساقها، فالاية التالية تكفلت بالكشف عن ذلك.

« ذلك بان الله هو الحق، وأنه يحيى الموتى، وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور ».

فللصورة الفنية هنا وظائف خمسة تقررها وتقرها فى عقل وفكر وقلب ونفس من يتأمل تلك اللوحة.

فمن ذا الذى يرى ما يرى ولا يسلم بان الله مدبر هذا هو الحق وما عداه باطل ؟!

ومن ذا الذى يرى ما يرى فى تلك اللوحة ولا يقر بان من يقدر على احياء موات الارض بهذه السهولة يقدر على احياء موات البشر .. وما البشر الا قطعة من الارض ؟!

ومن ذا الذى يرى ما يرى من تدبير واحكام وتمكن من الاسباب والمسببات ولا يؤمن بان صاحب هذا الصنيع على كل شيء قدير ؟!

ومن ذا الذى يرى ما يرى ويخامره شك فى اتيان الساعة او بعث من فى القبور ؟!

فتجلية الطبيعة ومشاهد الكون ليس غرضا مقصودا لذاته، ولكنه وسيلة الى اغراض تختلف من موقع الى موقع ومن مساق الى مساق، وان بدا فى نظر الرائى أن الصورة هنا تشبهها هناك.

التشريع الإسلامى

من أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها

لقد انتهينا فى حديثنا السابق من بيان أحكام العدة ومدتها وما يجب للمعتدة من حقوق وما يجب عليها . وقد وعدنا ان نبين بعد ما أوضحناه من احكام فى الزواج والطلاق والعدة حقوق الاولاد .

فضيلة الشيخ محمد خاطر

فى حقوق الاولاد

وقد قرر الفقهاء حقوق الاولاد وأفاضوا فى بحثها وطرق أثباتها .

وأول ما يثبت للاولاد من حقوق هو ثبوت النسب وهو حق للولد وللاب . وبعد ثبوت النسب يكون حق التربية بما يجب على الاب من انفاق وعلى الام من ارضاع وحضانة عند تعينها لهما .

كما أوضحت الشريعة الغراء حقوق الولاية بالنسبة للنفس والمال وأرست قواعدها وأصولها . وسنبدأ الحديث فى حق النسب وثبوته وهو من أهم الحقوق المترتبة على الزواج وفى بيان هذا الحق وتفصيل أحكامه ، لابد من ذكر القواعد التالية لتقام عليها أحكام النسب .

القاعدة الاولى : مدة الحمل

وقد قرر الفقهاء ان اقل مدة الحمل الذى ينزل من بطن أمه متميز الاعضاء حيا هى ستة اشهر . وذلك باتفاق العلماء لقوله تعالى : « **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** » فقد قررت هذه الاية أدنى مدة الحمل وأعلى مدة الرضاع التى يكون بعدها الفطام بثلاثين شهرا .

وقال تعالى فى آية أخرى : « **والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة** » .

كما قال جل شأنه فى آية ثالثة : « **وفصاله فى عامين** » فحددت هاتان الايتان مدة الرضاع بحولين فيكون الباقى من الثلاثين شهرا [ستة أشهر] هى مدة الحمل وهى المدة التى تكفى لتكوين الجنين فى اطواره المختلفة حتى يكون مخلوقا حيا متمايز الاعضاء . ولقد روى انه رفع الى عمر أن امرأة ولدت لستة أشهر من وقت زواجها فهم عمر رضى الله عنه باقامة الحد عليها ، فقال له على رضى الله عنه : ليس لك ذلك . قال الله تعالى : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ! » وقال تعالى : « **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** » فحولان للرضاعة وستة أشهر للحمل . فخلى عمر رضى الله عنه سبيلها .

وقد رويت هذه الحادثة برواية أخرى بأن رجلا تزوج امرأة فولدت ولدا لستة أشهر فهم عثمان رضى الله عنه أن يرجمها فقال ابن عباس رضى الله عنه : « أما انها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم » قال الله تعالى : « **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** » . وقال عز وجل : « **وفصاله فى عامين** ! فاذا ذهب للفصال [وهو الفطام من الرضاع] عامان لم يبق للحمل الا

ستة أشهر . فدرأ عثمان رضي الله عنه الحد عنها واثبت النسب من الزوج . وهكذا روى عن على رضى الله عنه [المبسوط جـ ٦ والسنن الكبرى للبيهقى جـ ٧] .

وقد اتفق الفقهاء على أن أقل مدة للحمل ستة أشهر .

أما أقصى مدة للحمل فقد اختلف الفقهاء فيها . فقال مالك خمس سنين وقال الشافعى أربع وهو رأى عند المالكية ورأى الحنابلة . وعن احمد أن أقصى مدة الحمل سنتان وهو رأى الحنفية لما روى أن عائشة رضى الله عنها قالت : « **لا يبقى الولد فى بطن أمه أكثر من سنتين ولو بفلكة مغزل** » . والمراد انه لايبقى اكثر من سنتين ولو بمقدار تلك اللحظة القصيرة التى يدور فيها المغزل دورة واحدة .

وقد قال الحنفية ان هذا التقدير القاطع الذى تقرره السيدة عائشة لا يكون منها بمحض الرأى ولابد ان يكون شيئا قد سمعته من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقال محمد بن عبد الحكم أن أقصى مدة الحمل سنة قمرية . وقال الظاهرية : أقصى مدة الحمل تسعة أشهر ولا تزيد على ذلك .

وهذه التقديرات المختلفة التى رويت قد بنيت على اساس حكاية واقعات جزئية ولم تبن على نصوص مثبتة ، بل على ما روى من ادعاء وقوع حمل مكث هذه المدد لبعض الاشخاص - وهى بهذا الوضع لا تفيد تقديرا صحيحا لمدة الحمل لانها قد تكون مبنية على خطأ واشتباه . فان المرأة قد تحتسب مدة الحمل من الوقت الذى ينقطع فيه الحيض وقد تطول مدة هذا الانقطاع ثم يكون الحمل فتظن أن المدة كلها مدة حمل مع ان انقطاع الحيض قد يكون بسبب آخر . وان الاستقرار فى عصرنا الحاضر لا يجد من الوقائع ما يؤيد التقدير بخمس ولا أربع ولا سنتين وانما الوقائع تؤيد التقدير بتسعة أشهر وقد يوجب الاحتياط التقدير بسنة على نحو ما ذهب اليه القانون المطبق الان بمصر بعد استطلاع رأى الاطباء فى ذلك . هذا وقد رجح بعض الفقهاء المتقدمين التقدير بسنة فقد قال ابن رشد : « **وهذه المسألة الرجوع فيها الى العادة والتجربة وقول ابن الحكم والظاهرية هو أقرب الى المعتاد** » .

ولقد كان العمل يجرى بالمحاكم طبق مذهب ابى حنيفه على أعتبار ان أقصى مدة الحمل سنتين ولكن جاء القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ببعض أحكام الاحوال الشخصية واعتبر أقصى مدة للحمل سنة شمسيه [٣٦٥ يوما] بالنسبة لسماع دعوى نفقة العدة وسماع دعوى النسب وثبوت الارث للحمل وثبوت الوصية له .

وما ذهب اليه القانون فى ذلك يقرب من مذهب ابن عبد الحكم وليس هو بالنص ، وذلك لان السنة عند ذلك الفقيه المالكى هى السنة الهلالية كما ان الاساس عنده الا يثبت النسب ان جاء الولد بعدها بخلاف ما ذهب اليه القانون فى ذلك من عدم سماع الدعوى فقط .

القاعدة الثانية : فى بيان ما يثبت به النسب

لقد اوضحنا فيما سبق ان من اهم حقوق الاولاد ثبوت نسبهم من آبائهم .

ومما لا شك فيه ان نسب الولد من أمه يثبت بمجرد ولادته فى جميع الحالات بدون توقف على شىء آخر سواء كانت الولادة من زواج صحيح أومن زواج فاسد أومن غير زواج أصلا .

أما ثبوت نسب الولد من أبيه فانه يحتاج الى واحد من ثلاثة أمور .

١ - الفراش ٢ - الاقرار ٣ - البينة

واذا ما ثبت نسب الولد من أبويه ثبتت له عليهما الحقوق الاخرى من حفظ وتربية وارضاع وحضانة ونفقة وتعليم وغير ذلك مما هو فى حاجة اليه .

ثبوت النسب بالفراش :

يقول شهاب الدين الشلبى فى حاشيته على الزيلعى جـ ٣ فى بيان الفراش :

« **ان الفراش كون المرأة بحال لو جاءت بولد يثبت نسبه منه** » . ويقول غيره الفراش - كون المراة متعينة للولادة لشخص واحد .

هذا . ويتحقق الفراش الذى يثبت به النسب بدون حاجة الى شىء آخر فى الزواج الصحيح بنفس العقد ، ولهذا تحتسب مدة الحمل فى الزواج الصحيح من وقت العقد بالشروط التى سنبينها بعد .

أما فى الزواج الفاسد فيتحقق الفراش فيه بالدخول الحقيقى لا بنفس العقد الفاسد ولهذا تحتسب مدة الحمل فى الزواج الفاسد من وقت الدخول الحقيقى لا من وقت العقد والمراد بالفراش فى الزواج الصحيح - الزوجية القائمة بين الرجل والمرأة وقت ابتداء الحمل فاذا جاءت الزوجة بولد حال قيام الزوجية الصحيحة بينها وبين زوجها يثبت بالفراش نسب ولدها منه اذا توافرت شروط ثبوت النسب بنفس الفراش بدون حاجة الى بينة ولا الى اقرار الزوج بالبنوة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : [**الولد للفراش وللعاهر الحجر**] . أى ان الولد ثمرة الفراش [الزوجية] فينسب الى الزوج صاحب الفراش ويثبت نسبه منه وللعاهر الذى لا يطلب النسل من طريقه المشروع الخيبة والخسران .

ولقد قلنا ان النسب يثبت بالفراش فى الزواج الصحيح من غير حاجة الى شىء آخر وذلك لان الزوجة مقصورة على زوجها ليس لغيره حق التمتع بها ولا يحل لها أن تمكن غير زوجها من الاستمتاع بها ومقتضى ذلك أن يعتبر حمل الزوجة من زوجها والاصل فى الناس الاستقامة والصلاح والتزام حدود الله .

والى لقاء فى حديثنا التالى ان شاء الله نبين فيه ما يراعى فى ثبوت النسب بالفراش من شروط مع بيان باقى القواعد الخاصة باثبات النسب .

الأخلاق الإنسانيّة

الأستاذ عبد العظيم منصور

لقد شهدت البشرية فى تاريخها الطويل عبر القرون والاجيال نماذج من حضارات شتى صاغتها الشعوب فى مئات من السنين ولكنها ذهبت مع الامس الدابر فلم يعد لها من الحاضر حظ ونصيب ، لانها كلها من صنع البشر ومن اجتهادات الانسان ، ان صلحت لتلبية احتياجات البشر فى زمن من الازمان فلن تصلح لزمن آخر ، وان كملت فى بعض جوانبها فلن تكمل فى معظم جوانبها ، وان صلحت لحياة شعب من الشعوب فلن تصلح لشعوب كثيرة تسكن الارض وتعيش على وجه البسيطة ، لان العقل البشرى بطبيعته قاصر وعاجز ومحدود ، ومن المنطقى ان يكون ما يصدر عنه ليس خاليا كله او بعضه من نقص وعجز وقصور . كما شهد تاريخ البشرية حضارة لم يحلم الانسان بارقى منها ولم يفترض المفترضون حتى الان ازهى واجمل واكمل منها تعاونت فى بنائها كل القوى ، قوة الروح المشع المرتبط بالملا الاعلى ، وقوة الاخلاق والعلم ، وقوة الشرائع القانونية المحكمة غاية الاحكام ، وعظمة الشعائر التعبدية الخالصة لله وحده ، والقوة المادية التى فاقت كل قوة فى عصرها ، فكان ذلك برهانا ساطعا ، وحجة الهية على البشرية على ان طريق الانبياء هو الطريق الفطرى والوحيد لرسم خط التقدم الانسانى وبناء الحضارة الانسانية فى اطار عالمى تجد البشرية فى ظله الامن ، وتستروح نسمات الطمأنينة والسلام وفى ظل نظام كامل جاءت احكامه من خارج النطاق الارضى ومن خارج المحيط البشرى لاسعاد العالم دنيويا واخرويا ، وحسب النظام الاسلامى كما لا ان يكون من عند الله الذى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، واحاط علمه بوجوه المصالح جميعها دقيقها وجليها خفيها وظاهرها ووضع كل شىء فى موضعه الذى لا يليق به سواه « **صنع الله الذى اتقن كل شىء** » ولا تستطيع النفس البشرية والضمير الانسانى على مستوى عالمنا الواسع العريض انكار فضل الحضارة الاسلامية على البشرية فى كل اطوارها ، حيث اقام الاسلام عوج الحياة ورد كل انسان فى المجتمع البشرى الى موضعه لا يقصر عنه ولا يجاوزه الى غيره فيتعداه فاتسعت آفاق النفس الانسانية وكبرت اهتماماتها فارتقت الى الاستقامة الكاملة وارتفعت اهداف الانسان وتحرر لاول مرة تحررا كاملا من الخضوع والاستسلام لمن هم مثله من البشر حكاما او محكومين ليبقى الخضوع والاستسلام والعبودية لله وحده وليرفض الانسان رفضا حاسما الخضوع لما سواه فتم اعتاق البشر من القيود والاغلال التى سبق ان الفت الوجود الحقيقى لكثير من دول الارض وشعوبها وافرادها وجماعاتها ، وتغيرت نظرة الناس الى الحياة فلم يعودوا ينظرون اليها كأنها قفص من حديد يسعون الى كسره وتحطيمه ، ولا يعدونها عذابا مقيما فيتخلصون منها ، ولم يعودوا ينظرون الى الدنيا كفرصة لا حياة بعدها فيتهالكون عليها وينقضون على ما فيها من خيرات كأنها مال سائب فيتقاتلون عليه ، واقبال لا حد له على ملذات الحياة دون مبالاة بالغير

وما يقترن بالالحاد من انانية مفرطة وحقد اسود وحسد وضغينة وهذا شأن الملحدين فى كل زمان ومكان وهذا امر طبيعى فما الذى يمكن ان يخشاه الملحد اذا كان يعتقد انه لا قيم تلزمه ولا رب يحاسبه ولا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ، وهذا ما اقتلعه الاسلام وأتى عليه من القواعد ، ولم يعد الناس مع مشرق الاسلام ينظرون الى الامم الضعيفة والشعوب المغلوبة على امرها كأنها فريسة يتسابقون فى اقتناصها والفتك بها ، بل ايقن الناس ان الله خلق الشعوب والقبائل للتعارف والتآلف وليس للتناكر والتباغض والتحاسد فتوارى الاعتزاز بالعصبيات ، والتباهى بالاحساب والانساب ، **واختفت الوطنية المعتدية والجنسية الغاشمة لتحل محلها فكرة الاخوة الاسلامية فيما بين المسلمين وفكرة الاخوة الانسانية للبشر جميعهم على اختلاف ألسنتهم والوانهم . وعلى تباين اجناسهم وعقائدهم ، وعلى تباعد ديارهم وأوطانهم ، وفكرة الاخوة الانسانية هى المقصد والهدف** من هذا الحديث خصوصا فى فترة يهتف الاسلام بابنائه ويدعوهم الى اعادة استئناف حياة اسلامية جديدة رحمة بالبشرية المعذبة والانسانية التائهة التى ضلت السعى فى الطريق واشتبهت عليها معالم الجهات فى ظل انظمة وضعية عدوانية لم تجن منها البشرية الا المقت والبوار والدمار دون وازع من ضمير او بقية من دين يمكن ان يرد القابضين على زمام الامور فى عالم عن غيهم او يهديهم الى رشدهم ، ومن هنا فان الحديث عن الاخلاق الانسانية من اوجب ما يمكن أن يقدمه المسلمون اليوم ، باعتبارها من اهم مقررات الدين الاسلامى ، وباعتبارها مقصد اسلامى شريف ثابت على الزمن قائم ما قامت الحياة متطاول ما تطاولت الدنيا والى ان تقوم الساعة أمرا من عند الله لا سبيل الى مخالفته ، ولا اعتذار مع العدول عنه .

من بين ما يتلقاه المسلم ويؤمن به ايمانه بالله واحد يدين له بالعبودية كل مخلوق ، الايمان بأن التعارف والتآلف وليس التناكر والتباغض والتحاسد هو الحكمة من خلق الشعوب والقبائل واختلاف الاجناس والالوان مصداقا لقوله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

وعلى هذه القاعدة العريضة اقيمت الاخلاق الانسانية ، يعامل المسلمون بها غيرهم من الافراد والجماعات والامم والشعوب ممن لايربطهم بالمسلمين رباط الاخاء الاسلامى المشدود بروح الاخلاص المؤزر بمناطق العقائد . فلا ريب ان تكون الاخلاق الانسانية سمة بارزة وعلامة مميزة على صدر هذا الدين الذى يطالب ابناءه بان يؤمنوا بأن البشرية من اسلافها الى اعقابها لها سبب واحد ولها اله واحد ولها نهاية واحدة ، فالناس كلهم لادم ، وآدم خلق من تراب ، ويجب ان يجرى المسلمون فى علاقاتهم بغيرهم على اساس الاخاء الانسانى عند افتقاد اخاء الدين ، ورفض عقيدة المسلمين ، عن جهل بها ، او عن استكبار وتعنت فى قبولها .

واستجابة لما أمر به الدين كانت علاقة المسلمين بغيرهم .

ولم تستند الاخلاق الانسانية التى دعا اليها الاسلام فى معاملة ابنائه لغيرهم الى الاخاء الانسانى وحده ، بل نجد اساسا قويا لها فى قاعدة العدل التى يامر بها الله الحكام والافراد والجماعات المسلمة حتى مع اعدائهم ، وقد ازدحمت آيات الكتاب الكريم والسنة ، بالامر بالعدل والنهى عن الظلم نخص منها قوله تعالى :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » .

« ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

واذا كان الله تبارك وتعالى يأمر بالعدل بصفة عامة فى الايتين السابقتين ، فقد امر تبارك وتعالى بالعدل فى القول فى قوله تعالى :

« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » .

ويجب اقامة العدل على النفس ، والوالدين والاقربين ، بالغا ما بلغت تكاليف اقامته فقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا » .

وبغض قوم من الاقوام لاى سبب كان ، ينبغى الا يميل بالمسلمين عن العدل ، او يجرهم الى الظلم ، او يذهب بهم الى حيث الاهواء والاغراض ، فيقول تعالى :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .

والاسلام ليس دين قواعد ومبادىء يمليها ، او

اصول نظرية ينادى بها ، انما هو دين عمل وتطبيق لما جاء به من مبادىء واصول ، نادى بها المسلمون ، وكان عملهم أبين من قولهم واصدق .

ولقد رات البشرية من صفات الامة الاسلامية ما ايقنت معه ان تلك الامة تحمل الى الانسانية رسالة الحق والخير ، وانها تترجم عن رسالتها بأخلاقها وسيرتها واعمالها ، وان الذى اعتقدته وتخلقت به ودعت الامم اليه هو الحق الذى قامت به السماوات والارض وبعثت الرسل وانزلت الكتب .

ولقد كانت الاخلاق الانسانية وصية النبى الى الامة الاسلامية ، كما كانت وصية الخليفة الى من سيخلفه فى سياسة الدولة وقيادة المسلمين ومعاملة من يقيم على ارض الاسلام من المخالفين للمسلمين فى العقيدة والدين .

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر المسلمين بالرفق بأهل الذمة حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شىء من اموالهم الا بحق يجب عليهم فقال : **من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته فانا حجيجه** » .

كما قال عليه الصلاة والسلام « الا من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته او انتقصه او اخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فانا حجيجه يوم القيامه .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال : « اوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا ، ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم وان لا يكلفوا فوق طاقتهم

ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل : شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من اى اهل الكتاب انت ؟ فقال : يهودى . قال : فما الجأك الى ما ارى . فقال : اسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب به الى منزله فرضخ له بشىء من المنزل . ثم ارسل الى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم « **انما الصدقات للفقراء والمساكين** » والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من اهل الكتاب ووضع عنه الجزية وعن ضربائه ولم يتخذ الاسلام من الاخلاق الانسانية تدبيرا من تدابير السياسة وحيلة من حيل الحكم يلجأ المسلمون اليها عند الحاجة ، ويتخلون عنها عند الطاقة والمقدرة ، بل جعل الاسلام تلك الاخلاق امانة من امانات الاسلام وخلقا شريفا يكاد الخارج عنه ان يخرج عن انسانيته . لذا كان الاصل القطعى الذى امر الله به المسلمين والتزموه فى معاملة المخالفين لهم فى الدين هو البر بهم والعدل فى معاملتهم ، والوفاء بعهدهم كما فى قوله تعالى :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » .

وفى تلك الدائرة العالية كانت علاقة المسلمين بغيرهم فى السلم والحرب فيما عدا الحالات التى يساق فيها المسلمون بحكم الضرورة ، وعندما يحدث الاخلال المستمر من غير المسلمين بعهد قطعوه ، او فتنة يشعلونها ، فلا تثريب على المسلمين ان هم انتصروا لدينهم ، او حافظوا على وحدتهم بكل ما يرونه بذلك كفيلا . وهذا ما تعلمه المسلمون من أصول دينهم وجرى عليه واقعهم ، **وما زالت البشرية ترى ومضات من تلك الاخلاق الانسانية فى معاملة المسلمين لغيرهم ، فى كل وقت يملك فيه المسلمون القدرة على القصاص من مظالم السنين السابقة التى لحقت بهم من غيرهم عبر السنين والاجيال ولم يقم من التاريخ دليل حتى الآن على ان اقلية مسلمة تمتعت** على ارض غير اسلامية بما تمتعت وتتمتع به جميع **الاقليات غير المسلمة على ارض الاسلام وبين المسلمين** .

شخصية الرّسول

صلى الله عليه وسلم

المستشار أحمد محمود خليل

محمد عبد الله ورسوله . فأما محمد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلن يفكر أحد أن يكون مثله او قريبا منه ، فى اشراق روحه ، واتصاله بالملا الاعلى ، يتلقى الوحى ، ويتنزل عليه الهدى آيات بينات لن يصل أحد الى هذا ولا الى قريب منه ، لان الله ختم بنبوته النبوات وبشريعته الشرائع .

اما محمد الانسان ، فهو هو الذى يحرص كل مسلم على أن يكون ظله فى الارض ، يتخلق بخلقه ويهتدى بهديه ويتأسى به فى صبره وجهاده وزهده وعبادته وتضحيته وايثاره ومأكله وملبسه ، وما اعتقد أن الله أكرم رسوله الانسان بمدح أعلى من هذا المدح « وانك لعلى خلق عظيم » .

قالوا فى أوصافه عليه الصلاة والسلام انه كان : ظاهر الوضاءة ، متبلج الوجه ، له نور يعلوه ، اذا زال قلعا ، يخطو تكفيا ويمشى هونا ، ذريع المشية كأنما ينحط من صبب . خافض الطرف . نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء . جل نظره الملاحظة . يمشى وراء أصحابه ويبدر من لقى بالسلام . دائم الاحزان . متواصل الفكرة . ليست له راحة . طويل السكت . لا يتكلم فى غير حاجة . يفتتح الكلام ويختمه باسم الله . اذا تكلم أعاد الكلام ثلاثا ليفهم عنه . كلامه فصل لا فضول ولا تقصير . أوتى جوامع الكلم واختصرت له الحكمة اختصارا ، ليس بالجافى ولا المهيمن . يعظم النعمة وان دقت ، لا يذم منها شيئا ، غير أنه لم يكن يذم ذواقا (طعاما) قط ولا يمدحه . ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها . فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها . واذا غضب أعرض وأشاح . واذا فرح غض طرفه . جل ضحكه التبسم . اذا نطق فعليه البهاء . واذا صمت فعليه الوقار . أزين الناس منظرا وأحسنهم وجها . اجودهم واسخاهم نفسا . يعطى عطاء من لايخشى الفقر . وما سئل عن شىء قط فقال : لا . وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما .

تقول عائشة رضى الله عنها فى مجامع خلقه : كان خلقه القرآن .

ويقول على رضى الله عنه فى وصف شخصيته : من رآه بديهة هابه . ومن خالطه معرفة أحبه .

كان لا يتكلف فى لباس ولا طعام . يلبس ما يتيسر واكثر لبسه المعتاد من لباس الناس . وكان يلبس جيد الثياب اذا اقتضى الامر لمقابلة وفود أو لمناسبة عيد . وكان يأكل ما يجده . فان وجد اللحم والحلوى أكل وان لم يجد الا الخبز والزيت أو الخل أكل . واذا لم يجد ما يأكله بات طاويا وربما شد على بطنه الحجر من شدة الجوع . وكان ينام على فراش من جلد حشوه ليف ، ويجلس على الحصير وينام عليها كثيرا .

اما معيشته فى بيته : فقد كان حلو المعاشرة لزوجاته كثير المسامرة لهن ، متحملا لاخلاقهن وخاصة غيرتهن . وكان يقول « خيركم خيركم لاهله » . وكان نساؤه يتحملن منه شدة الحال وخشونة العيش . وكان يسره ذلك منهن . فلما فكرن يوما أن يطلبن منه التوسعة والزينة والمطعم ، شق ذلك عليه وهجرهن شهرا لا يكلمهن ، ثم نزل قوله تعالى : (يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) .

فلما نزلت هاتان الايتان خير نساءه وبدأ بعائشة وقال لها « ما أحب أن تختارى حتى تستأمرى أبويك » ثم تلا عليها الايات وفيها التخيير بين أن تبقى عنده على شظف العيش وخشونة الحياة وبين أن يفارقها ويمتعها متاعا جميلا ، فكان جوابها على الفور : أفيك أستأمر أبوى ؟ بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة . وكذلك فعل بكل واحدة من نسائه على انفراد فكان جوابها كجواب عائشة وهى لا تعلم بما أجابت غيرها . وظل هكذا شأنه مع نسائه من التقشف وخشونة العيش حتى توفاه الله .

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : « ما شبع آل محمد

يومين من خبز البر ، ولقد كنا نمكث الشهر والشهرين لا يوقد فى بيتنا نار ، وما كان طعامنا الا التمر والماء • ولقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى بيتنا شىء يأكله ذو كبد الا كسرة خبز من شعير على رف لى » •

وقال أنس : رهن النبى صلى الله عليه وسلم درعا له على شعير يأخذه لطعام أهله •

وقد سئلت عائشة رضى الله عنها ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت ؟ فقالت : كان بشرا من البشر ، يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته ويعمل ما يعمل الرجل فى بيته فاذا حضرت الصلاة خرج •

وعن معاملة الرسول عليه الصلاة والسلام لاصحابه يقول أنس خادم الرسول : خدمت النبى عشر سنين فما قال لى : اف قط ، ولا قال لشىء صنعته : لم صنعته ولا لشىء تركته : لم تركته • وكان لا يظلم أحدا أجره • وقالت عائشة رضى الله عنها : ما ضرب شيئا قط ، ولا ضرب امرأة ولا خادما • وقال أبو هريرة رضى الله عنه ، دخلت السوق مع رسول الله ليشترى سراويل ، فوثب البائع الى يد النبى صلى الله عليه وسلم يقبلها ، فجذب يده ، ومنعه قائلا له « **هذا ما تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك ، انما انا رجل منكم** » ثم أخذ السراويل فأردت أن أحملها فأبى وقال « صاحب الشىء أحق بأن يحمله » • وكان عليه الصلاة والسلام مرة فى سفر مع جماعة فلما حان موعد الطعام ، عزموا على اعداد شاة يأكلونها ، فقال احدهم على ذبحها ، وقال الاخر على سلخها وقال الثالث على طبخها ، فقال النبى عليه السلام : وعلى جمع الحطب • فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك العمل ، فقال : **علمت انكم تكفوننى ولكنى اكره أن أتميز عليكم ، وان الله سبحانه وتعالى يكره من عبده ان يراه مميزا بين إصحابه** •

جاء رجل من الانصار يكنى ابا شعيب فقال لغلام له قصاب : اجعل لى طعاما يكفى خمسة ، فانى أريد أن أدعو النبى صلى الله عليه وسلم خامس خمسة ، فانى قد عرفت فى وجهه الجوع ، فدعاهم فجاء معهم رجل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لصاحب الدعوة : **ان هذا قد تبعنا فان شئت أن تأذن له فاذن له ، وان شئت أن يرجع رجع ، فقال الانصارى : لا بل اذنت له** •

وقد كان من عادته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه أنه **يقبل معذرة المسىء** ولا يجابه أحدا بما يكره ، واذا بلغه عن أحد شىء يكرهه ، نبه على خطئه بقوله : « **ما بال اقوام يفعلون كذا دون أن يذكر اسمه** •

ولم يكن يحب أن يقوم له أحد ، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس ، وينزل الى اسواقهم فيرشدهم الى الامانة وينهاهم عن الخداع والغش فى المعاملات • وكان من عادته أن يبش الى كل من يجلس اليه حتى يظن أنه أحب أصحابه الى قلبه •

ويقرب اليه ذوى السبق فى الاسلام والجهاد ولو كانوا غمار الناس • ويستشير أولى الرأى فيما هو من شئون السياسة أو الحرب أو أمور الدنيا ، وينزل عند آرائهم ولو خالفت رأيه كما حصل فى معركة بدر وغيرها •

أما عن خشيته عليه الصلاة والسلام وعبادته فقد كان كثير المراقبة لله عز وجل واسع الخشية منه عظيم العبادة له ، يقوم فى الليل متهجدا راكعا ساجدا حتى تتورم قدماه ، وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، فتقول له فى ذلك السيدة عائشة **رضى الله عنها : اتفعل ذلك يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيجيبها : افلا أكون عبدا شكورا ؟**

وكان كثير اللهج باسم الله عز وجل فاذا أكل وشرب أو قعد أو ابتدأ شيئا أو فعل أمرا بدأ ذلك كله باسم الله الرحمن الرحيم ، واذا اختتمه اختتمه بالحمد لله رب العالمين •

وكان لا يفتر من الدعاء لربه ومن دعائه عليه الصلاة والسلام « اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ، وعمل لا يرفع ، ودعاء لايسمع • اللهم انى اسألك من الخير كله ما علمت به ، وما لم أعلم واعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم • اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الاخرة • اللهم انى اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك • اللهم انى اعوذ بك من منكرات الاخلاق والاعمال والاهواء والادواء •

ولما كذبته ثقيف فى الطائف وآذته واغرت به سفهاءها يرجمونه بالاحجار حتى دميت قدماه ، اتجه الى الله خالقه بهذا الدعاء الرهيب : « **اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وهوانى على الناس ، يا ارحم الراحمين ، الى من تكلنى ؟ الى عدو يتجهمنى ؟ أم الى قريب ملكته أمرى ؟ ان لم تكن ساخطا على فلا أبالى ، غير ان عافيتك أوسع لى ، اعوذ بنور وجهك الذى اضاءت له السموات والارض واشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة ، ان تحل على غضبك أو تنزل على سخطك ، ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك** •

ومع هذه العبادة وذلك التضرع والبكاء ، كان طيب النفس ، متفتحا للحياة يتسابق مع عائشة ويتصارع مع ركانة ويشهد لعب الحبشة فى اعيادهم ، ويعنى بلباسه ونظافته ، فهو كثير الاغتسال كثير الادهان بالطيب ، اذا مر من طريق يعرف الناس انه قد مر به لما يجدونه من طيبه ، واذا صافحه المصافح يظل يجد أثر الطيب فى يده ثلاثة أيام ، وكان لا يفارقه فى حضره وسفره ، مشطه ومقصه ومرآته ومكحلته •

وبهذا يفترق الامر كثيرا عن معنى الدين والتعبد فى الديانات الاخرى ، اذ يعتبرون من مآثر القديس عندهم انه لم يقرب جسمه الماء طيلة حياته •

ومما يتصل بطيب النفس ، حب الدعابة البريئة والمزاح مع الاصحاب والمترددين عليه ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الدعابة ويبتسم للنكتة اللطيفة ، ويمازح أصحابه به ويداعبهم بالنكات اللطيفة •

جاءته امرأة عجوز تطلب اليه ان يدعو الله لها بدخول الجنة • فقال لها مداعبا : أو ما علمت ان الجنة لا تدخلها عجوز ؟ فولت تبكى فقال : ردوها ، أما قرأت قوله تعالى : **انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا** » (سورة الواقعة الاية ٣٥ ، ٣٧) •

وجاءته امرأة من الانصار تشكو اليه زوجها ، فقال زوجك الذى فى عينه بياض ؟ فجزعت اذ ظنت ان بعينه عيبا لم تطلع عليه ، فأفهمها ان كل انسان فى عينه بياض حول المقلة •

وجاءه اعرابى يسأله ان يمنحه ناقة يركب عليها فى سفره فقال له : انا حاملك على ولد ناقة ، فقال : وما أصنع به يارسول الله ؟ فقال : وهل تلد الابل الا النوق ؟

« البقية ص ٥٠ »

في أصول الفقه

معرفة طريق الناسخ والمنسوخ

الدكتور محمد سعاد جلال

ان تناقض نصان من الكتاب والسنة، وتدافعا من كل وجه فلم يكن للتوفيق بينهما مساغ. فاما أن يكونا معلومين [المراد بـ المعلوم ! هنا الخبر المقطوع به فى مقابلة الخبر المظنون] أو مظنونين . أو يكون أحدهما معلوما والاخر مظنونا .

وفى كل هذه الفروض، اما أن يعلم تاخر احدهما عن الاخر فى الورود أو اقترانهما معا، او لا يعلم عن تاريخ ورودهما شىء . فاذا كانا معلومين، أو مظنونين، جميعا ثم علم تأخر أحدهما عن الاخر فهذا قسم ثان له حكم ثان واذا كان أحد النصين معلوما والاخر مظنونا فهذا قسم ثالث له حكم ثالث .

حكم القسم الاول : اذا علمنا بورود احد النصين متأخرا عن الاخر . حكمنا بان المتأخر منهما ناسخ للمتقدم وللوصول الى العلم بالمتأخر منهما طرق معتمدة للاصوليين وطرق اخرى ليست معتمدة لهم .

الطرق المعتمدة : ١ - ان ينص الرسول - صلى الله عليه وسلم على الناسخ والمنسوخ منهما فيقول هذا ناسخ وهذا منسوخ به .

٢ - أن يقع الاجماع على حكم بأنه ناسخ لحكم آخر .

٣ - أن يدل التاريخ على أن احد الحكمين منسوخ بالاخر .

اما بدلالة يتضمنها النص مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها** » « **وكنت نهيتكم عن ادخار لحوم الاضاحى الا فادخروها** » . واما بأن يذكر الراوى التاريخ فيقول مثلا : سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم كذا عام الفتح او عام الخندق فيعتبر ما روى من النص المعارض بعد هذا التاريخ ناسخا له ولا فرق بين أن يروى الناسخ والمنسوخ راو واحد أو راويان .

الطرق غير المعتمدة :

١ - أن يكون أحد النصين مثبتا فى المصحف قبل الاخر . فلا يلزم منه أن يكون متقدما عنه فى النزول، لان ترتيب الايات فى المصحف ليس جاريا على وفق النزول، فربما كان المتأخر فى المصحف متقدما فى النزول . والمتقدم فى المصحف متأخرا فى النزول .

٢ - أن يكون راوى أحد النصين من أحداث الصحابة . فيظن أنه متأخر عمن روى النص المعارض من سابقيهم، لانه قد يروى عمن تقدمت صحبته . وان روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - مباشرة فلجواز أن تكون رواية متقدم الصحبة متأخرة عن رواية محدث الصحبة .

٣ - ان يكون اسلام احد الراويين بعد اسلام الاخر . فيظن أن مرويه هو المتأخر فى الورود . لاحتمال أن يكون سمع الحديث وهو كافر

٤ - أن يكون الراوى قد انقطعت صحبته فربما يظن ان حديثا متقدم عن حديث من بقيت صحبته، وليس من ضرورة من استمرت صحبته انه يكون حديثه متأخرا عن وقت انقطاع صحبة غيره .

٥ - أن يكون أحد النصين على وفق قضية العقل والبراءة الاصلية فيظن أنه هو المتقدم دون النص الاخر . ولا يلزم ذلك . فكما يجوز أن يكون النص الموافق للبراءة الاصلية متقدما يجوز ان يجىء متأخرا، وليس هو أولى بالتقدم لذلك من النص المخالف .

٦ - أن يقول الصحابى كان الحكم كذا ثم نسخ، فانه ربما قال ذلك عن اجتهاد منه . وخالف فى ذلك الحنفية . فقالوا بصحة النسخ بمثل هذا القول من الصحابى لان ظاهره الاخبار لا الاجتهاد . والوجه ما قاله غيرهم . لان الاصل عدم الحكم على النص بكونه منسوخا الا اذا انحتم ذلك . ولا يتحقق انحتام المصير اليه الا بقاطع، واحتمال بناء الصحابى رأيه على اجتهاده موضع ظن يمنع صحة الحكم بالنسخ فيما أخبر بكونه منسوخا .

حكم القسم الثانى : واذا علمنا بورود النصين المتعارضين - معلومين كانا أو مظنونين - على جهة الاقتران معا، او جهلنا تاريخ ورودهما، فقد قال

الامدى عن النصين « المعلومين » انه غير متصور الوقوع ، وان جوزه قوم . وعلى فرض وقوعه فالحكم فيه اما التوقف عن العمل بأحدهما او التخيير بينهما ان امكن . وكذلك يثبت هذا الحكم فيما اذا جهل تاريخ ورودهما : التوقف عن العمل بهما ، او التخيير فيهما . وما ذهب اليه الامدى هو المتجه لان صدور نصين متعارضين عن الشارع من كل وجه فى آن واحد جهل . أو سفه . والشارع معصوم عن ذلك عقلا وشرعا . فلا يتعلق بهما علم اصلا ، ولا يصح بنسبتهما للشارع ظن ايضا فى رأينا . وأما جهالة تاريخ الورود فهو امر ممكن والحكم عند ذلك ما ذكرنا فى المسألة .

حكم القسم الثالث : واما اذا كان أحد النصين معلوما والآخر مظنونا فالعمل بالمعلوم واجب سواء تقدم . أو تأخر ، او جهل تاريخ ورودهما لكنه ان تأخر عن المظنون فهو ناسخ له . وان تقدم عليه كان مع وجوب العمل به غير ناسخ له لان من شرط الناسخ تأخره عن المنسوخ وانما يعمل بأقوى الدليلين فيعمل « بالمعلوم » ويترك « المظنون » .

بيان الفروق بين النسخ والتخصيص والاستثناء

يعنى الاصوليون ببيان الفروق بين هذه الادوات التى تقع المشابهة بين عملها فى الكلام ، فلزم الكشف عن حقيقة كل منها فى ذاته ، وبالنسبة لغيره .

١ ـ الفرق بين النسخ والتخصيص : يشترك النسخ والتخصيص فى أن كلا منهما بيان لما يرد بلفظ المنسوخ عند طروء الناسخ عليه وما لم يرد باللفظ المخصص مع وجود الدليل المخصص ثم يفترقان من وجوه

١ ـ التخصيص يبين ان العام لم يتناول المخصوص ـ اى المخرج ـ من أول الامر ، وان دليل التخصيص كشف عن عدم تناول حكم العام للمخصوص ، بينما النسخ يفيد ان الحكم ثابت بالدليل المتقدم ثم يطرأ عليه الناسخ فيرفعه بعد ثبوته ليصير الدليل المتقدم منسوخا اى منسوخا حكمه

٢ ـ التخصيص لا يرد الا على اللفظ العام : والنسخ يرد على العام وعلى غيره : بمعنى ان التخصيص هو اخراج بعض الاحاد ظاهرا من حكم العام ، فلو كان المنظور لتخصيصه شيئا واحدا امتنع التخصيص له لكن يجوز نسخ حكم الواحد برفعه .

٣ ـ يشترط فى التخصيص عند الحنفية ان يكون المخصص كلاما مستقلا مفهما بنفسه ولو لم يحمل على صدر الكلام موصولا به ولا يشترط مثل ذلك عند الشافعية كما سبق بيانه فى بيان التغيير واما الناسخ فيلزم ان يكون متراخيا عند الجميع (٥)

٤ ـ التخصيص لا يخرج العام عن الاحتجاج به فى مستقبل الزمان فيما عدا الصورة المخصوصة بخلاف النسخ فانه قد يخرج الدليل المنسوخ حكمه عن العمل به فى مستقبل الزمان بالكلية . وذلك عندما اذا ورد النسخ على الامر بمأمور واحد (٥)

٥ ـ التخصيص لا يجوز ان يتناول جميع افراد العام حتى لا يبقى من افراده شىء لانه من قبيل الاستثناء والنسخ يجوز ان يتناول حكم جميع افراد العام فلا يبقى منها شىء .

٦ ـ التخصيص يكون بدليل السمع ، والعقل ، والحس ، وغيرها ، اما النسخ فلا يكون الا بدليل السمع وحده .

٧ ـ التخصيص يكون معلوما ومجهولا . نقول قام القوم ، ولم يقم زيد كما نقول قام القوم ، ولم يقم طائفة منهم . وأما النسخ فلا يكون الا معلوما .

٨ ـ التخصيص يرد فى الاخبار ، كقولك نجح الطلاب ولم تنجح الكسالى وفى الاحكام ، كقولك كافىء المجدين واحرم المفرطين : اما النسخ فلا يرد الا على الاحكام .

٩ ـ دليل الخصوص يقبل التعليل اى القياس عليه فى اخراج افراد آخرين من حكم العام زيادة على ما يتناولهم نص الدليل المخصص ، لكن ذلك مشروط عند الحنفية بما اذا كان العام قد خصص مرة سابقة بدليل قطعى ، وغير مشروط بشىء عند الشافعية : اما النسخ فلا يقبل التعليل لان القياس ظنى ولا يعارض النص القطعى ، ولا نسخ الا عند المعارضين بين النصين المستويين رتبة .

الفرق بين التخصيص والاستثناء يتشابه التخصيص والاستثناء فى ان المخصوص كالمستثنى لم يكن داخلا من أول الامر فى حكم صدر الكلام ، وان التخصيص كالاستثناء بيان لذلك ويفترقان فى أمور :

١ ـ المخصص يكون كلاما مستقلا بنفسه مفيدا لحكمه ولو لم يحمل على صدر الكلام ، بخلاف الاستثناء فانه كلام غير مستقل بنفسه ، لو انقطع عن صدر الكلام لم يفد شيئا .

٢ ـ التخصيص يتضمن حكما مثل : واحل الله البيع [وحرم الربا] والاستثناء لا يتضمن حكما كقوله . « فنجيناهم » [الا عجوزا فى الغابرين] لانه لفظ غير مفيد .

وبناء عليه فان التخصيص يقبل التعليل ـ كما قلنا ـ بخلاف الاستثناء فانه لا يقبل التعليل ، لانه لا يتضمن حكما .

الفرق بين الاستثناء والنسخ : بين النسخ والاستثناء تشابه من حيث ان عمل كل منهما يتضمن رفع الحكم عن شىء ، ويختلفان فى أمور :

١ ـ الاستثناء كلام غير مستقل بنفسه ـ كما قلنا ـ لكن النسخ كلام مستقل بنفسه متضمن حكما .

٢ ـ وانه يرد فى الاخبار ، والاحكام بخلاف النسخ فانه لا يكون الا فى الاحكام .

٣ ـ وانه يتعين ان يكون متصلا بصدر الكلام ، اعنى المستثنى منه بخلاف شأن الناسخ الذى يلزم ان يكون متراخيا عن المنسوخ (٥)

البيوع ... في الإسلام

الدكتور محمد عبد المنعم خميس

– ٢٠ –

المساقاة عرفا هى عقد بين رب الحائط [البستان] أو صاحب الزرع مع غيره على أن يقوم بمؤنة [خدمة] شجر أو نبات أو غيرها أى أن يلتزم خدمة الحائط او الزرع من سقى وتنقية وتقليم وغير ذلك . وهى من العقود الملزمة فليس لاحد المتعاقدين فسخها بعد العقد دون الاخر ما لم يتراضيا عليه . وتنعقد المساقاة بلفظ ساقيت فقط من أحدهما ويكفى من الثانى أن يقول رضيت أو نحو ذلك .

ويستحق العامل الثمار فى المساقاة بظهورها على الشجر والزرع فيكون شريكا بجزئه من حينه وليس قبل ذلك ولا بالجذاذ ولا بالطيب . واذا وقع العقد وهى بارزة استحقه من حين العقد فاذا طرأ دين على رب الحائط فلا يوفى فيه جزء العامل لانه شريك له به .

وشرط صحة المعقود عليه من شجر أو زرع :

١ – أن لا يخلف من أخلف فان كان يخلف كالموز مما يخلف قبل قطع البطن الاولى ولا ينتهى . وكالبقل والقصب والقرط والريحان فلا تصح فيه مساقاة الا تبعا لغيرها .

٢ – الا يبدو صلاح ثمر الشجر . فان بدا صلاحه – وهو فى كل شىء بحسبه – لم تصح مساقاته لانتهائه لاستغنائه الا تبعا .

٣ – أن يكون الشجر المساقى عليه ذا ثمر – اى يثمر فى عام المساقاة – فان كان لا ثمر له كالاثل او لم يبلغ حد الاثمان كالودى فلا تصح المساقاة عليه الا تبعا .

فلا تصح المساقاة على قصب نبت معلوم ولا قرط ولا موز لانها تخلف ولا تنتهى لاجل معلوم لان الذى لم ينته منه يناله من سقى العامل فكانه شرط زيادة عليه . وكذلك ما حل بيعه ببدء صلاحه وما لا ثمر له الا لكونه لا يثمر اصلا كالاثل والطرفاء واما لكونه لم يبلغ حد الاثمار مما لا يثمر لصغره نحو ودى صغار النخل الا تبعا لغيره مما تصح فيه المساقاة

وشرط الجزء المساقى عليه أمران : ١ – شيوعه فى ثمر الحائط فلا يصح بشجر معين ولا يكيل وعلمه كربع أو ثلث أو أقل او أكثر . ٢ – لا يكن شائعا أو لم يعلم كأن يقال – لك من الثمر جزء أو بعض وبغير هذين الشرطين تفسد المساقاة وشبه فى الفساد قوله كشرط . نقص ما فى الحائط من نحو دواب كبقر وابل بما يحتاج الحال اليها ويشمل ذلك الالة الموجودة يوم العقد فان شرط ذلك فسدت لانه يصير كزيادة شرطها على العامل الا ان يكون قد اخرجها قبل العقد ولو قصد المساقاة . او شرط تجديد لشىء فى الحائط لم يكن موجودا وقت العقد سواء كان الشرط على العامل او على رب الحائط او كشرط زيادة شىء لاحدهما يختص به عن صاحبه اى يعمل له عملا فى حائط اخرى او كان يخيط له ثوبا او يبنى له بيتا او يزيده عينا او عرضا أو منفعة كسكنى او ركوب أو نحو ذلك أو شرط عمل شىء من العامل يبقى فى الحائط بعد انقضاء المساقاة كحفر بئر او انشاء شجر او بناء حائط بها أو تسوية أرض . فان لم يشترط شيئا من ذلك فلا يضر وكان فعله من المعروف دون الزام .

وعلى العامل وجوبا جمع ما يفتقر الحائط اليه عرفا كأبار النخل – وهو تعليق طلع الذكر على الانثى من النخل – وتنقيـــة لمناقـــع الشـــجر وتقليـــم للنخل

وازالة ما يضر بالشجر من نبات وغيره . وما يلزم من دواب واحبال واجراء . وعليه خلف مارث واقامة الادوات كالدلاء والمساحى .

ويجوز اشتراط ما قل من العمل على العامل

كاصلاح جدار بالحائط بخلاف اشتراطه بنائه أصلا فانه من زيادة العمل الذى له بال . ومن أمثلة القليل من العمل كنس بئر للحائط وشد حظيرة من الحظر فوق الحائط لمنع من يتسور على الحائط – ومعنى شدها ربطها اذا وهت أو وقع منها شىء – واصلاح صغيرة – وهى مجمع الماء الذى يرسل على الاشجار . فان يشترط هذه الاربعة على العامل فعلى رب الحائط الا لعادة فالعادة كالشرط .

وجاز مساقاة سنين فى عقد ولو كثرت ما لم يكثر جدا فان كثرت جدا بلا حد مخصوص للكثرة لم يجز والمراد السنين التى لا تتغير فيها الاصول عادة . وعلى ذلك يختلف الحد باختلاف الاصول وامكنتها وجدتها وما لم يختلف الجزء من السنين فان اختلف بان كان فى سنة يخالف غيره فى أخرى لم يجز .

كما يجوز مساقاة على حوائط متعددة فى عقد واحد ان اتفق الجزء والا لم يجز . وان وقعت المساقاة فى سنة أو اكثر فلابد من توقيتها بوقت ينتهى به الجذاذ سواء وقع بلفظ الجذاذ او ما يقتضى ذلك . ولا يجوز أن يوقت بزمان يزيد على الجذاذ عادة لما فيه من الزيادة على العامل . وهى تقضى الفساد فان لم توقت بوقت فيكون انتهاؤها الجذاذ اذا كانت الانواع لا تختلف كالنخل والرمان فظاهر واذا كانت تختلف وتتميز البطن الاولى عن الثانية حملت على اول بطن الا ان يشترط دخول الثانية فاذا كانت بطونه لاتتميز كالنبق والجميز والتوت حملت على آخر بطن .

وشرط صحة مساقاة الزرع زيادة على ما تقدم ثلاثة .

١ – عجز ربه عن القيام به ٢ – خوف هلاكه له لم يقم بشأنه من سقى وعمل . ٣ – بروزه من أرضه ليشابه الشجر . أما شرط أن لا يبدو صلاحه أن يكون مما لا يخلف احترازا من نحو القصب والقرط واذا وجدت هذه الشروط وجازت المساقاة على الزرع ونحوه وكان فى الارض شجر قليل متفرق دخل فى المساقاة .

ويجوز ادخال بياض شجر أو زرع فى عقد المساقاة – والبياض فى الارض الخالية من الشجر أو الزرع سمى بياضا لان أرضه مشرقة بالنهار بضوء الشمس وبالليل بضوء الكواكب ، فاذا اشتريت بالزرع او الشجر سميت سوادا يعنى أن بياض الشجر أو الزرع الذى تجوز فيه المساقاة يجوز ادخاله فيها بشروط ثلاثة :

الاول : ان وافق الجزء فى البياض الجزء فى الشجر او الزرع فان اختلفا لم يجز وفسدت المساقاة .

الثانى : اذا بذره العامل من عنده فان دخلا على ان بذره على ربه لم يجز وفسدت المساقاة .

الثالث : أن كان البياض قليلا بالنسبة للشجر أو الزرع كثلث فدون اى بأن تكون قيمته أو أجرته بالنسبة لقيمة الثمرة الثلث فأقل بعد اسقاط كلفة الثمرة . فان كان اكثر من الثلث لم يجز وفسدت المساقاة والغى البياض المذكور للعامل ان سكتا عند عقد المساقاة بشروطه المتقدمة ولم يجعل المساقاة لربه فيكون للعامل وحده أو اشترطه العامل لنفسه فيكون له ايضا فان اشترطه ربه لنفسه فسد عند المساقاة لنيله من سقى العامل فيكون زيادة اشترطها عليه .

« بقية مقال شخصية الرسول »

وقد كان رسول الله هو هو الانسان المتواضع تواضع الانبياء العظماء فى مختلف مراحل دعوته ، حين كان مضطهدا وحين كان منتصرا وحين كان وحيدا وحين كان سيد الجزيرة العربية المطاع ، حين كان فى أشد المحن ، وحين كان فى أوج المجد والانتصار .. وما عهدنا بمثل هذا فى تاريخ العظماء .. وما كان محمدا عظيما فحسب ولكنه رسول الله أيضا .

يوم فتح الله مكة وانهزمت امام جحافل جيوشه قريش الطاغية الباغية التى ناصبته العداء نحوا من عشرين عاما ، دخل مكة على جمل له مطاطىء الرأس خضوعا لله وشكرا .

وجاءه الرجال خائفين وفيهم رجل ترتعد فرائصه ، فقال له : هون عليك ان ! أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (اللحم المقدد) .

وظل رسول الله يستمع الى العبد والعجوز والارملة والمسكين يقف فى الطريق لكل من يستوقفه ، ويصافح كل من يلقاه فلا يترك يده حتى يكون الذى استوقفه هو الذى يترك يده ، ويتفقد أصحابه ، ويزور مرضاهم ويشهد جنائزهم ويستمع الى مشاكلهم ويشاركهم فى أحزانهم وأفراحهم .

وكان عليه الصلاة والسلام واسع الرحمة بالاطفال والنساء والضعفاء . سمع بكاء طفل وهو فى الصلاة فخفف صلاته كيلا تفتن أمه التى كانت تصلى وراءه .

ومر بعد انتهاء أحد المعارك بجثة امرأة مقتولة فغضب وقال : ألم انهكم عن قتل النساء ؟ ما كانت هذه لتقاتل ؟ . وبلغت رحمته بالحيوان حدا عجيبا . فقد أصغى الاناء الى هرة ارادت الشرب . وقام بنفسه على تمريض ديك مرض فى بيته . ورأى جملا هزيلا فقال : اتقوا الله فى هذه البهائم ، اطعموها واركبوها صالحة .

وكل ذلك دليل على ما فاضت به نفسه الكبيرة من معانى الرحمة والشفقة .

ذلكم هو محمد رسول الله محقق أول دولة . ومنشىء أول مجتمع ومربى أول جيل .

مدرسة الرسول

إبراهيم مصباح

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وبعد ..

فقد بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشريعة الاسلام .. وانزل معه الكتاب منهجا للحياة ومرشدا للطريق القويم .. وبطبيعة الامور يجد داعى الاصلاح ولو كان من عند الله صدودا والحادا ، فالناس أعداء ما جهلوا ، وهم ايضا قد تابعوا أباءهم على سنن الضلالةواستكنوا عقليا وفكريا الىالعادات الموروثة بلا مناقشة .. واعتقدوا ان كل خروج عليها او حتى مناقشتها أمر غريب ووافد غير مجاب .. وطارق بلا ترحيب . كذلك فان عامة الناس يعتادون الكسل العقلى فلا يجهدون أنفسهم فى بحث دعوة جديدة .. وذلك منطق السواد الاعظم من الناس فى عرف من يدينون بالزعامة ودور الابطال مثل الاستاذ العقاد رحمه الله وتوماس كارليل وغيرهما .. فهؤلاء يرون ان الشعوب لا ترتقى جماعيا كما يقول البعض الاخر من علماء الاجتماع ولكن يلزم قائد ملهم أو بطل ليوقظ الناس ويغير مسار حياتهم ويهز معتقداتهم السائدة هزا عنيفا .. واعلى مراتب البطولة والزعامة والقيادة تلك التى يهيئها الله سبحانه ويصنعها لبث رسالة جديدة فى الارض ، حين ينتشر الفساد والالحاد .. وهكذا تفجر الرسالة الالهية فى المجتمع كل كهوف الفساد والعفن والاستكانة وعبودية العادة وتقلب هذا المجتمع راسا على عقب وتهدم أسسه فيسمع للهدم وقع شديد كما حدث حين وقعت بدر وسقط أعلام الكفر من قريش صرعى فاهتزت الجزيرة العربية للخير وكان هذا ايذانا بتغيير شديد فى التاريخ كله وليس فى منطقة الشرق فحسب ..

ونظرية لازمة لكل بطل حسب مقتضى الاحوال .. وقد تكون شعارا بسيطا مثل [التحرير او الموت] فى حالات الاحتلال أو القهر الاجنبى .. ولكن تتعقد الشعارات وتزداد الحاجة الى النظرية حين يكون البطل القائد متعرضا للاسس الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع .. ولذلك فان الحاجة تكون أشد الحاحا حين يتعرض الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته ، الى كل نواحى التكوين العقيدى والنفسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى والفنى أيضا ، فى الجزيرة العربية ..

وكان القرآن يحمل النظرية .. أو بمعنى أدق .. يحمل التفسير الموضوعي لحقائق الحياة - بدايتها ونهايتها ، والغرض من الوجود .. وقوانين الاخلاق والمثل العليا ، وقوانين الحرب والسلم والقوانين الاجتماعية بل وقوانين التطور الاجتماعى للافراد وكذلك التطور الاجتماعى والتاريخى للامم والجماعات .. كما أنه لم يغفل التصدى لقوانين الغيب كالروح وقيام الساعة وغير ذلك من الامور الاعتقادية التى يطلبمن المؤمنالتصديق بها والايمان بموضوعاتها ..

[الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون]

ومن ثم فان كل الدعاوى المضادة كانت تتهافت وتتهاوى أمام الدعوة الرئيسية .. لانها دعوة صادقة كاملة تقدم نظرية متكاملة فى شتى الحاجات العقيدية والحياتية والغيبية دون أدنى تناقض أو ضعف فى بعض اجزائها ..

وقد بين القرآن الكريم أن دعوة الاسلام قد اكتملت ولا تحتاج الى مزيد .. (اليوم أكملت لكم دينكم) لا تحتاج دعوة الاسلام الى فلسفة او اضافة أو حذف او تطوير او الى صيغ توفيقية مع مكتشفات العلوم التى تستحدث ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يضيف الى القرآن الكريمولكنه يفسرهويوضح للناس أمور دينهمويفصل المجمل من القرآن الكريم الى آخر ما نعرفه من مقاصد السنة الشريفة ..

والمجتمع الاسلامى فى المدينة فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجتمعامثاليا .. ومنطلب المستحيل ان يستمر هذا المجتمع لمثاليته بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد أن التقت أمة الاسلام لقاء فكريا بالافكار والفلسفات الهندية والفارسية والاغريقية والمسيحية .. فان هذا الاحتكاك الحضارى قد ولد بلا شك نتائج ثقافية وحضارية متعددة نحب أن نثبت هنا فى موضوعنا ظهور الفلاسفة المسلمين أو الفرق الفلسفية .. من المعتزلة والجبرية والقدرية والمرجئة وظهرت فى عهد المأمون المحنة التى عرفت فى تاريخ الفكر الاسلامى بمحنة حلق القرآن وهى وليدة التفلسف والاعتزال (الجنوحالى فرقة المعتزلة وأفكارها) وكذلكظهر المتصوفة ، ولكل فرقة من هؤلاء أفكارها ورأيها فى

عديد من اخطر تخبى العقيدة . ونحن لا نستبعد دور هذه الفرق من المفكرين المسلمين اثر الاحتكاك الحضارى الذى تم بعد فتح الامصار وحركة التعريب زيادة الرفاهية المادية فى الدولة ورعاية العلماء .. فان الشاذ والغريب الا يحدث هذا .. **ولكن الاسلام يحمل فى ذاته عوامل بقائه واستمراره والدفاع والتصدى لاحباط جميع المحاولات التى ترمى الى اخراجه عن طبيعته الاولى التى أرادها له الله سبحانه**

لقد حاول بعض اليهود وآخرون من اعداء الاسلام من البلاد المفتوحة وهم الشعوبية ان يوهنوا الاسلام عمدا بادخال بعض التفسيرات العقيدية الفارسية فى مذاهب المتفلسفين المسلمين من اجل الوصول الى الاختلاف الفكرى وبالتالى انقسام المسلمين الى فرق متناحرة يظن كل منها انه الاصوب والاجدر بأن يسود فكريا على الاقل .

وعلى هذا الاساس فانه الفرقة الناجية من بين الفرق التى ذكرنا والتى لم نذكر لضيق المجال هى فرقة واحدة .. تلك هى فرقة المدرسة المحمدية ، أو الجامعة المحمدية .. سمها كما شئت ، واما الفرق الاخرى فلا نقول انها فى النار ولكن فقط نذكر ونحن واثقون أنها فرق قد أبدعت واستحدثت ضلالات وضلت طريق الله المستقيم ..

وفى القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم واجماع الامة واجتهاد الائمة المهتدين ما يغنى عن التفلسف والتحذلق والجرى اللاهث وراء اغراض لا طائل وراءها ..

ولقد ظهرت اعراض الشعور بالنقص لدى بعض الناس من ضلوا الطريق ، فحينما استهواهم التفكير المنطقى والفلسفى لدى الاغريق ارادوا أن يثبتوا انهم ليسوا اقل شأنا من هؤلاء الفلاسفة والمناطقة الاغريق .. فطرقوا منهجهم فى البحث فى محاولة لتوفيق بين الفلسفة والدين . ثم اخذ آخرون من المفكرين العرب فى اعلاء شأن الفلسفة والفلاسفة ، وتصدى آخرون للفلسفة الاغريقية وهدموا منها جانب التفكير الالحادى واظهر فساد الادلة التى ساقها أولئك الفلاسفة الملحدون .. ثم جاء آخرون ليرفضوا كلية الفلسفة والفلاسفة .. ويتصدى فريق اخر لهذا الرفض على نحو ما راينا من حجة الاسلام الغزالى حين رفض الفلسفة وكتب (تهافت الفلاسفة) ثم رد عليه ابن رشد بكتاب (تهافت التهافت) ولكن كثيرين ممن رفضوا الفلسفة كمنهج للاستدلال والتفسير وتفسير الكون والحياة والعلل والغايات من المسلمين » رفضوا أيضا المنهج العقلى كطريق للمعرفة أو اسلوب لفهم الحياة والوجود .. وقالوا ان الفلسفه تعتمد كلية على العقل .. والعقل له أخطاء تؤدى الى نتائج خاطئة .. والعقل عاجز .. والعاجز لا يدل الا على عاجز مثله .. اذن فالبديل العملى على هذا الرفض ليس الغاء الفلسفة و اسقاطها ولكن للاسف الشديد وصلوا الى القول بالغاء العقل او عدم اعتماده كدليل للوصول الى العلوم أو المعرفة ..

معرفة الله والوجود ..

اذن لكى يتخلصوا **ويخلصوا الامة الاسلامية من** آفة الفلاسفه والتفلسف والتزيد على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فانهم لم يسلموا بقيمة العقل .. كدليل واسلوب ومنهج للمعرفة ، وقالوا ان الطريق الصحيح هو تصفية القلب والاقبال على الله بكنه الهمة والانقطاع عن شواغل الدنيا وعندئذ يكون ثمرة هذا الاسلوب العملى الوصول الى العلم اللدنى كما نرى فى علم العبد الصالح الذى اكتسب هذا العلم اللدنى بالصلاح والتقوى ..

ولكن هؤلاء واولئك جميعا ، مع احترامنا لنواياهم الطيبه ، لم يطرحوا على انفسهم سؤالا عن فائدة الفلسفة وعلم الكلام . ما هى الفائده الفكريه التى تنتج من معرفة ما اذا كان القرآن مخلوقا أم قديما أزليا « ما هى الفائدة الفكرية من الخوض فى قضية القضاء والقدر وهل الانسان هو الذى يخلق أفعاله أم أنها مخلوقة بالتوليد ؟ وهل التوفيق بين الاسلام والفلسفة يقصد به تدعيم الفلسفه ام الاسلام ؟ فان قصد به تدعيم الاصلاح فذلك زعم باطل وان قصد به تدعيم الفلسفة فالامة لها نظريتها المتكاملة كما قلنا فى صدر مقالنا ولا تحتاج الى اجتهادات عقلية بشرية تخطىء وتصيب بينما هى تمتلك نورا فى طريقها من الله سبحانه وتعالى .

وبينما كان الاطباء العرب والفلكيون والعلماء فى المجالات المختلفة يعملون ، وبينما كان الراكعون الساجدون يسبحون .. وبينما كان القادة يفتحون البلاد بنشر الدعوة وتوطيد اعلام التوحيد كان المأمون مهموما بمشاكله الفكرية وعلى راسها مشكلة القول بخلق القرآن فقد انحاز الى المعتزلة وجعل يمتحن العلماء فمن قال ان القرآن قديم ازلى عذبه عذابا شديدا ومن سكت عن الجواب لقى نفس العنت والاضطهاد .. وقد اشتدت وطأة التعذيب والاضطهاد على العالم الجليل والفقيه العظيم احمد بن حبنل الذى رفض الانسياق الى راى المعتزلة وتحدى المأمون فى جبروته وانحرافه الفكرى .. حتى ضجت الامة من تناقض المعتزله الفكرى اذ هم من اصحاب الراى فى حريه الانسان عن أفعاله ولكنهم الان يحملون الناس قهرا على الدخول فى مذهبهم وهو مذهب باطل وخارج فى رأينا ، لان كل مذهب يبحث فى العقيده ولا ينطبق تمام الانطباق على مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مذهب الفساد والهدم .. بل أكثر من ذلك نحن نرمى بالفساد أى مذهب خلاف مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وانى لارجو من أخى القارىء الا يعتقد أن ذلك تاريخ قد ولى وانتهى عهده .. بل انى لارى أخى القارىء مهتما بما يحدث اليوم فى العالم الاسلامى .. فان ثورة المواصلات الهائلة قد جعلت الافكار العقيدية مطروحة فى كل مكان .. ان العالم الاسلامى مطروح عليه الان فلسفات من كل لون .. ومن السهل عليه ان

« البقيه ص ٥٤ »

مـــال المســـلمين بـــين الكســـب والانفـــاق

الاســـتاذ عبد الله محمـــد كامل

لعل الاسلام كنظام للحياة وأسلوب للمعيشة يعتبر اكمل نظام وارمى اسلوب ، ونحن الغريب ان يكثر الجدل - مع وضوح تلك الحقيقه - حول امكانية الاسلام فى الوفاء باحتياجات الناس والمجتمعات وتنظيم معاشهم ومعادهم ، ونحن هنا لا ندخل فى جدل عقيم لاننا نملك باسلامنـــا ما نستطيع تقديمه للبشرية فعلا من حلول تفوق اى حل قدم لها من اجل سعادتها الحقيقية ، والا لما قال النبى صلى الله عليه وسلم « المؤمن حاله كله خير ان ابتلى صبر وان أنعم عليه شكر » ولما فهمنا قول الله جل فى علاه « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

وأبرز ما يمارى به القوم التشكيك فى ميدان الاقتصاد والايحاء بابعاد الاسلام عما تقوم عليه الحياة من مال وكسب بدعوى استقبال الجديد وتفهم الوافد والخروج من دائرة الجمود وقبل أن نسترسل فى القضية ننبه الى الفارق بين الثبات على الحق وبين الجمود والبون الشاسع بين قبول الجديد بالميزان الالهى وبين مسخ الاسلام باسم المعاصرة « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » ١٨ الجاثية ونستصحب معنا الحـديث النبوى المبارك « بعثت بالحقيقة السمحاء البيضاء ليلها كنهارها ! » .

وعلى ما سبق وبعيدا عن متاهات النظـريات وسفسطة المتعالمين يبدأ الاسلام من الفرد فيهيئـه للخلود الدائم ويرتفع به الى فكر شامل فى الدنيا والاخرة فلا يقيده بالايام المعدودة فى الدنيا فقط ولا يضيق عليه بصراع الفانية لا غير فالاخرة عند المسلم هى خير وأبقى وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ولا يسبق الى الظن ما يقترن لدى البعض هذا المفهوم بأنه تخدير للشعوب وضحك على الفقراء بل الفهم المستقيم يجعل ذلك عزة للمؤمن يسترخص بها الدنايا وهمة وبذل لمن انتسب للاسلام ليســـابق بالخيرات ويجتهد بالقربات وفى ذلك فليتنـــــافس المتنافسون . ولهذا حين يتوغل الفرد فى الاسلام وينخرط فى سلك المؤمنين كان الصبر عند الضيق ملاذه وعند الفقر عدته ليضع بين عينيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صيام ولا صلاة ولكن يكفرها السعى على المعاش ! فيصبر على البلاء والضيق راضى النفس باذل الجهد يكد فى الحلال ويسعى فى المباح وهنا يحميه الاسلام من التبرم والسخط والضيق لانه يقرأ قول ربه « ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا » فلا يتسرب حقد الى صدره ولا يلوث الحسد فؤاده ولا يعبث صراع الطبقات بعقله بل يردد قول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم « لان ياخذ احدكم حبلا فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وان نبى الله داوود كان ياكل من عمل يده » فتنمو الكرامة بين جوانبه ويدفع ما يصيبه من ظلم أو بخس بما أمره الله به لا بالتدمير والخراب كأننا نقول « على وعلى أعدائى » وليكن الجميع فقراء فشيوعية فى الفقر وذل فى العيش خير من الاسلام .

كلا انه من الناحية الاخرى يطلب الغنى على أن يكون فى النفس اولا لتصبح الدنيا فى يده لا فى قلبه وهنا يأتى الاسلام ليمنع الاستغلال والاحتكار وأى شبهة من اغتصاب الحق فيامر بالشكر وربما يستقل البعض الشكر ولا يعتبره بكاف للغنى ان الشكر بالنسبة للمؤمن حمل ثقيل يدفعه إلى الصالحات دفعا وكفى بسيدنا سليمان نبى الله شاهدا ونحن نسمع دعاءه ان يعينه الله على أداء شكر النعمة « رب أوزعنى أن اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه » ومع سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يطوف حول الكعبة فيسمع رجلا يدعو فيقول « اللهم أجعلنى من القليل » فيسأله وما القليل قال الم تسمع قول الله تعالى « وقليل من عبادى الشكور ! وحين يهيىء الاسلام المسلم الغنى للشكر ويوجهه الى العمل به يحذره من أن يطغى بماله وينحدر الى البغى والطغيان وتقرع الاذان آيات القرآن وهى تقول « كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ان المؤمن الغنى يخشى كل الخشية الحساب والجزاء فيسخر ماله للنجاة لا للهلاك ويضع نصب عينيه قول الله تعالى « لتسألن يومئذ عن النعيم » ونعود فنذكر أن كل ذلك يتم لان الاسلام يبدأ بتهيئة الفرد ولا يأتى

للمجتمع فيقلب طبقة على اخرى او يثيره طبقات ضد بعض او صراعات لا اساس لها بل الحب مظلة الجميع ولكل مكانه تحت شمس الايمان وياخذ قسطه من نور الاسلام ولا يتجاهل الاسلام أبدا أن هناك غريزة للتملك واختلاف فى الانصبة كما لا يتجاهل ايضا أن النفس البشرية تنزع الى الطغيان والسفه فوضع لكل حالة علاجها .

فالمشكلة اذن ليست مشكلة نظام يفرض بل مشكلة ايمان ينشر واسلام يعمل به واتباع واع لديننا الحنيف ويبدو سؤال كبير اذا لم تكن ثمة مشكلة غير الاتباع فكيف يتلاشى حقد الفقراء ويمنع استغلال الاغنياء فى ظل المجتمع الواحد هنا نجد ثلاثة ضوابط يضعها الاسلام لكسب المؤمن ونضعها فى صورة ثلاثة اسئلة على كل مؤمن ان يجيب عليها وبعد ذلك هو حر فيما يكسب حر فيما يملك ١ - كيف جاء بمكسبه ؟ ٢ - كيف يحتفظ بمكاسبه ؟ ٣ - كيف ينفق منها ؟

وهنا يختلف الاسلام عن كل نظريات الارض فى أنه يتبع المال من البدء حتى الانفاق ولا تقتصر على تنظيم الاحتفاظ بالمال فقط بل المصدر اهم لديه لانه يمنع به اى جور على الاخرين والاحتفاظ بالمال ينفرد الاسلام باسلوب ممتع مبنى على الخلود الدائم والعمل للاخرة قبل الدنيا ولله قبل الناس ثم يتابع الاسلام المسلم فى انفاقه ليتاكد من سلامة تصرفه وحسن سلوكه .

يقف المسلم امام السؤال الاول فلا يجرؤ على اغتصاب شبر من الارض والا طوقه الله بسبع اراضين ولا يستطيع اخذ عصا من مسلم بغير طيب نفس ويقرأ قول المولى جل جلاله : « ياايها الذين آمنوا كلوا مما فى الارض حلالا طيبا » يبعد عن الحرام لان العبد يقذف باللقمة الحرام فى جوفه لا يتقبل الله منه عملا اربعين يوما ، وحين لا يقبل العمل خسر الانسان كل شىء لانه لا نجاة له الا بصالح العمل فاذا كان عمله ولو صالحا لن يقبل اصلا بسبب لقمة حرام فاولى به أن يدع سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام ، واسمع الى قول النبى صلى الله عليه وسلم لسيدنا سعد بن معاذ « ياسعد اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » .

ولا يكتفى الاسلام يامعشر المتقدمين بالضابط الاول بل يسأله كيف تحتفظ بذلك المال ؟ انه ليس مالك انه مال الله وانت مستخلف فيه ، وتلك ميزة اسلامية لا توجد فى اى مذهب ارضى ، المال مال الله والمسلم مستخلف ، « الاغنياء وكلائى والفقراء عيالى فان بخل وكلائى على عيالى أصليتهم جهنم » ، حديث قدسى تهتز له القلوب وكفى به للفقراء ضمانا وللاغنياء نذيرا ، ان الغنى الشاكر يدرك أن فى ماله « حق معلوم للسائل والمحروم » وبالوازع الدينى يستثمر المسلم ماله على الاقل بربح لا يقل عن ٥ر٢ فى المائة لان الزكاة ٥ر٢ فى المائة سنويا غير الصدقات فلابد من تنمية المال باكثر من هذا القدر والانسب ، فما أروع ذاك النظام !! انه يحميه من كنز المال والا يحمى بها فى نار جهنم على جباههم وجنوبهم هذا ما كنزتم لانفسكم .

والاعجاز القرآنى الرائع لايقصر الكنز على الذهب والفضة فقط ، بل على كل ما يتخذ مالا او عقارا ، لان الضمير فى الاية التالية ليس للمثنى ولكنه اطلق « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها » ولم يقل « ولا ينفقونهما » بالمثنى لكى تدخل جميع الاموال فى الاية حتى قال الامام مالك رضى الله عنه لو اتخذ الناس أموالا من ادم أى من جلد لدخلت فى الاية .

وحتى لا تبعثر الاموال فى حانات الخمور وموائد القمار ويأتى التضخم والوبال ولا ترمى أموال المسلمين فى شوارع لندن وفنادق باريس يأتى الضابط الثالث ليقول « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » ، ولنسمع حديث النبى صلى الله عليه وسلم : لا تزولا قدم عبد يوم القيامة حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه ، وعن شبابه فيما أبلاه : وعن ماله من اين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به ؟ انه اذا اكتسب المال حلالا صافيا وحفظه وادى زكاته ثم انفقه فى المحرمات كان وبالا ونكالا عليه يوم القيامة وابسط ما يقال فى هذا قول النبى الكريم عليه افضل الصلاة وأتم التسليم « ايما عبد كسب مالا حراما فينفق منه فيبارك له فيه او يتصدق منه فيقبل منه او يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى نار » فاللهم قنا سخطك وبارك لنا فيما اعطيتنا ووسع ارزاقنا واجعلنا لك من الشاكرين .

« بقية مقال فى مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم »

يرفض الكثير منها لانها فلسفات عقلية الحادية ، وان كان عدم مواجهتها بما تستحقه قد يسبب للامة مشاكل كثيرة فى المستقبل .. ان الحزب الشيوعى يريد ان يثبت اركانه فى كل مكان فى الوطن الاسلامى ، ويزاحمه كثير من الفلسفات الوجودية والعدمية والمادية الالحادية التى لا تشكل جزءا من النظرية الماركسية وان كانت تتفق فى اهم أساساتها [المادية الالحادية) ونظريات الشعوبية والارتداد عن اللغة العربية ورفض الحضارة الاسلامية .. الخ .

وسلاح المسلمين فى مواجهة هذه المؤامرات .. و المؤثرات الوافدة ليس الشتائم والقاء المنحرفين فى السجون ومصادرة ممتلكاتهم .. ان سلاح المسلمين فى المواجهة هو التوحد .. التوحد العقيدى ..

حقا ان المعركة الان فى شكلها الظاهر بين الايمان والالحاد .. ولكن مهلا ياأخوة الاسلام .. ان تكتيك أعداء الاسلام الملحدين وغيرهم .. يتمثل فى تكريس التفرق والتشرذم وجعل جماعة الاسلام جماعات وطوائف وفرق .. ولا يحسن بنا اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ان نقول : مرحى فاننا الفرقة الناجية والاخرون فى النار .. كلا .. انهم اخواننا فى الدين وهم قوة وقوة لنا هائلة ورصيد ولكنه للاسف مقيد .. ومن هنا فانى اجهر بالدعوة الى رفض كل تفكير دخيل على الاسلام (على صعيد الوحدة العقيدية والفكرية الاسلامية) .. والى كشف أولئك الذين ابتدعوا الطرق المتعددة والاعلام المختلفة .. وانما هو طريق واحد وعلم واحد .. حقا انه طريق شاق وصعب ولكن .. أهو أصعب من الطريق حين بدأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!!

وللّه

علىٰ النّاسِ

حج

البَيتُ

مَن استَطاع

إليه سَبيلا

الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول

عليه الصلاة والسلام

الأستاذ محمد عبد اللطيف بن الخطيب

الحمد لله العزيز الكريم ، والصلاة والسلام على رسوله الرءوف الرحيم ،

اما بعد : فان الحج من اسمى العبادات التى كلفنا بها مولانا ـ تعالى ـ امتحانا لصدق ايماننا به ، وصدق طاعتنا له : يقول الرسول الكريم : عليه الصلاة والسلام ـ حجوا قبل أن لا تحجوا ، اى حجوا قبل أن يدرككم الموت : فلا تحجوا ٠

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ، من اراد الحج فليتعجل !

وفى ذلك مزيد حرص من الرسول ـ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ـ ان لا تفوت احد قادر من أمته هذه الفريضة المباركة ٠

وبذلك يكون الحج : واجب المبادرة عند حصول القدرة على أدائه ، ولا عذر اطلاقا لمن يستطيع ٠

يقول المولى ـ سبحانه وتعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » فجعل المولى ـ جل وعلا ـ الكفر : مقابل لمن استطاع الحج ولم يحج ٠

والحج : تجب فيه خلوص النية ، ، فاذا كان رياء : كان اثما ، لا طاعة ، واذا شابه نقص ، او تقصير : لم يتقبله الله تعالى ٠

وهو من أزكى العبادات لدى المولى ـ جل وعلا ـ لانه تضحية بالمال ، والنفس ، والاهل ، والولد ، وهذا كله : لم يتوفر فى سائر العبادات ، عدا الحج ٠

ألا ترى الى قول رسول الاسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » أى رجع مطهرا من سائر ذنوبه ، مبرءا من كل عيوبه » ٠

يذهب الحاج قاصدا مرضاة ربه ، مبتغيا اجابة دعوته « وأتموا الحج والعمرة لله » ٠ « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ٠

فاذا ما دخل البيت الحرام ، وطاف بالكعبة المشرفة ـ طواف القدوم ـ واستلم الحجر الاسود « الاسعد بشفتيه ، او التمسه بيديه ، او اشار اليه مكبرا ـ من بعيد اذا شق عليه استلامه من قريب ٠

وتجلت له الانوار ، وتحلت له الاسرار ، وتخلت عنه الاكدار ٠ ورأى ـ بعينى بصره وبصيرته ـ رحمات ربه ، تصب على الحجيج صبا ، وتزيد القريب قربا ٠

ورضوانه ـ تعالى ـ يشمل جميع الطائفين ، والعاكفين ، والراكعين ، والساجدين ، والساعين ، هنا

ج من اسمى العبادات لدى الله سبحانه وتعالى

« حجوا قبل أن لا تحجوا »

وجوب المبادرة بالحج : عند القدرة عليه

خلوص النية فى الحج

الحج : تضحية بالمال ، والنفس ، والاهل ، والولد

دخول المسجد الحرام ، والطواف بالكعبة المشرفة ٠

رحمات المولى ـ سبحانه وتعالى ـ رضوانه على الحجيج

وصف الكعبة المشرفة : شعرا

ماء زمزم المطهر ، وخاصيته : شعرا ٠

لذة السعى بين الصفا والمروة ٠

هذا هو الله الكريم ، وهذا بيته العظيم ٠

اجابة الدعوات ، وغفران الذنوب ٠

من حج للسمعة والتعالى ٠

الاتجار اثناء الحج ٠

من حج ليسرق ٠

ارادة الاثم دون وقوعه : مستوجب للعذاب يوم القيامة

« انما الاعمال بالنيات »

زيارة البشير النذير : عليه الصلاة والسلام

التكاسل عن زيارته : عقوق ، وأى عقوق ٠

البكاء عند لقاء القبر الكريم ٠

ما احيلى لقاء الرسول ٠

الورود على القبر الشريف ، شعرا

يا سعادة من كان الرسول شفيعا له ومحبا ٠

يشعر الحاج باستجابة دعائه ، وتحقق رجائه .

وهنا يعلم : ما هي الكعبة ، وما شأنها ، وما مبلغ قدرها عند الله !

انها دعوة الرسول لربه ، واستجابته لدعائه « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » .

وقد قلت فى ذلك من قصيدة طويلة :

ان اردت الصلاة : صل لوجهى
ولك القبلة التي ترضاها :

وقد وصفت الكعبة المشرفة - من قصيدة طويلة أيضا - :

بناء من الاحجار لكنه اكتسى
بنور من الرحمن يسخر بالضيا
فلو أبدلت أحجاره من زبرجد
وماس وياقوت ، وصيغ لآليا
لما كان فى هذا الجلال الذى بدا
وكان كمثل النار : تخبو لياليا
ارادة مولانا اذا رام رفعة
لشىء : ترى فوق السماء الاراضيا

وعندما يشرب الحاج من ماء زمزم المطهرة ، فيحظى بشفاء روحه ، قبل شفاء جسمه :

ومن زمزم ارويت قلبى ومهجتى
ودينى وايمانى : وقد كنت صاديا
اذا ذقتها بالحس لم تدر طعمها
وان ذقتها بالروح ياطيب ماهيا
اذا اعجبت سحب السماء بمائها
لشرب : فمن يشفى مزيد سقاميا
ومن لقلوب مسها لاعج الاسى
فابليس يغويها ، ومازال غاويا

وعندما يسعى الحاج بين الصفا والمروة ويشعر بلذة مشى الهوينا ، ثم بسعادة الهرولة الى الله ، ويجار بالدعاء المستجاب ، وبالنداء المستطاب ، فيرى بحسه ذهاب بؤسه ونحسه ، .

هذا هو الله الكريم ! وهذا بيته العظيم ! وهذى زمزم والحطيم ، وهذا مقام ابراهيم ! فماذا يرجوه الحاج بعد هذه النعم التى توالت عليه ، وهذه النقم التى أزيحت عن كاهله ! لقد أصبح مجاب الدعوة ، مغفور الذنب ، وليس بعد هذا مطمع لطامع !

لقد رضى عنه مولاه وارضاه ، وجعل الجنة متقلبة ومثواه ، « ونعم اجر العاملين » .

هذا شأن الحاج : حسن النية ، صادق الطوية ، ذهب فى طاعة الله ، استجابة لامر الله !

أما من حج : ليقال : عنه : حاج - أو حج ليتعالى على من لم يحج او سافر : قاصدا الاتجار : فليس بحاج ، وحجه مردود عليه ،

نعم ، ان الاتجار لا يحرم فى مواسم الحج ، انما الحرام : ان يذهب ناويا الاتجار ، نية اصلية ، ونية الحج ، نية عارضة !

يقول المولى - جل وعلا - فى آية الحج « ليشهدوا منافع لهم » ، والتجارة : من المنافع قطعا !

وانما المراد فى حديثنا هذا : حسن النية بالحج ، وصدق الطوية بالقيام بمناسكه ، أما من يسمونهم الان بـ تجار الشنطة فلا حج لهم على الاطلاق ، ولا تصدق عبادتهم بعد أن استبانت نيتهم !

هذا ، وقد وضح لنا الان - فى زمننا الحاضر - ان هناك من يحج ليسرق : أليس هناك تزاحم وتلاحم - ولا يزين ابليس السرقة الا فى التزاحم والتلاحم .

وهؤلاء السراق : لا يكفى فيهم قطع اليد فحسب ، فقد ارتكبوا هذا الجرم فى حق الله - جل شأنه - لا فى حق العباد وحدهم .

فان المولى - سبحانه وتعالى - لا يؤاخذ على ارادة الاثم ، بل على وقوعه ، وذلك فى سائر الامكنة ، اما فى بيت الله الحرام - ومكة كلها حرام - فلا .

يقول المولى - عز وجل - « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » ، فجعل ارادة الذنب فيه ، مستوجبة للعذاب الاليم !

فما بالك بمن يخرج من بيته لا يريد الا السرقة والايذاء « فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ، ومثل هؤلاء الفجرة الكفرة ، يصدق عليهم قول القائل :

رأى البيت يدعى بالحرام فحجه
ولو كان يدعى بالحلال لما حجا

يقول الحبيب المحبوب صلوات الله تعالى وسلامه عليه « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها ، او أمرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه » ، وبعد ذلك يأتى الدور الكبير بزيارة البشير النذير : الذى أرسله مولاه رحمة للعالمين : وجاءنا بالكتاب المستبين ، وهدانا الى رب العالمين ، فكيف لا نزور هذا الرسول الكريم ، ونحظى بقربه وحبه - صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

ان التكاسل عن زيارته
عقوق ما بعده من عقوق

فاذا نوى الحاج الزيارة : كان له من مولاه البشارة فقد نوى مرضاة ربه : حبا لرسوله مشاركا مولاه - تعالى - فى ذلك الحب ، فيالها من بغية قصدها ، ونعمة نالها ،

لقد ذهب لزيارة من وصفه مولاه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ، « النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم » .

وقد قلت - من قصيدة طويلة - مخاطبا الرسول الكريم ، مضمنا هذه الاية :

وانت الذى اولى بنفسى ومن تكن
له يارسول الله : اصبح ناجيا

وحينما يهل القبر الكريم على زواره ، وينهلون من انواره ، ويحظون بالسلام عليه ، والتطلع اليه ! ينسى الانسان نفسه وحسه ، ولا يملك الا البكاء ، وأى بكاء ولا ادرى : أهو بكاء سرور باللقاء ؟ أو بكاء الذلة أمام عزة أعز من خلق الله ؟ ! أو هو بكاء شوق الى اللقاء المجسم ، ولو كان عن طريق الموت وفقدان الحياة !؟ فما أحيلى حب الرسول ، وما أحيلى رضاء الرسول ، وما احيلى حب الرسول ، وقد قلت فى ذلك :

ولما وردت النور : نور محمد
فياطيب ما لاقيته ولقائيا
كسا القبر ربى : كل نور وبهجة
وروح وريحان به المسك ذاكيا
وما كنت ادرى اى حسن لقيته
أحسن اللقاء ام طيب رد سلاميا
بكيت طويلا بانتحاب وليتنى
بكيت الى أن اسلم الروح صافيا
احب بكاء عند قبر محمد
يود الفتى لو ينقضى الدهر باكيا
حبيبى رسول الله انى عائذ
بخير معاذ : أنت أنت معاذيا
الوذ بمن لاذ النبيون كلهم
به يوم حشر : أنت أنت ملاذيا
أيعقل ان ادعو الكريم فينثنى
عن الغوث : لا والله انت غياثيا
حبيبى رسول الله جدى ، وسيلتى
أريدك فى الاخرى فخذ بيمينيا
فانت رحيم العالمين فضمنى
الى صدرك الحانى وكن بجواريا

فيا سعادة من كان رسول الله شفيعا له عند مولاه !

وياسعادة من احبه فأحبه الله !

جعلنا الله تعالى من خيرة أحبابه ، المستمسكين ببابه ، المتمسحين بجنابه ، اللائذين بطاعته ، المتمتعين بشفاعته .

لماذا الحج

الأستاذ أحمد زين

لماذا الحج .. سؤال طالما تردد فى كل موسم حج يجىء .. خاصة أن تكاليف الحج تتضاعف كل عام بشكل أخرجه عن قدرة الكثيرين .. وبعض الناس يسأل : ما هو الداعى لان يترك المسلمون بيوتهم وبلادهم ويذهبوا الى مكة وعرفات .. الى بيت الله الحرام .. وهل الله موجود هناك وليس موجود هنا .. انه موجود فى كل مكان .. ويضيف بعض الناس هناك من يحج للتجارة .. وللنشل الى آخر هذا الكلام .

وأنا عادة لا أحب كلمة « لماذا » بالنسبة للاشياء التى فرضها الله .. ذلك أن تفسيرنا لها الاجتهادى أحيانا يبعدنا عن المعنى الحقيقى .. فيأتى بعكس الغرض .. وعلم الانسان محدود وهو علم غير القادر .. وعلم الله مطلق وهو علم القادر .. ومن هنا فان تفسير غير القادر لما فرضه الله يكون دائما تفسيرا قاصرا عن الوصول الى الحقيقة مهما بلغ الاجتهاد .. ومهما حاول الانسان .

على ان هناك أشياء اذا تركت بلا اجتهاد فى التفسير فانها قد تستغل .. بل وتستغل فعلا من أعداء هذا الدين .. لتشكيك السذج فى حقيقة الاسلام .. أو بث مفهومات خاطئة عنه .

ولقد قيل فى الحج انه اجتماع مرة كل عام ليتشاور المسلمون فى أمور دينهم ودنياهم .. وقيل أنه لقاء يزيد التعارف والالفة والمحبة بين المسلمين فى ارجاء الارض .. وانا اعتقد ان هذا صحيح .. ولكن أريد ان ازيد عليه ثلاث نقاط هامة .. النقطة الاولى خاصة بالاسلام .. والنقطة الثانية خاصة بعلاقة المسلمين بالله .. والنقطة الثالثة خاصة باختيار الله لحب عباده له .

ولنبدأ بالنقطة الاولى وهى الخاصة بالاسلام .. فى هذا المكان بالذات وحول هاتين المدينتين المقدستين مكة والمدينة .. حدثت المعجزة الكبرى فى تاريخ الاسلام .. وتاريخ البشرية كلها .. ما الذى حدث .. حكمة هائلة يجب أن يتذكرها المسلمون كل عام .. والدنيا تبعدهم عن أمور دينهم وتقربهم من التقليد لغيرهم .. بحجة العلو فى الارض وامتلاك اسس الحضارة والتقدم الى آخر ما يقال فى هذا المجال .

ما الذى حدث فى هذه البقعة بالذات .. كانت هناك فى هذا المكان قبائل عربية مختلفة التفرقة .. قبائل تملؤها الاحقاد .. وتسود بينها الحروب .. ويقتل بعضها بعضا .. قبائل استضعفت فى الارض فلم يكن لها قوة تذكر أو يحسب لها حساب خارج الجزيرة العربية .. ولم يكن فى ارضها مطمع

مصغر .. فأرضها صحراء جرداء قاحلة .. سكانها بدو رحل .. وليس فيها ما يطمع فيه الغزاة ولا ما يستطيعون حكمه .. وكانت هذه القبائل بجانب أكبر الامبراطورتين فى ذلك الوقت حضارة فى الدنيا وهما الروم والفرس ..

من هذه القبائل التى يكره بعضها بعضا ويقتل بعضها بعضا .. وتستضعف فى الارض .. نشأت أكبر حضارة فى التاريخ .. ومن هؤلاء البدو الرحل الذين لم يصلوا الى حضارات الامبراطوريات المجاورة لها من الفرس والروم بزغت قوة استطاعت أن تهزم هذه الامبراطوريات وتزعزعها وتحتلها .. من هذه المجموعة من البدو خرجت طلائع وصلت الى أوربا .. كيف حدث هذا .. هل اعطى الاسلام للعرب قنبلة ذرية محوا بها هذه الحضارات والامبراطوريات .. هل أعطاهم الاسلام سلاحا سريا لم يتوصل اليه علماء الروم والفرس رغم ما وصلوا اليه من حضارة .. لم يحدث هذا كله .. ولكن الذى حدث هو دين جديد ولد هنا .. دين رسم خيوط الحياة بطريقة تبنى الانسان من الداخل وتجعله يسود الارض كلها .. دين هو بناء داخلى صلب فى قلب النفس البشرية يضع لها الخطوط ويفسرها ويوضحها ليمحو الخوف ويملأ النفس بالشجاعة ويمحو الضعف ويملأ القلب بالقوة .. ويقضى على التردد ويضع بدلا منه الاقدام ويخلق من أمة مستضعفة ، أمة يدين لها العالم .. كل هذا حدث بالدين الجديد الذى توجد تعاليمه فى القرآن الذى نزل الى البشر فى هذه البقعة المقدسة من العالم ..

وهذه احدى حكم الحج .. ان يذهب المسلمون الى هناك مرة كل عام ويتذكروا هذه المعجزة ويتذكروا ماذا يفعل دينهم فى طريق الحياة .. وكيف استطاع أن يخلق أمة تسود العالم أجمع .. وان يتذكروا أن أسس هذا الدين وكل ما نزل به هو محفوظ فى القرآن .. حفظه الله ولم تعبث به ايدى البشر .. فاذا ارادوا الرفعة .. واذا ارادوا القوة .. واذا أرادوا الحضارة .. فعليهم أن يتجهوا الى كتاب الله وتعاليم الله .. فهنا العلو فى الدنيا والاخرة معا .. واذا كانت حضارة الغرب تبهرهم الان فيجب ان يعلموا ان هذه الحضارة مبنية على الاسس الموجودة فى القرآن حولها الغرب الى تعاليم اجتماعية .. فعلا بها فى الارض . فاذا كنا ناخذ عن المنقول فلماذا لا ناخذ من الاصل .. ومن هنا ياتى الحج ليذكر المسلمين بما فى أيديهم .. عسى أن يعودوا اليه بعد أن ضيعوه .. ويذكرهم .. ويذكرهم عاما تلو عام .. ربما يعود الجميع الى تعاليم الاسلام .. فتتم لهم الرفعة والعزة والمتعة فى الارض .. هذه واحدة .

علاقة المسلمين بالله

والنقطة الثانية تتعلق بعلاقة المسلمين بالله ..

وفى هذه النقطة بالذات كثيرا ما سمعت اسئلة عما يحدث فى الحج من مشقة وما يتحمله الناس من «بهدلة» الى آخر هذا الكلام .. والذى أحب ان اقوله ان الحج ليس نزهة ولكنه واجب دينى يجب أن يتحمل المرء فيه المشقة يجزى عليه .. فالذى يجب أن نعرفه انه لا علاقة بمنازل الناس فى الدنيا ومنازلهم فى الاخرة ومن هنا فليس هناك عظيم أو حقير فى الحج .. بدعوى ان هذا غنى وهذا فقير .. فالذى يريد أن يتنزه أو يذهب حسب ماله ومركزه .. امامه الدنيا كلها .. أما هنا فالكل سواء أمام الله الغنى والفقير .. والعظيم والذى لا يملك من حطام الدنيا شيئا .. كلهم يجب أن يتجردوا من ملابسهم .. ويرتدوا ملابس الاحرام .. ويتركوا كل زينة وابهة الدنيا التى تميز بعضهم عن بعض .. فهذه خارج حدود بيت الله الحرام وعرفات .. واذا نظرت الى الحجاج فانت لا تستطيع أن تميزهم .. من الصعب التعرف عليهم .. كلهم يرتدون نفس الملابس ويبدون فى نفس المنظر تقريبا .. فهذه حكمة من حكم الحج .. ان الله يريد أن يقول لك .. انك مهما علوت فى الدنيا او اعطيت من المال والجاه والقوة .. فهذا لا علاقة له بالاخرة .. يريد أن يذكرك بهذا حتى لا تفسد فى الارض بالمال الذى اعطاه الله لك .. او تظلم الناس بالنفوذ الذى منحه الله اياك . ومن هنا فانه يأتى بك الى هذه البقعة ليقول لك « لا تدع الدنيا ولا الجاه ولا المال يغرك .. ويجعلك تنسانى وتنسى الاخرة .. او تعتقد ان ما اعطيتك فى الدنيا هو تفضيل لك على عبادى فى الاخرة .. لان هذا غير صحيح ولن يدخل فى الحساب .. وانت محتاج .. وكلنا محتاجون .. لان نتذكر هذا دائما حتى لا نظلم الناس .. ولا نبغى عليهم ولا نأكل اموالهم بالباطل .. والحج يأتى ليذكرنا ويذكرنا بقوة وعنف .. بل اقول ليهزنا بهذه الحقيقة وهى ان منازل الدنيا لا علاقة لها بالاخرة ..

الله .. وحب العباد

ناتى الى النقطة الثالثة .. وهو اختبار الله لحب عباده له .. ذلك ان الله سبحانه وتعالى ينعم علينا على كل واحد منا بنعم لا تعد ولا تحصى .. نعمة الصحة .. ونعمة المال .. ونعمة الستر .. ونعمة الانقاذ من ظلم ظالم .. او محنة من المحن .. ونعمة انه يحفظنا واولادنا وان يبارك لنا فى رزقنا .. « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ومن هنا فانه يجىء بنا بالحج فى هذه الايام المعدودة ويقول : « لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .. ونصل الى هنالك وتبدا الايام الشاقة ننام فى حجرات مكدسة .. ونذهب لنطوف حول الكعبة فنصطدم بهذا وذاك .. وندوس الناس دون ان ندرى فوق اقدامنا .. بل وفوق رءوسنا .. ومن هنا اننا اما ان نشكر .. واما ان

البقية ص ٦١

ليشهدوا منافع لهم

الدكتور علي صافي حسين

لقد جرت سنة الله فى تشريعاته وقضت مشيئته فى أحكامه وكل أوامره ونواهيه وجميع فرائضه وواجباته ان يكون لكل منها حكمة بالغة ومغزى عظيما يحقق الخير لجميع البشر وكافة بنى الانسان وان تلك الغاية السامية او هاتيك الحكمة البالغة قد تكون واضحة جلية يدركها نووا النهى والابصار واصحاب الحجا واولوا الالباب . وقد تكون مضمرة خفية لا يدركها الا الراسخون فى العلم ممن أنار الله بصائرهم ومحض قلوبهم للعلم والعرفان .

كما انها ـ اعتى تلك الحكم البالغات وهاتيك الغايات الساميات قد يتحقق بعضها فى هذه الدار اى فى العاجلة او الحياة الدنيا وبعضها الاخر لا تحقق له ولا وجود ، فى غير دار القرار اعنى الدار الاخرة او وقت الحشر والنشر ويوم يبعثون ومن يتأمل فريضة الحج وما تشتمل عليه من مناسك دينية يوافقنا دون شك الى ما نذهب اليه . من القول بأن فريضة الحج تنطوى بلا ريب على حكمة بالغة وهدف عظيم وذلك من جوانب مادية متعددة وروحية متنوعة واجتماعية متباينة واولها اعطاء الناس فى هذه الحياة صورة مصغرة او نموذجا ليوم القيامة وما يكون عليه الناس من ازدحام واختلاط وتداخل واندماج تزول فيه الرتب وتنمحى الفروق ويصبح الناس سواسية فى العرض بين يدى الله ، لا فرق فيهم بين غنى وفقير ، ولا عظيم وحقير ولا بين حاكم ومحكوم أو سيد ومسود .

ومن يتامل زحام الناس فى الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ، وفى الوقوف على عرفات يجد فى ذلك ملامح او مناظر على صور مصغرة من ذلك الازدحام الذى يكون عليه بنو الانسان بخاصة ، والكائنات بوجه عام من ملك وطير وجان ـ ولا غرو ـ فان الله سبحانه وتعالى قد يجعل لنا فى الحياة الدنيا نماذج مصغرة تكون بمثابة الاسم او العنوان لكل ما اعده الله لعباده المؤمنين يوم القيامة من نعيم مقيم ، وللكافرين او المشركين من عذاب الجحيم اذ عرف الناس فى مختلف العصور السابقة وما زالوا يعرفون الوانا من المتع وضروبا من النعيم فما عرفه السابقون

ما حدثنا به القرآن الكريم عن سبأ قبل الاسلام بقرون : اذ قال تعالى وهو أصدق القائلين :

« **لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** » .

– وارم – فى عهد قوم عاد وهى التى ذكرها القرآن فى سورة الفجر اذ قال تعالى :

« **ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد** ! .

اما العصور المتاخرة والحديثة فانه لا يشك أحد ولا يجترئ انسان فى ان هناك انواعا من المتع والوانا من النعيم يراها ويستشعرها عدد غير قليل من اهل الثراء والمترفين فى مختلف الاقطار وشتى الامصار واكثر الاقاليم اما عذاب الجحيم او العقاب بالنار فقد حدث منه فى هذه الدار بسبب ظلم بنى الانسان شىء كثير فمن ذلك على سبيل المثال ما فعله يهود اليمن بنصارى نجران ، وقد ذكر الله ذلك لنا فى القرآن الكريم حيث قال – فى سورة البروج – وهو اصدق القائلين : « **النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود** » وقبل ذلك بأزمان طوال حدث فى بلاد بابل ان اضرم النمروذ نارا لابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكنها كانت عليه كالجنان وكأنها لم تكن نيرانا ، اذ قال لها ذو الجلال مدبر الاكوان ومقلب الليل والنهار : « **يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم** !

وفى العصور الوسطى فى عهد محاكم التفتيش حدث تعذيب بالنار من أهل الكفر لابناء الاسلام ولكن ذلك كله على كل حال لم يكن فى حد ذاته بالنسبة لنار العزيز الجبار غير اسم او عنوان وكذلك الحال فى هذا الزحام الذى نشاهده اثناء اداء مناسك الحج فانه لا يعدو ان يكون كذلك بالنسبة لازدحام الناس يوم العرض على الله الا كالاسم او كالعنوان هذا على ان ثمة حكما اخرى يلمسها الناس فيما بينهم بعضها يتعلق بالرزق وكسب العيش وبعضها منوط بالحياة الاجتماعية قد أشار اليها القرآن فى قوله سبحانه:

« **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق** » .

فهذه الايات كما ترى تكشف لنا فى صورة جلية عن بعض حكم الحج الروحية والاجتماعية والاقتصادية .

بقية مقال « لماذا الحج ؟ »

نكفر .. ولا اريد احدا أن يستغرب من استخدام هذا اللفظ لاننى اقصد الكفر بنعمة الله .. هنا يقول الله لنا .. **لقد انعمت عليكم طوال هذه السنوات اعطيتكم الصحة والحياة .. والمال .. ومن كل ما طلبتموه .. وجئت بكم الى هنا لاختبر حبكم لى .. وماذا تتحملون من اجلى .. وهل فى انفسكم كبر نحوى انا .. ام لا ..** بعض الناس يذهب ويسجد على الارض فى الكعبة .. فيأتى احدهم وبغير قصد يضربه فى رأسه بقدمه وانا هنا اذكر اقصى انواع ما يمكن أن يتعرض اليه الحاج .. فاما ان يقول : **ربى أنا هنا عبد من عبادك .. اتيت الى هنا وكل مشقة اتحملها فى سبيلك اعلم انها تقربنى منك .. قد اكون عظيما فى الدنيا .. ولكننى هنا ذليل لك .. قد اكون ذا جاه ومال وسلطان .. ولكننى هنا عبد من عبادك .. تملؤنى المحبة لما انعمت على .. ولذلك فاننى اتحمل كل شىء فى سبيلك .. اذا داسونى بالاقدام فلن أقول يا ربى انا عزيز فذللتنى .. ولكنى اقول يا ربى انا عبد اكرمتنى .. مستعد ان أتحمل فى سبيلك كل شىء .. وأى شىء .. لا تملأ قلبى عزة الدنيا .. ولكن يملأ قلبى الخشوع والخضوع لك .. ومهما عانيت فقد اعطيتنى اضعاف اضعاف ما قاسيت وتحملت .. اننى اقاسى اياما وانت تمنحنى اعواما واعواما .. بل عمرى كله .. فما هى ايام بالقياس بعمرى كله ..**

يا رب انّ الدنيا تغرنى .. لاحس اننى فى متعة منك .. وتنزع حبك من قلبى لاشعر اننى غير محتاج اليك .. ولكننى آت الى هنا اعلن خضوعى وخشوعى .. واضع راسى فى التراب فى سبيل حبك ويدوس عليه الناس فاقول : **الحمد لله الذى لم يجعل الكبر فى قلبى يتغلب على طاعتى له .. وحبى اياه وذلى من أجله ..**

ومن الناس من يقول : **ما هذا يا رب .. انا العزيز** آتى الى هنا لتذلنى .. لتهيننى .. **انا عزيز قومى** اخلع ملابسى .. **واضع رأسى فى التراب .. ويدوس الناس عليه .. انى لا اتحمل ذلك .. حتى ولو كان ذلك من أجلك .. حتى ولو كان اياما معدودة ..**

هذا هو اختبار لحب العبد لربه يحدث كل موسم حج .. ليكون كل منا شاهدا على نفسه فى مقياس كان الله فيه رحيما بأن جعله اياما معدودة فى العمر كله .. ولكن بعضنا يتشدق بحب الله ثم لا يتحمل هذه الايام وحتى لا يأتى فى الاخرة ويجادل .. يجعله الله شهيدا على نفسه ..

الى هنا واتوقف حيث أن فى الحج اختبارات كثيرة يجتازها الانسان تعجز عنها هذه المساحة الضيقة .. ولنا عودة الى هذا الموضوع ..

دعــوة إبراهيم الخليــل عَليه السَّلام

الأستاذ : عبد المعطى اسماعيل عبادة

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

انك لترى دعوة « ابراهيم » استجيبت فى أروع صورة ، فقد تكفل سبحانه بأن تصل الى الافئدة التى لبت مشوقة ، مسرعة الى « بيت الله » .

قال « القرطبى » رحمه الله : « لما فرغ « ابراهيم » عليه السلام من بناء البيت ، وقيل له : « وأذن فى الناس بالحج » قال : « يارب ، ومن يبلغ صوتى » ؟ قال : « اذن ، وعلى الابلاغ » ، فصعد « ابراهيم » خليل الله « جبل ابى قبيس » ، وصاح : « ياأيها الناس ، ان الله قد أمركم بحج هذا البيت ، ليثيبكم به الجنة ، ويجيركم من عذاب النار ،فحجوا » ، فأجابه من كان فى أصلاب الرجال ، وارحام النساء : « لبيك اللهم لبيك »! فمن اجاب يومئذ حج على قدر الاجابة : ان اجاب مرة فمرة ، وان أجاب مرتين فمرتين » .

يقول أحد الاتقياء الصالحين : « كان الله سبحانه وتعالى هو الذى يتولى ابلاغ صوت الداعى بالحج الى من يشاء من عباده ، فكأنه هو سبحانه الذى يدعو بنفسه الى زيارة بيته ، وأن كل من انبعث الى زيارة « البيت » قد انبعث باشارة خفية ، ودعوة الهية ألقيت اليه من الغيب ، فانشأت فى نفسه ما أراد سبحانه من شوق ، وهمة ، وانبعاث .

ولامر ما شرع لمن يحبوه الله بشرف هذه الدعوة ان يحتفل لها بأدب التلبية ، وحسن الدعاء : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة والملك لا شريك لك » .

وقد جاء القرآن الكريم مبينا فريضة الحج ، ومن فرض عليه : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** » .

فيه يلتقى المسلمون على اكرم الصلات ، وأصفى العلاقات — وقد انطلقت منه دعوة الاسلام الى العالم كافة : « **ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ، وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا** » .

تدعو الى المعروف وتقدسه ، وتنهى عن المنكر

وتنكره ، « **كنتم خير امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله** » .
هنا تختفى فروق الدنيا ، وتظهر مساواة الاخرة ، لافرق بين غنى وفقير ، يتجرد المسلمون من زخرف الحياة الدنيا ، يحسون لمسة من الاخرة تهزهم ، يتوجهون الى الله بخالص الدعوات ــ وقد اخذ منهم الشوق الى « بيت الله » كل مأخذ ــ .

بيت طهره الله ، وأعلى قواعده ، ورفع مكانته ، وهدى « ابراهيم » خليله اليه : « **واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا ، وطهر بيتى للطائفين ، والقائمين ، والركع السجود** » .

قد ضاعف الله فيه أجر الطائعين اضعافا تليق بكرمه : عن « أبى الزبير » رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«**صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، الا « المسجد الحرام » ، وصلاة فى « المسجد الحرام » أفضل من صلاة فى مسجدى بمائة صلاة** » .

ومن رحمة الله بخلقه أن جعل هذه الفريضة مرة واحدة فى الحياة ، رفقا بعباده ، فمن أحب العودة بعد الفريضة ــ وقد تذوق حلاوة الايمان، واستعذب رحمة الله ، واحس سعادة الروح فهى سنة وطاعة .

عن « ابى هريرة » رضى الله عنه قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **يا أيها الناس ، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : «أكل عام يارسول الله» ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا قال النبى صلى الله عليه وسلم « لو قلت : « نعم » لوجبت ، ولما استطعتم** » .

هذه سماحة الاسلام ، لا تقسو فى التشريع ، انها لترحم الضعيف ،وتيسر على العاجز ، وتدعو الى الترفق ، « **ان الله بالناس لرءوف رحيم** » .

روى « الامام أحمد » عن « عمر » رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « **ياعمر ، انك رجل قوى ، لا تزاحم على « الحجر » فتؤذى الضعيف ، ان وجدت خلوة فاستلمه ، والا فاستقبله ، وهلل ، وكبر** » .

اقبل الحاج على ربه فطاف ، وسعى ، ودعا ، وهرع الى « عرفة » ــ وقد سمت روحه ، وحفه الرضوان ، وكأن الكريم قد قال لهم : « **ارجعوا الى دياركم التى هجرتموها ، وأموالكم التى خلفتموها ، واهليكم الذين فارقتموهم ، اطاعة لامرى ، واجابة لندائى ، فقد غفرت لكم** » .

ذكر « الترمذى » فى « نوادر الاصول » عن « عباس بن مرداس » ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية «عرفة» بالمغفرة والرحمة ، وأكثر الدعاء ، فأجابه : « **انى قد فعلت ، الا ظلم بعضهم بعضا** » ، قال : « **يارب ، انك قادر أن تثيب المظلوم خيرا من مظلمته ، فتغفر لهذا الظالم** » ، فلم يجب تلك العشية ، فلما كان الغداة بالمزدلفة اجتهد فى الدعاء ، فأجابه : « **انى قد غفرت لهم** » ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقيل له : « **تبسمت يارسول الله فى ساعة لم تكن تبتسم فيها** » ، فقال : « **تبسمت من عدو الله « ابليس » انه لما علم أن الله قد استجاب لى فى أمتى أهوى يدعو بالويل ، والثبور ، ويحثى التراب على رأسه ، ويفر ، وهذا فضل الله الذى يتسع لكل شىء ، فان فضله واسع عظيم** » .

وروى « الامام مالك » عن « عبد الله بن كريز » رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **مارئى الشيطان يوما هو فيه أصفر ، ولا أحقر ، ولا أدحر ، ولا أغيظ منه فى يوم « عرفة » ، وماذاك الا ما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنب العظيم الا مارئى يوم « بدر » هو أظل الرحمة ، وسيول المغفرة تنساب فى هذا اليوم الكريم على عباد الله ، يفيضها عليهم ، ويصبها من حولهم ، فضلا ، ورضا بما يصنعون ــ وسعت رحمته كل شىء** » .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اى الاعمال افضل » ؟ قال : « ايمان بالله وبرسوله** » ، قيل : « **ثم ماذا** » ؟ **قال** : « **ثم الجهاد فى سبيل الله** » ، قيل : «**ثم ماذا**» ؟ **قال** : « **حج مبرور** » .

هذا « البيت الحرام » لا يقربه مشرك ، ولا يطوف به عريان ، قد نقى من كل ما كان مستحدثا لا يليق بشريعة الله تبارك وتعالى .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « **ما كان ابراهيم يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا ، مسلما ، وما كان من المشركين ، ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبى ، والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين** » .

فما أنتم عليه ــ معاشر المسلمين ــ الا ملة ابيكم « ابراهيم » ، وخاتمتها « محمد » صلى الله عليه وسلم .

بيد أن شرع سيدنا « محمد » قد اربى على شرع « ابراهيم » ، فكان أعظم اتساعا ، وأكثر تباعا فى تشريعه ، وهديه .

وهل يرجى من شجرة طيبة فى مثل هذا المنبت الطيب الا ان تتواشج اغصانها ، وتسمك الى السماء فروعها ، وتنفسح على بساط الارض وارف ظلالها ، ويفوح فى شتى الارجاء ريح طيبها ، يومها أفضل من امسها ، وغدها انضر من يومها ، حتى كان النماء الذى ليس وراءه نماء لناظر ، ولا زيادة لمستزيد ، وحتى استقرت العظمة والمجد يوم قام رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى يوم « عرفة » - فى حجة الوداع - يتلو على قومه قول ربه : « **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

فما اجدر المسلمين ان يغتنموا فرصة هذا اللقاء الكريم ، ليتبادلوا الرأى فى مشاكلهم ، ويتدارسوا شئونهم !

زيارة قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه

يقول « النووى » رحمه‌الله : « زيارة قبر الرسول من أعظم القربات ، وأنجح المساعى ، فاذا انصرف الحجاج والمعتمرون من « مكة استحب لهم استحبابا متأكدا أن يتوجهوا الى « المدينة لزيارته صلى الله عليه وسلم ، وينوى الزائر مع الزيارة التقرب بزيارة مسجده ، وشد الرحال اليه ، والصلاة فيه .

واذا قرب فليكثر من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم فى طريقه .

واذا وقع بصره على اشجار المدينة وحرمها ، وما يعرف زاد من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ، وسأل الله تعالى أن ينفعه بهذه الزيارة ، وأن يقبلها منه .

وليكن من أول قدومه الى ان يرجع مستشعرا لتعظيمه ، ممتلىء القلب من هيبته كأنه يراه صلى الله عليه وسلم .

فاذا وصل باب مسجده صلوات الله وسلامه عليه فليقل الذكر المستحب فى دخول كل مسجد : « اللهم افتح لنا ابواب رحمتك » ، واذا خرج فليقل : « اللهم انى أسالك من فضلك » .

ما يستحب من الدعاء عند قبره صلى الله عليه وسلم

جاء فى شرح « المغنى » « لابن قدامة الحنبلى رحمه الله أنه يستحب لمن أتى القبر للزيارة أن يونى ظهره القبلة ، ويستقبل وسطه ، ويقول :

« السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يانبى الله ، وخيرته من خلقه ، أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان « محمدا » عبده ورسوله .

أشهد انك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لامتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك كثيرا كما يحب ربنا ويرضى .

اللهم اجز عنا نبينا أفضل ما جزيت أحدا من النبيين والمرسلين ، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته يغبطه به الاولون والاخرون ، اللهم صل على « محمد وعلى آل محمد كما صليت على « ابراهيم وعلى آل « ابراهيم » وبارك على « محمد » وعلى آل « محمد » كما باركت على « ابراهيم » وعلى آل « ابراهيم » فى العالمين ، انك حميد مجيد » .

اللهم انك قلت وقولك الحق : « **ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك ، فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** » . وقد أتيتك مستغفرا من ذنوبى ، ومستشفعا بك الى ربى . فأسألك يارب أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته .

اللهم اجعله أول الشافعين ، وأنجح السائلين ، وأكرم الاولين والاخرين برحمتك ياأرحم الراحمين » .

ثم يدعو لوالديه ، ولاخوانه ، وللمسلمين أجمعين .

ثم يتقدم قليلا ، ويقول : « السلام عليك يا « أبا بكر » الصديق ، السلام عليك يا « عمر » الفاروق ، السلام عليكما ياصاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضجيعيه ، ووزيريه ، ورحمة الله وبركاته .

اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الاسلام خيرا ، سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » .

اللهم لا تجعله آخرا لعهد من قبر نبيك ، ومن حرم مسجدك ياأرحم الراحمين .

واذا لم يستطع الحاج الدعاء بهذا الدعاء ، أو بغيره ، اقتصر على السلام على النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه كما كان يفعل « ابن عمر » و « الامام مالك » ، رضى الله عنهما .

فكان « الامام مالك » يقول : « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » .

وان كان احد قد أوصاه بالسلام عليه قال : « السلام عليك يارسول الله من فلان بن فلان » . أو قال : « فلان بن فلان يسلم عليك يارسول الله » .

وعلى حجاج بيت الله أن يتوجهوا الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء بالنصر للاسلام ، وأن يحفظ هذا الدين من كيد الكائدين ويجعله قاهرا ، غالبا ، عزيزا ، ترفرف راياته فى كل مكان من الارض ، لينتشر العدل والسلام فى ربوع العالم .

عن « أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **الحجاج والعمار وفد الله : ان دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم** .

وفقنا الله واياكم الى حج بيته الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

البيت العتيق

الأستاذ عبد الحكيم النجار

الحج من المؤتمرات الاسلامية العظيمة السنويه الكبرى .. التى يمكن أن تكون قوة لها اثرها الواضح والكبير فى تقدم المسلمين ومعالجة مشاكلهم ودراسة قضاياهم المختلفة .

وفى هذه الايام الخوالد يهرع آلاف المسلمين من شتى انحاء العالم الى أداء فريضة الحج وزيارة مثوى رسولنا العظيم صلوات الله عليه وسلم .. ملبين قول ربنا تبارك وتعالى ..

« واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق »

ولعل ما نظمه الاسلام للمجتمع تربية وتقوية يبدو واضحا جليا فى الحج .. فقد فرض على المسلمين أن يلتقوا فى هذا المؤتمر الاسلامى الكبير .. وقد تجردوا من اطماعهم واحقادهم وكل ما يشينهم أو ينقص من انسانيتهم .. متساوين أمام خالقهم فى كل شىء .. فرض عليهم فى هذا الجو الصافى النقى أن يتفاهموا ويتدارسوا شئون الحياة وان يعالجوا ما بينهم من خلاف فى الرأى أو الاتجاه على أساس ان يحب المرء لاخيه ما يحبه لنفسه ورسمه جلت حكمته أن يتكرر هذا المؤتمر كل عام .

الكعبة

ان مناسبة الحج فرصة عظيمة وكريمة لها قوتها وعظمتها .. وعلى المسلمين جميعا أن يقوموا بدراسة تاريخهم خصوصا دراسة تاريخ بناء الكعبة ، قبلتهم ورمز وحدتهم قبلة المسلمين اول بيت رفع بنيانه ليذكر فيه اسم الله تبارك وتعالى ..

وهى المكان الطاهر .. الذى يولى كل مسلم وجهه شطره عندما يصلى .. أما فى الحج فانه يشاهدها أمامه حقيقة ملموسة باهرة رائعة شامخة تاخذ بمجامع القلوب انه « البيت العتيق »

فماذا تعرف عن الكعبة ؟ وماهى قصتها ؟ ومن هو أول من بناها ؟ وماهى قصة تذهيبها وترخيمها وكسوتها ؟

قصة بناء الكعبة

بنيت الكعبة فى الدهر خمس مرات .. احداهن بناء الملائكة او آدم .. والثانية بناء ابراهيم .. والثالثة بناء قريش .. والسبب فى ذلك ان الكعبة استهدمت فكانت فوق القامة .. فارادوا تعليتها وكان بابها لاصقا بالارض فى عهد ابراهيم وعهد «جرهم » الى ان بنتها قريش . فقال ابو حذيفةبن المغيرة : ياقوم .. ارفعوا باب الكعبة حتى لا يدخلها احد الا بسلم .. فانه لا يدخلها حينئذ الا من اردتم .. فان جاء احد ممن تكرهونه رميتم به فسقط فرفعت قريش بابها .. وجعلت لها سقفا . ولم يكن لها سقف وزادت ارتفاعا .

وكان عمر النبى الكريم اذ ذاك خمسا وعشرين سنة .. وقيل خمسا وثلاثين .. فحضر البناء .. وكان ينقل الحجارة معهم كما ثبت فى الصحيح .. وتنافست قريش فيمن يضع الحجر الاسود موضعه من الركن ثم رضوا بان يضعه النبى صلى الله عليه وسلم ..

والرابعة .. بناء عبد الله بن الزبير والسبب أن امراة ارادت ان تجمر الكعبة فطارت شررة من المجمرة فى استارها

فاحترقت .. وقيل طارت شررة من ابى قبيس فوقعت فى استار الكعبة فاحترقت .. فشاور ابن الزبير من حضره فى هدمها . فهابوا ذلك وقالوا : نرى أن يصلح ما وهى منها ولا تهدم ..

فقال : لو ان بيت احدكم احترق لم يرض له الا بأكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها .. فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم واتم بناءها ..

البناء الخامس

وعندما قام عبد الملك بن مروان فى الخلافة قال : لسنا من تخليط ابى خبيب بشىء « يعنى عبد الله ابن الزبير »! فهدمها واعادها على ما كانت عليه فى عهد الرسول .. الا فى ارتفاعها .. ثم جاءه الحارث بن ابى ربيعة المخزومى ومعه رجل آخر فحدثاه بحديث عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فندم وجعل ينكت بمخصرة فى يده الارض . وددت انى تركت ابا خبيث وما تحمل ذلك ..

وقد تولى البناء فى زمن عبد الملك بن مروان « الحجاج بن يوسف الثقفى » وهو البناء الخامس الموجود حتى الان ؟

وقيل ان الكعبة بنيت مرتين اخريين غير الخمس .. احداهما بناء « العمالقة » بعد ابراهيم والثانية بناء « جرهم » بعد العمالقة .

ويقول « السهيلى » انما كان ذلك اصلاحا لما وهى منها لان السيل كان قد صدع حائطها ..

وكانت الكعبة بعد ابراهيم عليه السلام مع العمالقة وجرهم . الى ان انقرضوا وخلفتهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم لكثرتهم وكان اول من جدد بناءها « قصى بن كلاب » وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل ..

فى عهد الاسلام

ولما جاء الاسلام وآلت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك . بعث الى واليه على مكة « خالد بن عبد الله العشرى » بستة وثلاثين الف دينار .. فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب . وعلى الميزاب وعلى الاساطين التى فى جوفها .. وعلى الاركان . وهو اول من ذهب البيت فى الاسلام .

وذكر السهيلى ايضا ان الذى فعله الوليد هو ما كان من مائدة سليمان بن داود من ذهب وفضة حمل اليه من « طليطلة » من جزيرة الاندلس ... وعندما آلت الخلافة الى « الامين » رفع اليه الذى عمله الوليد قد رق . فارسل الى عامله على ضواحى مكة « سالم بن الجراح » بثمانية عشر الف دينار ليضربها صفائح على باب الكعبة . فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزيد عليها ثمانية عشر الف دينار . وبلغ وزن الذهب الذى حليت به ثلاثة وثلاثين الف مثقال ..

ترخيم الكعبة

وقد عمل الوليد بن عبد الملك الرخام الابيض والاخضر والاحمر فى جوفها فعملت جدرانها بالرخام .. وفرشت ارضها به ايضا . فجميع ما فى الكعبة من الرخام هو من عمل الوليد .. وهو اول من فرشها بالرخام وازريه جدرانها .. ومرت السنون .. وخلع اكثر الرخام ..

وغالب ترخيمها وما فيها الان من آثار « المظفر بن يوسف ابن عمر من رسول » صاحب اليمن واسمه فى الرخام داخل الكعبة حيث يصلى المصلى بين العمودين تجاه وجهة فى الجدار المتصل بالركن اليمانى .

كسوة الكعبة

وقد اختلف اهل السير فى أول من كسا الكعبة بالديباج ؟

فقال ابن اسحق : هو الحجاج بن يوسف . وقال ابن بكار : هو عبد الله بن الزبير .

وقال الماوردى : اول من كساها الديباج خالد بن جعفر كلاب وذكر جماعة منهم « الدار قطنى » ان نيتلة بنت جناب ام العباس بن عبد المطلب ، كانت قد ضلت العباس صغيرا فنذرت ان وجدته ان تكسو الكعبة الديباج وحكى «الازرقى ان معاوية كسا الكعبة الديباج قال : وكانت تكسى يوم عاشوراء . ثم ان معاوية كساها مرتين .

وظلت مصر تكسو الكعبة كل عام فى موسم الحج حتى عام ١٩٦٢ ميلادية وكانت تصنع هذه الكسوة الرائعة فى مصر وتخرج هدية مصر الى البيت العتيق فى جمال وابداع من الفن الاسلامى الرفيع دليلا على مكانة مصر فى العالم الاسلامى .

كسوة النبى والخلفاء

وقد روى الازرقى ان النبى صلى الله عليه وسلم . كسا الكعبة ثم كساها ابو بكر وكساها عمر من بيت المال .. وكساها عثمان ومعاوية وعبد الله بن الزبير . وحكى الازرقى ان « تبعا » اول من كسا الكعبة كسوة كاملة .

تجديد سقف الكعبة

وبينما كان العمل جاريا فى توسعة المسجد الحرام وتجديد عمارته ظهر ان فى بناء الكعبة المشرفة خللا فى السقف وتصدعا فى بعض الجدران وسرعان ما بوشر فى ١٨ رجب ١٢٧٧ هـ — ٧ — ٢ — ١٩٥٨م باعمال الترميم فى احتفال برعاية المغفورله الملك فيصل وكان انذاك وليا للعهد ورئيسا لمجلس الوزراء واستمر العمل حتى تم تجديد سقف الكعبة المشرفة وترميم جدرانها على خير ما يرجو المسلمون ويأملون ..

حول البيت العتيق

والكعبة مربعة البنيان .. فى وسط المسجد الحرام . ارتفاعها من الارض سبعة وعشرون ذراعا . وعرض الجدار . وجهتها الان اربعة وعشرون ذراعا . وعرض وخرتها مثل ذلك .. وعرض جدارها الذى يلى اليمين وهو فيما بين الركن اليمانى والركن العراقى عشرون ذراعا وفيه الحجر الاسود .

والى وسط هذا الجدار كان يصلى رسولنا العظيم صلوات الله عليه وسلم قبل هجرته الى المدينة .

وعرض جدارها الذى يلى الشام .. وهو فيما بين الركن الشامى والركن الغربى واحد وعشرون ذراعا والحجر الاسود فى الركن العراقى المقابل لزمزم .. وهو على سبعة اشبار من الارض .

وباب الكعبة على اربعة اذرع من الارض .. وعلوه ستة اذرع وعرضه اربعة اذرع .

واخيرا :

كتب الله لنا ولكل من شرح صدره للايمان .. حج بيته العتيق وزيارة مثوى سيدنا رسول الله .. حتى يتم نعمته علينا جميعا بالخير والنصر والسؤدد .

ونضرع الى الله جلت قدرته وعظمت ارادته .. ان يوقظ وعى المسلمين .. فيعملوا على تحقيق الحكمة التى يريدها من ادائهم هذه العبادة الجامعة .. ومن هذا المشهد الهائل .. باجتماع كلمتهم .

وتوحيد ارادتهم وحسن تعاونهم .. وتكافلهم فى شتى المجالات حتى يعدوا كما اراد ربنا .. فى خير أمة أخرجت للناس . حقق الله الامال الكبار .. واعان الجميع على تحرير الارض واسترداد قبلتنا الاولى .

والله من وراء نصرنا وهو نعم المولى ونعم النصير .

يوم عرفة الخالد

فضيلة الشيخ
محمد هلال عبد الرسول

سنه الله فى ملكوته ولن تجد لسنته تبديلا . وارادة العلى الحكيم . ان الكائنات التى كانت بقدرته . تتفاضل فيما بينها . بقدر ما أودع الله فيها من أسرار ومميزات عاشت مع التاريخ ولن يجد النسيان طريقا اليها .

فالناس تتفاضل بقدر ما بينهم من تفاوت فى رجاحة العقل . وسعة الافق . وعمق التفكير . وصلة بالخالق . وبما افاء الله عليهم من نعم كانوا بها من عباد الله المصطفين الاخيار . وفى هذا يقص القرآن المجيد

« ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين »

ويقول الحق جل وعلا « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس »

وكذلك تتفاضل الامكنة بقدر ما كان فيها من أحداث خلدتها كتفضيل مكة المكرمة لان بها أول بيت وضع للناس وفيها ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رحمة مهداة ونعمة مسداة والمدينة المنورة حيث قال فيها سيد الاولين والاخرين .

ـ المدينة قبة الاسلام ودار الايمان . وأرض الهجرة . ومثوى الحلال والحرام .

وكتفضيل المساجد الثلاث التى تشد اليها الرحال ـ على غيرها من بيوت الله لانها ترمز الى معان سامية كريمة .

وايضا تتفاضل الازمنة . بقدر ما كان فيها من أثر ايجابى فعال فى حياة البشر فرمضان سمت منزلته بنزول الكتب السماوية فيه لتهدى الضال وترشد الحائر وفضلت ليلة القدر على سائر الليالى حيث نزل فيها أول آية من كتاب الله الخالد الزاخر ولان ملائكة الرحمة تهبط فيها من لدن رب العالمين لتنشر السلام والامن بين الذين آمنوا بالله ربا وبالاسلام دينا وبسيدنا محمد رسولا وبالقرآن مرجعا ومقوما .

وكذلك كان يوم الجمعة سيد الايام . لانه العيد الاسبوعى لامة الاسلام .

وفى فضله يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله . وهو اعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم الفطر . وفيه خمس خلال . **خلق الله فيه آدم . واهبط الله فيه آدم الى الارض . وفيه توفى الله آدم . وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئا الا اعطاه اياه مالم يسأل حراما . وفيه تقوم الساعة** . مامن ملك مقرب ولا سماء ولا أرض . ولا رياح ولا جبال ولا بحر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة .

وعلى قمة الازمنة المصطفاة يوم عرفة . الذى يوحى بالذكريات الكريمة التى خلقت من المجتمع الاسلامى . مجتمعاً انسانيا تسوده الفضيلة وتحكمه المثل . وتهيمن عليه القيم .

فى يوم عرفة وهو التاسع من ذى الحجة . يجتمع الذين صفت نفوسهم . وعمر الايمان قلوبهم . واستجابوا لما يحييهم . وأظلتهم راية الاسلام . تلتقى هذه الجموع التى آتت من بلاد مختلفة الجنسية واللون واللغة . وقد ذابت بينهم الفوارق . وسادت بينهم روح الاخوة المؤمنة الصادقة فلا حسب يزهو ولا نسب يفاخر وفى هذا يقول شوقى

تباركت يارب الحجيج دعوتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
ارى الناس افواجا ومن كل بقعة
اليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الانساب فيها تفاوت
لديك ولا الاقدار مختلفات

ويوم عرفة هو اليوم المجيد الذى استقبل فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بشارة تمام الدين وكماله . بعد جهاد طويل مرير استمر ثلاثا وعشرين سنة ظل فيها رسول الله يصل الارض بالسماء فما لانت قناته وما وهن عزمه بل صبر وصابر واحتمل وجاهد .

قال الامام أحمد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن قيس بن مسلمة عن طارق بن شهاب قال ـ جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين انكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذناها عيدا ـ قال وأى آية هى قال قوله تعالى

« اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »

فقال عمر والله انى لاعلم اليوم الذى نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التى نزلت فيها على رسول الله **عشية عرفة فى يوم جمعة**

فهذا اليوم الخالد يذكر المسلمين بنعمة تمام الدين وكماله وباشراق شمس الاسلام وانسياحه شرقا وغربا وارتفاع منارة العدل . وتثبيت قواعد الحق وذوبان الباطل امام اشراقه فاذا هو زاهق

والوقوف بعرفة هو الركن الاعظم من أركان الحج حيث له وقت معين اذا فات فات الحج وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « الحج عرفة » وفى منزلة هذا اليوم يروى جابر رضى الله عنه عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قوله « ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة » فقال رجل يا رسول الله هن افضل ام من عدتهن جهادا فى سبيل الله قال هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فيباهى بأهل الارض أهل السماء فيقول انظروا الى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين جاءوا من كل

فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي فلم ير يوم أكثر عتيقا من يوم عرفة • وانطلاقا من تكريم الله العلى الحكيم للامة المحمدية الواحدة الموحدة حمل روح القدس جبريل عليه السلام الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فضل الله ورحمته ومرضاته وسعة مغفرته للواقفين بعرفة •

وحول هذه الرحمات الربانية يروى أنس بن مالك رضى الله عنه قال وقف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات • وقد كادت الشمس أن تؤوب فقال « يا بلال أنصت لى الناس فقام بلال فقال أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانصت الناس فقال صلوات الله وسلامه عليه : معشر الناس اتانى جبريل عليه السلام آنفا فاقرانى من ربى السلام وقال ان الله عز وجل غفر لاهل عرفات وأهل المشعر • وضمن عنهم التبعات » فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا رسول الله هذا لنا خاصة قال هذا لكم ولمن اتى من بعدكم الى يوم القيامة فقال عمر كثر خير الله وطاب وعرفة مكان يستجاب فيه الدعاء • حيث صفاء القلوب • ونقاء السريرة • وفراغ القلب الا من الله • والدعاء مخ العبادة • وأمارة العبودية الخالصة لله • فالله سبحانه يحب من عبده أن يرتمى على عتباته داعيا فى تضرع وخيفة ليسعد ويعز • فالمذلة لله رفعة • والخضوع للمخلوق مذلة • ولقد أثر عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قوله « خير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير •

وروى الترمذى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم فى الموقف •

ـ اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى • ولك ربى تراثى • اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر اللهم انى اعوذ بك من شر ما تهب به الريح • اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى واصلح لى دنياى التى فيها معاشى واصلح لى آخرتى • التى فيها معادى • واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير والموت راحة لى من كل شر • اللهم انى أسالك العفو والعافية فى دينى ودنياى واهلى ومالى اللهم استر عوراتى • وآمن روعاتى • واحفظنى من بين يدى من خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى •

وعلى عرفات فى السنة العاشرة من الهجرة النبوية الشريفة التقى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مع أكثر من ماية الف صحابى الذين سعدوا بصحبته فى حجة الوداع • وخطب هذا الجمع خطاب مودع بلغ الرسالة وادى الامانة • ونصح الامة • وتركها على الحنيفية البيضاء ليلها كنهارها فذكر مبادىء الاسلام العامة ووضع النقط على الحروف •

فوضح صلوات الله وسلامه عليه أن المسلمين جميعا كنفس واحدة اذا اشتكى رأسه اشتكى كله وان دم المسلم وعرضه وماله حرام الى أن يلقى الانسان ربه • فهم جميعا تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم •

وفى تعبير يفيض انسانية ورحمة يوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحمة والسداة التى جمعت وصهرت بين المسلم واخيه بقوله :

ـ المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا •

ثم وجه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الامة الاسلامية فى شخص الجمع الحاشد الى تأدية الامانة بمعناها العام والحفاظ عليها ولعظم منزلتها يروى الامام على كرم الله وجهه قائلا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل من أهل العالية فقال يا رسول الله حدثنى عن ألين شىء فى الدين واشده فقال « الين شىء فى الدين شهادة ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واشد شىء فى الدين الامانة لا دين لمن لا أمانة له لاصلاة لا زكاة لا حج صوم له •

ثم حذر رسول الله من الاستسلام لغواية الشيطان الذى يتربص بالانسان دائما وأبدا محاولا أن يجد منه ضعفا فينقض عليه فريسة سهلة المأخذ ثم أعلن الرسول صلوات الله وسلامه عليه الحرب على الربا لانه يفرق الامة ويشتت الشمل ويزرع الاحقاد ويسبب البطالة والكسل ثم أكد رسول الله على وجوب التحلل من عيبة الجاهلية والتفاخر بالاحساب والانساب واستعباد الانسان لاخيه واذلال الغنى للفقير وبطش القوى بالضعيف وأعلن للدنيا كلها ان شرعة الله قد الغت الفوارق بين بنى البشر وأن مقياس التفاضل انما يكون بقدر ما يتقرب به العبد الى خالقه من عمل صالح ولقد كان للمرأة فى خطاب رسول الله عناية خاصة فهن كما يقول صلوات الله وسلامه عليه ـ شقيقات الرجال ـ ولذا نراه يوجه الازواج الى تقوى الله فى نسائهم فانهن عندهم عوان وفى ذلك تأكيد لقوله صلوات الله وسلامه عليه : أكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا • وخياركم خياركم لنسائهم »

ولقد ذكر ابن سعد فى طبقاته خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه

ـ أيها الناس اسمعوا قولى فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس : أن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسالكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لا ربا وان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وان كل دم فى الجاهلية موضوع وان أول دمائكم اضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ايها الناس فان الشيطان يئس من أن يعبد بارضكم هذه ابدا ولكنه ان يطمع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من اعمالكم فاحذروه على دينكم •

ايها الناس فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم احد تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهم عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله •

فاعقلوا ايها الناس قولى فانى قد بلغت وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا أمرا بينا كتاب الله وسنة رسوله •

ايها الناس اسمعوا قولى هذا واعقلوه • تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم وان المسلمين اخوة • فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن انفسكم اللهم قد بلغت • اللهم فاشهد •

ما أحوج بنى البشر • ان يعيشوا مع هذا التوجيه النبوى الجامع لكل معانى الخير • سلوكا وتطبيقا • وبذلك يكون الانسان فى دنياه هادىء النفس قرير العين • سليم الفؤاد هيأ الله الطريق السوى وهيأ لنا من امرنا رشدا •

ولله على الناس حج البيت

الأستاذ مأمون غريب

يتجه مئات الالوف كل عام فى مثل هذه الايام الى الاراضى الحجازية لاداء فريضة الحج حيث يقومون باداء شعائر الله . وهناك يعيش هؤلاء الناس عبق التاريخ . تهفو نفوسهم الى تلك الايام الخالدة التى عاشها انبياء الله على هذه الارض : وفيها نشروا دعوة الله الى الناس .. فهنا رفع ابراهيم القواعد من البيت .

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم .

وفى تلك الاماكن المقدسة جاء اسماعيل وامه هاجر عند بيت الله الحرام فى مكة . ولم يكن البيت سوى مرتفع من الارض كالرابية تأتيه السيول فتاخذ عن يمينه وشماله كما يقول الامام البخارى . هذا الذى يقول عنه الله سبحانه وتعالى : **« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » .**

وهذا البيت هو الذى بناه آدم عليه السلام ، ورفع قواعده ابراهيم واسماعيل . وفى هذا المكان جاءت هاجر وابنها اسماعيل وتفجر ماء زمزم ليروى ظمأ اسماعيل الطفل ، وأمه التى تركها زوجها الخليل لتعيش فى هذا المكان المقفر بعد أن رفع يده الى الله داعيا .

« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وفى البيت الحرام هذا حيث امتلا بالاصنام فى الجاهلية ، كان لمحمد الامين عليه الصلاة والسلام دور كبير فى الجاهلية ، حيث وضع بيده الكريمة الحجر الاسود مكانه عند اعادة بناء الكعبة ، حتى لا تقوم الحروب بين القبائل . بعد أن وضع الحجر الاسود فى ثوب ، وطلب من كل قبيلة أن تحمل طرفا من الثوب ، ثم قام ووضع الحجر مكانه . وانتهت مشكلة كانت ستنتهى حتما بحرب دموية بين القبائل . وهو نفسه عليه الصلاة والسلام الذى قام بتحطيم الاصنام واسقاطها من فوق الكعبة بعد أن صار نبيا ورسولا . واصبح الحج فريضة من فرائض الاسلام **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .**

ويقول النبى الكريم :

« أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » .

وقال أيضا :

« تعجلوا الى الحج فان أحدكم لا يدرى ما يعرض له » .

وقد فرض الحج فى السنة التاسعة من الهجرة ، وان كان هناك قول بأنه فرض فى السنة السادسة من الهجرة ، ولكن واضح من آراء المؤرخين أن الراى الاول هو الاصح . ونحن نعرف **أن أركان الحج أربعة وهى : الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الافاضة والسعى بين الصفا والمروة . وترك اى ركن منها يفسد الحج .**

• • •

وهنا نتوقف قليلا ونحن نربط التاريخ القديم تاريخ ابراهيم الخليل عليه السلام وبين مناسك الحج . هنا قصة . والقصة تروى سيرة نبى الله ابراهيم ، وابنه اسماعيل . ومن هذه القصة الخالدة فى التاريخ نجد الرباط الذى ربط بين مناسك الحج وبين هذه السيرة العطرة فليست رحلة الحج مجرد وقوف عند اماكن معينة ، ثم طقوس يؤديها الحاج ، ولكن الامر أعمق من ذلك بكثير .

هنا تاريخ ..

والتاريخ له عظاته ..

ليس هنا مجرد أماكن مر بها نبى أو اقام بها رسول . ولكن هنا حياة تنبعث من جديد . حياة فيها العظة وفيها الدروس . ليست هذه الاماكن مجرد

تجسيد لتاريخ اندثر ، ولكن احياء للتاريخ مجيد . فيه شفاء للنفوس : وفيه غذاء للروح .

ليست هنا أحجار بكماء صماء . وجبال عالية .. وبيت من حجارة . ولكن هنا حياة روحية صافية .. فى تأملها تربية للنفس واهداء لها . ودعوة لصقل النفوس وتهذيبها .

انها ليست رحلة للوقوف على الماضى . بل دعوة لاستنشاق رحيق أجمل الايام التى قامت فيها رسالات السماء على الارض . وكان فيها خيط ربط بين الارض والسماء . حتى تسمو الروح الى آفاق جديدة وحتى تسير قافلة الانسانية الى الامام : ودستورها الاخلاق القويمة . والحياة الفاضلة النظيفة مهما كانت المعاناة ومهما كانت أهوال الطريق .

• • •

لنعد الى الوراء .

الى التاريخ القديم .. الى ايام ابراهيم الخليل .

كان ابراهيم قد بلغ من العمر عتيا ولم يرزق ولدا ، وجاء مع زوجته سارة الى مصر ، واهديت اليه جارية مصرية هى هاجر . جاء الى مصر بعد ان اصاب القحط ارض فلسطين وعاش فى مصر عدة سنين ، رجع بعدها الى فلسطين ومعه مال كثير .. ولاحظت سارة أن زوجها له رغبة أكيدة فى ولد يملا عليه حياته ، واقترحت عليه أن يتزوج من جاريته هاجر عسى ان يرزقه الله منها ولدا ، وتزوجها ابراهيم وحملت منه ، ثم وضعت ابنها اسماعيل . وأوحى الله الى ابراهيم ان يأخذ هاجر واسماعيل الى مكة . وهناك حيث تترامى الصحراء بلا نهاية .. وليس هنا من معالم الحياة شىء يذكر . والصمت يحيط بالمكان . وكل شىء فى هذه الصحراء الجرداء الموحشة يدعو الى الانقباض ، مما جعل هاجر تسأل زوجها الخليل ابراهيم سؤالا محددا ، هل جاء بهم الى هذا المكان من تلقاء نفسه أم ان الله أمره بذلك ، ولما عرفت من جواب الخليل ان هذا بأمر الله قالت :

– اذن لا يضيعنا الله .

عاد ابراهيم وتركها فى هذه الصحراء مع الوحدة لا انيس لها الا الله ، وليس معهما من الزاد والمال الا القليل ، وقبل ان يغادرهما اتجه صوب البيت الحرام ، واتجه ببصره الى السماء :

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون !

ان ليالى الصحراء قاسية ، والظلام الذى يسوده يوحى بالوحشة والكآبة . والنجوم المتألقة فى السماء عند المؤمنين توحى بالصفاء .. والقمر الذى يرسل اشعته وسط السكون يعطى للنفس رهبة . **ولكن ايمان**

هاجر العميق بان الله لن يتركها وحدها مع وليدها كان ينزل فى نفسها السكينة والهدوء . ونفد الاكل ونفد الماء . وحارت هاجر فقد انهك الجوع وليدها وانهكها فى نفس الوقت . واخذت تسعى الى جبل الصفا لعلها تجد احدا من الناس يقدم لها بعض الطعام والماء . وهبطت وعادت الى جبل المروة وظلت تتردد بين الصفا والمروة سبع مرات . وهذا السعى أصبح شعيرة من شعائر الحج .

« ان الصفا والمروة من شعائر الله ! »

أليست اذن رحلة الحج هذه والسعى بين الصفا والمروة يجعل الحاج يتذكر تلك المعاناة التى عانتها تلك السيدة الجليلة هاجر وهى تبحث لوليدها عن المأكل والمشرب . وهى وحدها فى تلك الصحراء المترامية الاطراف . بلا أنيس الا الله . أليست هذه الذكرى تبعث فى النفوس معنى الرحمة .

ان هاجر تنظر من فوق قمة الجبل لترى الارض تهتز واسماعيل يحرك رجليه باكيا والماء يتدفق من الارض . انها بئر زمزم .. وتشكر الله ، وتأتى قبيلة من العرب وهى قبيلة جرهم . وتستقر عند هذه البئر . ويطلب افراد القبيلة من هاجر ان يعيشوا معها ، وتقبل بشرط أن يكون الماء ملكها .. وتقبل القبيلة هذا الشرط وهكذا وجدت هاجر وابنها من يؤنس وحدتها !

وتمضى الايام .. يشب اسماعيل .. ان والده يحبه حبا جما ، ولكنه يرى فى المنام ان يذبحه . هنا يقوم ابراهيم من منامه ، والحيرة تنتابه .. هل يذبح اسماعيل وهو له ماله من الحب فى قلبه ! هل هذا الحلم حقيقة أم اضغاث احلام ؟ ان الشيطان ابتدأ يوسوس له !

ولكن ابراهيم ما عاهد يوما أن تكون احلامه وهو خليل الرحمن اضغاث احلام ، انه الشيطان الذى يوسوس له ذلك ، فليحقق ارادة الله . ان يقدم على ذبح احب الناس الى قلبه ، انها ارادة الله ولا راد لارادة الله .. ويتوجه الى ابنه الحبيب .

– يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟

قال – يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين .

ويروى ابن عباس انه قال :

قال الابن : يا أبت اشدد رباطى كيلا اضطرب ، واكفف ثيابى حتى لا ينضح عليها من دمى شىء فينقص أجرى ، وتراه أمى فتحزن . واستحد شفرتك ، وأسرع بها على حلقى ليكون اهون على ، واذا اتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى ، وان اردت أن ترد عليها قميصى فافعل فانه عسى أن يكون اسلى لها عنى .

قال ابراهيم عليه السلام

نعم العون أنت يابنى على أمر الله .

وتمضى الاحداث فى طريقها ، ابراهيم يأخذ ابنه ليذبحه ، والشيطان يوسوس له . ربما تكون الرؤيا التى رآها مجرد أضغاث أحلا م. ويعزم ابراهيم على أن ينفذ أمر الله ، ولا يسمع لهمزات الشيطان . فأخذ يرجم الشيطان بسبع حصيات ، وفعل نفس الشىء اسماعيل وأمه هاجر . كل رمى الشيطان بسبع حصيات .

• • •

ومعنى هذا الرمى للشيطان .. رمز لرجم الشر متمثلا فى الشيطان وهذا هو حكمة رمى الجمرات فى الحج .

وعندما يهم ابراهيم بذبح ابنه يفدى بكبش .

« **يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم !** » .

• • •

ونمضى مع القصة الخالدة ، مع قصة ابراهيم وابنه اسماعيل ، وربط أحداث هذه القصة بالحج . عاشت هاجر بعد ذلك وابنها وسط قبيلة جرهم ، وتعلم اسماعيل اللغة العربية من هذه القبيلة ، وتزوج اسماعيل عندما بلغ مبلغ الشباب فتاة منهم .

• • •

ويحكى لنا التاريخ أن ابراهيم الخليل جاء لزيارة ابنه . لم يكن اسماعيل بالدار . وكانت هاجر قد ماتت وخرجت زوجة اسماعيل اليه واخذت تشكو اليه قسوة الحياة وقلة الزاد . وأغضب ذلك ابراهيم ، تركها بعد أن أخبرها ان تقول لزوجها بعد ان تقرئه السلام أن يغير عتبة الدار .. وعندما جاء أسماعيل اخبرته بذلك ، فعرف أن القادم كان والده وطلقها .

ويقول لنا التاريخ ايضا انه بعد فترة من الزمن جاء الخليل ليزور ابنه اسماعيل ، وكان قد تزوج بفتاة أخرى من نفس القبيلة ، وعندما فتحت له الباب وسألها عن احوالها مع اسماعيل اخبرته بأنها تعيش حياة سعيدة ، وأن ارزاق الله كثيرة فاخبرها أن تقول له عندما يأتى بعد ان تقرئه السلام أن القادم اليك يأمرك أن تثبت عتبة بابك . فقال اسماعيل هذا أبى ومعنى اثبت العتبة انه يأمرنى أن اتمسك بك .

وبعد فترة من الزمن جاء ابراهيم لزيارة ابنه . قابله عند زمزم وأخبره بأن الله امره أن يرفع القواعد من البيت ، وعندما ارتفع البناء أخذا يدوران حول البيت وهما يقولان :

« **ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم** » .

وتمضى الايام

وتأتى ايام رسول الله

ونحن نعرف موقف الرسول وحبه لمكة على أساس انها أحب بلاد الله الى الله لان بها بيت الله الحرام .

وشروط الحج الاسلام ، والبلوغ والعقل : والحرية والاستطاعة والعلم بوجوبه لمن كان بعيدا عن بلاد المسلمين ، ووجود المحرم مع المرأة أو نسوة ثقات . والحج لا يجب على كافر ، ولا على صبى ولا على مجنون : ولا يجب على غير المستطيع .

وأركان الحج اربعة هى : الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الافاضة والسعى بين الصفا والمروة ، ومن ترك ركنا منها لا يصح حجه .

وصدق الله العظيم اذ يقول :

« **واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا : وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه** » .

• • •

والحج المبرور هو الذى يبتعد به صاحبه عن الرفث والفسوق لقوله تعالى :

« **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج !** » .

انه الحج الذى يقول عنه الرسول الكريم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة . والذى على أساسه يتوب العبد من آثامه التى مرت ، معاهدا الله أن يبدأ حياة نقية طاهرة ، بعيدة عما يدنس حياته .. حياة فيها الاخاء والتعاطف لاخيه الانسان ، مبعدا نفسه عن الغل والحسد والضغينة للآخرين ، ميمما وجهه شطر الله « **لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك** » .

• • •

ان الحج صفاء للنفوس . وتهيئة للروح لان تسمو . انه بداية جديدة .. ميلاد جديد نحو الارفع والاسمى . وصدق رسول الله عندما قال :

« **الغازى فى سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم** » .

لبّيك اللهم لبّيك

الاستاذ أحمد والى

اقام ابراهيم وولده اسماعيل ، عليهما السلام ، قواعد البيت الحرام وكان اسماعيل قد شب وتزوج وانجب أولادا ، فاقام معه بعض من أصهر اليهم من قبيلة جرهم ، ولكنها كانت اقامة غير متمكنة ولا ميسورة ، العيش فهم رعاة يطلبون الكلا حيث وجدوه ، وقلما وجدوه من قريب،وبين الحين والحين تتوقف قوافل مارة للراحة والاستسقاء يقرون قليلا من الوقت ثم يتابعون مسيرتهم الى مايقصدون اليه من المواطن والاسواق ، فهم تجار وجوابو آفاق ... ولهذا رفع ابراهيم وجهه ويديه الى السماء ، ضارعا الىالله بهذا الدعاء : ربنا انى اسكنتمنذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . فاستجاب الله دعاء خليله ، واوحى اليه : « وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » الى قوله عز وجل : « واجتنبوا الرجس من الاوثان : واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله ، فانها من تقوى القلوب » .

بهذه الايات الكريمة ، حدد الله تبارك وتعالى اغراض الحج ومواجبه وشعائره ، فهو : تعمير لذلك الوادى المقفر غير ذى الزرع بدعوة الناس اليه ـ ولعلنا نرى فى هذا ملامح اشارة علوية تدعو الى اقتحام الصحارى وتعمير وديانها وجبالها واحتمال المشقات أول الامر فى هذا السبيل ، ففى بطونها كنوز من الخير لا تبخل بها على من يطلبونها ويصبرون عليها ، وبذلك يتسع العمران وتتوافر الارزاق ، وحيث يكون الناس تكون الحياة وقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة هذه الحقيقة .

ومن أغراض الحج فوق ذلك تعمير بيت الله الاول والاوحد فى زمانه بالمؤمنين ، يعبدونه فيه الها واحدا لا شريك له ، ويطهرون أنفسهم وقلوبهم من رجس الوثنية بالصلاة والذكر والركوع والسجود ، ويشكرون الله على ما آتاهم من رزقه ، ويطعمون البائس الفقير ، الى آخر ما شاء الله من فضائل الايمان والتقوى ، والتراحم الانسانى الذى يوثق بينهم وشائج الاخوة والحب والسلام ، ذلك الى ما يتبادلون من « منافع لهم » وهى منافع محققة تراد للدين والدنيا معا ، للدين ، بصدق العقيدة والاخلاص فى العبادة ، والتبتل ، والاستغفار وتعظيم شعائر الله وحرماته ، واتباع ما يأمر به واجتناب ما ينهى عنه ، وهذه هى التجارة الرابحة التى تتفتح لاصحابها أبواب الجنة . وأما للدنيا ، ففى التقارب والتعارف ، وحيوية العمل ، ونشاط التجارة أخذا وعطاء ، بروح القناعة والورع ـ وليس بروح الاستغلال والجشع ؟

وما من شك فى أن اقامة البيت الحرام وتعميره فى موضعه هذا ، كان عن قضاء وتدبير من الله عز وجل ، تكميلا للرسالة العظمى التى اختار لها أبا الانبياء ابراهيم عليه السلام ، وقد بدأت هذه الرسالة فى شبابه ، حيث أوتى من الله الحكمة والهدى ، فكان أول مؤمن بالتوحيد ، وأول كافر بالاصنام ، التى كان هو وأبوه يصنعانها للناس ليعبدوها من دون الله ، ولم يكتم ايمانه فاستعلن به ، وحطم الاصنام وسخر منها وممن يعبدونها ، فوثب عليه قومه غضابا وألقوه فى النار لتأكله حيا فأنجاه الله ، وهاجر من بلده بابل فبلغ الشام ، وورد مصر ، ولم يجد فى ايما بلد مر به أو أقام فيه الا وثنيات سائدة ، فالناس هنا أو هناك يعبدون النار أو الاصنام أو الكواكب بل كان منهم من يعبد اناسا من البشر ، فى شكل من أشكال العبودية المسرفة ، بين السادة والعبيد ، والاقوياء والضعفاء ، وفى هذه الاجواء الفاسدة ، كان الظلم منتشرا ، والضلال فاشيا ، والجهل مخيما ، وكره ابراهيم أن يعايش أقواما على مثل ما كان عليه قومه ، ولا يجد فيهم قلوبا او عقولا لاتتفتح لدعوة التوحيد وتستنير بنور الله ، وتهتدى بهديه ، فأمره الله سبحانه وتعالى بالهجرة بولده وأم ولده الى الجنوب ، الى ذلك الوادى الجديب الموحش الذى تكتنفه الجبال الشوامخ حيث لا ماء ولا نبات ولا حياة وكانت أولى المعجزات هذه الهجرة الشاقة المثيرة للمخاوف ، أن تدفق الماء عذبا ثرارا تحت قدمى الصبى اسماعيل ، منبثقا فجأة من أعماقبئر مغيبةفىأعماق الصخور والرمال (بئر زمزم) لم يكن قد عرف سرها أحد قبل ، فمن هذه البئر بدأت الحياة تدب هناك ، وكان من آثارها بناء البيت والتأذين بالحج اعلانا لدين التوحيد والحنيفية السمحاء ، رحمة من الله بعباده « **ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا** » فهو أول بيت لله فى الارض ، وهو هدى للعالمين ، أى للناس كافة ، وفيه على نأى المزار الامن والسلام ، فما يجتمع الناس هنالك الا اخوانا مؤمنين متحابين ، قد طهر الله قلوبهم من العداوات والاحقاد ..

وكانت المعجزة الاخرى أن الدعوة التى أطلقها ابراهيم عليه السلام من هذا المكان النائى البعيد ، قد وقعت فى آذان

الناس بالجزيرة العربية من سائر اقطارها وتجاوزتها الى أمم الشرق والغرب من وراء الانهار والبحار ، فكأنما كان يحملها الى العالم كله جهاز (لاسلكى ، غير منظور ، وكما أراد الله ، وكما كان يرجو ابراهيم ، وقعت الدعوة كذلك من قلوب الناس موقع الاستجابة والقبول ، فانتقال الحجيج الى بيت الله من كل فجاج الارض ، وما كان احد حينذاك على دين ابراهيم ، ولكنهم جاءوا على هدى من هذه المنارة فى قلب الصحراء ، ليتعرفوا على الحق الذى افتقدوه فى انفسهم وفى حياتهم ، وبعيدا عن أجواء الوثنيات المظلمة ، وجاءهم اليقين ، فآمنوا واتبعوا ملة ابراهيم ، حنفاء لله غير مشركين به ·

وعمر البيت والوادى وصارت مكة ام القرى ، وحاضرة الجزيرة العربية ، وموطن أشراف العرب ، ومركز القداسة الدينية ، وملتقى الحجيج ، ومحتشد الاسواق وقوافلها التجارية رواحة غداءة استيرادا وتصديرا كما نقول الان بينها وبين الشمال والجنوب ·

وعلى امتداد ٢٧ قرنا من اقامة البيت الحرام الى مبعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مكة لاتزال متميزة بالعمران والتقديس ، معا ، حتى كان المصريون القدماء يسمون بلاد الحجاز كلها وليست مكة وحدها بالبلاد المقدسة ، وكان الهنود يحجون الى البيت لاعتقادهم أن روح سيوه احد الهتهم قد تقمصت فى الحجر الاسود وكان الصابئة يعظمونه ويحجون اليه أيضا وهم يعبدون النجوم والكواكب وينتشر دينهم فى أكثر بلاد الشرق ، ذلك لانهم كانوا يعتقدون أن الكعبة من البيوت السبعة المعظمة عندهم وانهما بيت زحل وباقية ببقائه الخ ···

غير ان هذه المظاهر القدسية المتسقة لم تستطع أن تحتفظ بجوهرها الاصيل وهو عقيدة التوحيد فمع مرور الزمان واختلاف الاجيال وغلبة الشهوات وسطوة العصبيات ، تلاشت العقيدة شيئا فشيئا من القلوب والعقول ، وسقط الحنفاء وغير الحنفاء فى مهاوى الجهل والشرك ، وحولوا بيت الله الاول الذى لم يكن يعبد فيه سواه الى محشر من الأصنام ٣٦٠(صنما صنعوها بايديهم واقاموها هناك وعبدوها من دون الله وقربوا اليها القرابين ؟

ومن خلال هذه الجاهلية العامة ، طم الفساد ، وفشا الضلال ، واختفت معالم الحق ، وارتدت البشرية الى اسوأ مما كانت عليه قبل ابراهيم ، فكان الله عز وجل يبعث فى كل امة نبيا منهم يهديهم سواء السبيل ، فكانوا يحقرون انبياءهم ويسومونهم سوء العذاب ، ويقتلونهم احيانا ، كما فعل بنو اسرائيل ببعض انبيائهم ·····

فشاء الله تبارك وتعالى ، وهو أرحم الراحمين أن يبعث محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولا الى الناس كافة ـ عربا وغير ـ عرب ـ هاديا ومبشرا ونذيرا ـ وأنزل عليه كتابا كريما فيه خيرهم فى الدنيا وخيرهم فى الاخرة ···

وبعد ملحمة دامية طويلة ، بين الايمان والكفر ، والنور والظلام علت كلمة الله وارتفعت رايات التوحيد وتطهر البيت الحرام من دنس الوثنية ، فعادت اليه قداسته الحقة ، وجعل الله الحج اليه فرضا من فرائض الاسلام الخمس (من استطاع اليه سبيلا ونظم شعائره ومناسكه فى صور عبادات عميقة الاثر فى النفوس وفى أعمال صالحة مبرورة معبرة عن المساواة والاخاء والتكافل بين بنى الانسان · وفى مكة والبيت الحرام فى هذه الايام المباركة مئات الالوف من شتى أنحاء العالم ، يؤدون هذه الفريضة على مواجبها وأصولها المشروعة ، على ماجاء بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وهؤلاء الالوف المؤلفة من حجاج بيت الله يرطبون السنتهم فى قدومهم واقامتهم وطوافهم فهم بهذا الهتاف المنغم العظيم : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، لبيك ان الحمد والنعمة لك ، والملك لاشريك لك ،

فذلك حقا هو لحن الخلود الذى تطرب له كل نفس مؤمنة ، ولا أصدق منه تعبيرا عن الحقيقة الواقعة ، فالحج حق من حقوق الله ودعوة منه الى بيته الاول ، والارتحال الى ادائه وفاء بالحق ، وتلبية للدعوة ، وقرارا بالوحدانية ، وبراءة من الشرك ، واعلان ذلك ، فرديا أو جماعيا ، على مثل هذا النحو الذى نسميه نشيد الاسلام) فى أطهر وأقدس مواطن الاسلام ، انما هو دليل الفرح ، وترجمان السعادة ، ومن هنا كانت له قوته ذات التأثير الروحى العظيم ···

وهذا المعنى من « التلبية » فى مواقف الحج وشعائره ينبغى أن يظل عميقا مترددا متفاعلا فى نفس المسلمين أجمعين ، وبخاصة من فازوا بالحج وعادوا به أقوى ايمانا وأصفى أرواحا ذلك لان كل فرائض الله وأوامره حقوق غير متفاوته واجبة الاداء فالتوحيد والصوم والصلاة والزكاة فرائض كفريضة الحج ، وأوامر الله ونواهية فى أعمال الناس وعلاقاتهم ومعاملاتهم وسلوكهم وأخلاقهم ، كل أولئك من حقوق الله ، لا يجوز التفريط فى أى منها ، وفيها المنهج الواضح الذى أوجب السير على هداه

ومانرى مشهدا من مشاهد الحج الا وهو يحمل مبدأ مقررا وثابتا من مبادىء الاسلام فهذا التجرد الجماعى من اللباس المختلف الاشكال والالوان ، وارتداء زى الاحرام واحدا وبطريقة واحدة ، لا يختلف فيه انسان عن انسان ، معناه الصريح المساواة والاخوة فلا فرق بين غنى وفقير ولا أبيض وأسود ولا سيد ولا مسود ، فذلك مبدأ مقرر فى الاسلام أساسا ، وهو يتجلى بمعناه هذا كل يوم خمس مرات فى صفوف الصلاة مع اختلاف يسير هو انتفاء ضرورة اللباس الواحد ····

وهذه الانعام التى تذبح فى كثرة كبيرة طعاما للفقراء والمعوزين ، انها بلا ريب تمثل فى صورة واسعة معنى البر والاحسان وبذل الصدقات ، وهذا واجب فرضه الله على كل ذى سعة من المسلمين ، فى الحج ، وغير الحج فى كل المجتمعات الاسلامية بلا استثناء وهو كما لا تحتاج ان نقول من الاسس التى قام عليها الاسلام فخليق بالمسلمين أن يعطوه حقه دائما من « التلبية » والاداء ؟

وتلك الاسراب اللطيفة من حمام الحرم انها هناك تحيا مع الناس آمنة مستأنسة بهم قد وادعوها وتلطفوا معا فلم تمتد يد قط اليها بشر ولا أذى ، وهيأوا لها المشارب العذبة) فى أحواض خاصة بها) ويقدمون لها الغذاء موفورا كل يوم ، فهى أبدا ريانة شبعانة ، ولذلك فانها فى كثرة مستمرة تملأ سماء مكة وتعشش على سطوح الحرم ومنافذه وطاقاته وتخالط الحجاج بالوقوف على أكتافهم أو رؤوسهم وترفرف باجنحتها عليهم كأنها تحييهم وترحب بهم ·· انها تلهمهم مبادىء الحب والحرية والسلام ، وهى من أعلى مبادىء الاسلام والى هذه المبادىء السامية يدعو كتاب الله وسنة رسوله أفلا يكون حقا على المسلمين أن يستوعبوا هذا المعنى ويجعلوا له نصيبا عمليا من نشيد (لبيك اللهم لبيك) ؟

ومن شعائر الحج رمى حصوات صغيرة من الحجارة ، يرجمون بها الشيطان الذى لا يتجسد لهم ، والمراد بذلك بداهة هو تعميق كراهيتهم للشيطان ، والتحصن ضد وساوسه ومغرياته ، وهذا ، على اليقين ، أمر مطلوب من كل مسلم فى كل أعماله وتصرفاته ، وفى أى موقع وموقف ومجتمع وقد نهانا الله عن الشيطان وحذرنا من عداوته ومداخلاته وتوعدنا بسوء العقاب أن أتبعنا هواجسه ، فهذا الرجم الرمزى فى الحج جدير بنا أن نجعله فى أنفسنا وأعمالنا سلاحا نتقى به شر ذلك العدو الخبيث وبهذا ندخل فى طاعة الله و (نلبى) دعوته ·

فليكن شعار « التلبية » أعمالا صالحة نعيش فيها بها ونحيا فى الحج وغير الحج ·

ولبيك اللهم لبيك : توبة نصوحا وبراءة من المعاصى والذنوب وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ····

قلوب بين مكة والمدينة

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

مكانان عظيمان لهما فى قلب كل مسلم محبة واحترام : وشوق وتبجيل ، ورهبة ورغبة .
مكانان رفع الله شانهما فجعل مكة فى رعايته وحمايته : وجعل المدينة موضع محبته ورحمته .

مكانان اعزهما الله فجعل مكة لجلالته وصولا : وجعل المدينة بوحيه اتصالا .

مكانان شرفهما الله فجعل لمكة من قدسية المكان ما يعلو على كل مكان ومن قدسية العبادة ما تزول به الذنوب والادران . وجعل المدينة لها من قدسية الزمان ما تتطهر به الارواح ومن قوة النور ما علا على كل نور . نور القرآن الكريم ونور من نزل عليه القرآن حيث اضاء به الطريق للعالم كله تبيانا وهدى للعالمين ، وقد قال الله جل جلاله فى مكة [ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين : فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا (وقال جل جلاله [واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا (والحجر الاسود يمين الله فى الارض : وماء زمزم براءة من النفاق .

من مكة المكرمة نبع الدين الحق ، دين الله الذى ارتضاه لعباده ، دين الاسلام الذى جاء للناس مبدء الخليقة وبشرت به رسل الله حتى وضع وأرسى قواعده وجاهد وصبر على رسالته ودعوته سيد الخلق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

ان الدين اقوى اساس تشاد عليه دعائم الروابط الاجتماعية بين افراد الامم من النوع الانسانى مهما تباينت مشاربهم واختلفت اغراضهم وافترقت اهواؤهم وتعددت لغاتهم فرابطة الدين أقوى مؤثر فى النفوس لانها احرزت الشرفين ، وهما اتصال سندها بمبدع الكائنات ودوامها الى اخر العمر فهى أجمع من الوحدات الاخرى كالجنسية والوطن واللغة وذلك لان رابطة الجنس وان دامت بدوام سببها وهى القرابة فمصدرها وهم الاباء أقل مرتبة من الربوبية . أنظر الى الاوس والخزرج فى زمن النبوة مع ماكان بينهم من شقاق وحروب دامت اعواما كثيرة فألف الله بين قلوبهم بوحدة دين الاسلام . وهكذا جعل الله القلوب المؤمنة المسلمة فى شوق دائم الى مكانين هما ، مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهما رباط الاخوة بين جميع العالم الاسلامى . قال القاضى عياض : ان قوما أتوا سعدون الخولانى واعلموه أن كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقى ابيض البدن . فقال : لعله حج ثلاث حجج ، قالوا : نعم . قال : حدثت (بضم الحاء) أن من حج حجة أدى فرضة ، ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة (أى حلال) ووضع رجله فى الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد فى السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مازور . واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مازور غير مبرور (رواه الطبرانى) . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : (لقد مر بفج الروحاء) أو لقد مر بهذا الفج) « اى بمكة » سبعون نبيا على نوق حمر خطمها الليف . لباسهم العباء . وتلبيتهم شتى . فمنهم يونس بن متى ، كان يقول : (لبيك فراج الكرب ، لبيك) . وكان موسى يقول (لبيك انا عبدك لديك لبيك) . وتلبية عيسى (لبيك ، أنا عبدك ابن أمتك بنت عبديك ، لبيك) وعن ابن ابى نجيح قال : انما سميت الكعبة ، لانها مكعبة على خلقة « الكعب (قال ، وكان الناس يبنون بيوتهم مدورة : تعظيما للكعبة ، فأول من بنى بيتا مربعا ، حميد بن زهير ، فقالت قريش : (ربع حميد بن زهير بيتا ، اما حياة واما موتا (.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سميت « بكة » لانها يجتمع فيها الرجال والنساء جميعا وقالوا : (بكة) موضع البيت ، ومكة القرية . وقال ابن أبى أنيسة : « بكة) موضع البيت ومكة هو الحرم كله . وعن مجاهد قال : ومن أسمائها « مكة » « وبكة » « وأم رحم »

« وأم القرى » « وصلاح » « وكوثى » « والباسة » « والبيت العتيق » « والحاطمة » تحطم من يستخف بها ٠

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ليس فى الارض من الجنة الا الركن الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله عز وجل ٠

وعن سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة ، فلما دخلنا الطواف ، قام عند الحجر وقال : والله انى لا علم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، ثم قبله ومضى فى الطواف ، فقال له على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، بلى ياامير المؤمنين ، هو يضر وينفع ، قال عمر : وبم قلت ذلك ؟ ٠ قال على بن ابى طالب : بكتاب الله ٠ قال عمر : واين ذلك من كتاب الله ؟ قال : قال الله عز وجل (واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا) ٠ فلما خلق الله ادم مسح ظهره واخرج ذريته من صلبه فقررهم انه الرب وهم العبيد ثم كتب ميثاقهم فى رق ٠ وكان هذا الحجر له عينان ولسان ، فقال له : افتح فاك : فالقمه ذلك الرق وجعله فى هذا الموضع ، وقال له : تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة ٠ فقال عمر : اعوذ بالله ان اعيش فى قوم لست فيهم ياابا الحسن ٠ قال عكرمة ان الحجر الاسود يمين الله فى الارض فمن لم يدرك بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح الركن فقد بايع الله ورسوله ٠

٠٠٠ فى مكة المكرمة ولد الحلم ونزلت الرحمة واضىء النور بمولد سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ فبالحلم انتصر رسول الله على اعدائه وبالرحمة شق طريقه الى جهاد شاق مثمر وبالنور اهتدى الى ما يؤيد دعوته ويرفع شانه وسط عالم يعبد الاوثان وتشع بينهم عصبية القبيلة وتتفجر من قلوبهم الغلظة ومن نفوسهم الكبرياء والغطرسة ووسط هذا الجمع من فئات مختلفة يعاديه منهم اقرب الناس اليه من قريش فاذا بالذى هو (بالمؤمنين رءوف رحيم) يعلم الناس الادب الذى فقدوه ويرشدهم الى حسن الاخلاق التى ضيعوها ويقودهم الى السعادة التى أعرضوا عنها ويشعل مصباح الامان فى بلد جعله الله امنا وسلاما (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا) فاضاء المصباح الطريق السليم بنزول كلام الله على احب خلق الله الى الله فمنهم من اهتدى ومنهم من اصر على ضلاله وكبريائه ٠ فاستعمل رسول الله السلاحين سلاح الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى حلم ورحمة واستعمل سلاح الجهاد فى سبيل الله بالسيف والقتال ليحقق النصر بالاسباب وحتى لا يتقاعس الناس عن الدفاع عن دينهم واوطانهم وكان فى استطاعة مولاه جل جلاله أن ينصره بدعوة منه ، ولكن كتب عليه القتال وكتب على امته وهو كره لهم وظلت شريعة الجهاد مع شريعة الحلم والرحمة فى ركاب واحد فلكل أدبه وقانونه ولكل نتيجته ومكسبه ولكل طريقه وبغيته ولكل زمانه ووقته حتى تقوم الساعة ٠

فالجهاد فريضة على كل مسلم حتى يلقى الله تعالى ٠ وبالجملة ان الانسان يستمد القوة فى حياته من ثلاثة أشياء (الشعور والعلم والاخلاق) ولا تتوافر هذه الاشياء الا فى تعاليم الدين الاسلامى باحكامه وقوانينه ٠ فيجب أن يأخذ المسلم من كل منها نصيبه حتى يقدر على أداء الواجب عليه نحو نفسه ودينه وأمته ٠

وانا لنجد كل شىء فى القرآن الكريم المعطل فى أحكامه ٠ اقرأتم فى كتاب الله سورة اسمها (سورة النور) ومن اسمها نأخذ نور الطريق ونور الاخلاق ونور الامن والامان ونور الهدوء والاطمئنان ونور العلم والايمان ونور كل شىء الى كل شىء ٠ ماذا قال الله جل جلاله فى بدايتها ؟ قال (سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ٠ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر) الى آخر ما ورد فى السورة من احكام ٠ الله جل جلاله يقول (وفرضناها) ٠٠٠ اذا بعدم تنفيذ أحكامها تعطيل للفريضة ٠ وتعطيل فريضة الله كفر ٠ (المص ٠ كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ٠ اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون) فلا تتبعوا قوانين قد وضعها الكفار ولا قوانين قد وضعها الناس والحكام ٠ ولكن أمر باتباع القرآن وباياته (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ٠ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) ٠ افبعد كل هذا نعطل احكام القرآن الكريم واحكامه وقوانينه (قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون) ٠ مكة المكرمة الرمز الخالد للقرآن الكريم وللاسلام والمسلمين ولرسول الله صاحب الدعوة الطيبة الحميدة الجميلة القوية فى مبادئها وسلوكها ٠ انها مكة المكرمة ٠٠ (بلد الله) ٠٠ و (بلد رسول الله) ٠٠ (وبلد القرآن الكريم كلام الله) ٠٠

(اما المدينة المنورة) على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، ففضائلها لا تحصر وهى البلد الذى اختاره الله تعالى لرسوله فقال جل شانه (لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه) وقد سئل رسول الله : اى مسجد هو فقال : مسجدى هذا ٠ وقد وافق ذلك قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر رضى الله عنهم ، وبه أخذ مالك بن أنس رضى الله عنه ٠ اما ابن عباس فقال : هو مسجد قباء ، والاول اصح ٠

ومن أسمائها «طيبة» « وطابة » «ويثرب» « والمدينة » « والدار » ٠

قال القاضى عياض رحمه الله : وجدير بمواطن عمرت بالوحى والتنزيل ، وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة ، والروح ، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسول الله ما انتشر ، مدارس آيات ومساجد جماعات وصلوات ، ومشاهد الفضل والخيرات ، ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ، ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين ، حيث انفجرت النبوة ، واين فاض عبابها ؟ ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس قدم المصطفى ترابها (أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها) ٠ وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » ٠

وكان مالك بن أنس لا يركب فى المدينة دابة ويقول : أستحى من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ بحافر دابة ٠

وأفتى مالك بن أنس فيمن قال ، تربة المدينة (رديئة) بان يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه ، ثم قال ما أحوجه الى ضرب عنقه ٠ تربة دفن فيها النبى صلى الله عليه وسلم يزعم انها (غير طيبة ! !) ٠

وذهب مالك ، أن الصلاة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فى سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام ٠

سيدى رسول الله ، ما أطيب الوقت الذى نعيش فيه بذكر الله والصلاة عليك ٠ وما أحسن اليوم الذى نرى فيه كلام الله الذى انزله عليك منفذا فى احكامه وقوانينه حتى ترضى عن امتك التى تعيش فى دوامة من القلاقل والفتن ٠

سيدى يارسول الله ، سل الله لامتك صلاح الحال ، والنصر على الاعداء ، والرجوع الى الله تعالى خالق كل شىء ورب كل شىء (الذين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين ٠ ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون) صدق الله العظيم ٠

كلمات عن الحج

الأستاذ صلاح عزام

و .. مرة أخرى .. عن الحج .. اذ لا يستطيع أحد من الكتاب المسلمين أن يعيش أيام الحج .. وذكريات الحج .. الا ويكون كل فكره .. وكل عواطفه مع الحجاج .. ومع أرض الدعوة .. وقبلهما .. مع صاحب الدعوة صلوات الله عليه

وفى أيام الحج تظهر تساؤلات كثيرة .. منها .. لماذا كانت فريضة الحج .. خامسة .. وآخر الاركان التى بنى عليها الاسلام .. ؟

والذى لا جدال فيه .. أن كلمة الاسلام ومبادئه ومعانيه .. وكل ما تعلق به .. نزل بترتيب حكيم ـ لانه من الحق تبارك وتعالى .. ووراء كل شىء فيه اعجاز وخير

والراى عندى ان هذا الركن ـ الحج ـ فقد جاء فى آخر قواعد الاسلام الخمسة لان معنى ذلك أن يصل اليها الانسان الملم وقد استكمل اسلامه وادى حقوق الله سبحانه وتعالى عليه كاملة فى حياته ومجتمعه وأن له من ذلك انطلاقة واسعة يشرف منها على روحانية كبرى .. ومعان عديدة .. فيرى من آيات الله فى نفسه .. واعماقه الكثير .. والكثير .

فان ياتى المسلمين اى بلد يكون أقصى الارض أو أقربها .. فيعيش فى أماكن الدعوة الاولى .. متجردا .. متأملا .. منفتح القلب والعقل .. يعبر حاضره الى ماض بعيد .. نوره يملأ الدنيا رغم مضى السنين .. وهو يعيش فى مواقع الدعوة الاولى الى حيث شهدت خطا سيد الخلق وهو يعلنها للدنيا . من مكه المكرمة ابتداء .. الى نهاية مكان المسيرة المباركة عند الروضة الشريفة حيث عاش سنوات العمر سيد الخلق داعيا ومعلما .. وهاديا .. وحيث آثر صلوات الله عليه ان يكون هذا مقره الاخير ومن بعده يلقى ربه .

وفى هذه التذكرة .. لايام الدعوة الاولى وصاحبها مدرسة كاملة يتعلم منها الانسان الذى أسلم وجهه الى الله أن طريق العمر شاق .. ومصاعب الدنيا هالكة مهلكة الا من رحم .. ومع هذا فان ذلك كله لا يعوق (المسلم) عن رفع الرايات .. واعلان كلمة الحق .. ونشر السلام والرخاء على ظهر الارض .

وكذلك .. يتعلم الانسان المسلم الحاج .. من (معلمه ونبيه وهاديه) كيف يكون السبيل الى الله .. والى بناء الحياة .. وان لا ييأس المسلم مهما لاقى .. ولقى .. بل يصبر ويجاهد .. لانه بذلك واصل لا محالة ليحقق الهدف باذن الله ..

و .. ليوفر على نفسه بعد ذلك السير وراء تخطيط لا طائل من وراءه فى متاهات فكرية .. (ونظريات بشرية) فقد جاءه من الله نور .. على يد اشرف خلق الله .. وفيه خير ما قبلكم .. وخيركم للحاضر والمستقبل ..

وبعدها - أى بعد انتهاء أيام الحج .. يعود الانسان المسلم وقد حقق آخر أركان الاسلام الخمسة .. مؤمنا .. فيه روائح المسلمين الاول .. وبالتالى .. تتضاعف مسئوليته .. فى ان يواصل المسيره المحمدية .. اكثر نقاء .. واصفى قلبا .. واشد عزما ..

و .. قد عددت أمامى عشرة رموز أوحت بها الى أيام الحج .. وروعة تقريره كركن اسلامى اصيل .. اختار منها ثلاثة رموز ..

اولها .. ان الحج .. هو الرمز الواضح البارز على وحدة الامة الاسلامية حيث يجمعهم صوت مؤذن واحد للصلاة .. ويؤمهم امام واحد .. ويقفون جميعا صفوفا خلف امام واحد .. مهما كانوا - وهم كذلك - مختلفى الاجناس والالوان واللهجات واللغات .. ولكنهم فى ثياب واحدة .. جميعهم اخوة .. فى صف الامة الاسلامية الموحدة

والثانى .. أن الحج اكبر مظهر للاصول الاسلامية حيث يتم خلال ايامه التقارب بين المسلمين القادمين من المشرق والمغرب .. ومن كل بقاع الدنيا يعيشون أياما فى ضيافة رب العزة .. فتتوثق بينهم الاخوة .. ويتم بينهم التعارف .. لتثرى الحياة بتبادل الخبرات والمعلومات فى (اطار) اسلامى .. كخدمة المسلمين .. وبالتالى لنماء الحياة وازدهار الحياة وازدهار الارض .

والثالث .. أن الحج اعظم مظهر يرمز الى المساواة .. فحقيقة .. ان صفوف الصلاة تجمع شتات المسلمين - لا فرق بين الصغير والكبير .. ولا الفقير ولا الغنى .. ولكن مع ذلك تظهر بين الصفوف فوارق اجتماعية .. تظهر للمشاهد على البعد لاختلاف الثياب والمظهر .. بل يمكن للمشاهد ان يتعرف صفوف المصلين ويردهم الى بلاد مختلفة .. ولكن فى الحج .. المساواة كملة وشاملة وعامة .. تتمثل فى الزى الموحد .. اللون .. والنوع تقريبا .. فلا تمييز بين احد .. ولا فوارق بين احد .. بل الكل ضيوف الرحمن .. اخذ الحق تبارك وتعالى على نفسه العهد بأن يكرمهم . ثم ما كان لكاتب يعيش امام الحج يعبر عن كلمات سيد الخلق فى خطبة الوداع والتى جاء فيها .

أيها الناس اسمعوا قولى فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا .. بهذا الموقف أبدا .

أيها الناس .. ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .. وكحرمة شهركم هذا .. وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم .. وقد بلغت فمن كانت عنده امانة فليودها الى من ائتمنه عليها .. وان كل ربا موضوع .. ولكن لكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون .

الى ان يقول صلى الله عليه وسلم فى خطبته الخالدة الشهيرة .. (**وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا .. كتاب الله وسنة نبيه**) .

أيها الناس .. اسمعوا قولى واعقلوه وان كل مسلم اخ للمسلم .. وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من أخيه .. الا ما اعطاه عن طيب نفس فلا تظلمن انفسكم .. اللهم هل بلغت فأجابه المسلمون جميعا .. اللهم نعم .. فقال .. اللهم اشهد (.

وما اكثر خواطر الحج وارض الدعوة ومعانى الحج .

عيد الأضحى

عيد التضحية

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

يقبل عيد الاضحى ، فتبتهج لمقدمه القلوب ، وتانس به الارواح ، والاعياد الدينية كالواحات فى صحراء الحياة ، يتزود منها السائر ليتابع على الطريق مرحلة جديدة ، ويسترجع فيها المرء ذكريات عزيزة ، آخذا منها دروسا مستفادة : فيصل ماضيه المكافح : بحاضره المنتصر ، انطلاقا الى مستقبل مشرق بـاذن الله .

وشان الاعياد أن توقظ رواقد الخير فى النفوس ، وأن ترهف احاسيس الكرامة فى القلوب ، لكى لا يغفل الانسان عن وجوده الذى يتحمل مسئوليته ، ولا يغيب عن تاريخه الذى يعتز به ويذكر امجاده ·· يقبل العيد فنرى على امتداد العالم الاسلامى الكبير من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ، جموع المسلمين محتفلين به ، ونبصر ذلك المشهد الحى المتجدد للملايين منهم ، وهم يرددون هذا النشيد الخالد : الله اكبر ·· الله اكبر ·· الله اكبر ، لا اله الا الله ·· والله اكبر ولله الحمد ·· لا اله الا الله ·· ولا نعبد الا اياه ·· نشيدا يتردد ملء الدنيا على مدى أعوام زادت عن الالف ، تحية عيد ، وشعار ايمان ، ودعاء توحيد ، ورمز وحدة جامعة ، فى العقيدة والمواقف والاهداف ·· وشعار التوحيد هو الركيزة الاولى لعقيدة الاسلام ، الذى جاء وسط وثنية جارفة ، ومادية طاغية ، فألغى كل هذه المعبودات ، ورفع شأن الانسان الذى كرمه ربه أعظم تكريم ، وسجل تكريمه فى قوله تعالى : **(ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر : ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** وقرر عقيدة التوحيد ، وتوجيه ولاء الانسان لقوة واحدة ، هى القوة الخالقة القادرة ، التى تملك كل شىء ، ولا يملك المخلوق معها أى شىء ، **(ذلكم الله ربكم لا اله الا هو ، خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل)** ·· ولهذا فان أول معارضة من القرشيين لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تنصب على هذا المبدأ : مبدأ توحيد الخالق جل جلاله · وحكى القرآن الكريم نموذجا لرفضهم هذا المبدا فى قوله تعالى : **(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ، اجعل الالهة الها واحدا ، ان هذا لشىء عجاب ، وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ، ان هذا لشىء يراد ، ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة ، ان هذا الا اختلاق ، أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى ، بل لما يذوقوا عذاب)** ·

ونستجمع فى هذا اليوم ذكرى مجيدة حية فى قلوبنا وضمائرنا · تمدنا بطاقة متجددة من العزم على مواصلة النضال فى معركة الحياة ، والكفاح فى مواجهة قوى الشر والعدوان ، انها ذكرى التضحية والفداء ·· فمع أفراح العيد ، وبشريات العيد ، والامال التى تتوالد وتتجدد فى ظلال العيد ، يضىء بين أيدينا من قصص القرآن الكريم أكثر من مشهد جليل ، نتلقى به أعظم الدروس ، وأروع المثل ، عن كل ما غرسه الدين فى نفوسنا ، وأرساه فى حياتنا ، من معانى البذل ، والعطاء ، ومواقف الصدق والصبر ، وحقائق الايمان والاسلام ·· وفى قصة أبى المسلمين ابراهيم عليه السلام ، وما امتحنه الله تعالى به ، ما يضىء لنا طريقنا ، ويرسم أمامنا صورة حية لصفاء الجوهر ، وعظمة النفس ، ويحدد لنا عظمة التضحية حين يقهر الانسان سلطان هواه ، ويقتل الافات العارضة له ، والمقدسة فى كيانه ، من حب الذات وغلبة الهوى ، وايثار العاجلة ، وانه لشقاق بين انسان يهوى الى الارض ، ويتعلق بزينة الحياة الدنيا ، ولا ينظر الا الى ما هو تحت قدميه . وبين انسان يحلق فى السماء ، ويتطلع الى الافق البعيد ، ينشد الامجاد ، ويعشق العظمة ، ويقدس المثل العليا والمعانى النبيلة ، فيستعلى على كل مغريات الدنيا ، ابتغاء ما عند الله ، ويزهد فى العاجلة ، طموحا الى الاجلة ، والمؤمن الحق هو الذى يترك ما يشتهى فى سبيل السمو بنفسه ، والارتقاء بها الى المستوى الفاضل للانسانية الرفيعة ··

ان هذه العقيدة لا تحتمل لها فى القلب شريكا ، فاما تجرد لها ، واما انسلاخ منها ، فهما أمران لا ثالث لهما : اما أن

تسيطر العقيدة . أو تسيطر زينة الحياة الدنيا وما فيها من مباهج ، وعلامة الايمان الكامل هى سيطرة العقيدة على كل ما يحبه الانسان ويتعلق به . فاذا ما اهتزت هذه السيطرة ، هبط الانسان من أفقه العالى الى افق لا يليق بانسانيته ، قال تعالى مبينا هذا الافق الرفيع : (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ، واموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها : ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى ياتى الله بامره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين) ..

نذكر فى يوم الاضحى قضية ابراهيم الخليل وقد صورها القرآن بصورة بلغت من السمو قدرا يفوق تصور البشر حتى يعطى الانسانية معنى جليلا للقيم الرفيعة والمثل العليا ..

هذا هو ابراهيم الشيخ ، المقطوع من الاهل والقرابة ، المهاجر من الاهل والوطن ، يرزقه الله على الكبر بغلام يكون قرة عين له ، ويشهد له ربه بانه غلام حليم ، وما يكاد الاب يأنس بوحيده الصغير ، وما يكاد صباه يتفتح ، ويبلغ معه السعى ، حتى يرى فى منامه أروع ما يتصوره انسان لنموذج من نماذج التضحية .. وتبرز لنا القصة فى خمسة مشاهد :

اولا : اشارة توحى بالامر ، وهى ارادة الله ولابد من أن تنفذ ارادة الله ، انه يرى فى منامه انه يذبح هذا الغلام الزكى ، ورؤيا الانبياء وحى لا ينكر ، فيدرك ابراهيم أنها اشارة من ربه بالتضحية .. وماذا حدث منه ؟ انه لا يتردد ولا يخطر له الا خاطر التسليم ، نعم اشارة ، ولكنها اشارة الله ، فيجب أن تستجاب .

ثانيا : عرض من الاب لابنه : انه يعرض رؤياه على ابنه فى هدوء واطمئنان ، بدون اعتراض ولا تساؤل (قال : يا بنى انى ارى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟) انها كلمات المالك لاعصابه ، الواثق بانه يؤدى واجبه ، وينفذ مشيئة الله ، والامر شاق ما فى ذلك من شك ، فهو لا يطلب من ابنه أن يذهب الى معركة قد يصاب فيها ، بعيدا عن مرآه ، ولكنه هو الذى سيتولى بيده ذبح ابنه . انه وهو يعرض الامر على ولده يطلب اليه أن يتروى فى أمره ، وأن يرى فيه رأيه ...

ثالثا : ماذا كان من أمر الغلام ؟ انه يرتقى الى الافق الذى ارتقى اليه ابوه من قبل ، فيتلقى الامر لا فى طاعة واستسلام فحسب ، ولكن فى رضى كذلك وفى يقين ، (يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) انه الادب مع الله . ومعرفة حدود طاقته فى الاحتمال ، والاستعانة بربه فى ضعفه ، ونسبة الفضل اليه فى اعانته على التضحية ومساعدته على الطاعة .

رابعا : مرحلة التنفيذ : ان الابن يستسلم لمشيئة الله . ويرقد على الارض استسلاما لله لقد أسلما وهذا هو الاسلام فى حقيقته ، ثقة وطاعة وطمأنينة ورضى وتسليم . لقد أسلما أمورهما لله ، وهو الذى يدبر كل أمر من امور عباده ، وهو الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، وهو الذى بيده نواصى خلقه ، فيكبح جماح من يحاول تدنيس الوطن بالفواحش ، وتخريب الذمم بالشائعات .. لقد تمت صورة الابتلاء ، وامتحان ابراهيم وولده قد وقع ، وغاياته قد تحققت ، ولم يبق الا الالم البدنى ، والا الدم المسفوح والجسد الذبيح . والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء ، ولا يريد دماءهم وأجسادهم فى شىء ، وعرف الله من ابراهيم واسماعيل صدقهما ، فاعتبرهما قد وفيا وأديا ، وبذلك نأتى الى المرحلة الخامسة .

خامسا : مرحلة الفداء : ان الله لا يريد الا الاسلام والاستسلام ، وابراهيم قد فعل ، وجاد بكل شىء ، جاد بفلذة كبده ، وقرة عينه ، ووحيده العزيز ، فلم يبق الا اللحم والدم ، وهذا ينوب عنه ذبح ، أى ذبح من لحم ودم ، ويفدى الله هذه النفس التى أسلمت وانقادت لامر الله ، يفديها بذبح عظيم ، (فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك ، نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الاخرين سلام على ابراهيم (..

ومضت بذلك سنة النحر فى عيد الاضحى ، ذكرى لهذا الحادث العظيم ، الذى بلغ القمة فى عظمة الايمان ، وجمال الطاعة ، وروعة التسليم ، ونحن المسلمين أولى الناس ونحن نستقبل عيد الاضحى أن نتأسى بأبينا ابراهيم الخليل عليه السلام ، فنقدم لله قربانا فى هذا اليوم ، ونذبح بأيدينا فيه ما تولد فينا من شهوات طاغية ، تغتال حقوق الناس ، وتنتهك حرمات الاموال والاعراض ، وتجعل صاحبها وحشا كاسرا فى صورة انسان ، يسلب وينهب ويرتشى ويزور ، ويعيث فى الارض الفساد .

فما أعظم أن نضحى فى هذا اليوم العظيم ، بما استولى علينا من سلطان الانسانية وحب الذات ، حتى نحقق وجودنا الانسانى الكريم ، الذى خلقنا الله عليه ، ولا نرتد الى أسفل سافلين ، كما يقول تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون ، .

● ● ●

ان علينا ونحن نحتفل بالعيد ، أن نقف قليلا لنحاسب أنفسنا على ما قدمنا لامتنا من خير ، وما بذلناه فى سبيل تحرير أرضنا من تضحية ، فشأن العيد أن يأتى على قوم قد عملوا وبذلوا وناضلوا وضحوا ، ليستحقوا أن يقطفوا ثمره وأن يحسوا بفرعه ، وأن يرددوا لربهم حمدا على نعمه .. وبذلك نعيش دائما فى تضحية ، تزكو بها نفوسنا ، ونحافظ بها على تحرير أرضنا ، ودفع كل عدوان علينا ، متحملين فى سبيل ذلك ألوان المخاطر والتحديات ، وحينئذ يكون عيد الاضحى فى حقيقته عيدا للتضحية ، وعيدا للفداء ، وعيدا للبذل والعطاء .. ويستحق المسلمون أن يتبادلوا فيه التهانى ، قائلين : كل عام وانتم بخير .

الحــج والاســـــتطاعة

فضيلة الشيخ موسى محمد على

يقول الله تعالى :

« ولله على النـاس حـج البيت منْ اسـتطاع اليه سبيلا »

هذه الاية الكريمة ، هى آية وجوب الحج عند الجمهور

فيجب الحـج على المكلف فى العمر مرة واحدة ، بالنص والاجماع ، روى الامام احمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه وغيرهما ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس أنه فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت : نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم ، ثم قال :

ذرونى ما تركتكم ، فانما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه » .

واخرج الامام احمد ، وابو داود ، والنسائى ، وغيرهم عن ابن عباس قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج ، فقام الاقرع بن حابس ، فقال : يا رسول الله افى كل عام ؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » ·

وقد يجب الحج اكثر من مرة واحدة وذلك لعارض ، كالنذر ، والقضاء ·

ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد وهو الاسلام ، فلا يصح حج الكافر كصومه وصلاته · ولا يشترط فيها التكليف ، بل يجوز للولى أن يحرم عن المجنون ، وعن الصبى الذى لا يميز ، وحينئذ يصح حجهما ، روى ابن عباس رضى الله عنهما :

ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بأمراه وهى فى محفتها فأخذت بعضد صبى كان معها فقالت : ألهذا حج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولك أجر » ·

وعن جابر رضى الله عنه قال :

حججنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء ، والصبيان ، فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ، ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام ، وهو التمييز ، فلا تصح مباشرة الحج من المجنون والصبى الذى لا يميز كسائر العبادات ، ويصح من الصبى المميز ان يحرم ويحج باذن الولى ، ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات ·

ولوقوعه عن حجة الاسلام شرطان زائدان ، البلوغ والحرية ، لقوله صلى الله عليه وسلم ايما صبى حج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام ، وايما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام ومعنى ذلك أن الحج عبادة عمر لا تتكرر ، فاعتبر وقوعها فى حالة الكمال ، ولان التكليف تابع للتمييز ، فشرط هذا الحكم اذن يعود الى ثلاثة : الاسلام ، والتكليف ، والحرية ·

والفقير لو تكلف الحج وقع حجه عن الفرض ، كما لو تحمل الفتى خطر الطريق وحج ، وكما تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ·

ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد وهو الاستطاعة بنص الاية الكريمة ·

واستطاعة السبيل التى شرطها الفقهاء ، ونص عليها القرآن الكريم فى الاية السابقة : هى امكان وصول اليه ، يقول ابن المنذر :

« قالت طائفة من العلماء : الاية على العموم ، اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم ، يوجب أن نستثنى من ظاهر الاية بعضا ، فعلى كل مستطيع الحج ـ يجد اليه السبيل باى وجه كانت الاستطاعة ـ الحج على ظاهر الاية ·

وأخرج الترمذى فى سننه بسنده عن على رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ملك زادا او راحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا او نصرانيا ، ولذلك يقول فى كتابه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ·

ومن طرائف الضحاك الطريفة انه قال :

« اذا كان شابا صحيحا ليس له مال فليؤجر نفسه باكلة وعقبه حتى يقضى نسكه ، فقال له قائل : « أكلف الله الناس أن يمشوا الى البيت ؟

فقال : لو كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه ؟

قال : لا بل ينطلق اليه ولو حبوا ،

قال : فكذلك يجب عليه حج البيت ·

ويقول الامام مالك : « الاستطاعة على اطاقة الناس ، الرجل يجد الزاد والراحلة ، ولا يقدر على المشى ، وآخر يقدر على المشى على رجليه » ·

ويقول الامام القشيرى :

« الاستطاعة فنون : فمستطيع بنفسه وماله ، وهو الصحيح السليم ·

ومستطيع بغيره وهو الزمن المعصوب

وثالث غفل الكثيرون عنه ، وهو مستطيع بربه ، وهذا نعت كل مخلص مستحق ، فان بلاياه لا تحملها الا مطايانا ·

وحج البيت فرض على أصحاب الاموال ، ورب البيت فرض على الفقراء فرض حتم ، فقد ينسد الطريق الى

البقية ص ٨٢

الحج فى ضوء العقيـــدة والتـــاريخ

الدكتور زكى مشعل

اللهم انك حسبنا وانت مولانا نعم المولى ونعم النصير ندعوك مخلصين بكتابك العزيز وبالمصطفى خاتم النبيين ان تطهر قلوبنا ، وان تصلح أحوالنا ، وان تزكى نفوسنا ، وان تكشف الكرب والهم عنا ، وان توفقنا لما يرضيك عنا يا نعم المولى السميع القريب المجيب .

ان من بواعث السعادة ودواعى الغبطة ويمن الطالع أن يسهل علينا أيها القراء الاعزاء شهر ذى الحجة الذى يحمل بين أيامه نفحات طيبة وقد الف الحق سبحانه برحمته بين قلوب الامة العربية الاسلامية جميعا ، وقد حق عليهم وصدق فيهم قوله سبحانه « ان هذه أمتكم أمة واحدة » .

وأصدق شاهد على هذا التالف الكريم ذلك المجتمع الذى تجمع فيه حكام العرب والمسلمين فى الجامعة العربية كى يتداولوا الراى والمشورة فيما جد من احداث ووقائع اليمة بين بعض الدول العربية ، ولما كان هؤلاء المجتمعون مخلصين صادقين فيما اقبلوا عليه فقد اقبل الرحمن سبحانه بتوفيقه ومعونته وتأييده لمؤازرتهم فاخذ السلم والسلام يسعيان الى الارض التى ذاقت من وبال الشقاق والحرب والشجار ما ذاقت فأحست بالراحة والاطمئنان وسكن اليها الامن والامان وفى الحق ان كل مجمع خير صادق مخلص يستهدف الاصلاح والعمران بين الناس فان الحق جل شانه يباركه ويزكيه ويحضه بحوله وقوته ، وان شئون الدنيا على اختلافها وموضوعاتها المتشعبة لا تصلح ولا تزدهر الا اذا ارتبطت بالعقيدة الدينية القائمة على اليقين والايمان الصادق من اجل ذلك .

شاء الحق عزت قدرته أن يضع للخلق سلوكا فى حياتهم بحيث تأخذ بأيديهم الى تعزيز الصلة بين العبد وربه ، ثم تكون سببا فى اصلاح نظم الحياة وتعبيدها وتيسيرها بين الفرد والجماعة فاما تعزيز الصلة بين العبد وربه فقد كان بتشريع الحكيم جل شأنه فرائض أوجبها على عباده وفى مقدمة هذه الفرائض الاعتقاد الصادق بوحدانيته وتوحيده الها قادرا دون غيره والاعتقاد بما جاء به الرسل وانهم حق مؤيدون من الحق ، ولكى تتحقق تلك الصلة القائمة على هذه المقدمة فلابد لها من مظاهر وظواهر محاسة منظورة ومسموعة تبرز ، الايمان واليقين بذلك ، ولا يتجلى ذلك واضحا الا فى فرائض وعبادات يؤديها العبد كما امره بها خالقه على لسان رسوله الذى بعث اليه . وان المتتبع للرسالات السماوية كلها ليجد ان كل رسول ونبى قد امر قومه باداء فرائض معينة مع تصديقهم بوحدانية الخالق ، والفرائض التى اشتملت على العبادات هى فى الحقيقة والواقع المظهر الحقيقى والحق الصادق لصدق الايمان واليقين الخفى فى نفوس العباد وقلوبهم ، ومن ثم شرعت الصلاة منذ رسالة ابراهيم عليه السلام ولقد اثبت الكتاب العزيز هذا حين حكى عن الخليل ابراهيم عليه السلام اذ قال (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) من سورة ابراهيم .

وكان من المظاهر الالهية التعبدية ، التى تدل على اخلاص الانسان فى صدقه فى عبوديته فريضة الزكاة وكذلك فريضة الصيام وايضا فريضة الحج ، فكل فريضة من تلك الفرائض لها اثرها وتاثيرها الروحية والبدنية ولها نفعها وانتفاعها التى يعود جزاؤها على من قام بها واداها ، فان الانسان الذى يستجيب لما أمره خالقه بقيام الفرائض لا ريب انه من الفائزين بالسعادة والتوفيق فى الدنيا والاخرة . **وحسبنا فى هذا المقام ان نذكر نبذة عن فريضة الحج فى ضوء الوحى والتاريخ ، فقد ثبت أنه ما من نبى من الانبياء الا حج الى البيت الحرام الى المكان الذى بنى فيه بمكة وان لم تكن له معالم واضحة ظاهرة يومئذ ، ولما حج ادم عليه السلام قال له جبريل ان الملائكة كانوا يطوفون بهذا البيت منذ سبعة الاف سنة قبلك فطاف ادم بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ثم قال : اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى . وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم ما عندى فاغفر لى ذنوبى كلها فانه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم انى اسالك ايمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى اعلم انه لا يصيبنى الا ما كتبت لى ، ورضى بقضائك . فاوحى الله اليه يا ادم انك (دعوتنى بدعاء فاستجبت لك وما يدعونى به احد من ذريتك الا استجبت له وغفرت له ذنوبه ، واتته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها) .**

وكل نبى ورسول جاء بعد آدم حتى رسول الله ابراهيم كان يوحى اليه بالحج الى هذا المكان المعظم ، ولما بعث ابراهيم بالرسالة امره الحق سبحانه ببناء البيت وساعده فى بنائه ابنه اسماعيل فصار للبيت معالم واضحة ظاهرة واذ ذاك أمره الحق أن يؤذن فى الناس بالحج فقال يا رب : ومن يبلغ صوتى ، فقال الله (يا ابراهيم عليك الاذان وعلينا البلاغ) فاعتلى ابراهيم المقام ونادى باعلى صوته (يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فسمعه من فى السماء ومن فى الارض حتى من فى الاصلاب والارحام فمن اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين حج مرتين ، والمعلوم أن رسل الله صلوات الله عليهم اجمعين ساروا على هذه السنة الحميدة متبعين سنة الخليل ابراهيم عليه السلام فى اداء فريضة الحج فى شهر ذى الحجة مستجيبين لما خلفه الخليل حول هذه الشعيرة من طواف وسعى وما الى ذلك ، والمعلوم أن السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم وهى (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) كما اثبت ذلك الكتاب العزيز حيث قال (ان عدة

الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم (ويقال ان ذا القعدة سمى بهذا الاسم لقعودهم عن القتال وذو الحجة لانهم كانوا يحجون فيه ، والمحرم لانهم كانوا يعودون فيه الى بلادهم ورجب لانهم كانوا يعتمرون فيه من البلاد القريبة · وان الحج الى بيت الله الحرام فرض عين بالاجماع على كل مسلم حر بالغ عاقل يستطيع تأدية هذا الفرض لقول الرسول (ان الاسلام بنى على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان) وهو فرض على المسلم والمسلمة ، فى العمر مرة واحدة ، وما زاد عن ذلك فهو نفل فقد روى ابى هريرة رضى الله عنه انه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يا ايها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، قال رجل : افى كل عام ؟ فسكت النبى حتى قالها ثلاث فقال النبى : لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا ان تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع) وفى القرآن الكريم (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ·

وان فى أداء فريضة الحج اظهارا وبيانا واضحا لجوانب العبادة الخفية والظاهرة ففيها صلاة وصدقة وصيام وتوحيد ومظاهر للجهاد وهى فى الشعيرة الاسلامية المقدسة ان الحج مؤتمر عام يتشاور فيه المسلمون فيما يصلح دينهم ودنياهم ، وان كل ذلك الا ماخوذا مما فعله الصادق المصدوق المصطفى عليه ازكى الصلاة والتسليم حين حج فى السنة العاشرة وهى الحجة التى اداها فى حياته ففيها خطب عليه السلام فقال (ايها الناس : اسمعوا قولى ، فانى لا ادرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا ابدا · اى شهر هذا ؟ أليس ذا الحجة ؟ قالوا : بلى ، قال : اى بلد هذا ؟ اليس البلد الحرام ؟ قالوا : بلى ، قال : أى يوم هذا ؟ أليس يوم النحر ؟ قالوا) بلى · قال : فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، وستلقون ربكم فيسالكم عن أعمالكم ، الا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، الا فليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه (او كما قال ·· ومن دعاء المصطفى عليه السلام فى هذا المقام المعظم (اللهم اجعل فى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا وفى قلبى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى امرى ، اللهم انى اعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الامر وشر فتنة القبر ، وشر ما يلج فى الليل وشر ما يلج فى النهار ، وشر ما تهاب به الرياح ، وشر بوائق الدهر (وانى لادعو كل قرائنا الاعزاء مع تهنئتى لهم بالسعادة والتوفيق فى اعيادهم وحجهم وعمرتهم · وفيما يقبلون عليه فى شئونهم ادعوكم جميعا الى ان تكرروا هذا الدعاء المذكور المأثور فانه مستجاب محقق لانه وحى الهى الى خير نبى صلوات الله عليك يا حبيب الحق وسلامه ، فاللهم بحبه لك وحبك له ان ترزقنا محبته ومتابعته لنفوز برضاك فى الدنيا والاخرة ·· آمين ·

بقية مقال « الحج والاستطاعة »

البيت ، ولكن لا ينسد الطريق الى رب بيت ، ولا يمنع الفقير عن رب البيت » · اه ·

اما فضل الحج ، وما وعد الله سبحانه وتعالى به عباده من الثواب الجزيل فقد ،

اخرج الترمذى فى سننه بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد ، والذهب ، والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » ·

واخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ·

وروى ابن حيان فى صحيحه عن ابن عمر ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة الا كتب الله له بها حسنه ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا وقفوا بعرفات ، باهى الله بهم ملائكته يقول ،

انظروا الى عبادى ، اتونى شعثا غبرا ، اشهدكم انى غفرت ذنوبهم ، وان كانت عدد قطر السماء ، ورمل عالج ، واذا رمى الجمار لم يدر أحد ما له حتى يتوفاه الله تعالى يوم القيامة ، واذا حلق شعره فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة ، فاذا قضى اخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ·

وبعد :

فالحج هو القصد الى من تعظمه ، فقاصد بنفسه الى زيارة البيت ، وقاصد بقلبه الى شهود رب البيت ، فشتان بين حج وحج ، هؤلاء تحللهم عن احرامهم عند قضاء منسكهم ، وأداء فرضهم ، وهؤلاء تحللهم عن احرامهم عند شهود ربهم ، فاما القاصدون بنفوسهم فأحرموا عن المعهودات من محرمات الاحرام ، واما القاصدون بقلوبهم فانهم احرموا عن المساكنات وشهود الغير وجميع الانام ·

وسبيل من حج البيت ان يقوم باداب الحج ، فاذا عقد بقلبه الاحرام يجب أن يفسخ كل عقد يصده عن هذا الطريق ، وينقضى كل عزم يرده عن هذا التحقيق ، واذا ظهر تطهر عن كل دنس من آثار الاغيار بماء الخجل ، ثم بماء الحياء ثم بماء الوفاء ، ثم بماء الصفاء ، فاذا تجرد عن ثيابه تجرد عن كل ملبوس له من الاخلاق الذميمة ، واذا لبى بلسانه وجب الا يبقى شعرة من بدنه الا وقد استجابت لله ، فاذا بلغ الموقف وقف بقلبه وسره حيث وقفه الحق بلا اختيار مقام ، ولا تعرض لتخصيص ، فاذا وقف بعرفات عرف الحق سبحانه ، وعرف له تعالى حقه على نفسه ، ويتعرف الى الله تعالى بتبريه عن منته وحوله ، والحق سبحانه يتعرف اليه بمنته وطوله ، فاذا بلغ المشعر الحرام يذكر مولاه بنسيان نفسه ، ولايصح لربه مع ذكره لنفسه ، فاذا بلغ منى نفى عن قلبه كل طلب ومنى ، وكل شهوة وهوى ·

واذا رمى الجمار رمى عن قلبه وقذف عن سره كل علاقة فى الدنيا والعقبى ·

واذا ذبح ذبح هواه بالكل ، وتقرب به الى الحق سبحانه ، فاذا ادخل الحرم عزم على التباعد عن كل محرم على لسان الشريعة واشارة الحقيقة ·

واذا وقع طرفه على البيت شهد بقلبه رب البيت ، فاذا طاف بالبيت أخذ سره بالجولان فى الملكوت ·

فاذا سعى بين الصفا والمروة صفى عنه كل كدورة بشرية وكل آفة انسانية ·

فاذا حلق قطع كل علاقة بقيت له ·

واذا تحلل من احرام نفسه وقصده الى بيت ربه استانف احراما جديدا بقلبه ، فكما خرج من بيت نفسه الى بيت ربه يخرج من بيت ربه الى ربه تعالى ·

فمن أكمل نسكه فانما عمل لنفسه ، ومن تكاسل فان الله غنى عن العالمين ·

مع
الدعوة
والدعاة
يشرف على تحرير هذا الباب:
منصور الرفاعي عبيد
فؤاد هيبة
على عياد

حديث الى الأئمة

ما يكاد رمضان ينتهى من كل عام الا والنفوس تتهيا لاداء فريضة العمر وختام الامر الا وهى الحج حيث تلتقى البشرية كلها على بساط الاخوة الطاهرة والمحبة الصافية فى رحاب بيت الله الذى هو اول بيت وضع فى الارض . وهذه الفريضة هى مؤتمر عام لجميع الاجناس والالوان واللهجات لمن يدينون بدين الاسلام ويعترفون بنبوة سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين ويحترمون جميع الانبياء السابقين ويؤمنون بهم . يلتقى الناس فى هذا المؤتمر من كل فج يطرحون اللباس المميز لمناصبهم ويرتدون لباس الاحرام ويدخل كل منهم منطقة التجمع مع اخوانه فى تجانس وتألف والكل يردد : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك . فى هذا الجو الطاهر والتجرد للخالق يدرس الناس شئونهم ويشهدون منافع لهم والنفوس خاشعة لله والابدان طاهرة والتواضع ظاهر فليس فى هذا الجو استعلاء أو استكبار أو مؤامرة لاذلال شعب لان الشرط الاساسى لصحة الحج . لا رفث ولا فسوق ولا جدال .

ان الناس فى هذا الحرم يشعرون بالامن لان هذا البيت العتيق . من دخله كان آمنا لحظة فريدة لكل انسان حصانه لا يعتدى عليه والانسانية كذلك لها فى هذا الجو حصانة تصون وحدتها وتعمل على تقويتها وتحميها من الفرقة والتنابز والبغضاء والحسد . وتجرد عزائمهم للغاية العليا التى كلما تعلقت بها قلوبهم زادت محبتهم وقويت أواصرهم وصدق تعاونهم وعظم ايثارهم . والله سبحانه قد اقسم بالفجر والليالى العشر والشفع والوتر . **وقال سادتنا العلماء بأن الفجر فجر عرفة وليال عشر العشر الاوائل من ذى الحجة . والشفع أى يوم النحر والوتر يوم عرفة .** فالان أنت فى ايام كلها خير وبركة خاصة يوم عرفة اليوم المشهود الذى قال فيه أحد اليهود لعمر بن الخطاب أن فى قرآنكم آية لو نزلت فى كتابنا لاتخذنا يوم نزولها عيدا فقال عمر أى آية تريد . قال **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** قال عمر والله انى أعلم فى أى يوم وفى أى مكان نزلت . انها نزلت يوم عرفة على عرفة فيوم عرفة يوم مشهود خطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الوداع التى تعتبر بحق « **وثيقة حقوق الانسان** ! وهى وثيقة باقية تعلن عن طهر النفوس كما تعلن عن عظمة الاسلام فى مبادئه وسبقه الى كل خير ودعوته لكل فضيلة وتعالوا بنا نقرأ تلك الوثيقة العظيمة التى أعلنت من قائد عظيم فى يوم عظيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله واثنى عليه « **اوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته واستفتح بالذى هو خير . اما بعد فيا ايها الناس . اسمعوا منى ابين لكم فانى لا ادرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .**

ايها الناس . ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا هل بلغت اللهم اشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه . الا ان كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل : وربا الجاهليه موضوع واول ربا اضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فاتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . ان لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن احدا تكرهونه بيوتكم الا باذن منكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله قد أذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا .. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده أن اعتصمتم به كتاب الله وسنتى الا هل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل مال امرىء الا عن طيب نفسه الا هل بلغت اللهم اشهد . ايها الناس . ان ربكم واحد وان اباكم واحد فكلكم لادم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى . الا هل بلغت اللهم اشهد .

اخى الداعية . أليست هذه اسس المجتمع الفاضل ودعائم لمبادىء ترتكز عليها الانسانيه لينم لها .... اشاعة الحب والرحمة . التعارف وتبادل المنافع . الاخوة العامة بين بنى البشر . فعمم يا أخى تلك المعلومات للناس وبين لهم ان التجرد لله وحده اساس كل شىء فى

البقيه ص ١٥١

منهج الاسلام في تربية الشباب

فضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد

يهتم الاسلام بالشباب ويرسم الطريق لهم لحفظ صحتهم وبعد الضرر عنهم لانهم أمل الامة في مستقبلها .. وقد بين المنهج الاسلامى المزالق التى ينزلق فيها الانسان فيفقد صحته وبالتالى يضيع ايمانه .. وقد قال ربنا جل وعلا .. تلك حدود الله فلا تعتدوها .. ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .. والناس فى الدنيا فريقـــان .. فريق يلهو ويلعب وياكل ويمرح وشعاره -

انما الدنيا متاع .. وطعام وشراب
فاذا فاتك هـذا .. فعلـى الدنيـا السـلام .

وهؤلاء فى المجتمعات ان غابوا لا يذكـروا وان حضروا فليس لهم اثر .. يعيش الواحد منهم لياكل وفى الاخرة كما قال الحق سبحانه « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تـأكل الانعام والنار مثوى لهم ! .

وفريق آخر يأكل ليعيش وهو فى حياته يعمل ليسعد غيره ويقدم ما يملك من جهد ومال ابتغاء وجه الله سبحانه لانه يأمل أن يلقى جزاءه فى الاخرة وشعاره الذى يردده « وان الى ربك الرجعى .. وهو مع الغير متواضع وفى نفسه امين مراقب لربه فى سره وعلانيته لا يضمر الحقد أو الكراهية لاحد لانه يعلم قول الله سبحانه « وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله .. فهو فى مراقبة دائمه لله يبتعد عن الحرام ويفر من الموبقات ولذلك تجده موفور الصحة مستقيم الحال كامل العقل لان من الحكم المأثورة .. العقل السليم فى الجسم السليم ..

ولقد اقبل على بعض الشباب يســألنى : الاسلام الذى نؤمن به يحرم الزنا ، لان فيـــه اختلاطا للانساب واعتداء على حرمة الغير واهدارا لكرامة الاسر وورد النص فى ذلك صراحه حيث يقول ربنا جل وعلا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا .. فلم حرم الاسلام الاستمناء باليد وما الحكمة فى ذلك ؟ .. فاجبته قائلا :

الاسلام عندما حرم الزنا سد الابواب التى توصل اليه وأغلق المنافذ التى تهيج الشـــهوة وتحرك الغريزة ولذلك ورد قول الله تعالى « **قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظـوا فروجهم ذلك أزكى لهم .. وزكاة الجسم** معناها طهارته وصفاؤه أزكى للنفس أى صقلها على الاستقامه وطهرتها من الدنس لتكون اهــلا ومحلا لتنزل الرحمات الالهية وتلقى الانوار القدسية التى تتنزل على من قال فيهم الحق سبحانه « **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون** » والرسول

صلى الله عليه وسلم وهو طبيب القلوب ومعالجها ومرشد النفوس وهاديها الذى كان يعالج بالحكمة ويقود بالرفق عندما رأى ان الشباب فيهم قوة غريزة قد تتحرك فيهم فتدفع بهم الى المعاصى وجههم وجهة طيبة وجههم الى الصوم الذى يهذب النفس ويسمو بالروح ويهدىء من ثورة الغريزة فقال عليه الصلاة والسلام موجها الشباب بالذات « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » اى أن الصوم علاج للشهوة الجامحة والغريزة المتأججة والرسول صلى الله عليه وسلم ارشدنا الى علاج عظيم ودواء نافع هذا وقد قال ربنا جل وعلا « قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » فاذا كنا قد رأينا الاسلام يعمل على تهذيب النفس وسد الابواب المحركة للغرائز فانه فى هذه الايات قد رسم لنا طريق العلاج وبين لنا اسس السعادة ومن هذه الاسس والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم فالواجب على الانسان ان يحفظ فرجه وان يستر عورته ولا يهتك الحجب التى هى من الحياء ولا ينقاد للشيطان الذى يزين له الحرام لان الشيطان عدو لنا فعلينا ان نحذره وتعالوا معى أيها الاخوة من الشباب نستعرض اقوال العلماء فى عملية الاستمناء باليد لتكون البينة واضحة أمام أعيننا :

اولا : ان الاستمناء باليد خارج على ما بينه ربنا فى قوله « والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت أيمانهم » وقد جاء فى تفسير ابن كثير ان الامام الشافعى استدل بهذه الاية على تحريم هذا العمل واستأنس بحديث رواه الامام الحسن بن عرفة عن مالك عن النبى صلى الله عليهوسلم قال « سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم يوم القيامة مع العالمين ويدخلهم النار فى أول الداخلين الا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه « الناكحيده .. الفاعل والمفعولبه .. ومدمن الخمر .. والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه .. والناكح حليلة جاره » وهذا الحديثوانكان فى اسناده من لا يعرف وهو غريب الا انه يشير الى اشياء هى من سوء الخلق ومن سوء الافعال التى يرتكبها الانسان وتكون سببا فى أن من يفعل هذا ينظر اليه نظرة احتقار من الناس ويموت والله عليه غضبان .

ثانيا : ان هذه الفعلة ليست من مكارم الاخلاق ولا من الفضائل التى يجب أن يتحلى بها الانسان وقد روى عن رسول اللهصلىالله عليه وسلم « ناكح اليد ملعون » وروىعن سعيد ابن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم .. وروى عن عطاء سمعت قوما يحشرون وايديهم حبالى واظن انهم الذين يستمنون بأيديهم جاء هذا فى تفسير الالوسى الجزء الخامس وجاء فى تفسير القرطبى قال محمد بن عبد الحكم « سمعت حرملة بن عبد العزيز قال سألت مالكا عن الرجل « يجلد عميرة » وهذه لغة العرب كانوا يسمونها جلد عميره وهى عملية الاستمناء باليد فتلا هذه الاية « والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » يقول الطبرى من لم يحفظ فرجهمن زوجه وملك يمينه وحفظه عن غيره من الخلق فانه غير ملوم على ذلك ولا مذموم .. ومن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه فاولئك هم العادون أى المجاوزون ما أحل الله لهم الى ما حرم عليهم ويقول صاحب المحيط فى تفسيره « ما وراء ذلك .. يشمل الزنا واللواط وموافقة البهائم والاستمناء والجمهور على تحريم الاستمناء ويسمى « الخضخضة » « جلد عميرة »ومن القواعد الاصولية فى الشريعة الاسلامية ان ما أدى للحرام فهو حرام ومما لا شك فيهان هذه العملية تهيج الغريزة وتحركها فيتاتى من وراء ذلك التفكير العميق فى ممارسة النشاط الجنسى .

ثالثا : الطب الحديث اثبت ان الاعتياد على الاستمناء باليد ضرر شديد على الجسمو العقل لانها فعلة غير طبيعية فيتاتى من وراء ذلك الاجهاد العضلى - كما قرر علماء النفس ان المواظبة على هذه العملية تجعل فاعلها ينطوى على نفسه ويتجنب الجلوس مع الناس ويشعر بالحرج وقد يكون عنده تأنيب من ضميره فتزداد المسألة تعقيدا فى نفسه وكل ذلك له الخجل من مواجهة الناس فتفقد المشاكل امام عينيه ويعجز عن حلها ولذا نصح الاطباء وعلماء النفس الابتعاد عن هذه العملية خوفا على الصحة العامة والتفكير السليم وقال قائلهم .

أحفظ منيك ما استطعت فانه
ماء الحياة يصب فى الارحام

فاذا كنا يا شباب نريد حياة سليمة وعيشة طيبة وصحه للبدن ونضوجا فى العقل فعلينا ان تبتعد عن هذه العملية الضارة بالجسم والخلق

وليكن معلوما لدينا أن اللواط وهو اتيان الرجل للرجل حرام ومعصية كبيرة بل ان الامام الشافعى والامام مالك والامام أحمد اعتبروا ان الوطء المحرم فى قبل او دبر لانثى او رجل وحجتهم فى ذلك ان الوطء فى الدبر مشارك للزنى فى المعنى الذى يستدعى الحد وهو الوطء المحرم فهو داخل تحت الزنا دلالة فضلا عن ان القران سوى بينهما فقال جل شانه « انكم لتاتون الفاحشة ماسبقكم بها من احد من العالمين وقال انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء وقال واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم وقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما] فجعل الوطء فى الدبر فاحشة والوطء فى القبل فاحشة وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان واذا أتت المرأة المراه فهما زانيتان » واتيان المراة للمراة تسمى مساحقه وهى حرام ايضا لان المراة اذا اباحت فرجها لغير زوجها من امرأة او رجل فهى لم تحفظه وقد تعدت حدود الله والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لا ينظر الرجل الى عورة الرجل . ولا المراة الى عورة المراة ولا يفضى الرجل الى الرجل فى ثوب واحد ولا تفضى المراة الى المراه فى الثوب الواحد .

واذا كنا قد ذكرنا اولا ان كل ما يؤدى الى الحرام حرام فلا يجوز الخلوة بالمراة الاجنبية ولا تجوز معانقة المراة الاجنبية ولا تقبيلها ولا النوم معها فى فراش ولا النظر الى عورتها او التلصص عليها وتتبع خطواتها لان هذا كله يشغل القلب ويوجد الهواجس فى النفس والتفكير فى العمل الغير لائق ويشغل بال الانسان لهذا حددت الشريعة ما يجب عليك ان تفعله قال الله « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم] وقال « واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين وقال واذكر ربك اذا نسيت » فالواجب على الانسان العاقل أن يضع نصب عينيه مصلحته وأسباب رقيه ونجاحه وفلاحه وصلاحه ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه .

هذا يا أخى هو الواجب عليك ان تسلكه فى حياتك لتفوز برضوان الله وتسعد فى دنياك وتتبوأ منازل الصالحين وتسهم فى تقدم امتك ورقيها وعليك أن تلجأ الى الالعاب الرياضية المسلية لشغل وقت فراغك وان تحاول ان تقرأ كثيرا فى القرآن الكريم وكتب العلم النافعة وان تبتعد عن قراءة المجلات المصورة التى بها الصور المحركة للغرائز المهيجة للعواطف وان يبتعد الانسان عن دخول الافلام المثيرة التى تعتمد اساسا على اثارة الغرائز وان يتجنب الوقوف على النواصى لمتابعة الغاديات الرائحـات لان النظر سهم من سهام ابليس والاستمناء باليد معصية احدثها الشيطان واجراها بين الناس ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها .

فيا شباب .. خذوا حذركم واستقيموا على أمر ربكم وتعلموا من هدى نبيكم واعلموا ان الشب الذى يجاهد نفسه ويتغلب على هواه ويبتعد عن المعاصى يعيش بين الناس محبوبا وله عند الله مكانه بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل — وشاب نشأ فى عبادة الله — ورجل قلبه معلق بالمساجد — ورجل دعته امراه ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله — ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه — ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه — ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع — اذا كانت هذه منزلة الشاب التقى الخائف من ربه المراقب له فى سره وعلانيته فان المجتمع الان ينظر الى الشاب المنطوى على نفسه فيبغضه ويزدريه ولا يكون له مكان بين الجلسـاء ومن هنا يقضى الانسان على نفسه ويقتل نفسه بفعلته — اما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والمكانة المحمودة بين الناس ..

فاحذروا يا شباب انصار الشيطان واعوانه الذين يزينون الفعلة الشنيعة ويروجون سوء الاخلاق وينشرون السموم فى المجتمعات كونوا منهم على حذر ولا تنزلقوا وما فعلتموه فى الماضى فان باب الله مفتوح ويده مبسوطة اليكم من أقبل عليه منكم تلقاه من بعيد ومن أعرض عنه ناداه من قريب ومن ناداه فى أى ساعة لباه ومن استغفر من ذنبه غفر له فلا تخافوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين واسمعوا معى الى قول الحق « يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم وأسلموا له] — يا شباب هدانا الله واياكم الى الخير وفتح لنا ولكم ابواب القبول ورزقنا واياكم التوبة النصوح .

علينــا أن نضــحى بالاثرة والأنانية ونحن نذبح الأضــحية

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر ما أدى الحجاج شعائر الله مصحوبة بتقوى القلوب والخشية من علام الغيوب الله أكبر ما جارت ألسنتهم وفاضت قلوبهم بالخوف والرجاء وهتفوا بالعشى والاسحار لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك « الهى يا أكبر من كل كبير ويا أقدر من كل قدير ويا نعم المولى ويا نعم النصير ويا من لك الخلق والتدبير واليك المرجع والمصير لقد غالبنا الشوق ونازعنا الحنين الى بلدك الامين وأداء ركنك المكين فادعنا الى بيتك الكريم ومن علينا بزيارة قبر حبيبك الصادق الامين ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ، الحمد لله معيد السرور على أهل الاسلام وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له أنعم على عباده بنعم لا تحصى ولا تعد فقال جل جلاله « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله القائل « ان لله فى أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها » ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

اما بعد

فاننا نعيش فى يوم من أيام الاسلام الغراء انه يوم عيد الاضــحى المبارك عيد التضحية والفداء والبر والوفاء واننى انتهز هذه الفرصة لاهنىء العالم الاسلامى بهذا العيد السعيد واسال الله عز وجل أن يعيده علينا وقد تطهرت أرضنا وعاد المسجد الاقصى مسرى رسول الله الى ابناء الاسلام و أتباع سيد الخلق عليه الصلاة والسلام منذ فجر يوم عرفات والكون كله يهتف بنشيد حبيب الله أكبر الله اكبر لا اله الا الله الله اكبر الله أكبر ولله الحمد وان لهذا النشيد قصة تمت فصولها مع أبى الانبياء الخليل ابراهيم وولده اسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقد رأى الخليل ابراهيم فى منامه ثلاث ليال متواليات أنه يؤمر بذبح ولده ورؤيا الانبياء حق لقوله عليه الصلاة والسلام « **انا معشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا** » فاذا نامت عين النبى فان قلبه يقظان ولذا فان الخليل عليه السلام عرض الامر على ابنه ليكون اهون على نفسه وليشاركه فى ثواب الله عز وجل ورضوانه فقال يا بنى نداء الشفقة والرحمة يا بنى نداء الابوة الرحيمة انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، فلماذا قال الابن ؟ انه استسلم لقضاء الله وقدره بل انه امتثل لامر الله وانتقل من الامتثال الى أمر والده بالتنفيذ فقال « يا أبت افعل ما تؤمر » وكأنه يقول له ليس هذا مناما يا أبتى لانك لا تنام فان الذى أرسلك هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ولا غرابة فى ذلك ولا عجب فاسماعيل هو جد رحمة العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخذ الخليل ابنه ليذبحه وجعل يضع السكين على حلقه فلا تقطع فيضعها على الحجر فتقطع فوقع فى حيرة وهنا ضجت ملائكة السماء الى ربها بالدعاء وقالت يا ربنا ارحم هذا الشيخ الكبير وافد هــذا الغلام الصغير فانت بعبادك اللطيف الخبير فاستجاب الله الدعاء وفدى اسماعيل بذبح عظيم رآه الخليل أمامه فخضب الارض بدمه وصدق الله العظيم « **فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين** » لم كان هذا الابتلاء ؟

أغلب الظن أن الناس منذ القدم كانوا يتقربون الى الله والى الالهة بدم البشر فكان فداء اسماعيل ثم فداء عبد الله والد النبى بعد ذلك ايذانا بانقضاء هذه العادة واشارة الى أن التقرب الى الله انما يكون بدم الحيوان لا بدم الانسان وقيل فى أسباب هذا الابتلاء أن اسماعيل عليه السلام كان من أحب الناس الى والده ابراهيم خليل الرحمن ومنصب الخلة منصب عظيم فأراد الحق تبارك وتعالى أن يكون حب ابراهيم له خالصا فقال له ابراهيم اذبح ولدك فى مرضاتى فلما شمر وأخذ السكين ليذبحه وقال اللهم تقبله منى فى مرضاتك ولما علم الله عز وجل صدق نيته وثبت له كمال محبته اوحى اليه يا ابراهيم لم يكن المراد ذبح الولد وانما كان المراد **أن ترد قلبك الينا فلما رددت قلبك بكليته الينا رددنا اليك ولدك يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين** ، وسل نفسك يا أخا الاسلام لو أن اسماعيل ذبح ونفذ فيه القضاء فمن أين كان ينبثق نور سيد الكائنات وافضل المخلوقات ولذا كانت الاضحية أنصع دليل على محبة المسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم **وعندما نضحى فى هذا اليوم المبارك ينبغى أن نذبح الاثرة والانانية والحقد والعداوة والبغضاء ولنعلم ان الاضحية فى هذا اليوم المبارك من أقرب القربات الى الله عز وجل وقد روت كتب السنة المطهرة عن عائشه رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما عمل ابن آدم يوم النحر من عمل أحب الى الله تعالى من هراقة دم ثم قال وانها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وان الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل ان يقع على الارض فطيبوا بها نفسا ••**

وبعد فان هذا يوم عيد سعيد فعلينا ألا ننسى فى هذا اليوم الاغر جنودنا الذين رفعوا بالعز رؤوسنا والذين يترقبون اللحظة الحاسمة لكى يطهروا بقية ارضنا من قتلة الانبياء وهنيئا لكل جندى رابط فى الميدان فهو فى عيد دائم وصدق رسول الله حين قال « **عينان لا تمسهما النــار عين بــكت من خشية الله وعين باتت** »

البقيــة ص ١٠٢

زيارة الحرم النبوى

ان من أعظم نعم الله على الانسان أن يوفقه الله تعالى لحج بيته الحرام وأن يحرص بعد ذلك على زيارة الرسول الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم فقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى .

وانما شرع السفر والانتقال وشد الرحال الى هذه المساجد الثلاثة خاصة لما لها من فضائل وخصائص ومميزات لم تتحقق فى غيرها من المساجد روى الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ـ صلاة فى مسجدى افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحــرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه .

وفى رواية عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «**من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق** » .

وحقا أن الرحلة الى زيارة الحرم النبوى الشريف رحلة مباركة ميمونة تذكر الانسان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعهد السلف الصالح ويطلع الزائر على اماكن مقدسة وآثار مباركة وبقاع طاهرة ضمت جسد أشرف الخلق وحفظت فى بطونها أئمة الهدى من أعلام الصحابة والتابعين .

فاذا وصلت الى المدينة المنورة وشاهدت أنوارها وبساتينها فاكثر من الصلاة والسلام على ساكنها عليه افضل الصلاة والتسليم وأعلم ان المدينة المنورة هى خير المدن واطهر بقاع الارض روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الايمان ليأرز الى **المدينة كما تأرز الحية الى جحرها** » .

وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم « **المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام** » .

واذا دخلت المسجد الشريف فابدأ بصلاة ركعتين تحية المسجد فى الروضة الشريفة فيما بين القبر والمنبر جاء فى الحديث الشريف « **ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة** » وعندما تفرغ من صلاتك فانهض لزيارة قبر نبى الرحمة وهادى الامة ومن بلغ الرسالة وأدى الامانة وأصلح حياة الفرد والجماعة وأنقذ الناس من الضلالة والفتن وألف بين القلوب وقرب بين الشعوب حيث نزل عليه قوله تعالى « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » ومن كان شعاره صلوات الله وسلامه عليه المساواة بين الاغنياء والفقراء وبين الاقوياء والضعفاء وصدق الله تعالى «**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » .

ان لحظة الامتثال والوقوف امام الحجرة النبوية الشريفة من أسعد اللحظات وافضل الغايات حيث يحظى الزائر بالشفاعة والكرامة فقد روى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة** » وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم « **لكل نبى دعوة مستجابة فعجل كل نبى دعوته وانى قد اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة** » .

وعليك أيها الزائر الكريم أن تعتقد فى تلك اللحظة الرهيبة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حى فى قبره حياة برزخية وأنه عليه الصلاة والسلام يسمع كلام من يسلم عليه ويرد عليه السلام فسلم عليه وحيه صلوات الله وسلامه عليه بما هو أهله فقل السلام عليك يا رسول الله ، وتقول السلام عليك يا حبيب الله ، او تقول السلام عليك ياصفوة خلق الله ـ السلام عليك يا خاتم الانبياء والمرسلين وعليك أن تكون متأدبا ومتواضعا واحذر التزاحم مع الزائرين واحذر الجلبة ورفع الصوت .

قصد امير المؤمنين أبو جعفر المنصور احد خلفاء بنى العباس زيارة الحرم النبوى الشريف فلما دخل المسجد أدى التحية ثم جلس فى درس الامام مالك بن انس رضى الله عنه وطفق يسأله ويناقشه ويجادله حتى ارتفع صوت الخليفة بجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصحه الامام فقال يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك بجوار رسول الله فان الله تعالى أدب اقواما فقال «**يا أيها الذين امنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** » .

وامتدح اقواما فقال «**ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** » .

وذم اقواما فقال «**ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** » ثم قال له ان حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وكان من أدب الخليفة انه عمل بنصح الامام فخفض من صوته امتثالا واحتراما لسيد الخلق وصفوة الانام .

تلك لمحة من أدب زيارة الحاج للروضة الشريفة جعلنا الله من زائرى الرسول ومن وفد بيته الكريم حتى تحظى بالقرب والشفاعة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الفتاح مصطفى
رئيس اتحاد علماء المساجد

المحصر والآمن المتمتع

يقول الله تعالى « واتموا الحج والعمرة لله . فان أحصرتم فما استيسر من الهدى . ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله . فمن كان منكم مريضا ، أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك .

فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج ، فما استيسر من الهدى . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج ، وسبعة اذا رجعتم . تلك عشرة كاملة .

ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام . واتقوا الله . واعلموا ان الله شديد العقاب ، « البقرة ١٩٦ » لاحظ أولا : أننا نفسر القرآن بالقرآن . وآراء الائمة نحترمها لقاعدة الاستنباط .

المعنى الاجمالى :

أئتوا بالحج وبالعمرة لوجه الله تعالى ، لا للرياء ولا للسمعة ، ولا لاصنام تعبد من دون الله كما كان الحال قبل الاسلام . اذا ذهبت ناويا الحج والعمرة معا . أو الحج وحده . أو العمرة ، فحبسك عدو ، ومنعك عن الوصول الى مكة لتلحق يوم عرفة . فالحكم الشرعى ان تذبح هديا . « من الابل او البقر أو الغنم » في المكان الذي أحصرت فيه ولا يحل للمحصر أن يحلق رأسه في مكان الاحصار . الا بعد ذبح الهدى ان وجده فمن لم يجده وقت الاحصار وكان به مرض ، او أذى فى الرأس من القمل وغيره فليصم أو يتصدق أو يكثر من ذكر الله « هذا معنى النسك . ولو فسرناه بشاة لدخل تحت كلمة « صدقة . أو تحت ما استيسر من الهدى » ثم يخرج من احرامه كما يخرج المصلى من الصلاة . واذا ما ذبح ما استيسر من الهدى فى مكان الاحصار ان كان قادرا كتب الله له الحجة والعمرة ، واسقط عنه فرضيتهما اذا كان ناويا لهما . وكتب الله له الحجة واسقط فرض الحج عنه اذا كان ناويا للحج . وكتب الله له العمرة اذا كان ناويا العمرة ، واسقط عنه فرضها على رأى من قال بفرضيتها من العلماء . هذا حكم المحصر .

اما حكم الامن فان من نوى عمرة ونوى حجا فى سنة واحدة وموطنه ليس أرض الحرم فعليه لكى ينال ثواب العمرة والحج معا ، ما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد هديا فى أرض الحرم فليصم ثلاثة أيام فى أرض الحرم ، وسبعة اذا رجع الى موطنه .

الشرح والبيان

١ ـ الحج والعمرة فى الحكم الشرعى

اتفق العلماء على أن الحج فرض لازم . واختلفوا فى العمرة هى فرض أم لا ؟

وليس فى الاية هذه دليل على فرضية العمرة عند من يقول بذلك ونحن منهم . فان الله تعالى لما فرض الصلاة والزكاة والحج قال لابتداء الفرضية « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »وقال « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » قال عن الحج ، ولم يقل عن العمرة ، ولما ذكر العمرة امر باتمامها ولم يأمر بها ابتداء . وفرق بين الابتداء والاتمام كالفرق بين الفرض الذى ألزم به الله الناس . والفرض الذى اوجبوه على انفسهم بالنذر . فمن فعل فرضا فرضه الله أو فرضا فرضه الانسان على نفسه فلابد من الاتمام وعلى ذلك فان « وأتموا » تعنى اذا شرع الانسان فى عمل شيء أن يتمه ولا يقطعه . ولا تعنى الالزام بالعمرة . ولان الله قال « الحج أشهر معلومات » ولم يبين للعمرة زمنا . ومن قرأ من القراء برفع « العمرة » أخرج العمرة من الوجوب . وهى قراءة تشهد لنا ، الا أننا لا نسيغها لانها ستخرج الحج عن كونه لله ، لا على نحو ما كانت العرب تقصده من الاجتماع والتظاهر والتفاضل والتناهر ، وقضاء الحاجة وحضور الأسواق .

٢ ـ مناسك الحج والعمرة

على من يقصد مكة أن ينوى ، والنية هى الاحرام ، ينوى عمرة وحجا أو عمرة فقط أوحجافقط فى مكان يعرفه الحاج ، وهو فى طريقه الى مكة ، ومكان احرامنا نحن المصريين هو المكان المعروف ب « رابغ » ويكون الاحرام ناقصا اذا أخره الحج عن مكانه ولكن له أن يقدمه عليه ولو من بيته فى بلده ٠ وزمان الاحرام فى الحج : شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة باتفاق العلماء واتفقوا على أن الحج لا يصح الا فى هذه الاشهر ولو تم فى غيرها لا يصح ، وقالوا بجواز العمرة فى اى وقت من اوقات السنة ٠

اذوا نوى فانه « لارفث ، ولافسوق ، ولاجدال فى الحج » والرفث : هو الجماع ، والفسوق : المعاصى ، والجدال هو الخصام واذا نوى « لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ، ليذوق وبال أمره » ٠

واذا نوى العمرة مع الحج فى سنة واحدة فانه بعد النية يطوف بالكعبة ، ويسعى بين الصفا والمروة ـ على رأى من يقول بوجوب السعى ـ وللحاج بعد ان يتم سعيه بين الصفا والمروة أن يبقى محرما ، حتى يخرج الى عرفة ، أو يتحلل من احرامه بالحلق او التقصير ، كما نقول فى تمام الصلاة : السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ٠ وبهذا تمت مناسك العمرة ١٠ ـ نية ٢ ـ طواف ٣ ـ سعى بين الصفا والمروة ٠ ثم يذبح ، هدى التمتع ، ويجوز له أن يذبحه بمجرد تحلله ، ولا يجب تاخيره الى يوم النحر ، كما لا يجب أن يكون ذبحه فى « منى » انما لابد وأن يكون فى أرض الحرم ٠ لان الاية نصت على من لم يجد ان يصوم فى أرض الحرم ثلاثة أيام ٠

اما مناسك الحج بعد اتمام مناسك العمرة فهى : الوقوف بعرفة فى اليوم التاسع من ذى الحجة من الظهر الى طلوع فجر اليوم العاشر ٠ واذا اتم الحاج الوقوف بعرفة اتجه الى المزدلفة ، وهى المذكورة فى القران باسم « المشعر الحرام » ويصبح فى منى فى اليوم العاشر ، يوم النحر ويطوف بالبيت ٠ وقد أجمع العلماء انه ليس على المعتمر الا الطواف بالبيت حال قدومه الى مكة ، واجمعوا أن من تمتع بالعمرة الى الحج أن عليه طوافين طوافا للعمرة ، وطوافا للحج يوم النحر ٠

والدليل على فرض الطواف « وليطوفوا بالبيت العتيق »

وحكم السعى بين الصفا والمروة مذكور فى قوله تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله ٠ فمن حج البيت او اعتمر ، فلا جناح عليه ان يطوف بهما » الحكم للتخيير ، لا للزوم ٠ والجمهور على أن السعى من أفعال الحج ، لانها صفة فعله صلى الله عليه وسلم ٠ وللخيرية الموجودة فى النص ٠ وحكم الوقوف بعرفة مذكور فى قوله تعالى « فاذا افضتم من عرفات » واتفق العلماء على أن من فاته الوقوف بعرفة فعليه حج قابل ٠

وحكم « ذكر الله » فى المزدلفة مذكور فى قوله تعالى « فاذكروا الله عند المشعر الحرام » اى المزدلفة ٠ واختلف العلماء هل المبيت بها من سنن الحج ، والوقوف بها بعد صلاة الصبح من سنن الحج او من فروضه ؟ انظر بداية المجتهد لابن رشد ، وتفسير القرطبى والكشاف والاسلام عقيدة وشريعة

٣ ـ الاحصار

هو الاحصار بالعدو ، لا بالمرض لقوله تعالى فى الاية « فمن كان منكم مريضا او به أذى من راسه » ولان الله يقول « فاذا أمنتم » وهذا يدل على الخوف من العدو ولان المريض ليس عليه حج ولا عمرة اذا مرض فانه يرجع الى أهله حتى يصح من عام آخر للحج ٠ وقال قوم : الاحصار اما بالعدو أو بالمرض ولا حجة لهم ظاهرة ٠ وجمهور العلماء على أن المحصر بالعدو يحل حيث أحصر ، وينحر هدية اذا كان معه هدى ويحلق رأسه ، ولا حجة فى قوله تعالى « هم الذين كفروا ، وصدوكم عن المسجد الحرام ، والهدى معكوفا ان يبلغ محله » للذين يوجبون الهدى أن يذبح فى مكة ٠ لان الاية فى وقت الامن ، لا فى وقت الاضطرار ٠ وقد كان لولا الاحصار معد لان يبلغ محله ٠

وكان ابن القاسم من المالكية يقول : ليس على من صد عن البيت فى حج أو عمرة هدى ٠ الا ان يكون ساقه معه ، وهو قول مالك ٠ وهذا القول ضعيف لان مقتضى « فان أحصرتم فما استيسر من الهدى » يدل على ذبح الهدى سواء كان معه ابتداء او هو قادر على الاتيان به ٠ وعن الشافعى : اذا بحث عن الهدى فلم يقدر عليه أنه يحل من احرامه ، ويهدى اذا قدر عليه ٠

وهل على المحصر اعادة أم لا ؟ قولان ٠ والاصح : ان لا اعادة عليه لظاهر الاية فانه استبدل مناسك الحج بما استيسر من الهدى ٠
والعدول الحاصر ٠ لا يخلو أن يتيقن بقاؤه واستيطانه لقوته وكثرته اولا ٠ فان كان الاول حل المحصر مكانه من ساعته ٠ وان كان الثانى وهو مما يرجى زواله فهذا لا يكون محصورا حتى يبقى بينه وبين الحج مقدار ما يعلم أنه ان زال العدو لا يدرك فيه الحج ٠

٤ ـ عشرة كاملة

قال ثلاثة ثم قال سبعة ٠ والمعلوم أن جملة الثلاثة والسبعة : عشرة ٠ فلم قال الله « عشرة » ؟
قال ذلك للتاكيد ٠ كما تقول : كتبت بيدى ٠ ومنه قول الشاعر

ثلاث ٠ واثنتان فهن خمس
وسادسة تميل الى شمامى

ومثله قول الاخر :

ثلاث بالغداة ، فذاك حسبى
وست حين يدركنى العشاء

فذلك تسعة فى اليوم ريى
وشرب المرء فوق الرى داء

وقوله « كاملة » تاكيد آخر · فيه زيادة توصية بصيامها ، والا ينقص من عددها · كما تقول لمن تامره بأمر ذى بال : الله · الله · لا تقصر · أو قال الله ذلك لان العادة جارية « فى كل حساب أن يعلم العدد جملة ، كما علم تفصيلا ، ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم » ·

٥ ـ حاضرى المسجد الحرام

هم سكان مكة فقط فى راى الثورى ، وهم يستطيعون فى اى وقت أن يعملوا عمرة وفى أشهر الحج يحجون · فلذلك يختلف حكمهم عن حكم الغريب عن أرض الحرم لمشقة السفر من جهة ، ولكثرة النفقات من جهة اخرى فالغريب اذا أدى العمرة مع الحج يقدم هديا · اما حاضرى المسجد الحرام فليس عليهم الهدى ، وعليهم عمرة وحجة ، فى وقتين مختلفين ·

٦ ـ الاستثناء ليس نسخا

يرى ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فى كتابه « الناسخ والمنسوخ » أن قوله تعالى « ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله » الاية · نسخت بالاستثناء بقوله تعالى « فمن كان منكم مريضا ، او به اذى من رأسه ، ففدية من صيام او صدقة أو نسك » الاية · وقوله مردود · فان الاستثناء ليس نسخا ، وازالة للحكم الاول · وانما هو تبيان لحكم جديد · لا تحلقوا رءوسكم ان كنتم اصحاء حتى يبلغ الهدى محله · هذا حكم الاصحاء · فمن كان منكم مريضا ·· الخ هذا حكم المرضى · فالحكمان مختلفان · ولا ينسخ واحد منهما الاخر ·

ـ هل حلق الراس من مناسك الحج ؟

بينا أن المحصر بالعدو لا يحلق رأسه ، حتى يذبح الهدى ، فان كان به مرض قبل أن يعثر على الهدى فى مكان الاحصار فعليه فدية من صيام او صدقة أو نسك · واذا ما عثر على الهدى ذبحه · وهنا نبين : هل للامن ان يحلق الرأس بعد اتمام مناسك الحج والعمرة فرضا لازما ؟ انه لابد من حلق الراس لانه من مناسك الحج التى صرحت بها الاية الكريمة · فانه اذا كان المحصر عليه حلق · فالامن من باب اولى يكون عليه حلق · ولو لم يكن الحلق من المناسك للامن ما أمر به المحصر · يقول ابن رشد « واختلفوا فى حلق الراس · هل هو من مناسك الحج ، أو هو مما يتحلل به منه ؟ ولا خلاف بين الجمهور فى أنه من أعمال الحج ·· واختلفوا هل هو نسك يجب على الحاج والمعتمر أو لا ؟ فقال مالك : الحلاق نسك للحج وللمعتمر ·· الخ » وانى لاعجب من خلافهم والاية واضحة فى بيان المراد ·

٨ ـ ذبح الهدى من شعائر الله

ولقد بينا من قبل أن من أراد عمل عمرة وحج فى سنة واحدة لغير ساكن مكة أن يذبح هديا وذلك فرض بنص الاية · · فهل لمن يريد حجا فقط ذبح هدى على سبيل الوجوب ؟ قال العلماء ليس الهدى على الوجوب وانما هو من شعائر الله لقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله · ولا الشهر الحرام ولا الهدى ·· الخ » «المائدة» وقوله تعالى « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير · فاذكروا اسم الله عليها صواف · فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر » «الحج ٣٦» وقد كان يمكن القول بالوجوب لصيغة الامر الواضحة فى « اذكروا اسم الله عليها ـ كلوا منها واطعموا » وصيغة الامر لا تختلف عن « اذن فى الناس بالحج ـ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها ، واطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » ولان الله تعالى جعل لكل أمة منسكا « ولكل امة جعلنا منسكا ، ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام » ولان الله تعالى يقول عنا الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته « والهدى معكوفا ان يبلغ محله » فلو لم يكن الهدى من المناسك الملزمة لما ساقه الرسول والصحابة امامهم · ولكننا لا نرى الوجوب لان الاية التى معنا تبين حال الاحصار « ما استيسر من الهدى » فلو كان سوق الهدى فرضا لقال ما مع كل واحد منكم من الهدى او شبه ذلك القول · ويمكن ان يجاب على ذلك بانه اذا كان فى الاحصار « ما استيسر من الهدى » فان فى الامن ما كبر منه وهو « البدن » اى الابل والبقر وفى قوله والغنم ونقول ذلك مقبول ، ولكن ذبح الهدى لمن ؟ أليس للبائس الفقير ؟ سواء كان البائس الفقير من أرض الحرم أو وافد عليها اذا ليس الحكم للجميع وسوق الرسول والصحابة للهدى يحتمل أن كان مع الاكثرية لا مع الكل مع القادرين ، لا مع الفقراء · وعلى ذلك فالاغنياء ينبغى أن يذبحوا هديا لما فيه من الخير ، وتعظيم لحرمات الله · وأن يطعموا البائس الفقير · والله أعلم ·

أحمد حجازى السقا
من وعاظ الازهر

أحب أيام الله

ان الله تبارك وتعالى فضل بعض الازمنة على بعض . حتى يعرف الناس أن لهذه الازمنة مكانا ساميا عنده سبحانه . فيتسابقون فى الخيرات وفعل الطاعات وعمل الصالحات . ومن رحمة الله تعالى بالانسانية أن جعل لهم العمل الصالح فى الايام العشر من ذى الحجة أحب الى الله تعالى من بقية العام . وذلك لتنزل الرحمات على عباده . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال .قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الايام . يعنى أيام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال . ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء . رواه البخارى .

فالعمل الصالح فى هذه الايام افضل الاعمال . والحسنة بعشر أمثالها وقد تزيد الى سبعين أو سبعمائة وعند الله مغانم كثيرة . ذلك فضل الله يؤتيه . والله ذو الفضل العظيم .. وذلك لان فيها يوم عرفة الذى يتجلى الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة .

وهو بحق أشرف أيام الدنيا وأفضل يوم خلقه الله عز وجل فيه خير كثير ونفع جليل وفيه تنقية الروح وصفاء النفس وطهارة البدن يتقبل الله فى هذا اليوم الدعوات ويزيد من الاجر والثواب ويكفر خطاياهم ويحط عنهم ذنوبهم قال صلى الله عليه وسلم « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة » وان الله سبحانه وتعالى يباهى بأهل عرفات أهل السماء فيقول يا ملائكتى أنظروا الى عبادى جاءونى شعثا غبرا . اشهدوا أنى قد غفرت لهم .. يوم عرفة .. وما أدراكم ما يوم عرفة . انه ذات يوم عظيم عند الله ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر وأذل وأحقر واغيظ منه فى هذا اليوم . وذلك لما يرى من تنزل الرحمات . ففى موطأ مالك عن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما رؤى الشيطان يوما فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة . وما ذاك الا لما رأى تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام وروى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال « عليكم بصوم أيام العشر واختار الدعاء والاستغفار والصدقة فيها فانى سمعت نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الويل لمن حرم خير أيام العشر . عليكم بصوم التاسع خاصة لان فيه من الخيرات أكثر من أن يحصيها العادون ...

هذه الايام الجميلة ما أحسن المؤمن لو تسابق فيها بالخيرات وسارع الى الطاعات . وخاصة فى يوم عرفة الاغر الذى يباهى فيه الله ملائكته بعباده الذين اجتمعوا فيه يرجون رحمته ويطلبون احسانه . فيقول الله تعالى « **يا ملائكتى وسكان سماواتى اما ترون الى عبادى اتونى من كل فج عميق شعثا غبرا قد أنفقوا الاموال وأتعبوا الابدان ...**

فوعزتى وجلالى وكرمى لاهبن مسيئهم بمحسنهم ولاخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم ..

نعم ان هذا اليوم يذكرنا بنعمة الاسلام علينا فلقد توجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى عرفة ونظر الى الحجيج فاطمأنت نفسه صلوات الله وسلامه عليه لتبليغه الرسالة ولكن تاقت نفسه الشريفة الى جوار خير من هذا الجوار . فخطب خطبة ودع فيها المسلمين ابان فيها الدين كله وقدم لهم ما يشبه العزاء فيه فقال عليه السلام :

« أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فانى لا أدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .. أيها الناس ان دماءكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . فانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وبعد انتهاء اليوم وراح المسلمون يتمون نسكهم وقد تعلقت أبصارهم بنبيهم صلوات الله عليه وهو راكب ناقته العضباء يأخذ بزمامها امرأة مسلمة من فضليات الانصار كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم يقال لها اسماء بنت يزيد بن السكن . وما راع المرأة ومن قاربها من المسلمين الا الناقة التى تحمل رسول الله تقف فى مكانها كالمشنوقة يكاد يسمع من أقدامها صوت عظمها وأسجدت رأسها فى اعياء ويكاد عنقها يندق من أثر حمل ناء بها .

واذا رسول الله فوقها قد غطى وجهه ورحم الناقة فنزل عنها . انه فى تلك اللحظة يتلقى صلوات الله وسلامه عليه وحى السماء من جبريل . وبلغه ربه بالقول الثقيل . وما هى الا لحظات وجيزة حتى سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومسح عن وجهه حبات العرق ثم تلا على الناس ما أنزل عليه حتى بلغ قوله « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .. فلما سمعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى ألقى فى روعه أنه يسمع وحيا فيه نعى المصطفى صلى الله عليه وسلم . ثم بكى رضوان الله عليه ورأى رسول الله دمعه يسيل على خديه . فسأله . ما يبكيك ؟؟ فقال أبكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فأما اذ كمل . فانه لم يكمل شىء الا نقص فقال عليه السلام صدقت .

والفاروق عمر يقصد من هذه العبارة التى قالها نقصان أهل الدين . ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم « **بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء** » ولكن ظل هذا الموقف عالقا بقلب عمر فلا يزال ينظر اليه حتى كان يوم ان صار خليفة للمسلمين ماذا كعب الاحبار وكان لم يزل على يهوديته وظل عليه وقال بحضرته لو أن غير هذه الامة نزلت عليهم هذه الاية لنظروا اليوم الذى انزلت فيه عليهم فاتخذوه عيدا يجتمعون فيه فقال الفاروق عمر قد علمت اليوم الذى أنزلت فيه يوم جمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيدا » .

وواجبنا أن نكثر فى هذه الايام من العمل الصالح والتكبير والتحميد والتهليل عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب اليه منهن من العمل من هذه الايام العشر فاكثروا فيها من التكبير والتحميد والتهليل » ..

« البقية ص ١٥١ »

أمـاكـن مطهـرة

لها ذكـرى عطرة

فضيلة الشيخ الطنطاوى احمد عمر

الحج مؤتمر أسلامى كبير يجتمع فيـه المسلمون كل عام من كل فج عميق على اختلاف ألوانهم والسنتهم وديارهم يجتمعون فى هذه الرحاب المقدسة فى مكة المكرمة ام القرى ليتعارفوا ويأتلفوا ويتشاوروا فى أمور دينهم ودنياهم وليشهدوا منافع لهم دينية ودنيوية يوحدون كلمتهم وينظمون صفوفهم ويتجهون الى هدف واحد هو الامل العذب الذى يراود احلامهم فيعظم سلطانهم وتقوى شوكتهم ويعز جانبهم يجتمعون فى هذه الساحة المطهره فى زى واحد ربهم واحد ودينهم واحد وقبلتهم واحدة شعثا غبرا لا فرق بين ملك وأمير وغنى وفقير وعظيم وبسيط وكبير وصغير الجميع يستظلون بظلال التوحيد الوارفه يهرع المسلمون من كل حدب وصوب من البلاد النائية غير مبالين بما يلقونه من متاعب الاسفار والبعد عن الديار مفارقين الاهل والاوطان تاركين المال والمتاع ساعين الى غرض كريم ومقصد نبيل وأمل حلو منشود هو اقامة صرح من صروح العبادة وأداء ركن من أركان الدين والتمتع بزيارة صفوة الخلـق أجمعين ولسان حالهم يقول :

زر من هـويت وان شطت بك الدار
وحـال من دونه حجب واسـتار

لا يمنعنـك بعـد عـن زيـارته
ان المحب لمن يهـواه زوار

بذلك يدخلون فى زمرة المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فرض عنهم واسبغ عليهم نعمة ظاهرة وباطنة ووعدهم بجنات النعيم مع الصديقين والشهداء الصالحين وحسن اولئك رفيقا فيرجع المسلمون من هذا المؤتمر الاسلامى مرفوعى الرأس موفورى الكرامة ظافرين بالاجر الكبير والثواب العظيم يرجعون وقد خرجـوا مـن ذنوبهم كيـوم ولدتهم امهاتهم روى ان محمـد بـن المنكدر وقف بعرفات ثلاثا وثلاثين مرة ثم قال يارب انى وقفت موقفى هذا ثلاثا وثلاثين مرة فواحدة عن فرضى وواحدة عن فرض ابى وواحدة عن فرض امى وانى قد وهبت الثلاثين لمن وقف بعرفات ولم يتقبل منه فلما اخذته سنة من النوم سمع النداء من قبل العلى الاعلى يقول له يا ابن المنكدر أتمن علينا وتجود على عبادى وانا خالق الجود والكرم فوعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات ذنوبه ولو بلغت عنان السماء . وانى أضع بين يدى الحاج عددا من الاماكن والمشاهد التى ينبغى لمن استنشق عبير مكة ان يزورها ويدعو الله متضرعا عندها حين ذاك يخضر عود أمله فى عفو الله تعالى وتتسع رقعة رجائه فى رحمته

١ ـ **غار حراء** : كهف صغير موحش مظلم فى جبل يقع فى الشمال الشرقى من مكة على بعد ثلاثة أميال منها مشهور بجبل النور منه انبثق فجر الاسلام ومن نافذته اطلت كلمة الحق وظهرت تباشير الدعوة الكريمة

فبددت غياهب الضلال وهزمت جحافل الباطل فلقد كان الرسول يعتكف فيه الايام والليالى ذوات العدد يتعبد ويتأمل ويقلب بصره فيما حوله من مظاهر الكون الدالة على وجود اله قادر ففى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد كان الرسول يقيم فيه بعيدا عن ضوضاء الحياة مكتفيا بالقليل من الزاد يحضره معه او تبعث به اليه زوجته الكريمة السيدة خديجة رضى الله عنها فاذا هل هلال رمضان ثوى ايامه كلها فى هذا الغار وقد اكسبت هذه العبادة وهذه الخلوة والانفراد الرسول صفاء فى النفس ونورا فى البصيرة فكان صلوات الله وسلامه عليه لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فلما بلغ الرسول الاربعين من عمره سنة ٦١٠ من الرسول فى الغار كعادته يتعبد ويتأمل ويفكر وفى ذات ميلاد المسيح وهل هلال رمضان من هذه السنة اعتكف ليلة من ليالى هذا الشهر المبارك وقد غزا النوم عين الرسول وبينما هو مكتحل باثمد الكرى واذا بملك جميل الصورة أشبه بدحية الكلبى بيده صحيفة ينبعث منها النور والضياء يخاطب الرسول قائلا له اقرأ فقال النبى ما أنا بقارىء وتكررت منه هذه القالة ثلاث مرات ثم قال له اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقرا ذلك الرسول وحفظه حفظا لا يعتوره نسيان كأنه نقش على قلبه بعد ذلك تولاه الفزع واحاط به الرعب فاخذ يتلفت يمنة ويسرة فى أرجاء الغار متسائلا نفسه من الذى خاطبنى واقرانى ثم خرج من الغار مسرعا حتى توسط الجبل فسمع صوتا يناديه يا محمد يا أيها النبى انا جبريل وانت رسول رب العالمين الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فزاد رعبه واتسعت سحابة مخاوفه وجعل يدير رأسه محاولا ان يصرف ناظريه عن هذا الشخص الذى يحدثه ولكنه كان يراه ماثلا أمامه اينما ولى وجهه فعاد الرسول الى زوجته خديجة يرجف فؤاده ويتصبب عرقا ويقول زملونى زملونى فلفته السيدة الجليلة خديجة وغطته فلما هدأ روعه قليلا وتقلص عنه ظل الفزع سالته خديجة عن سبب خوفه ومصدر فزعه فحدثها بما رأى فنظرت اليه السيدة الجليلة خديجة نظرة اجلال واكبار وقالت له أبشر يا ابن عمى والذى نفس خديجة بيده انك لنبى هذه الامة والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ومن هذه صفاته وتلك خلاله لابد أن يكون ذا شان عظيم ثم عرضت خديجة شانه على ابن عمها ورقة بن نوفل الذى درس الاديان كلها فقال لها قدوسى قدوسى أى « طاهر طاهر » والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبى هذه الامة فانقلبت خديجة مسرعة الى رسول الله مزف اليه البشرى فوجدته كالمرة الاولى يرتجف فؤاده وقد تصبب العرق من جبينه وهو يقرأ عن ظهر قلب «يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر » الايات فسألته ماذا حدث قال أتانى جبريل فاحفظنى ما قرأت فرأت السيدة خديجة بثاقب فكرها وسداد رأيها ان تجمع بين الرسول وبين ابن عمها ورقة حتى تحيطه علما بما حصل للرسول مباشرة وفعلا التقى الرسول مع ورقة وقص عليه ما رأى وما سمع فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الامة فقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن وليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فلانصرنك نصرا مؤزرا فقال الرسول او مخرجى هم فقال ورقة نعم لم يأت احد بمثل ما اوتيت الا عودى وقد صدقت نبوءة ورقة فكان الرسول الكريم هو الرحمة المهداة للعالمين وتمت له الغلبة على أعداء الدين ودخل الناس فى دين الله أفواجا ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ٠

٢ ـ غار ثور : فى اعلا جبل ثور بأسفل مكة على بعد ثلاثة اميال منها وارتفاعه نحو ميل والناظر الى هذا الغار لاول وهلة يروعه جلال عجيب ويسيطر على نفسه شعور غريب فهو قبة كبيرة من الصخر مجوفة من الداخل يتسع لاكثر من ثلاثين شخصا بينما غار حراء لا يتسع لاكثر من ثلاثة أشخاص وبابه ضيق لا يستطيع احد ان يدخله الا حبوا وسقفه منخفض لا يزيد ارتفاعه عن متر ونصف وأمام الباب فتحة واسعة تبلغ ضعف فتحة الباب وقد وسعها بعض امراء المسلمين ليدخل منها الضوء وتسهل على الزائر الدخول على أنه كان ينبغى ان يترك على حالته القديمة لكى يكون صورة من الواقع على عهد الرسول وامام الغار وعلى بعد عشرة أمتار توجد صخرة عظيمة مرتفعة يقال انها هى التى كان المشركون يقفون عليها لكى يبحثوا عن الرسول وهو فى طريق هجرته الى المدينة هو وصاحبه الصديق أبو بكر اذ قد مكثا فى هذا الغار ثلاثة أيام فكان الحصن الحصين والمقر الامين الذى استودعته السماء مصير الرسالة المحمدية ومستقبل الدعوة الكريمة فكان ذلك الغار مشرق النور ومصدر الهداية ومنطلق الحضارة الانسانية كان هذا الغار بسمة الرجاء ونفحة الخير ورمز الخلود له فى تاريخ الانسانية ايام ثلاثة فيها كان قلب الكون كله يخفق اشفاقا على مصير الدعوة ونبى الدعوة وصاحبه الامين وكان ضمير الكون قلقا متوجسا على قضية الحق فى هذا الغار انصهر معدن الايمان وصلب عود الدعوة وتنزل غيث السكينة واطمأن قلب الصديق لما قال له الرسول لا تحزن ان الله معنا يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ان لهذا الغار فى القرآن الكريم قصة مجد تتلى ترددها ملايين الشفاه الى أن يرث الله الارض ومن عليها تعلم المسلمين كيف يكون الاعتصام بالله وكيف يكون الانتفاع بثمرات الايمان فى حالك الظلام واحرج الظروف ٠

٣ ـ الدار التى ولد فيها سيد الخلق : محمد بن عبد الله اكرم مخلوق شهده الوجود وانبل شخصية عرفها التاريخ ابن الذبيحين وسليل النبيين مصباح هداية الثقلين ومنار سعادة الدارين المتخير من معدن الحسب الزكى المنيع ودوحة النسب العالى الرفيع الذى قام بابراهيم بنيانه واستوت باسماعيل اركانه واستقرت بقريش اوطانه ووضح فى شيبة الحمد عنوانه ٠ ذلك الموضع المنيف الذى تشرف بامير الانبياء وسيد المرسلين الدرة اليتيمة التى تنفست عنها بطحاء مكة والجوهرة المكنونة التى جاد بها محيط الانام هذه الدار مشهورة عند أهل مكة فى المكان المعروف بسوق الليل فكان نورها اول نور اخترق عين الرسول وترابها اول تراب مس راحتيه وهواؤها اول هواء استنشقته الرئتان

٤ ـ الدار التى ولد فيها الامام على كرم الله وجهه ابن عم الرسول وزوج فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وولد الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وهذه

الدار فى الموضع المقابل للدار التى ولد فيها شفيع الخلق محمد بن عبد الله على بابها حجر مكتوب عليه هذا مولد امير المؤمنين على بن أبى طالب أحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين اشترك فى جمع القرآن الكريم وضحى بنفسه فداء لحياة الرسول فنام مكانه ليلة الهجرة وتسجى ببردته وقد أمره الرسول ان يقيم بمكة بعده اياما ليؤدى عنه الامانات والودائع التى كانت عند الرسول ثم يلحقه باهله وقد فعل ذلك شهد مع الرسول المشاهد كلها قال فيه الرسول هذا سيد العرب فقالت السيدة عائشة رضى الله عنها الست أنت يا رسول الله سيد العرب فقال صلى الله عليه وسلم : انا سيد العالمين وهو سيد العرب وقال على منى وأنا من على ولا غرو فهو صهره تزوج فاطمة فى السنة الثانية من الهجرة وسنها خمس عشرة سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت وقد خطبها قبله أبو بكر وعمر وقد جهزها الرسول بسرير ووسادة من ادم حشوها ليف وقال لعلى اذا أتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك فجاءت فاطمة مع ام أيمن وجلست فى جانب البيت وجلس على فى الجانب الاخر ثم جاء الرسول فقال ههنا اخى على فقالت ام ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك قال الرسول نعم ثم قال لفاطمة أئتينى بماء فأخذه ومج فيه ونضحه بين يديها وعلى رأسها وقال انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم • ولما نزل قوله تعالى « قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى قالوا يا رسول الله من هم قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم فقال صلى الله عليه وسلم على وفاطمة وابناهما • اخرج الترمذى عن حذيفة ان الرسول قال ان هذا ملك لم ينزل الى الارض قط قبل هذه الليلة استاذن ربه ان يسلم على ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة قال الشافعى رضى الله عنه يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن انزله - كفاكم من عظيم القدر انكم •• من لم يصل عليكم لا صلاة له

٥ - دار السيدة خديجة رضى الله عنها هذه السيدة الجليلة البارة التى كانت الدرع الواقى للرسول تصد عنه نائبات الايام واعاصير الزمان تعينه بمالها وتدفئه بعطفها ويجد فى ظلها الظليل برد الراحة ولذة الطمانينة أقام الرسول فى هذه الدار ردحا من الدهر فلم يفارقها حتى هاجر الى المدينة ولدت فيها السيدة خديجة اولادها جميعا وفيها توفيت وهذه الدار بالزقاق المعروف عند أهل مكة بزقاق الحجر ويقال انها أفضل مكان بمكة بعد المسجد الحرام •

٦ - دار ابى بكر الصديق رضى الله عنه صاحب الرسول ورفيقه فى الغار وقد أجمع العلماء على ان أبا بكر أفضل هـذه الامة فقد اخرج الدارقطنى أن ابا جحيفة كان يرى أن عليا أفضل الامة فسمع اقواما يخالفونه فحزن حزنا شديدا فأخذ على بيده وادخله بيته وقال له ما احزنك يا ابا جحيفة فذكر له الخبر فقال له على الا أخبرك بخير هذه الامةقال نعمقال خيرها وافضلها ابو بكر كما أخرج الطبرانى ان أبا بكر اعتق سبعة كلهم يعذبون فى الله فانزل الله فيه قوله «وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى » وهو الذى نزل فى حقه قوله تعالى «ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا »
ذلك كان منكر صحبته كافرا وهذه الدار فى زقاق الحجر على بابها حجر مكتوب عليه هذه دار صاحب الرسول فى الغـار ورفيقه فى الاسفار بها مسجد ويقابلها حجر تتبرك الناس بلمسه لما يقال انه كان يسلم على النبى كلما مر عليه •

٧ - دار الارقم بن ابى الارقم عنـد الصفا كان الرسول يستتر فيها عند بدء الاسلام ويلتقى فيها بالصحابة رضوان الله عليهم للتشاور فى أمور دينهم ودنياهم فيها أسلم حمزة وعمر بن الخطاب ومنها انبثق نور الاسلام وظهرت تباشيره •

فعلى كل حاج ومعتمر ان يتوج رحلته المباركة المرموقة بزيارة هذه الاماكن المشرفة واستنشاق عبير اريجها ما استطاع الى ذلك سبيلا ففى ذلك أكبر عظة وأجل عبرة لذوى الالباب الرشيدة والبصائر المستنيرة والله تعالى ولى التوفيق •

الرياضة فى الإسلام

ان ديننا الحنيف : يحث المسلمين على ممارسة الرياضة بأنواعها المختلفة والمتطورة على مر الدهور والاعصار ، لما لها من أثر عظيم فى بناء الجسم وتقوية العضلات .. وقد أثبت علم الطب الرياضى : « أن التمرينات الرياضية : تزيد افرازات هرمون النمو » وأثبت كذلك ، ان حالات الاكتئاب والتوتر » تقلل من افراز هذا الهرمون » ...

واذا نظرنا الى بعض العبادات : كالصلاة والصيام والحج : وجدناها عبارة عن ألوان من الرياضة الروحية والبدنية ، التى يترتب عليها : صلاح الجسم ، وصفاء الروح ، وسلامة العقل .. ويؤكد علم النفس : « ان هناك صلة كبيره بين العقل والجسم ، فما يؤثر فى الجسم يؤثر فى العقل ، وما يؤثر فى العقل يؤثر فى الجسم ، فلكى يستطيع الانسان القيام بأعباء الحياة : يجب أن يكون قويا فى جسمه : سليما فى بدنه ، ومن الحكم اليونانية : «العقل السليم فى الجسم السليم » .. وقد عنى الاسبرطيون قديما . بالناحية البدنية ، والقوه الجسمية كل العناية قال أحد الحكماء « ان الحياة عدو لا يستطيع التغلب عليه الا من كان قويا فى جسمه شديدا فى بأسه .

وذكر أحد الفلاسفة : أن الاساس الاول للنجاح فى الحياة أن تكون حيوانا قوى الجسم » .. وقد أثنت ابنة شعيب عليه السلام : على نبى الله موسى عليه السلام فقالت لابيها مبدية له اعجابها بقوته وشجاعته ، وأمانته وعفته « **يا ابت استأجره ان خير من إستأجرت القوى الامين** » القصص ٢٦ وفى سورة النمل يعتز جند الملكة بلقيس بقوتهم وشدة بأسهم « **قالوا : نحن أولو قوة واولو باس شديد** » من الاية ٣٣

وقد باشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أنواع الرياضة بنفسه ، وكان من أقوى الناس وأشدهم ، روى ابن هشام فى سيرته قال : حدثنى ابى عن اسحق بن يسار قال : « كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريش ، فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ركانة الا تتقى الله وتقبل ما ادعوك اليه ؟ قال : انى لو أعلم أن الذى تقول حق لاتبعتك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرأيت ان صرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟ قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك ، قال : فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه وهو لايملك من نفسه شيئا ، ثم قال ، عد يامحمد ، فعاد فصرعه ، ثم قال : يا محمد ، والله ان هذا للعجب اتصرعنى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأعجب من ذلك ان شئت أن أريكه : ان اتقيت الله واتبعت أمرى ، قال : ما هو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى ، قال : ادعها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقال لها : ارجعى الى مكانك ، قال : فرجعت الى مكانها .. قال : فذهب ركانة الى قومه فقال : يا بنى عبد مناف : ساحروا بصاحبكم اهل الارض (أى غالبوهم به فى السحر) فوالله ما رايت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع » .. وفى رواية أبى داود ما يفيد بأنه اسلم ، فعن محمد بن على بن ركانة: «ان ركانة هذا صارع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا بمكة ، فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم ركانة بعد ذلك ، وكان من أشد الناس وأقواهم » ..

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، حتى اذا أرهقنى اللحم : سابقنى فسبقنى ، فقال : هذه بتلك » ... وكثيرا ما تسابق الصحابة رضوان الله عليهم امامه على الاقدام ، وهو ما يعرف برياضة الجرى ..

وجاء فى موطأ الامام مالك ما يفيد مشروعية المسابقة بين الخيل ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل (أجرى بنفسه أو أمر أو أباح) التى قد اضمرت (بأن علفت حتى سمنت وقويت ، ثم قلل علفها بقدر القوت وادخلت بيتا وغشيت بالجلال حتى حميت وعرقت ، فاذا جف عرقها : خف لحمها ، وقويت على الجرى ، من الحفياء (مكان خارج المدينة) وكان أمدها (أى غايتها) ثنية الوداع (سميت بذلك لان الخارج من المدينة يمشى معه المودعون اليها .. قال سفيان : بين الحفياء الى ثنية الوداع : خمسة أميال أو ستة) وسابق بين الخيل التى لم يضمد ، من الثنية الى مسجد بنى زريق (بنى زريق ، قبيلة من الانصار ، واضافة مسجد اليهم اضافة تمييز لا ملك) وأن عبد الله بن عمر : كان ممن سابق بها » .. وفيه عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : « ليس برهان الخيل بأس ، اذا دخل فيها محلل ، فان

[البقية ص ٩٩]

منافع

الرحلة الايمانية

فى هذه الايام المباركة يشد المسلمون الرحال لحج بيت الله الحرام وزيارة مسجد نبيه وقبره عليه الصلاة والسلام .. « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله » « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق »

وليتوجهوا الى خالقهم آملين ان تشملهم رحمته ، ويعمهم احسانه ، ولن يخيب الله رجاء من اقبل عليه ، وطلب عفوه ورضوانه : فقد روى جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« هذا البيت دعامة الاسلام ، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله أن قبضه ادخله الجنة وان رده رده بأجر وغنيمة ، ويقول أنس رضى الله عنه

وقف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات ، وقد كادت الشمس ان تغيب فقال :

يابلال انصت لى الناس ، فقال بلال : انصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فانصت الناس .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اتانى جبريل آنفا ، فاقرانى السلام ، واخبرنى بان الله عز وجل غفر لاهل عرفات ، ولاهل المشعر الحرام ، وتلقى عنهم التبعات

فقال عمر : رضى الله عنه :

اهذا لنا خاصة يارسول الله ؟

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« هذا لكم ولمن ياتى من بعدكم الى يوم القيامة »

فقال عمر رضى الله عنه :

« كثر خير الله وطاب » .

ومع سبحات الارواح تهيم بها نفوس المسلمين ، هناك فى ارض الله المقدسة من حاج ومعتمر وزائر ، وهنا فى أشواق النفوس المؤمنة تتابع فى روحانية رحلة الحجيج ، تسبح معهم ارواحنا فى هذه الارض المقدسة ، ومعانيها القدسية التى تفيض منها على قلوب المؤمنين بانوار الايمان .

وفى حكمة الحج يقول الرسول الكريم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه فى الحديث الشريف الذى رواه حنظلة بن أبى سفيان عن عكرمة بن خالد عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه :

« بنى الاسلام على خمس : شهادة الا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

فى هذا الحديث الشريف نرى أن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قد بين لنا ان الحج ركن هام من الاركان التى بنى عليها الاسلام انه الركن الخامس منها والذى يتم به اسلام المسلم اذ به تتم أركان الاسلام : واذن فهو ركن هام من أركانه .

واذا تدبرنا آيات الله البينات التى وردت فى الحج لمسنا عظمة هذه العبادة العظيمة يقول الله سبحانه وتعالى :

« واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » .

نجده سبحانه فى هذه الكلمات المضيئة المباركة يقدم لهذه الفريضة بمقدمة عظيمة اذ يامر خليله بأن يطهر البيت احتفالا بهذه العبادة .

ونراه سبحانه يبين الغرض الاسمى من الحج فيقول جل شانه « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله » .

لقد جمعت هذه الفريضة من المنافع الدنيوية والاخروية ، فمن المنافع الدنيوية اجتماع الناس من كل صوب وحدب على اختلاف السنتهم والوانهم وأوطانهم ليتعارفوا ، ويتعرفوا على المشاكل التى تتعرض لها الامة الاسلامية ، فيحاولوا ايجاد الحلول المناسبة لها ، كذلك ولينهضوا بمجتمعاتهم الى ذروة الرقى والحضارة ، ويسود الاسلام فوق هامات المعاندين والمكابرين ، وليأخذوا العهد على انفسهم ان يعملوا دائما الخير للدين والوطن ، فكان الحج أوسع فرصة تتحقق فيها هذه الغايات ..

ومن فضل الله على الامة الاسلامية ان جعلهم كالجسد الواحد كما قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ولذلك نجد أن صلاة الجماعة تفوق صلاة الواحد بسبع وعشرين درجة ، ثم كانت صلاة الجمعة فى كل أسبوع عيدا للمسلمين لهذا المعنى العظيم أيضا ، وأراد الله جلت قدرته أن يحقق التعاون والتعارف على نطاق اوسع ، ومستوى عال : فكان الحج ذلك المؤتمر الاكبر الذى يتلاقى فيه المسلمون من كل جهة من جهات الدنيا ليتبادلوا الرأى والمشورة فى سياسة الدولة الاسلامية الكبرى بما يكفل اعلاء كلمة الله فى أرجاء الارض .

اما المنافع الاخروية التى يحققها العبد فى هذه الفريضة فهى الفوز بحب الله تعالى ورضوانه حيث يعود المسلم من حجه وقد غفر الله له ذنوبه ورضى عنه مصداقا لقول سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام

« من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع من ذنوبه

كيوم ولدته أمه ، ولقوله صلوات الله وسلامه عليه :
« العمرة الى العمرة كفارة لما بينها : والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

كما يبين الرسول الكريم أن الله سبحانه وتعالى يستجيب لهؤلاء الوافدين على بلده الحرام فيقول صلوات الله وسلامه عليه « الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه لباهم ، وان استغفروه ، غفر لهم » .

وروى جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا البيت دعامة الاسلام ، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر ، كان مضمونا على الله ، ان قبضه ، أدخله الجنة : وان رده ، رده باجر وغنيمة » .

ثم يحسب الانسان ان يتواجد فى بلد الله الذى عظمه الله واقسم به فى كتابه حيث قال

« وهذا البلد الامين » انها مكة التى كانت نقطة بداية الحياة على وجه الارض والتى كرمها الله سبحانه فجعل لها حدودا لا يتخطاها الا المحرم ، وحرم الله صيدها وقطع شجرها تعظيما لها .

كما انها شهدت مولد النبى الكريم عليه الصلاة والسلام وهناك سار على ارضها : وعليه فيها نزلت اكرم رسالة وهى رسالة الاسلام السامية ونزل عليه خير كتاب يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين .

وهنا يسعد الانسان باول بيت وضع للناس تحفه البركة ... انه مبارك بنص القرآن الكريم

« ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » .

وهو قبلة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها وحتى يبعث الله الارض ومن عليها ، شرف الله جد نبينا ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل يرفع قواعده وبتطهيره للطائفين والعاكفين والراكعين والساجدين .

ويؤكد القرآن الكريم انه لا قبلة يتوجه المسلمون اليها حيثما كانوا وأينما حلوا غير المسجد الحرام .

« ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام : وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم ، كم فى هذه الرحلة الايمانية المباركة من منافع تحمل السعادة للعبد فى دنياه وأخراه .

محمد لطفى محمد على

بقية مقال « الرياضة فى الاسلام »

سبق : أخذ السبق (أى الرهن الذى يوضع لذلك) وان سبق لم يكن عليه شىء » .

وكان الرمى بالسهام : من الرياضات المحببة اليهم ، المنتشرة بينهم ، عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « واعدوا لهم من استطعتم من قوة » الا ان القوة الرمى ، الا ان القوة الرمى ، الا ان القوة الرمى » رواه مسلم

وقد قال بعض العلماء فى شرح هذا الحديث : « فيه دليل على مشروعية الاشتغال بتعلم آلات الجهاد والتمرن فيها ، والعناية باعدادها ، ليتمرن بذلك الانسان على الجهاد ويتدرب فيه ويروض أعضاءه » وعن عقبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارموا واركبوا ، وان ترموا خير من أن تركبوا » رواه أحمد وأهل السنن .. يعنى أن رمى العدو بما يقتله من سهم أو قذيفة عن بعد : أسلم من مصاولته بسيف أو رمح عن قرب .. وفضل الرمى عظيم ومنفعته كبيرة للمسلمين ، ونكايته شديدة على الكافرين .. عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه أنه قال : « مر النبى صلى الله عليه وسلم بنفر من أسلم : ينتضلون بالسوق أى يترامون بالنبال) فقال : ارموا يا بنى اسماعيل ، فان اباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بنى فلان . فامسك احد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم فقال : ارموا وأنا معكم كلكم وليس أدل على ترغيبهم فى الرمى ، من تذكيرهم : بأنه من خصال أبيهم اسماعيل الذى ينبغى لهم : أن يقتفوا أثره فى أعماله وسلوكه .. وعن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يدخل ثلاثة نفر الجنة بسهم واحد .. صانعه يحتسب فى صنعته الخير والرامى ومنبله » رواه أبو داود والترمذى والنسائى ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل شىء يلهو به الرجل باطل : الارميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، فانه من الحق » فهذه الامور الثلاثة ، وان كان يفعلها الانسان على أن يتلهى بها وينشط فانها حق ، لاتصالها بما قد يفيد .. وقال عليه الصلاة والسلام : « حق الولد على الوالد : أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى » .. وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى عبيدة بن الجراح يقول : « علموا غلمانكم العوم » .

وقد عرف المسلمون الاولون « الثقاف » وهو الملاعبة بالسيف ، واصل المبارزة بالسلاح فى شكلها الحالى ، عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : بينا الحبشة يلعبون عند النبى صلى الله عليه وسلم بحرابهم : دخل عمر رضى الله عنه فأهوى الى الحصباء فحصبهم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعهم يا عمر » .

كما عرفوا « الربع » حمل الاثقال وهو عبارة عن أحجار متفاوتة الثقل ، يتمرن الانسان عليها .. على حملها ، وأول من فكر فى تلك اللعبة جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه ، وكان شهورا بقوته البدنية ..

كما عرفوا « الكرة والصولجان » وهى لعبة البولو الان .. ومارسوا « القفز » وهى لعبة ينصبون فيها عارضه خشبيه ، ويتقافزون عليها ، وهى الوثب العالى ، احدى مسابقات اعمال القوى .

وكان التحطيب محببا اليهم وكان اسمه « اللمحة » .

أما الفروسية والمسابقة بالخيل : رياضه من أهم الرياضات التى تفيد الابدان .. وكان الناشىء عندهم لا يكاد يصل الى الثانية من عمره ، حتى يتحتم عليه ، ان يتعلم ركوب الخيل : ويتدرب على فنون الفروسية ..

تلك هى بعض أنواع الرياضيات التى كانت شائعة فى الصدر الاول للاسلام ، والتى اكسبت الذين كانوا يمارسونها قوة وفتوة ، ونضرة وحيوية .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح
من وعاظ الازهر

أزاهير

ما أروع فريضة الحج

كم هو رائع وبديع ان يقف المسلمون على جبل عرفات وقد ذابت بينهم الفوارق وصفت النفوس والقلوب ، واتجه كل منهم الى بارئه ضارعا ومعاهدا اياه أن تكون هذه بداية لحياة نقية صافية .

ما اشبه الحاج وهو بملابس الاحرام البيضاء الغير مخيطة بالطفل الصغير فى مهده لا يعرف من الحياة الا الطهارة والنقاء ، ولعل هذا هو ما عناه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله « من حجفلم يرفثولم يفسق عاد كيوم ولدته أمه » .

● الحج ليس صكامن صكوك الغفران ■

قد فسر البعض ممن اعماهم الطمع وران على قلوبهم الضلال قول الرسول عليه السلام (من حج فلم يرفث ولم يفسق عاد كيوم ولدته امه) - قد فسروه تفسيرا اغراهم بارتكاب المعاصى اعتمادا على القيام بالحج وتكراره ورجوعهم بعده كيوم ولدتهم أمهاتهم .

لاياسادة .. يامن فهمتم هذا الفهم انكم لمخطئون كل الخطأ ان الحج ليس صكا من صكوك الغفران التى كانت شائعة فى أوروبا فى العصور الوسطى .. ان الاسلام انزه من أن تكون فيه هذه الصورة المقيتة .

ان الحديث النبوى الشريف يتجه الى مسلم عصى ربه ثم استيقظ ضميره ، ورثى لحاله وندم على ما فات من تقصيره فى حق الله فاقلع عن المعاصى ، وعزم على عدم العودة اليها أبدا فابرأ ذمته من حقوق الناس وتاب الى الله توبة نصوحا اقترن فيها العمل بالقول ، والتوبة وحدها كافية لتكفير الذنوب فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له) ومع ذلك وثق توبته وزكاها بالالتجاء الى الله فى بيته الحرام مستغفرا ومتضرعا لا يرفث ولا يفسق مثل هذا الحاج يعود كيوم ولدته أمه .

اما اذا عاد من حجه واتخذ من الحج ستارا لفجوره فانه منافق مفضوح وقد قال فيه سبحانه وتعالى وهو الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون) صدق الله العظيم .

● الحاج التاجر والتاجر الحاج ●

لا باس على الحاج اذا تاجر أثناء حجه أو تكسب من حرفته وصناعته ما دامت نيته الاصلية هى الحج والتكسب تابع له ، وقد روى البخارى - رضى الله عنه - فى صحيحه (الجزء الثانى ص ٢٢٢، ٢٢٣) قال ابن عباس - رضى الله عنهما (ان الناس فى اول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة وسوق ذى المجاز ومواسم الحج ، فخافوا البيع وهم حرم فانزل الله تعالى قوله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم يعنى فى مواسم الحج .

اما ما نراه فى تلك الايام من تلك الظاهرة المؤسفة التي تفشت فى هذه الايام من قيام ما يسمون (تجار الشنطة) بالتجارة تحت ستار الحج فذلك أمر لا يجب أن يكون وسلوك لا يصح ان يصدر من مسلم ملأ الايمان شغاف قلبه .

ياتجار الشنطة ان هناك فرقا كبيرا عند الله بين الحاج التاجر والتاجر الحاج .

● خريطة للاماكن المقدسة من ذهب ●

يروى لنا المؤرخ العظيم المقريزى : ان الخليفة المعز لدين الله الفاطمى أمر بعمل مقطع من الحرير الفاخر منسوج بالذهب وفيه مختلف الالوان وعليه صورة اقاليم الارض وقد تجلت فيها صورة (مكة) و (المدينة) واضحة للناظر . وقد كتبت فى حاشيته العبارة الاتية : (مما أمر بعمله المعز لدين الله الفاطمي شوقا الى حرم الله ، واشهارا لمعالم رسول الله سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة) .

ويقول المقريزى « ان النفقة على هذا المصور الجغرافى بلغت اثنين وعشرين الف دينار) .

● بلاغة عائشة وفقهها

جاء أحد الصحابة الى ام المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - وقال لها « انى لاظن رجلا لو لم يطف بين الصفا والمروة ما ضره ؟) قالت : لم « قال لها : لان الله يقول (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلاجناح عليه ان يطوف بهما) فقالت : ما أتم الله حج امرىء ولا عمرته اذا لم يطف بين الصفا والمروة ولو كان كما تقول لكان : « فلا جناح عليه ان يطوف بهما » وهل تدرى فيم كان ذلك ؟ انما كان ذلك ان الانصار كانوا فى الجاهلية يهلـون لصنمين على شط البحر يقال لهما (اساف) و « نائلة » ، ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلقون فلما جاء الاسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما لما كانوا يصنعون فى الجاهلية فانزل الله قوله (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما) . فطافوا .

ما اعظم فقه السيدة عائشة وبلاغتها وليس هذا بكثير علي من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذا لها فكانت نعم التلميذ الذى حمل من علم استاذه كأروع ما يكون حمل العلم .

● مرفت من شعائر الحج !! ●

من الاسماء اللطيفة التى اعجب بها المصريون واطلقوها على العزيزات من بناتهم اسم (مرفت) .

وهذا الاسم منقول عن اللغة التركية ، ولكنه ليس فى لغتهم أصيل المنبع فما هو الا كلمة عربية اخذها الاتراك فيما أخذوا وحرفوها وفق لهجتهم كما يفعلون بسائر الكلمات الدخيلة عليهم ثم اشاعوها بينهم على الوجه الذى ارتضوه ثم اورثونا اياها على حالها من

[البقية ص ١٥٨]

قـــــرأت لـك

ابن رشـــــيق القـــيروانى وآراؤه البيـــانيـة

حسب ابن رشيق القيروانى أن يكون من آثاره التى وصلت الينا كتاب « العمدة » الذى نقل فيه فن النقد الادبى من المشرق الى المغرب بعد أن كان وقفا على المشارقة لا يشاركهم فيه المغاربة . وقد ظل هذا الكتاب موردا عذبا لا يزال الدارسون ينهلون منه فيما يكتبون عن الشعر ونقده .

تلك حقيقة عبر عنها الاستاذ محمد سلامة يوسف رحمة فى كتابه عن ابن رشيق الذى أصدره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية من خلال فصوله الستة .

وقد عرض الكاتب لعصر ابن رشيق فبين أنه كان معاصرا لدولة بنى زيرى الصنهاجيين الذين خلفوا الفاطميين على المغرب بعد أن انتقلوا الى مصر واتخذوا من القاهرة حاضرة لملكهم ، وقد عاصر ابن رشيق من أمراء هذه الدولة المعز بن باديس واسطة عقد بنى زيرى ، وحظى عنده بمكانة تليق بشخصيته المتعددة الجوانب فهو العالم اللغوى والاديب الناقد والشاعر والراوية .

وكان ابرز ما كشفه الكاتب عن تلك الشخصية المنهج الذى أخذ به نفسه من الامانة العلمية ، ورد الراى الى صاحبه ، والرجوع بالفضل الى ذويه وذكر مصادره التي استقى منها وأخذ عنها ، وتواضعه الجم الخالى من الزهو البرىء من التيه .

وأوضح الكاتب ملامح التأثر لابن رشيق بمن سبقه من اعلام البلاغة والادب مثل الجاحظ وابن قتيبة وقدامة بن جعفر والرمانى وابن المعتز والقاضي الجرجانى ، ولا ينسى الكاتب أن يظهر الاضافة التى يضيفها ابن رشيق على الاثار الادبية والنقدية لمن سبقه دون أن يعمل فيها فكره ، ودون أن يناقشها ، بل كان يناقش ما ينقل ويقبل منها ما يقبل ، ويرفض ما يرفض صادرا فى كل ذلك عن بصر بالنقد وبيان لوجهة نظره ومذهبه فيما يأخذ أو يدع .

ولم ينس الكاتب ان يشير فى كتابه الذى يقع فى ٢٥٤ صفحة الى اخلاق ابن رشيق وصفاته ومنها اخلاده الى الراحة وركونه الى الدعة وايثاره الحياة السهلة على المغامرة والاقدام ومن ثم تراه فى القيروان يعيش فى ظل المعز بن باديس تحت رعاية رئيس ديوانه ابى بن ابى الرجال الذى اهداه كتاب العمدة ثم فى كنف الامير تميم بن المعز فى المهدية بعد سقوط القيروان .

كذلك كان فى علاقاته مع غيره مسالما متجنبا كل ما يغضب الناس و،من ثم نراه يقول فى باب منافع الشعر ومضاره معقبا على قصة سديف حينما طعن فى دولة بنى العباس فكتب المنصور الى عامله على المدينة بأن يدفن هذا الشاعر حيا ففعل . يقول صاحبنا مبينا رايه فيما ينبغى ان يكون عليه الشـاعر وانه طالب فضل . .واحمق الشعراء عندي من ادخل نفسه فى هذا الباب او تعرض له وما للشـاعر والتعرض للحتوف ؟

وقد عبر فى شعره عن نفسه قائلا :

انى لقيت مشقة فابعث الى بشقة
لمثل وجهك حسنا ومثل دينى رقة

هكذا كان ابن رشيق فى ركونه الى الراحة

واخلاده الى الدعة وقعوده عن الاخذ بأسباب الرزق ، وقنوعه بالعيش فى ظل الغير الى ميل الى الدعابة والفكاهة واتيانه بما ينكره الدين ويأباه العرف ويمجه الذوق مع رقة فى الدين وتحلل من قيوده .

وقد عاش ابن رشيق ٧٠ عاما طالت فيها خبرته بالناس وبلاؤه بهم ، اتصل بخدمة الملوك والرؤساء ووصل اسبابه بأسبابهم واصحاب الحظوة عندهم ، ولقى ما لقى من منافسة الشعراء وحقد الحاقدين ومن صروف الدهر ، ومن ألم الغربة والوحدة . ومن ثم نطق لسانه بالحكمة يقول :

من يصحب الناس مطويا على دخل
لا يصحبوه فحلوا كل تدخيل
لا تستطيلوا على ضعفى بقوتكم
ان البعوضة قد تعدو على الفيل

محمود معوض

« علينا ان نضحى بالاثرة والانانية » بقية

تحرس فى سبيل الله » يجب الا ننسى فى هذا اليوم السعيد شهداءنا الذين استأثرت بهم عناية الله وهم الان احياء عند ربهم يرزقون وقد سئل المصطفى صلى الله عليه وسلم « ايفتن الشهيد فى قبره يا رسول الله فقال : كفى ببارقة السيوف فوق راسه فتنة » يجب الا ننسى فى هذا اليوم السعيد يوم عيد الاضحى المبارك ابناء الشهداء وان ندخل السرور على قلوبهم والبهجة على نفوسهم ما استطعنا الى ذلك سبيلا . يجب الا ننسى فى هذا اليوم السعيد الفقراء والبؤساء علينا ان نمسح دموعهم وان نزيل آلامهم وان نتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .. ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والاخرة .. ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والاخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه » اللهم ان احييتنا الى مثل هذه الايام فاحينا على الايمان وان توفيتنا فاقبضنا اليك غير مضيعين ولا مفتونين يارب العالمين ، اللهم اكشف عنا الغمة وانصر القائد والامة واجعل خير ايامنا واسعدها يوم لقائك يا رب العالمين وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

مرتضى محمد متولى
امام وخطيب مسجد الجمعية الشرعية بالحافظية

دعاء

« .. ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا اواخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

التصوّف والفلسفة الإسلامية

الصوفية فى إلهامهم

التوحيد والوسائل والتوسل

الأستاذ: حسن كامل الملطاوى

عقيدة الاسلام تقوم بحمد الله على توحيده سبحانه توحيدا خالصا من الشرك ظاهره وخافيه فهو جل جلاله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وهو مالك الملك ذو الجلال والاكرام ، وهو أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، وكل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك .

وهو سبحانه الواحد الخالق والرازق والمعطى والمانع والنافع والضار والمحيى والمميت فى هذه الدنيا ، وهو الباعث الذى بيده الحساب والثواب والعقاب فى الاخرة ، لانه تعالى مالك الاولى والاخرة وله وحده الحكم فيهما واليه المرجع والمآب ، عز سلطانه ، وجل جلاله ، لا شريك له ، ولا مدبر معه ولا وزير له ، ولا مشير عليه

وفى وصية لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه يابنى اردد رغبتك الى الله ان شاء اعطاك ، وان شاء منعك ، فان حيلتك لن تزيدك ولن تنقصك من قسمة الله التى قسم لك ، واعتبر رزقك بخلقك ، فان استطعت ان تزيد فى خلقك بحيلتك فانك اذن تزيد فى رزقك ، والا فاعلم ان الله هو الذى عدل الخلق وقسم الرزق ، فلن تستطيع أن تزيد فى أحد منهما .

وقد سال بعض اكاسرة الفرس حكيما فى زمانه : ما بالى ارى العاقل محروما والاحمق مرزوقا ، فاجابه ، أراد الصانع بذلك أن يدل على نفسه ، ولو كان كل عاقل مرزوقا وكل أحمق محروما لوقع فى العقول ان العاقل يرزق نفسه والاحمق حرم نفسه ، فلما رأوا الامر بخلاف هذا علموا ان الصانع هو الرازق .

ولنقرأ فى هذا الشأن قوله تعالى فى سورة الروم « الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون » ، ومن مظاهر رأفته ورحمته تعالى بخلقه انه لم يحرم كافرا من رزقه بل أجرى عليه الرزق كما اجراه على المؤمن ، مادام كل منهما على قيد الحياة ، لانه جل شانه لا يضره كفر من كفر ولا ينفعه ايمان من آمن ، ونفع الايمان وضرر الكفر انما يرجع على صاحبه

ولنقرأ ما حكاه تعالى فى سورة البقرة عن سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام «واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير » .

وقد اقام الله تعالى الاسباب بقدرته لتؤتى ثمرتها بحكمته ، فخلق الانسان من الوالدين ، اب وأم ، ولكن أحدنا لا يقول : خلقنى أبى او خلقتنى امى . وان كان سبب الخلقة وواسطتها التى ارادها سبحانه ان تكون فكانت ، وهى تقيدنا باذنه نحن البشر كما شاء ، ولا تقيده هو اذا لم يشأ ، فخلق آدم عليه السلام من تراب من غير اب او أم ، وخلق حواء عليها السلام من ضلع آدم ، ولذلك يحن الذكر للانثى وتحن الانثى للذكر لتعمر الارض ببنى الانسان الى يوم القيامة وخلق

عيسى عليه السلام من أم بلا أب ، خرقا للاسباب الغالبة وسبحان الله الفعال لما يشاء .

وارسل سبحانه رسله الكرام من البشر ولكنه اصطفاهم على غيرهم وجعلهم الداعين اليه باذنه ، فمن شرح الله صدره للاسلام آمن بدعوتهم ، ومن عصاهم ضل وكفر ، وقد ختم الله تعالى الرسالات السماوية بسيدنا ومولانا محمد وهو اعظم الرسل شانا واعمهم رسالة ، وجاء فيما خاطبه به سبحانه قوله الكريم فى سورة الشورى «وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم» اى تهدى باذن الله من شاء الله هدايته . فنسب سبحانه الهدى لرسوله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى «وانك لتهدى الى صراط مستقيم» ، من باب السببية والمسبب هو الله تعالى .

وفى سورة الاحزاب يخاطب الله عز وجل مولانا رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام فيقول له «واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله» ، ومع أن الانعام كله من الله فقد نسب سبحانه الانعام لرسوله صلوات الله وسلامه عليه من باب السببية التى ارادها الله حيث تم اسلام سيدنا زيد بن حارثة رضى الله عنه وكذلك عتقه من الرق وزواجه بالسيدة زينب الاسدية القرشية على يد مولانا رسول الله عليه افضل صلوات الله وسلامه وكل ذلك بمشيئة الله عز وجل .

وفى حين انه تعالى نسب الهدى والانعام لرسوله صلى الله عليه وسلم فى معرض الاسباب ، فقد نفى عنه الهدى فى معرض التوحيد فقال سبحانه فى سورة القصص «انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين» ، وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على اسلام عمه ابى طالب فنزلت الاية

ومما تقدم نرى بوضوح ان التوحيد الخالص يقتضى ان نعتقد ان الله تعالى هو وحده الفعال لما يشاء ، وان الاخذ فى الاسباب لا ينافى التوحيد ، لانه تعالى اقام الاسباب وامر باتخاذها ولكن الذى ينافى التوحيد هو نسبة الثمرات الى الاسباب وحدها دون مشاهدة المسبب لها وهو سبحانه وحده الذى يملك نجاحها او فشلها ، فان نجحت فبقضائه وان فشلت فبقضائه وليس خلاف ما جرى به قضاؤه .

والفاصل بين معرض التوحيد الخالص ومعرض الاسباب واضح كل الوضوح لاهل الايمان الحق الذين ثبتت عقيدتهم على القاعدة القويه الراسخة « ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن » ، كما كان يقول مولانا رسول الله عليه أفضل الصلاة واتم التسليم . فيما رواه عنه انس بن مالك رضى الله عنه حيث قال : خدمته صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط ولا قال لشىء فعلته لم فعلته ولا لشىء تركته لم تركته بل كان يقول لى « ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن » .

ويزيدنا وضوحا قوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : « لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت . ولا ينفع ذا الجد منك الجد » أى من جد فى السعى ووجد منك المنع لم ينفعه جده فى سعيه وحرصه على طلبه . ولذلك علمنا سبحانه ان نعبده ونستعين به فى قوله الكريم فى الفاتحة « اياك نعبد واياك نستعين »

والقرآن الكريم يربينا على مشاهدة المسبب فى نجاح الاسباب او فشلها كقوله تعالى مثلا فى سورة الواقعة « افرايتم ما تحرثون ● أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ● لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ● انا لمغرمون ● بل نحن محرومون ● افرايتم الماء الذى تشربون ● أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون ● لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرايتم النار التى تورون أأنتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون ● نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ● فسبح باسم ربك العظيم

وتدبر كيف من الله على رسوله الاعظم - صلوات الله وسلامه عليه ابد الابدين - فى قوله عز وجل «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى» ، وذلك حين رمى اعداءه بالحصباء فى غزوة بدر وقال عندما رماهم من كفة الشريف : شاهت الوجوه ، فاصابت عيونهم بقدرة الله تعالى وعونه وتوفيقه ، ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ان الحصى سبحت فى كفه ، وفى حسن تعليل ذلك التسبيح يقول سيدى العالم العارف الشيخ احمد الحلوانى «والد شيخى وسيدى العارف الشيخ عبد السلام الحلوانى طيب الله ثراهما ، مخاطبا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يدك الكريمة سبحت فيها الحصى
هل كان ذاك تعجبا من ذا الكرم
او من عماية من رميتهمو بها
فتفرقوا رهبا وجمعهم انهزم

فانظر كيف تحركت يد الرسول صلى الله عليه وسلم بالرمى وكيف صاحبتها عناية الله ونصره فاخذ الاسباب برماية الاعداء وسيلة لا تكفى وحدها ان لم يساندها الله سبحانه . ألست تراه تعالى يقول فى سورة التوبة « قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » فالله تعالى يستعملنا كوسيلة فى تعذيب أعدائنا وأعدائه أعداء الاسلام اما فى معرض التوحيد فيقول سبحانه « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » ويعجبنى قول امامنا أبو حامد الغزالى رضى الله عنه فى رد الفضل الى الله سبحانه : وما عملت ولكن استعملنى وما خدمت ولكن استخدمنى . كما يعجبنى قول امامنا ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه : اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب اليك .

واذن فاخذ الاسباب لا ينافى حسن التوكل على الله ، ما دمنا نشهده سبحانه بيقيننا بعونه وتوفيقه فى نجاح الاسباب ، ولا نعتمد على الاسباب وحدها ، وكذلك لا يجوز أن نترك الاسباب بحجة التوكل على الله تعالى لانه هو الامر باتخاذها بعد أن أقامها ، فمع أنه وحده الرازق فقد أمرنا بالسعى للرزق الحلال من أبوابه فقال تعالى « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » ولم يقف اتخاذ الاسباب عند البشر بل انه سبحانه الهم سائر المخلوقات صغيرها وكبيرها السعى على أرزاقها . وقد جاء فى الحديث الشريف : « لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » فالطيور تغدو وتروح سعيا وراء رزقها ورزق صغارها وسبحان المقدر والمدبر .

وقد كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يقول : كنت أرى الشاب فيعجبنى منظره ، فاذا قيل لى : لا حرفة له سقط من عينى . كما كان رضى الله عنه يقول : لا يقعد احدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . ومن أقوال السادة الصوفية اللطيفة قولهم :

توكل على الرحمن فى الامر كله
ولا ترغبن بالعجز يوما عن الطلب

الم تر ان الله قال لمريم
وهزى اليك الجزع يساقط الرطب

ولو شاء ان تجنيه من غير هزها
جنته ولكن كل شىء له سبب

ان علمتم ان الاله كريم
أتراه يرد من ناداه

لو باعمالنا نكافا ضعنا
انما عفوه وحسن عطاه

والسادة الصوفية يتخذون الاسباب فى كسب أرزاقهم الدنيوية ليعفوا أنفسهم عن سؤال الناس ، ولعلمهم أن خير ما ياكل المؤمن من كسب يده ، وكذلك يسعون فى همة عالية لاخراهم ليكونوا بيض الوجوه بين يدى ربهم يوم يلقونه تعالى • ولكنهم مع سعيهم للآخرة باقصى ما يستطيعون من الاعمال الصالحة فانهم يعتمدون على فضله سبحانه فى قبولها منهم • وفى قوله تعالى « **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون** » أى خوفا من جلاله وطمعا فى فضله بينما سيقول أهل التفسير فى معناها خوفا من عقابه وطمعا فى ثوابه ولو أننا تأملنا مليا فى قوله صلى الله عليه وسلم : « **لن يدخل احد منكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا انت يا رسول الله ؟ قال : ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته** » • لادركنا بالتامل أن السادة الصوفية مستنيرون فى تفسيرهم بهذا الحديث الشريف الذى يردنا الى فضل الله ورحمته فلا نعجب بأعمالنا أو نعتمد عليها مهما صلحت ، ولذلك يقول سيدى وشيخى الشيخ على عقل فى الهامه الفورى الذى نقلناه عنه طيب الله مرقده :

فقدت اعمالى الحسنى فوا أسفى
لم الق من حسن يدنى لعقباه

هجرت كل مرام غير رحمته
فانها حسناتى يوم القاه

كما نقلنا استماعا منه قوله رضى الله عنه :

ان ربى بما تقرر أولى
لا يرد الضعيف ان ناجاه

انا بابك ولست يوما بشاك
كيف اشكو والقلب حل حماه

ولعك لتعجب معى ايها القارىء العزيز من قوة رجائه فى الله تعالى مع شدة خوفه منه وقد سهر الليل كله فى طاعة الله تعالى قرابة أربعين عاما كما هو مشهور عنه • وذلك الخوف وانما هو على قدر علم اولئك الخواص بالله العلى العظيم ، ويعاوننا فى فهم خوفهم مع اجتهادهم فى أسباب التقوى ، ما كشفه سبحانه لنا من خوف الملائكة الاطهار فى قوله الكريم « **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** » مع انه تعالى وصفهم بدوام تسبيحه فى قوله عز وجل « **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** » • وانما عظم خوف الملائكة من ربهم على قدر علمهم بجلاله عز شأنه • وسادتنا الانبياء والمرسلون الكرام وعلى رأسهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين هم أخوف البشر منه سبحانه مع اصطفائه لهم وثنائه عليهم وعنايته بهم •

ومع أن كل انسان مطالب بسعيه على رزقه فى الدنيا من اسبابه ، فقد شاء الله سبحانه أن يكون الصغار من الاطفال فى كفالة الكبار من الاباء والاوصياء ، فيجرى رزق الصغار على أيدى الكبار كما قدره لهم تعالى وجعل كبارهم مناولين له وليسوا برازقين ، وتأمل فى قوله تعالى فى سورة الاسراء « **ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا** » ، حيث كانوا فى الجاهلية قبل الاسلام يقتلون أبناءهم خشية الفقر بسبب الانفاق عليهم ، وتدبر كيف كفل سبحانه رزق الاولاد وجعله سابقا على رزق الاباء فى قوله تعالى « **نحن نرزقهم واياكم** » •

وكما شاء سبحانه أن ينفع البعض على أيدى البعض فى الرزق المادى ، شاء كذلك أن ينفع البعض على أيدى البعض فى الرزق الروحى ، ففرض سبحانه فى شرعه أن يصلى المؤمنون صلاة الجنازة على موتاهم فيدعو بعض الاحياء فى صلاة الجنازة على الميت من المؤمنين بالمغفرة والرحمة ، مع أنه سبحانه غفور بذاته ورحيم بذاته لكنه اقامها أسبابا لتؤتى ثمرتها باذنه ، بجامع الاخوة فى الله التى قامت برابطة الايمان بين المؤمنين بقوله تعالى فى سورة الحجرات « **انما المؤمنون اخوة** » •

وكذلك شاء سبحانه أن يكرم بعض الاحياء من الابناء بصلاح الاموات من ابائهم كما يدلنا على ذلك قوله تعالى فى سورة الكهف « **واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا** » فقد أقام سيدنا الخضر عليه السلام بأمر الله ذلك الجدار دون أجر اكراما لذلك الصالح الميت فى اليتيمين من ذريته ، واكراما لليتيمين الصغيرين بصلاح أبيهما الذى توفاه الله تعالى •

لا بل ان الله عز وجل كشف لنا من غيبه ان الملائكة الاطهار فى السموات العلى يستغفرون للمؤمنين من أهل الارض ويدعون لهم بالمغفرة وبدخول الجنة ، بل يتجاوزونهم الى الاصول والفروع من الاباء والازواج والذرارى ، ولنقرأ فى هذا الشأن العجيب قوله تعالى فى سورة غافر « **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم • ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم • وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم** » •

وقد جاء فى التفاسير أن حملة العرش هم أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا ، وهم فى الدنيا اربعة وفى يوم القيامة ثمانية ، وأما من حول العرش فهم الكروبيون وهم سادات الملائكة • فى لطائف اشاراته يقول سيدى الامام القشيرى رضى الله عنه عند الايات المتقدمة :

حملة العرش ومن حول العرش من خواص الملائكة ، مأمورون بالتسبيح لله ، ثم بالاستغفار للعاصين – لان الاستغفار للذنب والتوبة انما تحصل من الذنب – ويجتهدون فى الدعاء لهم على نحو ما فى الايات ، فيدعون لهم بالنجاة ثم برفع الدرجات ، ويحيلون الامر فى كل ذلك على رحمة الله • وعند قوله تعالى « **ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته** » يقول الامام رضى الله عنه : فلئن سلط عليك ارازل من خلقه وهم الشياطين ، فلقد قيض بالشفاعة أفاضل من خلق ومن الملائكة المقربين •

وكذلك علم الله الابناء أن يدعوا للاباء اعترافا بفضلهم وأداء لحق الوفاء فقال تعالى فى سورة الاسراء « **وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » •

كما أنه تعالى علم الخلف من المؤمنين أن يدعو للسلف ، ففى سورة الحشر وصف الله تعالى سادتنا المهاجرين بالصدق ووصف سادتنا الانصار بالفلاح وقال بعد وصف الفريقين « **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم** » ، وكل داع بهذا الدعاء يقصد بمن

سبقه من مات قبله الى عصر النبوة فيدخل فى دعائه جميع من تقدمه من المسلمين ولايقصد خصوص المهاجرين والانصار وان كان هو سبب النزول ٠

وقد جاء فى لطائف الاشارات عند تلك الاية قول سيدى الامام القشيرى رضى الله عنه ، أجيال المؤمنين من بعد هؤلاء الى يوم القيامة كلهم يترحمون على السلف من المؤمنين الذين سبقوهم ، ويسلكون طريق الشفقة على جميع المسلمين ويستغفرون لهم ، ويستجيرون من الله أن يجعل لاحد من المسلمين فى قلوبهم غلا « أى حقدا » ومن لا شفقة له على جميع المسلمين فليس له نصيب من الدين ٠

وقد استاذن سيدنا عمر رضى الله عنه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان يذهب الى مكة المكرمة للعمرة ، فاذن له صلى الله عليه وسلم وقال له : لا تنسنى يا اخى من دعائك ، كما قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة ٠ وبهذا علمنا صلى الله عليه وسلم ان يطلب المسلم من أخيه المسلم الدعاء له ، لانه صلى الله عليه وسلم مع فضله وشرفه طلب الدعاء من المفضولين ، فاذا كان الفاضل يطلب دعاء المفضول ، فاولى من ذلك أن يطلب المفضول دعاء الفاضل ، والعاصى دعاء الصالح ، وكيف لا وقد قال تعالى «ان اكرمكم عند الله أتقاكم ، فجعل سبحانه التفاضل عنده متناسبا مع درجة التقوى ، فالاكرم هو الاتقى فالاتقى كما تدل على ذلك صيغة افعل التفضيل ، اكرم واتقى ٠

ومع انه تعالى المميت وحده لكنه قال «قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ، فاظهر لنا الاسباب واثبت نفسه فيها : وفى قوله تعالى « الله يتوفى الانفس حين موتها ، حجب سبحانه السبب واظهر نفسه وحده ٠

ومن كل ما تقدم نرى أن الفاعل هو الله وحده ولكنه اقام الاسباب والوسائل ، ولذلك كان امامنا معرضان ، معرض التوحيد ومعرض الاسباب ، فاذا تكلمنا فى معرض التوحيد نسبنا الفعل لله تعالى واذا تكلمنا فى معرض الاسباب نسبنا الفعل مجازا للسبب الذى اقامه تعالى ، ففى معرض التوحيد نقول : انبت الله الزرع ، وفى معرض الاسباب نقول مجازا : انبتت الارض الزرع ، ومعلوم لاهل الايمان أن الارض أداة الله للنبات فهى لا تنبت الزرع بنفسها ، كما لو ضرب الحاكم جانيا بسوطه فتقول : ضرب الحاكم الجانى بالسوط ولا تقول ضرب السوط الجانى ، لان السوط اداة الحاكم فى التاديب ولا يتحرك بالضرب وحده ٠

ولذلك قال سيدنا جبريل عليه السلام لسيدتنا مريم عليها السلام « انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ، فنسب الهبة لنفسه على انه اداة الله تعالى المسخرة لان يهب سبحانه الغلام لمريم عليهما السلام وليس فى مقدور سيدنا جبريل أن يهبها غلاما بنفسه ٠ وكذلك حين قال سيدنا موسى عليه السلام « رب انى لا أملك الا نفسى واخى ، فانما كان يتكلم فى معرض الاسباب التى ملكه الله اياها حين قال تعالى « ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا ، والا فهو عليه الصلاة والسلام لا يملك نفسه ولا يملك اخاه والمالك لهما هو الله عز وجل وحده ٠

وقد أمر سبحانه المؤمنين ان يتعاونوا على البر والتقوى أخذا فى أسباب الهمة التى هى أقوى فى الجماعة منها فى الفرد ،ويدالله مع الجماعة والفرد ، لان القوة لله جميعا ، ولا حول ولا قوة للفرد او الجماعة الا بالله ٠ وقد ورد : والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ، واتخاذ الاسباب لا يتعارض مع عقيدة التوحيد ما لم تحجب الاسباب العبد عن الله فيقف عندها وحدها ولا يشهد الله معها وذلك شان الكافرين ، كما قال قارون فى اغتراره بماله «انما اوتيته على علم عندى ، فقال تعالى «فخسفنا به وبداره الارض » وعياذا بالله من الحجاب بالاسباب عن المسبب سبحانه ٠

وعلى ذلك ليس على المؤمن حرج اذا استعان على أمره بدعوة رجل صالح يرجو قبول دعوته على أنه اكرم عند الله منه بتقواه ، وقد استعان سادتنا الصحابة عليهم رضوان الله بدعوة واحد منهم هو سيدنا البراء بن مالك رضى الله عنه حين استعصى عليهم فتح تستر ، والذى وجههم الى دعوته قوله صلوات الله وسلامه عليه : رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك ٠ وقد دعا رضى الله عنه أن يفتح الله البلدة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكتب له الشهادة فى المعركة ففتحت البلدة ومات رضى الله عنه شهيدا فى المعركة ٠

وكذلك استسقى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه بسيدنا العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وقد اختاره لقرابته من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا سيدنا العباس واشار الى انهم اختاروه لقرابته فنزل المطر كافواه القرب ٠ وحين اختار امير المؤمنين عمر سيدنا العباس رضى الله عنهما قال : اللهم انا نستسقى بنبيك فتسقينا والان نستسقى بعم نبيك فاسقنا ، وفى اختيار سيدنا العباس تبرك ظاهر بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ اما انهم لم يتوسلوا بالرسول ـ عليه افضل صلوات الله ـ فلان الاستسقاء له صلاته الشرعية التى يتولاها الاحياء لتكليف من الله تعالى لهم ٠

ولاحرج على المؤمن فى أن يتوسل بالاولياء الصالحين أخذا فى أسباب القبول من الله اكراما لاوليائه الذين يحبهم المتوسل بحب الله لهم ٠ وقد بين لنا سبحانه فى قصة أهل الكهف أن كلبهم غير المكلف اكرم باكرام الله لهم فانامه تعالى فى رحمته كما أنامهم ، وذكره فى كتابه الخالد كما ذكرهم ، فصارت ذكراهم وذكراه على السنة العابدين فى المحاريب ، وعلى السنة الملائكة فى السموات وما أرق ما قال القائل :

عز كلب بحب اصحاب كهف
كيف اشقى بحب آل النبى

وفرق كبير بين الحب والعبادة وبين التبرك والاشراك ولا يجوز ان ينسب الكفر لمحب الاولياء أو زائرهم أو المتوسل بهم فان ساجدا يسجد لله وهو مؤمن صادق الايمان وساجد يسجد لصنم وهو كافر غاية الكفر ، وصورة السجود واحدة وتفرق نية كل منهما بين الايمان والكفر لان الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى ٠

والولى الميت ليس معدوما لان الموت ليس بعدم محض ، بل هو انتقال من صورة الحياة الى صورة أخرى يرد فيها جسده الى الارض التى خلق منها وترد الروح الى عالم الملكوت الذى خلقت منه وهو عالم نورانى خلق الله منه الملائكة ، ويكون بين الروح والجسد صلة أشبه بشعاع الشمس الذى نراه فى الارض مع أن فلكها فى السماء الرابعة ٠

ومن طريف ما حدثنى به صديق صالح توفاه الله الى رحمته أنه كان يشك فى صحة التوسل بالاولياء ـ وكان رحمه الله من أهل العلم ـ فرأى فى منامه سيدنا الامام عليا البيومى رضى الله عنه يقول له : انكم حين تاتون الينا نقرا معكم الفاتحة بنية تيسير الله لامركم لعل الله يقبل سؤال الجماعة ودعاءهم ٠ وفى هذه الرؤيا تقريب لافهام المتشككين والمشككين فى أثر التوسل بالصالحين ، فان الخلق كلهم عبيد والله يفعل ما يريد ، لكنه تعالى يكرم البعض بالبعض أحياء ومنتقلين ، وقد قال اخوة سيدنا يوسف لابيهم وهو رسول

[البقية ص ١١٠]

أركان الحج في مرآة التصوف

الأستاذ زكريا عامر البكرى

البوتقة التى تنصهر فيها النفس بالذل وبها وتخرج من شوائبها تواقة الى ارضاء بارئها بارفع واكرم اسلوب تربوى يعطى للانسانية انبل معيار حضارى تلك البوتقة هى الحج . والحج هو الركن الخامس من اركان الاسلام وهو احدى العبادات التى تعبد الله بها عباده وهو عبادة بدنية ومالية معا فضلا عن عنصر النية التى بصلاحها تصلح الاعمال . قال تعالى : ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . وقال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام علىخمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا .

وللحج اركان اربعة نتعرف عليها من وجهة نظر فقه الاحوال وهى أ . الاحرام ب . طواف الزيارة ويسمى طواف الافاضة ج . السعى بين الصفا والمروة د . الوقوف بعرفة وهو الركن الرابع من اركان الحج مع مراعاة الميقات الزمانى والمكانى ونتناول بالاشارة رمى الجمار والهدى .

الاحرام : معناه فى الشرع نية الدخول فى الحج واول الاحكام اللازمة فى الحج هى النية قال العلامة ابن كثير فى تفسير قوله تعالى فمن فرض فيهن الحج « اى اوجب باحرامه حجا فيه دلالة على لزوم الاحرام بالحج والمضى فيه قال ابن جرير اجمعوا على أن المراد من الفرض الايجاب والالزام » طالع فى ذلك ص ٢٣٦ من الجزء الاول تفسير الامام بن كثير .

النية : وهى من الحقائق المعنوية التى فى دائرة القلوب وهى محل نظر علام الغيوب . فان توجه القلب الى الله صح كل عمل وان توجه لغير الله فسدوبطل .

فان قصد الحاج بعمله الرياء ولم يقصد بحجه وجه الله كان حجه اقرب الى الذنوب هى السيئات من المغفرة والحسنات وشأن القلب حال الاحرام الفرار الى الملك القدوس السلام .

وعند ذلك يكون الاحرام تحريم ما سوى الملك العلام فلا يشغل الحاج بشىء سوى الله ولا يلتفت الى ما عداه .

وهنا فى هذا المقام يحلو الكلام فى التعرف على معان فى قولهتعالى « واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع والسجود » الحج آية ٢٦ وذلك لارتباط الاسرار والانوار بعدم الانشغال الا بالمحبوب علام الغيوب جل جلاله .

والامام القشيرى فى كتابه لطائف الاشارات يكشف عن اسرار وطهر بيتى » فيقول : وطهر بيتى يعنى الكعبة وذلك على لسان العلم وعلى بيان الاشارة فرغ قلبك عن الاشياء كلها سوى ذكره سبحانه . وفى بعض الكتب واوحى الله الى بعض الانبياء فرغ لى بيتا فقال ذلك الرسول : الهى ... أى بيت تشغل ؟ فأوحى الله اليه : ذلك قلب عبدى المؤمن . وفى الحديث القدسى ما وسعتنى ارضى ولاسمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن ولله در الامام الفخر الرازى حيث يقول « اذا كان القلب بستان الله فلماذا لا يخرج الشيطان منه ؟ قلنا قال أهل الاشارة : كأنه يقول للعبد أنت الذى

انزلت سلطان المعرفة فى حجرة قلبك ومن أراد أن ينزل سلطانا فى حجرة نفسه وجب عليه أن يكنس تلك الحجرة وأن ينظفها ولا يجب على السلطان تلك الاعمال · فنظف انت حجرة قلبك وذلك كما وضع الامام القشيرى فى لطائف الاشارات طهر قلبك عن التطلع والاختيار بألا يكون لك عند الله حظ فى الدنيا أو فى الاخرة حتى تكون عبدا له بكمال قيامك بحق العبودية ·

وهنا يقوم بتحقيق قوله تعالى « الا تشرك بى شيئا » · فيكون عند الله فى كل حال ليس له الا رضاء الله لامقصوده فى كل أمر الله يكون حاله على الدوام « الهى انت مقصودى ورضاك مطلوبى » ·

خذ بالاشارة تبيانى لاحرامى
حيث القرار لقدوس وعـلام
احرام جسمى ظهورالغيبفىالمبنى
والغيب اظهرنى كشفا لاسلامى
احرمت منى ومن حولى ومنحيلى
ومن وجودى ومن ذنبى واجرامى
ومن فرارى اليه تائبا وجـلا
ومن شهـودى ومـن ثوبى واحرامى
ياعقل مالك والاحرام ان لـه
قدرا عليا سما من فوق احكـام
احرمت بالحج حج الذات والهادى
يقودنى نحوها والحصن اسلامى

الطواف : فرض من فرائض الحج يبطل الحج بتركه ومعناه اللفظى الدوران والمشى حول الكعبة المشرفة سبعة اشواط يبتدئ الطائف من الحجر الأسود ويختتم به ·

ان من حكمة الطواف حول البيت طلب الطائف لصاحب البيت وصاحب البيت منزه عن المكان والزمان وهو عظيم اظهر وأقرب من الزمان والمكان لا مثيل له ظاهر فى خفائه خاف فى ظهوره ·

والحاج يوقن عند طواف بيت ربه ان المقصود فى الحقيقة طواف القلب بحضرة الرب ·

وان طواف الجسم بالبيت لم يكن الا مثالا لذلك اى ان الجسم الذى هو فى عالم الشهادة مثال للقلب الذى هو فى عالم الغيب ·

ففى الطواف الطاف تطوف بقلوب العارفين وحقائق ورقائق تعتكف فى قلوب الموحدين فالجسم يقصد الكعبة امتثالا والقلب يقصد رب الكعبة عشقا وحبا وعبودية ورقا ومودة وصدقا ·

والحاج يحس انه يبايع ربه على التوبة النصوح ويثبت العزم على الوفاء بها كيف لا وقد وضع الله الحجر الاسود رمزا ليمينه فى دائرة ملكة ليستلمه الطائف بيده وجسمه ·

وللامام القشيرى عبارة تقول « يقال الكعبة بيت الحق سبحانه فى الحجر والقلب بيت الحق سبحانه فى السر ·

قال قائلهم :

لست من جملة المحبين ان لم
اجعل القلب بيته والمقاما
وطوافى اجالة السر فيه
وهو ركنى اذا أردت استلاما

(طالع فى ذلك ص ٢٧٣ من المجلد الاول من لطائف الاشارات للقشيرى طبعة دار الكتاب العربى) ·

وجعل الطواف سبعا وفى كل دور من الادوار السبعة يلقى جارحة من الجوارح السبعة اشارة الى تطهيرها حتى تبدل جوارحه الحسية بمعان نورانية فيبصر بعد ذلك بالله ويسمع وتظهر عليه انوار الملكوت وتلمع ·

والحكمة الالهية أن الاعضاء سبعة والطواف سبعة والسموات سبع » ويذكر لنا السهروردى فى نص حكمة الاشراق أن الله جعل على البسيطة سبعة مسالك والتأويل الباطنى يجعل من هذه المسالك – معابد – تقودنا تدريجيا الى عالم الانوار » (طالع فى ذلك ص ١٩ هياكل النور للسهروردى الاشراقى تقديم وتعليق الدكتور محمد على ابو ريان المكتبة التجارية الكبرى) ·

وكذلك النفوس سبعة نفس امارة ونفس لوامة ونفس ملهمة ونفس راضية ونفس مرضية ونفس مطمئنة ونفس كاملة وهذه النفوس السبع أو تلك الصفات السبع يطوف بها الحاج وينتقل بفضل تجليات الله عليه من نفس الى نفس حسبما يكون حظه من هذا الفتح الربانى وحاله يقول : –

وحاله يقول :

اطوف حوالى كعبـة الارواح
بسبع صفات من ضيامصباحى
فاشهد انوار التجلى جليـة
تضيىء على روحى منالفتـح

السعى بين الصفا والمروة :

وابتداء السعى فى السير من مكان بمكة يسمى الصفا و انتهاء السير الى مكان يسمى المروة قال تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » ·

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لاحد أن يترك الطواف بينهما طالع ص ١٧٨ الجزء الثانى الجامع لاحكام القرآن لابى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى طبعة دار الكتب المصرية ·

الساعى ماسعى الا اذا طلبه غيره ودعاه وقد دعاه الله فلباه وحاله يقول « اجيب دعوة الله · اذ ان دعوة الله لها معنى لطيف وهو أن الله تعالى ذكر فى قوله « أجيب دعوة الداع اذا دعـان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهـم يرشدون » ·

فليستجيبوا لى هذا تكليف وقوله « اجيب دعوة الداع » تعريف وتخفيف قدم التخفيف على التكليف وكأنه قال اذا دعوتنى عبدى أجبتك فأجبنى أيضا اذا دعوتك أذا لا أرضى برد دعائك فلا ترض عبدى بردى من نفسك ·

والساعى بين الصفا والمروة استجاب لدعوة الله ليؤدى واجب الشكر لله ويكون أكثر نشاطا اظهارا للسرور بطاعة الله وتلبية دعوة الله والاحساس بنعمة الله وشكر من انعم على ابينـا ابراهيم عليـه السلام ببئر زمزم عند اشتداد الصدى بأمه السيدة سارة وسعيها بين الصفا والمروة وفى الهرولة لاظهار النشاط فى العبادة حبا فى ذات المعبود وهو الله وحده ·

وفى ذلك اعتراف بنعمة المنعم جل جلاله ويعـود الحاج فطرة الانسـان ببساطته الاولى بعيدا عن الكلفة والتعقيد ويكون سعيه على الاقدام فى دائرة الهياكل والاجسام وسعى كذلك بالعقول والافكار فى دائرة الايات والانوار وسعى بالعلوم والاسرار رضاء الملك الغفار ·

حاصل الحال سعى بسلامة القلوب الى علام الغيوب ٠
وقال الشاعر :

اسعى بعلمي لما يرضى الاله وما
يرى القلوب الضيا من حضرة الغيب

فى طى معرفتى علم مواجهة
فيها اليقين بلا شك ولا ريب

والعارفون لهم حال بها انجذبوا
بالراح قد ظهرت من وصمة الشوب

وهناك مقامات فى السعى منها سعى المشاهد والتجليات وهو الفرار الى روضات الاسماء والصفات ٠

الوقوف بعرفة

من أحكام الحج الوقوف بعرفة وهو مكان معروف بارض مكة يقصده الحجاج ويقفون عليه فى اليوم التاسع من شهر ذى الحجة والوقوف بعرفة تمثيل للوقوف بين الله عز وجل فى الدار الاخرة وانما خص عرفات بهذا اليوم وبهذا الاجتماع لان الانبياء عليهم السلام توارثوا ذلك والجرى على سنة السلف الصالح أصل من أصول الاسلام فى عرفات اشراق نور شمس المعارف لكل خبير وعارف وهو حصن الامان لكل تائب وخائف ٠

وفى تجمع الحجاج فى عرفات ويصيحون بالتلبية ويذكرون ويهللون تربية نفسية جماعية على ذكر الله عز وجل وطرد موارد الغفلة فى القلوب ٠

سئل الشبلى رضى الله تعالى عنه عن قول النبى صلى الله عليه وسلم « اذا رايتم اهل البلاء فاسالوا الله العافية » فقال أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى ٠

(طالع فى ذلك ص ٥٣ شرح ورد سحر سيدنا الشيخ مصطفى البكرى والشارح سيدنا عمر جعفر الشبراوى) ٠

وفى الوقوف بعرفة اظهار العجز لله عز وجل والتذلل لملك الملوك جل جلاله ٠

قال جدنا الافخم سيدى مصطفى البكرى رضى الله تعالى عنه فى ورده « أنت القادر وأنا العاجز من للعاجز سواك » وقال « ومن لم يستطع لنفسه جلب مسرة ولا يقدر على دفع مضرة فما له الا اظهار العجز بين يدى من أحسن اليه وجمع الحجاج على اظهار عجزهم لمالكهم وموجودهم من العدم آية من آيات عزهم بالله ٠

وفى ذلك تقوية للروح على فعل الخيرات وربط قلوب الموحدين برباط التوحيد وذكر الله عز وجل وفى ذلك قوة لهم وأى قوة ٠

وفى هذا المقام يذكر مولانا الامام الشعرانى فى كتابه لواقح الانوار القدسية فى بيان العهود المحمدية ص ٢٢٦ مكتبة مصطفى البابى الحلبى (اخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستعد لوقوف عرفة بتلطيف الكثائف وازالة الحجب لانه موقف لا يناسبه الا الذل والمسكنة ٠

ومولانا على الخواص يقول اياكم وازدراء احد ممن وقف بعرفة فان الجماعة الذين يغفر الله لاهل الموقف كلهم بدعائهم من شانهم الخفاء والتستر بحجب العوائد حتى لا يكادوا يتميزون من عامة الناس بعمل ٠

وهكذا تجد كلمة الكبرياء قد فقدت روحها وكلمة الاخاء قد وجدت روحها الكل قلب واحد دعاء واحد مظهر واحد يكونون يقدر تقواهم قريبين من الله ٠

ان اكرمكم عند الله اتقاكم ٠

فتحقق معانى الاخوة الحقة والمودة الصافية تحت سماء العبودية لله ٠ حال كل منهم يقول

يا عز اقسم بالذى انا عبده
وله الحجيج وما حوت عرفات

لا ابتغى بدلا سواك خليلة
فثقى بقولى والكرام ثقات

اما رمى الحجار ويقصد بها الكبرى والوسطى والصغرى اشارة الى ما فعله سيدنا ابراهيم عليه السلام والسيدة هاجر وسيدنا اسماعيل عليه السلام ورمى الشيطان حينما اراد ان يصدهم عن أمر الله بذبح سيدنا اسماعيل ففيه اشارة الى رمى هوى النفس من النفس وطرد مكايد ابليس منها وصدها والهدى فالذبح فى الاحوال الواجبة وحالة التطوع يفيد سفك دم النفس بسكاكين الخلاف ورفع اصوات السر بدوام الاستغاثة وحسن الاستجابة ثم الوقوف بساحات القربة باستكمال اوصاف الهدية وبذلك يتم الكلام عن فقه الاحوال فى الحج هذا وبالله التوفيق ٠

بقية مقال « الصوفية فى الهامهم »

كريم « يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ٠ قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم » وقالوا : انه عليه السلام أجل الاستغفار للسحر ليكون أقرب للاجابة ٠ على أن التوسل بالاولياء ليس أمرا حتميا ولكنه أمر جوازى ، فمن تبرك بالاولياء المقربين المكرمين بتقواهم فليتوسل على أنهم أقرب الى الله زلفى منه والله تعالى هو الفعال ٠ والقرآن الكريم معجزة خالدة تصون كل مسلم عن الاشراك بالله ، واذا كان كل مسلم يشهد الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فكيف يشرك الاولياء بالله وهم أقل درجات كثيرة عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وقد كنت أقرأ سورة آل عمران فحين قرات قوله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ٠ هناك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ٠ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى ٠٠٠ فاستوقفنى قوله تعالى « هنالك » ، حيث رأى خرق العادة لمريم رأى العين ، فسأل الله أن يخرق له العادة كما خرقها لمريم ، فيرزقه الولد على الكبر فاستجاب الله له دون ابطاء بدليل فاء التعقيب « فنادته الملائكة ٠٠٠ » ، وهزنى فى تلك القصة أن الله تعالى يشرف ولية من أوليائه — وهى سيدتنا مريم — فيقوم بامر الله على خدمتها رسول مقرب هو سيدنا زكريا عليه السلام ، ثم لا يكلها فى العناية بها اليه وحده بل يجند لها الملائكة تخدمها فيجد كفيلها فى كل مرة يدخل عليها طعاما لم يأتها به ، فيسالها « يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » . فما اكرم ربى وما أوسع فضله على عباده المتقين وأوليائه الصالحين ٠

وختاما استغفر الله لى ولاخوانى الذين سبقونا بالايمان وأتوسل اليه سبحانه بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ارسله رحمة للعالمين وشفيعا للعصاة والمذنبين : مستنيرا فى توسلى به عليه أفضل صلوات الله بقوله تعالى « ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » ٠

العلم والإيمان

العدالة الاجتماعية في الإسلام

الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

العدالة الاجتماعية كلمة تلوكها الالسن وتجرى بها الإقلام كثيرا فى هذه الايام ، فالسياسيون يحرصون على اقحامها فى خطبهم واحاديثهم .. والصحفيون يؤثرونها فى كتاباتهم ومقالاتهم ، ورواد الاندية يجعلونها موضوع سمرهم ومدار مناقشاتهم، حتى رجل الشارع ينفخ بها اوداجه ، ويملا بها فمه .. ويلقيها فى الاسماع طنانة رنانة كلنه يحشد فيها كل ما فى نفسه من أمل .. ويحملها جميع ما يصبو اليه من غاية فهى لا شك كلمة من الكلمات الاجتماعيه التى تهز المشاعر وتؤثر فى توجيه الجماهير ، ودائما تقترن التطورات الاجتماعية فى الامم بالفاظ وتعبيرات يكون لها مثل هذا التاثير ، حتى أنها لتمثل بمدلولها وبتاثيرها ناحية من التاريخ الاجتماعى للامة .. وحسبك ان ترجع الى كلمات الديمقراطية و «الاشتراكية» و «حقوق الانسان» ، وما شابهها من الكلمات فانك ستتبين فى اطوائها هذه الحقيقة واضحة ملموسة .

على أننا اذا ما نزلنا الى صميم المجتمع .. أى مجتمع ، لنقف من أفواه ابنائه على المعنى المقصود لكلمة العدالة الاجتماعية أو الفكرة التى تمثلها هذه الكلمة لاذهانهم فاننا لا نضع ايدينا الا على امشاج من المعانى المتناقضة التى لا تلتئم اطرافها بحال من الاحوال ، فكل واحد يفهم هذه الكلمة ويفسر معناها على ما يشتهى ويرغب ، فالغنى يريد بالعدالة الاجتماعية ان تزيد آلافه آلافا اخرى ، وان يتضخم ماله حتى لا يحصى ولا يعد ، والفقير يطلبها على أن يصير له كل ما يملك الغنى من مال وجاه .. وصاحب العمل يفهمها على أن يكون العامل فى مصنعه آلة تؤدى اكبر انتاج بأقل نفقة . والعامل ينشدها على ان يكون هو صاحب العمل ومالكه والمتصرف فيه ووارثه ، والسياسى يعتقد انها المخدر لاعصاب الجماهير المتوترة ومشاعرهم الثائرة ، ورجل الشارع لا يفهم منها الا ان تبذل الحكومة نفوذها الواسع وسرها الباتع حتى تمطره السماء ذهبا .. وتجرى عليه ماء النيل عسلا وسمنا .. وهكذا يطرد فهم العدالة الاجتماعية فى افهام الجميع وتقديراتهم ، فكل يفهمها - كما قلنا - على حسب ما يشتهى ويرغب ، ويقدر اوضاعها على ما فى نفسه من انانية جشعة ولهفة كلهفة . ومن ثم فنحن نرى ان كلمة العدالة الاجتماعية لا تمثل فى المجتمع فكرة اجتماعية صحيحة ولا تحدد غاية يمكن ان تلتئم اطرافها ويسهل تحقيقها ، بل انها تدل على اضطراب نفسانى يجب علينا علاجه فى المجتمع قبل ان تنحدر هذه الكلمة فى دائرة ما وراء الشعور كما يقول علماء النفس وتصبح معتقدا اجتماعيا للجماهير ، فلا تلبث بهذا الوضع ان تكون فى فترة من فترات التحلل والضعف عامل هدم للمجتمع وتقويض لبنيانه . اذ ان اخطر الاخطار على المجتمعات تلك الكلمات السحرية الحلابه المجهولة المعنى .. او التى تفسرها عواطف الجماهير وأنانية الافراد لا عقول القادة المدركين لحقائق الاشياء المقدرين لنتائج التطورات الاجتماعية . الا ترى الى الثورة الفرنسية وكيف اججت اوراها كلمات «العدالة والاخاء والمساواة» .. فأتت على الاخضر واليابس .. وصبغت الارض بالدماء ثم خمدت ومضت عليها السنون والقرون ومازال الناس ينشدون العدالة والاخاء والمساواة . . ويتناقشون فى فهم مدلولها وتحديد معانيها .

ولو أننا تركنا كل هذا جانبا ، وعولنا فى تفسير كلمة العدالة الاجتماعية على ما يريده بعض الباحثين من معنى المساواة بين الافراد والطبقات وتحقيق السعادة للجميع .. فاننا نجد هذا المعنى لا يعطينا نتيجة اجتماعية ايجابية ، ولا يمكن ان نصل بأية حال فى ميدان العمل والتنفيذ الى الغاية التى يضعونها أمام تلك الكلمة ، لان العدل وحده غير كاف لبلوغ الخير والرفاهية ، انما هو كالاناء الفارغ لك أن تملاه بالطيب وبالخبيث .. وتكيل به الخير والشر .. فما العدل الا تقسيم الانصبة من غير جور ولا اجحاف ، حتى ولو كان ذلك فى الشر ، فالبلاء اذا عم صار عدلا ولكنه على اى حال شر بغيض .. والجدب شقاء ومحنة وان تساوى الناس فى احتماله . ولو انك وزعت طعام رجل على رجلين فان ذلك يكون عدلا من غير شك .. ولكنه طبعا لا يحقق الشبع الذى هو الخير المقصود والاسعاد المنشود .. واذن فتحقيق العدالة ليس بملزم لتحقيق السعادة ولا بضمان لرفاهية المجتمع على ما يفسرون به كلمه العدالة الاجتماعية .. واذن فليس من الخير ان نعمد الى

تقسيم ما فى الايدى نزولا على ما يريده بعض الكاتبين من تحقيق المعنى فى العدالة الاجتماعية ظنا بأن هذا سيحقق السعادة والرخاء للمجتمع . بل الواجب أن نبذل جهدنا للاكثار من دواعى السعادة وتخفيف الويلات والالام وكفالة التضامن الاجتماعى على وضع انسانى مهذب ، وفتح باب الحياة أمام كل فرد لاظهار قواه والانتفاع بمواهبه والتعامل مع المجتمع على انه عضو من أعضائه .

فتحقيق العدالة الاجتماعية بوصفها مبدا اجتماعيا انما يكون بايجاد التوازن الاجتماعى بين الطبقات والافراد .. فيسود الانصاف والتضامن والاخلاص بين الجميع ، وان يقدر لكل عامل عمله بالتقدير الصحيح ، ويدرك كل فرد ان الحياة هى اداء الواجب ، والحرص عليه ، والاخلاص فيه .. وبهذا يصبح المجتمع كالجسم الانسانى فى تركيب أعضائه وأجزائه . فالراس راس واليد يد . ولكل عضو مكانه . وله عمله . ولا غنى لاحد منها عن الاخر . فكلها تتعاون فى العمل . وتتداعى فى الالم .

واذن فالعدالة الاجتماعية كما رأيت . أخذ وعطاء . بمعنى انك تأخذ من المجتمع ما يضمن لك السعادة او على الاقل ما يضمن لك الحياة اللائقة على ان تعطيه ما نملك من جهود ومهارة ، وعلى أن تكون اساس المعاملة بينك وبين المجتمع فى هذا الصدق والاخلاص والغيره على الصالح العام . فالمجتمع يتعهدك على انك أحد ابنائه . وانت تحرص قدر طاقتك على ان تكون دعامة فى بنيانه .

وهنا يجب أن تقرر ان هناك فرقا بين « العدالة الاجتماعية » و « الاحسان الاجتماعى » فالعدالة الاجتماعية مبدا يقوم على الحق والانصاف وتبادل الاخذ والعطاء كما قدمنا . فللفرد ان يطالب بها على انها حق ثابت مقرر . ولكن الاحسان الاجتماعى مبدا انسانى يقوم على العطف والرحمة وهو فى احساس القادر عليه نفحة من نفحات الضمير . ويقظة من يقظات العواطف الشريفة . وليس لمستحقه من وسيلة فى طلبه الا الرجاء ومناشدة الضمير الانسانى . ومن ثم ندرك الخلط الكبير الذى يقع فيه كثير من الكاتبين والباحثين . اذ يفهمون العدالة الاجتماعيه على انها ضرب من ضروب الاحسان . فيطالبون الاغنياء بان ينزلوا عن جزء كبير من اموالهم للفقراء . ويصرخون فى الحكومة أن تجرى اموال الدولة صدقات على المحتاجين حتى يأكل كل انسان ما يشتهى ويلبس ما يحب .. ولو اننا طاوعنا هؤلاء وأخذنا بتقديرهم لافلس المجتمع وافلست الحكومة بين يوم وليلة . ولكان ذلك ادعى الى الانحدار بالامة الى هاوية سحيقة من الخمود والجمود . وماذا تبلغ أمة فى مراقى النهوض والتقدم يكون قوام حياتها الاحساس ؟ ! .

لقد سئل مستر فورد صاحب مصانع السيارات والثرى الامريكى الكبير فى مرة عما يقدم من ماله فى معونة الفقراء والاخذ بأيديهم فقال «ان علاج الفقر فى تقديرى ليس بالشفقة والصدقة ، فان ما يأخذه الفقير لا ينفعه كثيرا . حقا انه قد يخفف عن بعض متاعب الحياة ومتاعب العيش . ولكنه لا يلبث قليلا حتى يعود الى حاله من الحاجة والفاقة ، وانما خير السبل نحو الرجل الذى يحتاج الى المساعدة أن نفتح له الباب لمساعدة نفسه . فاذا استطعت حمله على تحصيل رزقه ، وهيأت له الانتفاع بجهد ، وبمواهبه فقد استطعت ان تحمله على احترام نفسه . اى استطعت أن تجعله سعيدا فى محيط المجتمع » .

وهذا فى الواقع تقدير صائب . ومن الواجب أن نعالج مشكلة العدالة الاجتماعية على أساسه . اما الاحسان الاجتماعى فناحية اخرى جديرة بالنظر . على أن النظم الاجتماعية والسياسية التى تتصارع فى المجال الاجتماعى والسياسى فى هذه الايام . قد استخدمت تعبيرا جديدا فى استهواء الجماهير الشعبية . وهو مايسمونه بالسلام الاجتماعى . وانهم ليستعملون هذا التعبير بدلا من كلمة العدالة الاجتماعية . وكأنهم راوا ان الاذهان قد تشبعت بكلمة العدالة الاجتماعية فلم يعد لها وقع السحر عند الجماهير فخرجوا بكلمة السلام الاجتماعى على انها شعار اكثر سحرا وبريقا وتاثيرا فى العواطف . وهذا التعبير فى الواقع هو صدى للمذهب الاشتراكى أو الشيوعى الذى يصور طلب العدالة الاجتماعيه على انه صراع بين الجماعات والطبقات . فهى صراع بين العمال وأصحاب الاعمال ، بين الفقراء والاغنياء بين الذين لا يجدون والذين يجدون . وهذا الصراع او هذه الحرب لا يمكن ان تزول ولا تطفا نارها الا بازالة الفوارق والاحقاد التى تدفع الى هذا الصراع أو هذه الحرب . وهذه الازالة لا تكون الا بتحقيق العدالة الاجتماعية واذا ماتحققت العدالة الاجتماعيه تحقق السلام الاجتماعى وعاشت المجتمعات الانسانية فى محبة واخاء ورخاء وسلام

والحق أن جميع المذاهب الاجتماعية لم تستطع على كثرة ما اصطنعت من الاساليب ان تحقق هذه الغاية او حتى جانبا منها . لانها تصطنع اساليب لا تلتئم مع طبيعة الحياة الانسانية . وكثيرا ماتركب الشطط الذى هو نفسه الصراع والحرب بين الطبقات او يمكن أن نقول ان السلام هو الذى وضع الاسلوب الانسانى المنبعث من صميم الحياة الانسانية وطبيعتها وشرح المذهب الاسلامى او أن شئت فقل الاسلوب الاسلامى ، فى تحقيق العدالة الاجتماعية والاحسان الاجتماعى وهذا الذى يسمونه السلام الاجتماعى يحتاج الى شرح طويل تقتضى عدة مقالات موعدنا بها مع القراء فى الاعداد التالية .

لهذا هو الإسلام

قوام البشرية

الانسان والجامعة الانسانية فى الإسلام

فضيلة الشيخ
محمود ابراهيم طيره

لقد شاءت ارادة الله سبحانه ان يكون الانسان اعجوبة من الاعاجيب التى تدهش العقول وتحير الالباب ، وهل ثمة ما هو اعجب من ان يكون الشيء الواحد جامعا للمتناقضات ؟ فالانسان روح وجسم ، روح مشرقة نيرة فى جسم مادى مظلم ! ولست ادرى ، ولا احد يدرى - متى يجتمع الظلام والنور ؟ بل متى يكون الظلام نزلا للنور ، ومستقرا له ومقاما ؟ كما ان الانسان يجمع بين العاطفة والغريزة : العاطفة المتسامية والغريزة المتدنية ، فهو مستطيع بعاطفته وعقله ان يسمو الى درجات الملائكة والقديسين ، وان يتسفل بغرائزه ونزواته وشهواته الى دركات الابالسة والشياطين ! وهكذا يجتمع فى ابن ادم ، الملك والشيطان ، والانسان والحيوان ، بل وتلتقى السماء بالارض فى هذا الانسان !! وتتجلى قدرة الله القادرة وعظمته الباهرة : ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء ، هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء ، لا اله الا هو العزيز الحكيم » !!

والانسان دائما ميدان رحيب ، لصراع رهيب ، يقوم بين العقل والعاطفة ، وبين الغريزة والنزوات والشهوات ، والانسان نفسه هو الذى يرجح دائما احدى الكفتين على الاخرى ، ومن ثم يكون ثوابه وعقابه ، ويكون حسابه وجزاؤه ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ! ومن اجل هذا ارسل الله الرسل وانزل الشرائع لتحصن فى الانسان جوانب الخير ضد جوانب الشر ولتقوى فيه الناحية الانسانية على الاخرى الحيوانية ، ويكون له منها حرس يقومون عليه ويأخذون بيده عند مزالق الخطر ، وسياج متين يحول بينه وبين التردى فى مهاوى الرذيلة ، ولعل فيما أسلفنا ما يوضح لنا قول ربنا سبحانه (**وفى الارض ايات للموقنين ، وفى انفسكم افلا تبصرون**) ؟ ! هذا وان من المؤكد ان فى الانسان جوانب اخرى خافية علينا ولم تتكشف لنا بعد ، ومن المؤكد أيضا أن الفتوحات العلمية القادمة المتقدمة ، سوف تزيح الستار عنها ، فتبدو واضحة جلية لذى عينين ، مثيرة للدهشة والعجب مرة أخرى ، مؤكدة للايمان بأن الله موجود ، وأنه هو رب هذا الكون ومدير شئونه ، وأنه سبحانه على كل شيء قدير ، مصداقا لقوله جل علاه (**سنريهم أياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق**) ! ويومئذ يفرح المؤمنون بهذا النصر الجديد ولسان حالهم يردد : آمنا بالله القادر المقتدر ، الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، الذى لا والد له ولا ولد ، ولم يكن له من خلقه كفوا أحد ! هذا وقد خلق الله الانسان مدنيا بطبيعته ، تعاونيا بسليقته ، ولعل مظهر ذلك فى ان جعل الله له يدين لا يدا واحدة ، ورجلين لا رجلا واحدة ، وعينين اثنتين لا عينا واحدة ، وأذنين كذلك لا أذنا واحدة ، وشفتين ورئتين وكليتين ، كل هذا ليشعره، دائما بصورة عملية بأن مبدأ التعاون والتعاضد والاجتماع مغروس فيه منذ خلقته ، وانه مدنى بطبعه يحتاج الى غيره ، ويحتاج غيره اليه، وانه لا يستطيع أن يعيش وحده ، ولو أعطى مال قارون أو ملك سليمان ! وما هذا اللسان الذى ميزه الله به عن الحيوان يترجم به عما يدور فى خلده ، ويعبر عن خلجات نفسه ، ويتمكن بوساطته من التفاهم مع غيره من الناس ، ما هذا اللسان المترجم المعبر ، الا البرهان المادى المحسوس ، على أن أمر هذا الانسان قائم على التعاون المبنى على التفاهم ،

وانه لايستطيع ان يعيش فى المغاور والكهوف والغابات كما تعيش الوحوش ، لانه ابن الجماعة ، ولا يعيش الا وسط الجماعة وانه لا بقاء له الا ببقاء الجماعة ، ولا بقاء للجماعة الا ببقائه ، فكلاهما متمم للاخر ، وكلاهما اذ يسعى فى الحياة ويكد ويكدح /انما يخدم نفسه ويخدم غيره ، من حيث يدرى ومن حيث لا يدرى ، وما أصدق قول الشاعر : -

الناس للناس ، من بدو وحاضرة
بعض لبعض - وان لم يشعروا - خدم !

ولقد اقتضت مشيئة الله الحكيم العليم ، أن يرد أبناء البشرية على اختلاف انواعهم . وتعدد لغاتهم والوانهم ، وأديانهم ، وكثرة أقطارهم وتعدادهم ، شاء الله أن يردهم مع هذا كله الى أب واحد وأم واحدة ، هما آدم وحواء حتى يذكروا ابدا ودائما أنهم اخوة فى النوع ، وشركاء فى الجنس ، وأنهم أبناء أب واحد وأم واحدة ، فيتوادوا ويتحاببوا ، ويتعاونوا ويتعاضدوا ، وتتوثق بينهم الروابط الاخوية ، وتسودهم المعانى الانسانية . فيحل الوئام محل الخصام ، والوفاق محل الشقاق ، وتتغلب الكرامات والرحمات ، على الحماقات والنزغات والنزوات ، فيلتقى أبناء البشرية دائما على مائدة أمهم الانسانية ، يتناولون عليها الاطعمة الروحية الشهية : مودة وحنانا ، ورحمة واحسانا ، وسلاما وأمانا . وتلك هى ما يمكن تسميته (بالجامعة الانسانية) ! ولقد أدرك الفلاسفة والمفكرون فى معظم عصور التاريخ ، هذه المعانى السامية العظيمة ، وما من ريب فى أنه قد مرت بخواطرهم فكرة الجامعة الانسانية هذه ، بل لقد فكروا فعلا فيها ، وحاولوا أن يدعوا الناس اليها ، ولكن سرعان ما كانت تساورهم النزعات العصبية ، وتتحكم فيهم الذاتية ، وتطغى عليهم الشعوبية ، فتذوب أمامها فكرة الجامعة الانسانية ، وتتفرق شذر مذر . فهذا الفيلسوف اليونانى العظيم « أرسطو » يقول ما ترجمته بالحرف الواحد (**أحمد الله على ثلاث : على ان خلقنى انسانا ولم يخلقنى حيوانا ، وعلى أن جعلنى يونانيا ولم يجعلنى من عنصر آخر . وعلى أن جعلنى تلميذا لافلاطون ولم يجعلنى تلميذا لغيره من الفلاسفة**) أرأيت - يا قارئى الكريم - الى هذا الفيلسوف ؟ وقد تملكته فكرة الجامعة الانسانية ، يشير اليها ، بل يكاد ينطق بها فيقول - الحمد لله الذى خلقنى انسانا ولم يخلقنى حيوانا ، ولكن ما تكاد الفكرة تستقر فى رأسه ليعبر عنها بلسانه ، حتى تستولى عليه النزعة الاقليمية العنصرية اليونانية ، فيردف قائلا (وعلى أن جعلنى يونانيا ولم يجعلنى من عنصر آخر ثم تأتى ثالثة الاثافى ، وهى التعصب الذميم لاستاذه ومعلمه فيختم قائلا (وعلى أن جعلنى تلميذا لافلاطون ، ولم يجعلنى تلميذا لغيره من الفلاسفة) !! على هذا النحو المشوش كانت فكرة الجامعة الانسانية تدور فى رءوس الفلاسفة ، ولكنهم ما كانوا يستطيعون تخليصها من هذا التعصب المقيت ، فضلا عن ابرازها الى حيز الوجود ، وجعلها حقيقة يؤمن بها البشر ، وهكذا بقيت الفكرة حائرة شاردة قرونا طويلة ، الى أن جاء الاسلام الحنيف فخلصها من هذه الشوائب ، وأنقذها من العنعنات والعصبيات ، وأبرزها الى حيز الوجود ، حقيقة واقعة تمشى على قدمين ، ونادى بها فى الناس القرآن الكريم دستور الاسلام قائلا (**يا ايها الناس - انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير**) .

ما أجمل القرآن الكريم وهو ينادى أبناء البشرية جمعاء بقوله (يا ايها الناس) لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، ولا بين عربى وعجمى ، ولا بين أبيض وأسود ، ولا بين شرقى وغربى ، يا أيها الناس من جميع الاشكال والالوان ، والاجناس والانواع ، والامصار والاقطار ، انكم على اختلافكم وتعددكم اخوة ، اذ كلكم لادم وحواء ، فلكل واحد منكم على أخيه حقوق الاخوة ومستلزماتها ، وانما خلقناكم كذلك ، لا لتتناكروا وتتخاذلوا وتتباغضوا ، بل لتتعارفوا وتتوادوا وتتحاببوا وتكونوا عباد الله اخوانا ، لا يفضل بعضكم بعضا بحسب ولا نسب ، ولا جاه ولا نسب ، ولا غنى ولا ثراء ، وانما الفضل يكون بتقوى الله والعمل الصالح ، والاثر الخالد ، والخلق الكريم (**ان أكرمكم عند الله أتقاكم**) .

وما أروع النبى المعلم الحكيم وهو يقول فى هذا المقام (الناس كلهم لادم . وآدم من تراب . **لا فضل لعربى على عجمى الا بتقوى الله**) ويقول (**الناس كلهم سواسية كأسنان المشط . لا فضل لعربى على عجمى : ولا لعجمي على عربى الا بالتقوى** » !

وماأجمل شاعرنا العربى وهو يغرد بهذا المعنى السامى العظيم فيقول :

الناس من جهة التمثيل اكفاء
ابوهم آدم والام حواء
فان يكن لهم فى اصلهم شرف
يفاخرون به فالطين والماء

الى آخر هذه الابيات التى أسلفنا ذكرها فى مقال سابق . وما أصدق ما يقوله أبو الفتح البستى : -

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان
ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران ؟
اقبل على النفس واستكمل فضائلها
فانت بالنفس لا بالجسم انسان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه
ندامة ولحصد الزرع ابان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم
وعاش وهو قرير العين جذلان
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها
فليس يسعد بالخيرات كسلان

أيها القراء الكرام - ليست الغاية من الاديان السماوية ، الا تهذيب البشرية . ومناهضة النزعات الشيطانية . وتوفير أكبر قسط ممكن من الهناءة والسعادة لابناء الحياة . حيث يستتب الامن ، ويسود النظام ، وتتحقق الامال ، وتتحسن الاحوال ، ويعيش الناس هادئين مطمئنين بنعمة الله اخوانا ، قال المولى جل علاه مخاطبا رسوله عليه السلام والمؤمنين « **شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه** » وقال الرسول عليه الصلوات « **المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم واموالهم** » وقال ايضا فى حديث اخر « **لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله اخوانا** الى اخر الحديث وعلى هذا فليس الايمان فى أى دين كان ، اقوالا تصاغ ، ولا دعاوى تدعى ! وليس التدين عبارات خلابة ، ولاملابس فضفاضة ، ولامظاهر فارغة ، لاتغنى صاحبها من الله شيئا ، انما الايمان الحقيقي عقيدة ومبدأ وتضحية ، هو الخلق الكامل والانسان الفاضل ، والقلب العامر بالخير ، وحبه للغير والنفس الغنية الشاكرة ، التى هى بالقضاء راضية وعلى البلاء صابرة ، واليد المبسوطة بالندى والجود ، لاتعرف الشح ولاالبخل ولاالتقتير ، ولسان حالها يقول : -

« البقية ص ١٤٦ »

الـــدين
النعمـــة الكـــبرى

الدكتور إبراهيم هلال

فى المقالة السابقة ، بينا كيف ان القرآن الكريم اعتبر الدين نعمة كبرى وانه تحدث بذلك فى نحو اربعين آية سمى فيها الدين نعمة فى الوقت الذى لم يصل فيه حديثه عن متع الدنيا ولذائذها وخيراتها وتسميتها نعمة الى نصف هذا العدد .

ونبدا بهذه المقالة انشاء الله بيان نعمة الدين الكبرى فى مجال العقيدة .

فى الحقيقة لا نجد وسيلة لتربية الانسان التربية الكاملة وتاديبه احسن الادب ، خيرا من اصلاح عقيدته ، واحسان اعتقاده .

واصلاح عقيدة الانسان لا يتحقق الا بتعريفه بخالقه وبيان قهره له ، وافضاله عليه · وان قهره له يتمثل فى ان البدء من الله ، وأن المنتهى اليه ، وفيما بين هذا وذاك · الانعام منه والعناية والحفظ له وليست لغيره ·

ولقد جمع الله سبحانه هذه المعانى فى قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام (الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتني ثم يحيين ، والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) ·

وحينما يتصور الانسان ذلك ، سيوقن انه فى قبضة الله ، وانه لا الا اليه وجود ولا دوام له الا به ولا ·فر الا اليه : (يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان) والامر فى (فانفذوا) للتعجيز فلا حول ولا قوة لنا الا بالله · ولهذا فان القرآن الكريم والحديث الشريف قد اعطيا الى هذه المراحل الثلاث : وجود الانسان ، وحياته ومنتهاه من العناية ، مما يجعل الانسان ـ حين ينيب الى الله عبدا طائعا ، وانسانا صالحا يباهى به الله الملائكة ويقدمه عليهم ، ويجعلهم فى رعايته وحفظه · فمرحلة البدء يحدثنا الله بها ، ويمتن بها علينا ، ويقيم من الدلائل الباهرة على افضاله علينا بذلك الخلق مما يجعلنا نؤمن به ونتوكل عليه ، ونكون فى شكر وتسبيح له على الدوام · فهذا هو قوله تعالى : (هو أعلم بكم اذ انشاكم من الارض . واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم . هو أعلم بمن اتقى) وهذا قوله تعالى (هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون)

(يايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ما شاء ركبك) وحين ينظر الانسان الى بدئه وخلقه ، وتوالده عاملا بقوله تعالى (وفى انفسكم افلا تبصرون) ثم يقرأ هذه الايات ومثيلاتها فى كتاب الله عز وجل فلا يسعه الا الانقياد اليه . والاقبال عليه بالحمد والشكر ، والطاعة والمباعدة بينه وبين المعاصى ·

فاذا نظر الى حياته وما يحتفها من الرعاية الالهيه التى هى نتيجة قدرة فائقة وعلو على كل شىء وتسخير لكل شيء وذلك كما جاء فى قوله تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه ، انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا . وفاكهه وابا متاعا لكم ولانعامكم) اذا نظر الى هذا الانعام وهذه الرعايه التى لا يستطيعها الا هو خالق كل شيء . سلم التسليم المطلق لقضائه وقدره واحب الله حب المؤمنين القانتين ·

والقران العظيم مملوء بهذا الانعام وهذا الافضال الذى لا يحصى ولا يعد ، والذى هو تصوير لقوله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)

فما علينا الا ان نتدبر ذلك فى القران الكريم ونقرأ من مثل ما تقدم قوله تعالى . وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وانهارا · ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ، ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون · وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل . صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون) ·

هكذا يبين لنا الدين ويبين لنا القران حقيقة وضعنا فى الوجود ، ودرجة الانسان عند الله ، ومدى ما قدم له من عناية ورعاية · وانه بهذا فضله على كثير ممن خلق ، كما قال

تعالى : **(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات . وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** .

وفى تعريف الدين للانسان بنعم الله هذه التى لا تحصى ولا تعد ، نعمة أخرى ، لانه بذلك يرفعه عن درجة السائمة ، فيعرف من اين يأكل ومن أين يعيش ومن الذى يرزقه بهذا الرزق ، ويحوطه بهذا الفضل فيجذبه الى حوزته ، ويبعثه على التذكر الدائم له والتفكر فى خلقه وكونه ، ويكون من الذين قال الله فيهم : **(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)** وهنا يستقر السلوك الحسن والخلق العظيم وبهذا نرى هذه النعمة الكبرى نعمة الدين ، نعمة كبرى بوضوح ، فانها ستعود على الفرد وعلى المجتمع فسنجد المجتمع المثالى الذى يريح الفرد ، ويرتاح فيه الفرد وينعم . ونحن نرى جميعا انه لا راحة للناس الا بالناس ولا شقاء للناس ، الا من الناس . فلنهنأ بهذا الذكر وهذا التفكر فيما خلق الله لنا من نعم ، وهيأ لنا من أرزاق ، وأفاض علينا من رعاية ومن حفظ ، ولنطمئن غاية الاطمئنان بهذا الايمان القوى الذى يضعنا دائما امام هذه الاية الكريمة : **(ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا . ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا)** .

على هذا يكون المؤمن ، واما الكافر فلا يزداد بذلك الانعام الا عتوا ونفورا ، واستكبارا فى الارض بغير الحق ، ومن أجل هذا لزم أن يقدم الله سبحانه للانسان المرحلة الثالثة ، او الاخيرة من حياته والنهاية التى ينتهى اليها . فبين الله سبحانه وتعالى أنه كما كان البدء منه ، فان النهاية اليه كما قال تعالى : **(وأن الى ربك المنتهى)** وقوله **(كما بدأكم تعودون . فريقا هدى ، وفريقا حق عليهم الضلالة ، انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله)** .

وهنا يشهدنا الله فى قرآنه عشرات المشاهد ليوم القيامة وما فيه . يوم يقوم الناس لرب العالمين وفيها التحذير ، وفيها الوعد الطيب وفيها الوعيد الشديد . **(يايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد)** . أول سورة الحج . **(ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب . وجىء بالنبيين والشهداء . وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون)** . وندع للقارىء الكريم أن يكمل بقية المشهد وعرض النهاية بالنسبة للمؤمنين والكافرين فى آخر سورة الزمر .

وهكذا نجد يوم الجزاء يوم توفى كل نفس ما عملت يكمل لنا تلك التركيبة التى أنعم الله بها علينا وقدمها لنا لاصلاح العقيدة . وتربية الانسان الصالح . فأى انسان له قلب يفقه به وعين يبصر بها ، وأذن يسمع بها ، فانه سيكون العبد الصالح الذى يرقب فى مجتمعه وفى الله الا (العهد) والذمة ساعيا الى الجنات ، مباعدا ما بينه وبين الجحيم . سيذكر الله فى كل عمل يعمله ، وكل خطوة يخطوها وسيكون دائما ناظرا الى نعيم الله ورضوانه ، متمثلا دائما زفير جهنم بين اذنيه ، ومتمثلا بقوله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . فان العبد بين مخافتين اجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه وأجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فو الذى نفس محمد بيده ، ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة ، أو النار » .

وبهذه التركيبة القيمة فى مجال العقيدة واصلاحها سيصلح كل أعمال المسلم ، وسيراقب الله فى السر والعلن . وسينظر الى ما ليس له فلا يفعله ولا تمتد يده ، ولا عينه اليه . وسيسارع الى الخيرات وسنجد فى المسلمين تلك النماذج السبعه التى بلغت مرتقى الصلاح والاصلاح ونعمت بدين الله حقا ، تلك النماذج الطيبة التى يقدمها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : **« سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى . ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجل تصدق فاخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال . فقال : انى أخاف الله تعالى ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . ورجلان تحابا فى الله عز وجل ، اجتمعا عليه وافترقا عليه »** . وإذا عمت هذه النماذج فى المسلمين ، فان هذا سيكون أعظم نعمة من الله بها على الانسانية بأسرها .

إملأ هذا الكوبون وارسله إلى ص.ب ٢٠٩٣ يصلك الكتيب التفصيلى دون مسئولية أو ارتباط

الإسم ____________________

العنوان ____________________

المهنة __________ السن __________

تليفون ____________________

من أحداث السيرة

الأحزاب وبنو قريظة

فضيلة الشيخ
الصاوي شعلان

نجحت بنو النضير فى اغراء بنى قريظة لكى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك يجد المشركون وحلفاؤهم من يهود بنى النضير منفذا لهم الى المدينة حيث يعسكر المسلمون والخندق يحول بين المشركين وبينهم وذلك بان يترك بنو قريظة حصونهم مفتوحه لينفذ أعداء الاسلام من خلالها الى المسلمين ولكن الخطه لم تتم فصولها لا بسبب حرص يهود بنى قريظة على عهودهم للنبى ولكن بسبب قصة الرهائن التى ابتدعها نعيم بن مسعود الاشجعى وخدع بها اليهود والاحزاب واوقع بين المشركين وبنى قريظة .

وذلك أن الله عز وجل صنع أمرا من عنده خذل به العدو وهزم جموعهم وفل حدهم فكان من نصره للمؤمنين أن هيأ لذلك الاسباب فقد قدم رجل من غطفان يقال له نعيم بن مسعود ابن عامر رضى الله عنه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد أسلمت فمرنى بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة . فذهب من فوره الى بنى قريظة وكان عشيرا لهم فى الجاهلية فدخل عليهم وهم لا يعلمون باسلامه فقال : يا بنى قريظة انكم قد حاربتم محمدا وان قريشا ان أصابوا فرصة انتهزوها والا استمروا الى بلادهم راجعين وتركوكم ومحمدا فانتقم منكم قالوا فما العمل يا نعيم قال لاتقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن قالوا قد أشرت بالرأى ثم مضى على وجهه الى قريش فقال لهم تعلمون ودى لكم ونصحى لكم قالوا نعم . قال ان يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه وانهم قد راسلوه بأنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها اليه ثم يوالونه عليكم فان سألوكم رهائن فلا تعطوهم ثم ذهب الى غطفان فقال لهم مثل ذلك فلما كانت ليلة السبت من شوال بعثوا الى يهود انا لسنا بأرض مقام وقد هلك الكراع والخف فانهضوا بنا حتى نناجز محمدا فأرسل اليهم اليهود ان اليوم يوم السبت وقد علمتم ما اصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه ومع هذا فانا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا الينا رهائن فلما جاءتهم رسلهم بذلك قالت قريش صدقكم والله نعيم فبعثوا الى يهود انا والله لا نرسل اليكم أحدا فاخرجوا معنا حتى نناجز محمدا فقالت قريظة صدقكم والله نعيم فتخاذل الفريقان ولم تفتح بنو قريظة حصونها .

ذلك أمر ما أجملنا فى مقالنا السابق عن الاحزاب وبنى النضير من خدعة نعيم للفريقين وانتهت الاحزاب بهزيمة قريش وعودة ابى سفيان وقبائل المشركين تجر اذيال الخيبة الى ديارهم وكتب أبو سفيان بن حرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا جاء فيه « باسمك اللهم فانى أحلف باللات والعزى لقد سرت اليك فى جمعنا وانا نريد ألا نعود ابدا حتى نستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضايق وخنادق وليت شعرى من علمك هذا ؟ فان نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد ولقد علمت أنى لقيت أصحابك ناجيا وانا فى عير لقريش فما خص اصحابك منا شعرة ورضوا منا بمدافعتنا بالراح ثم قبلت فى عير قريش حتى لقيت قومى فلم تلقنا فأوقعت بقومى ولم اشهدها من وقعة ثم غزوتكم فى عقر داركم فقتلت وحرقت « يعنى غزوة السويق » ثم غزوتك فى جمعنا يوم احد فكانت وقعتنا فيكم مثل وقعتكم بنا ببدر ثم سرنا اليكم فى جمعنا ومن تألب الينا يوم الخندق فلزمتم الصياصى وخندقتم الخنادق .

فلما قرأ ابى بن كعب الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبته كتب اليه « **من محمد رسول الله الى أبى سفيان بن حرب اما بعد ، فقديما غرك بالله الغرور ، اما ما**

ذكرت انك سرت الينا فى جمعك وانك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك امر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى · **وأما قولك : من علمك الذى صنعنا من الخندق فان الله ألهمنى ذلك لما اراد من غيظك وغيظ أصحابك ، وليأتين عليك يوم تدافعنى بالراح وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة وهبل حتى اذكرك ذلك يا سفيه بنى غالب » ·**

وهكذا انتهت مرحلة الاحزاب وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رد الله عدوه بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفاه الله قتالهم فصدق وعده واعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فدخل المدينة ووضع السلاح ودخل البيت فاغتسل ودعا بالمجمرة ليتجمر وقد صلى الظهر فأتاه جبريل فوقف عند موضع الجنائز فنادى عذيرك من محارب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا فقال الا اراك وضعت اللامة ولم تضعها الملائكة بعد لقد طردناهم الى حمراء الاسد · ان الله يأمرك أن تسير الى بنى قريظة · فانى عامد اليهم فمزلزل بهم حصونهم · فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه فدفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق وبعث بلالا رضى الله عنه فأذن فى الناس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ألا تصلوا العصر الا فى بنى قريظة · ثم نادى المنادى يا خيل الله اركبى ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرع والمغفر والبيضة وتقلد الترس وركب فرسه وحف به اصحابه وقد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وسار فمر بنفر من بنى النجار قد صفوا وعليهم السلاح فقال هل مر بكم احد قالوا نعم دحية الكلبى فأمرنا بلبس السلاح فأخذنا سلاحنا وصففنا وقال لنا هذا رسول الله يطلع عليكم الان فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل · وكان جبريل قد ذكر له انه سائر أمامه يزلزل بالملائكة حصون قريظة وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه قد سبق فى نفر من المهاجرين والانصار وغرز الراية عند اصل الحصن فاستقبلهم يهود يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم ·

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود وتقدمه اسيد بن حضير فقال يا أعداء الله لانبرح حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر · قالوا يا ابن الحضير نحن مواليك دون الخزرج · فقال لا عهد بينى وبينكم ولا ال · ودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت اتشتموننى فجعلوا يحلفون ما فعلنا ويقولون : يا أبا القاسم ما كنت جهولا وتقدمت الرماة ورماهم المسلمون ساعة واليهود تراميهم وغدا كرا بعد بيات وقدم الرماة وعبأ أصحابه فأحاطوا بحصون يهود ورموهم بالنبل والحجارة حتى أمسوا ونزل نباشى بن قيس وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير له الاموال والحلقة ويحقن دماءهم ويخرجون من المدينة بالنساء والذرارى ولهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكمه وعاد نباشى اليهم بذلك وحصرهم النبى صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ولما اشتد عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن اسد ثلاث خصال : اما ان يسلموا ويدخلوا مع محمد فى دينه وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوته واما أن يقتلوا ابناءهم ونساءهم ثم يخرجوا اليه بالسيوف مصلتة يناجزونه حتى يظفروا به أو يقتلوا عن آخرهم واما أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون فيبيتون المسلمين فقالوا لا نحل السبت فأبوا عليه أن يجيبوه الى واحدة من هذه الخصال الثلاث ·

ولما اشتد عليهم الحصار طلبوا أبا لبابة بن عبد المنذر وكان لهم حليفا ونصيحا فرق لهم حين استشاروه فقالوا له ما ترى ان محمدا قد أبى الا أن ننزل على حكمه قال فانزلوا وأشار بيده الى حلقه يقول انه الذبح ثم نزل والناس ينتظرونه ثم تبين له أنه خان رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى الى المسجد وربط نفسه بساريته وحلف ألا يحله الا رسول الله بيده فلما بلغ رسول الله ذلك قال دعوه حتى يحدث الله فيه ما يشاء ولو جاءنى استغفرت له واما اذ لم يأتنى وذهب فدعوه · فكان كذلك خمس عشرة ليلة ولم يزل مرتبطا حتى تاب الله عليه وأنزل الله فيه (**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم**) فحله رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

ثم نزلت بنو قريظة على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فقامت اليه الاوس فقالوا يارسول الله قد فعلت فى بنى قينقاع ما قد علمت وهم حلفاء اخواننا الخزرج وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم فقال ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك الى سعد بن معاذ قالوا قد رضينا ولما أقبل سعد بن معاذ خرجت اليه الاوس وجعلوا يقولون له : ان رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم فأحسن فقد رأيت ابن أبى وما صنع فى حلفائه وأكثروا فى هذا وشبهه وهو لا يتكلم ثم قال قد آن لسعد الا تأخذه فى الله لومة لائم وقالت الاوس الذين حضروا ان رسول الله قد ولاك الحكم فاحسن فيهم واذكر بلاءهم عندك فقال سعد أترضون بحكمى لبنى قريظة قالوا نعم قال وحكمى نافذ عليهم قالوا نعم قال وعلى المسلمين قالوا نعم قال وعلى من هاهنا واعرض بوجهه وأشار الى ناحية النبى صلى الله عليه وسلم اجلالا واحتراما قال نعم وعلى قال فانى أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى النساء والذرية وتقسم الاموال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سمواته ·

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بأسراهم فكتفوا رباطا وأخرج النساء والذرية من الحصون فى ناحية وجمعت الامتعة وما وجد فى الحصون كان الفا وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفا رمح وألف خمسمائة ترس وجحفة واثاث كبير وآنية كثيرة وخمر وجرار سكر فهريق ذلك كله ولم يخمس ووجد من الجمال النواضح عدة ومن الماشية الشىء الكثير فجمع هذا كله ·

وأمر رسول الله بقتل كل من جرت عليه الموس ومن لم ينبت الحق بالذرية وكان عدد القتلى ما بين الستمائة والسبعمائة ولما جىء بعدو الله حى بن أخطب للمقتل قال له صلى الله عليه وسلم الم يمكن الله منك يا عدو الله فقال بلى والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولقد التمست العز فى مظانه وأبى الله الا أن يمكنك منى ولقد قلقلت كل مقلقل ، ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس لا بأس بأمر الله قدر وكتاب ، ملحمة كتبت على بنى اسرائيل وعند مقتل الرجال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحسان أسارهم فقال « **احسنوا أسارهم وقيلوهم واسقوهم ، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح** » ·

وعند قسمة السبى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يفرق فى القسم والبيع بين النساء والذرية قائلا : لا يفرق بين الام وولدها حتى يبلغوا ·

وهكذا كانت نهاية غدر بنى قريظة ونقضهم لعهدهم ومن الملاحظ أن نهاية كل طائفة من اليهود كانت تأتى عقب كل غزوة من الغزوات الكبار فقد كانت نهاية بنى قينقاع عقب بدر ونهاية بنى النضير عقب غزوة أحد ونهاية بنى قريظة عقب غزوة الاحزاب ·

من ملامح وأخلاق

مجتمع العلم و الأيمان

فضيلة الشيخ
مصطفى الجندى

فى هذه السطور من هذا المقال وما سبقه من حلقات . أتاح لها الرب الكريم ان ندكر بها على صفحات هذه المجلة الغراء . حاولنا ان نساهم ولو بقدر قليل فى دعم مسيرة أمتنا المباركة نحو ايجاد مجتمع الايمان المأمول فى صورته المتكاملة ، ومحاولة امتنا ، قادة ومحكومين ، استعادة اشراقة وجهه الجميل الباسم ، كما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، وسلف أمتنا الصالح ، من أولئك الذين اقتبسوا من نور النبوة ، وساروا على درب الحق راشدين .

وفى محاولة اليوم ، التى نستهدف منها التذكير ببعض ملامح الايمان ، كما كانت على عهد السلف الاول لامتنا ، لابد وأن نؤكد مرة أخرى ، أن استصحاب أمتنا لملامح المجتمع المؤمن الاول ، من أجل تأكيد وجود مجتمع الايمان الجديد هو ضرورة حتمية ، ومطلب ملح ، من أجل تسديد خطاها على طريق تحقيق هذا الهدف ، لان مجتمع الايمان الاول ، هو الاسوة والقدوة ، وهو المثل والنموذج الذى سيظل يحتذى به ، وينسج دائما على منواله ، كما أن مجتمع الايمان الاول ، سيظل هو الامل والغاية ، والهدف المرجو ، والمطلب الذى يستهوى الناس فى كل أرض ، ويستلفت أنظارهم ويستميل قلوبهم فى كل وقت .

ولقد تجلت بعض ملامح هذا المجتمع المبارك ، فى واحدة من آيات كتاب ربنا - عز وجل - حين قال سبحانه : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » ، « من الاية ٢٩ سورة الفتح » وكان آخر ما تحدثنا عنه ، وأشرنا اليه من هذه الملامح : حرص هذا المجتمع المبارك على صلته بربه ، وتوثيق علاقته به عن طريق اقام الصلاة ، ابتغاء لفضل الله تعالى ، والتماسا لمرضاته •

وكما كان يحرص هذا المجتمع على اقام الصلاة على وجهها ، والاتيان بها فى صورتها الكاملة ، فقد كان يحرص كذلك على انعكاس آثار هذه الصلاة على سمته ومحياه ، نورا فى وجهه ، واشراقا فى حياته ، وعطرا زاكيا فى خلقه وسلوكه ••

وكان أفراد هذا المجتمع المبارك ، لا يسمح لهم ضميرهم الدينى المرهف أن يشغلهم عن الصلاة شاغل ، أو أن يذهلهم عن حضور الجماعات فى المساجد شىء من زهرة الدنيا أو متاعها •

بل كانوا يرون أن لا كفارة لانشغالهم عن الصلاة بشىء من الدنيا ، أو ذهولهم عن حضور الجماعات بنصيب من فتنتها وزهرتها ، الا بالخروج منها والتخلى عنها ، وجعل ما شغلهم منها صدقة تكفر عنهم جريمتهم ، وتذهب بخطيئتهم •• ذلك ما أكده الواقع التاريخى الذى سجل هذه اللمحات لبعض أفراد هذا المجتمع المرموق ، الحافل بالخير والفضل ، فقد روى الذهبى فى كتابه : الكبائر ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

خرج عمر يوما الى حائط له « أى بستان » ، فرجع وقد صلى الناس العصر •• فقال ، انا لله وانا اليه راجعون ، فاتتنى صلاة العصر مع الجماعة ؟ ! •• أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة ، قال ابن عمر : ليكون كفارة لما صنع عمر رضى الله عنه • •• !

وروى الامام مالك فى الموطأ :

قال : وكان رجل من الصحابة يصلى ببستان له ، فأعجب بستانه ، فانشغل باله بذلك وهو يصلى ، فلما فرغ استغفر الله تعالى من أن يشغله بستانه عن الخشوع بين يديه ولم يجد لذلك كفارة ، الا أن يتصدق به كله لله عز وجل ، اهـ •

وروى الامام مالك أيضا فى نفس المصدر هذه القصة :

فقال : « وصلى بعض الصحابة « أى أحدهم » أيضا فى بستان له ، فدخل طائر بستانه وهو يصلى ، فتتبعه ببصره ، فشغل به عن الخشوع فى صلاته ، فلما انتهى منها ذهب الى عثمان ، وكان أمير المؤمنين ، فتصدق ببستانه كفارة لذنبه ذاك ، وجعل عثمان قيما على البستان ، فباعه عثمان بخمسين ألفا ، وزعت على الفقراء ، وسمى بستان الخمسين » أ • هـ •

هكذا بلغ حرص هذا المجتمع على اقام الصلاة ، والاستمساك بها فى وقتها ، دون أن يعوقه عنها عائق ، أو أن يشغله عنها ، أو عن الاتيان بها تامة شاغل ، من دنيا ، أو من متاع •• !

ولو تركنا للقلم العنان ، وذهبنا نستقصى أحداث الوقائع التاريخية ، ونستعرض نماذجها الكثيرة ، وأمثلتها التى تستوجب العجب ، وتستثير الدهشة ، ما وسعتنا صحائف كثيرة ، ولكننا نجتزىء عن الكل بذكر أمثلة للبعض عساها أن تكون لمجتمعنا عبرة ، ولأفراده أسوة وقدوة •

وثمة ملامح أخرى لهذا المجتمع الاول المبارك على عهد الرسول وأصحابه ، وعهد سلفنا الصالح ، سجلتها آيات أخرى من كتاب ربنا - عز وجل - كما فى قوله تعالى :

« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم » ٩ - ١٠ من سورة الحشر •

فلقد سجلت هذه الايام الكريمة من ملامح مجتمع الايمان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

١ - هذا الحب الخالص فى الله وهذه الاخوة الصادقة تحت لوائه ، وفى ظل كلمة لا اله الا الله •

٢ - خلوص قلوب افراد هذا المجتمع الطيب المبارك من الحقد ، وبراءته من الحسد •

٣ - تجلى روح الايثار فى خلق وسلوك أفراد هذا المجتمع نحو من أحبوهم بظهر الغيب ، وتآخوا معهم فى رحاب الايمان تحت لواء كلمة التوحيد ، حتى ولو كانوا بحاجة الى ما يؤثرون به اخوانهم على أنفسهم التماسا للفلاح ، وبراءة من الشح ، وابتغاء منهم لمرضاة الله ، والتماسا لمثوبته •

٤ - سلامة الصدر من الغل ، وبراءته من البغضاء والكراهية ، وتفشى روح الايمان فى اجوائه ، وذيوع عطر اليقين فيه ، وخلوصه من كل ما يعكر الصفو ، ويشيع الكدر ، مما يفسد المجتمعات ويشينها ، ويعجل بنهايتها ، وينذر بزوالها وذهاب ريحها •

أما عن المحبة التى كانت تسود هذا المجتمع المتكامل المثالى •• فقد نبت فى هذا المجتمع أول ما نبتت •• عن طريق الاستجابة لدواعى الفطرة ، وحاجة الانسان الى اخيه الانسان •• من أجل الاستئناس به ، والتعاون معه ، فى ألفة وود ، وتعاطف وأخوة • ذلك أن أعباء الدنيا جسيمة ، ومتاعبها التى تحيق بالناس فى كل لحظة هى متاعب كبيرة ، والانسان كفرد هو بازائها أضعف من أن يقف وحده يواجه شدائدها وخطوبها ، لان المرء قليل بنفسه ، كثير باخوانه •

ومع هذه الاستجابة لدواعى الفطرة ، واشباع الاسلام لحاجة من حاجات الانسان الطبيعية ، عن طريق تزكيته للالفة والود ، والمؤانسة والحب ، والتجمع والاخوة ، والتعاطف والوحدة ، ودعوته اتباعه الى ما ينمى الاحساس بروح الجماعة ، وتوثيق عرى الالفة بين افرادها ، والتمكين للمحبة فى جوها ، مثل ترغيبهم فى أداء الصلاة فى جماعة ، واحسان العشرة مع الناس ، ولين الجانب معهم ، ورحابة الصدر وخفض الجناح لهم ، ابتغاء لمرضاة الله والتماسا لمثوبته لان لـ « المؤمن هين لين الف مالوف » ، و « الارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » ، « البخارى » •

فقد كان هذا المجتمع يعى حقيقة مشرقة تضىء حياته وحياة أفراده جميعا ، وتقود سلوكهم وتوجه عواطفهم وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ، هذه الحقيقة هى : أن الايمان بالله ورسوله ليس رابطة تجمع بين عدد قليل أو كثير من الناس فحسب ،

ولكن الايمان سبب فى أخوة حقيقية بين من رفعوا شعاره ، وانطووا تحت لوائه ، وهى أخوة من صنع الايمان ، ولذلك فهى نمط جديد لم يعرفه الناس من قبل فى حياتهم . لانها أخوة تقوم على الولاء والحب ،والعاطفة الصادقة والود ، ولذلك فهى أخوة تعلو وتسمو على أخوة القرابة والدم والنسب ، هى روح الايمان الحى ، وهى جوهره الحقيقى كما أنها أحاسيسه الصادقة ، وعواطفه السامية المذخورة فى قلب كل مسلم ، والتى يدخرها ويكنها لكل من آمن معه وأسلم ، وارتبط واياه بعهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، قد ضرب لها الرسول مثلا حيا ، ونموذجا رائعا ، زكاه وأثنى عليه وعلى أصحابه فقال : « مثل المسلمين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » . أخرجه البخارى .

كما أنها أخوة لها حقوقها التى يجب الوفاء بها ، والاداء لها ، فهى تفرض على المسلم أن يتألم تألما حقيقيا لما يصيب اخوانه فى الدين ، فيندفع دفعا الى كشف ضوائقهم ، وازالة كروبهم ودفع الغوائل عنهم « فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » . الحديث أخرجه البخارى ومسلم » كما انها تفرض على كل مؤمن أن يكون لاخيه سندا وظهيرا ، وعونا ونصيرا ،ذلك ماتعلمه افراد هذا المجتمع المؤمن المبارك من نبيهم صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . أخرجه البخارى .

وقوله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قال : انصره مظلوما . فكيف أنصره ظالما ؟ قال : تحجزه عن ظلمه فذلك نصره » أخرجه البخارى فى صحيحه .

ومن حقوقها كذلك : أن يقف معه لمساندته فى أخذه لحقه ، ودفع الظلم والغبن عنه .. لقد تعلم مجتمع الايمان هذا الدرس من نبيهم صلى الله عليه وسلم فى قوله : « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الاقدام » الاصبهانى .

ومن حقوقها أن يمشى معه فى حاجته شفيعا ومعينا ، وسندا ونصيرا ، فذلك وحى ما تعلمه هذا المجتمع الطيب المبارك من رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى قوله فيما أخرجه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما « من مشى فى حاجة أخيه ، وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين » .

ومن حقوق هذه الاخوة ، التى كان يعرفها هذا المجتمع ، ويدين لها افراده بالولاء الكامل : معرفته التامة بأن للجاه زكاة تؤدى كما تؤدى زكاة المال : نحو كل فرد يلوذ فى هذا المجتمع المؤمن المبارك بصاحب منصب تحفه الرغبة أو الرهبة ، فقد كان من رزق فى هذا المجتمع المبارك حظا من سيادة أو شيئا من التمكين فى الارض : يرى فى ذلك انما سيق له ذلك الحظ من الدنيا ليربط بعنقه حوائج الناس ، وحلول مشاكلهم ، وتفريج كروبهم ، وكشف ضوائقهم ، فان هو أدى امانته ، وعرف مانيط بعنقه منها ، وادى حق الله فيهـا رزقه الله منها الحظ الوافر والثواب الجزيل عنها ، وان هو لم يؤد حق الله فيها .. فقد جحد نعمة الله تعالى وعرضها للزوال والبوار .. وذلك هو الدرس الذى تعلمه من الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ان لله عند اقوام نعما اقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ، مالم يملوهم ، فاذا ملوهم نقلها الى غيرهم » .. اخرجه الطبرانى ..

على أن أداء المؤمن لاخيه هذا الحق ، واستخدامه لجاهه من اجل نفع الناس ، استنباتا للحب والود فى قلوبهم ، انما كان يتم فى اخلاص كامل ، ونزاهة مطلقة ، من غير انتظار أجر ، أو هدية على ذلك ، لانه كان يدرك تماما : أنه ان فعل ذلك : فقد أكل السحت ، وفقد الاجر ، بل وأتى بابا عظيما من الكبائر ذلك هو ما تعلمه أفراد هذا المجتمع من هذا الدرس النبوى الكريم : فى قوله صلى الله عليه وسلم : « من شفع شفاعة لاحد ، فاهدى له هدية عليها ، فقبلها ، فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر » أخرجه أبو داود .

ولم يكتف منادى الايمان صلى الله عليه وسلم وهو يبنى هذا المجتمع المبارك الاول المرموق فى شأنه ، وسمته ، وحاله ، بمجرد التعريف بحقوق الاخوة تحت ظلال الايمان ، وانما علم الناس كيف يفتحون نوافذ وأبواب الحب ، ويستنبتون الود . والاخوة فى قلوب من اجتمعوا معهم على كلمة الاسلام وربطوا حياتهم ومصائرهم به وكيف يوصدون فى الوقت نفسه نوافذ وابواب البغض والكراهية ، التى تستنبت الضغائن فى القلوب ، وتستثير الاحقاد فى النفوس ، وتذهب ريح الحب وتنتهى بالمجتمعات الى أسوأ مصير ، واسفل درك قد يتصوره العقل ، أو ينتهىالى ـنراصه تفكير ...

فمن الابواب التى تستنبت الحب الخالص من كل الشوائب فى قلب كل فرد من افراد مجتمع الايمان فى أى زمان أو مكان : هذا الباب الحافل بكثير من الاغراء بالخير ، فى لحظات يتجلى فيها افلاس الكثيرين من الخير : انه باب الحب فى الله: يقول صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال الى نفسها فقال : انى أخاف الله عز وجل » . أخرجه البخارى ومسلم وأحمد عن أبى هريرة . ومن هذه الابواب التى تنتهى بمن يلج اليها الى اكتساب الخير كل الخيردون بذل أو عطاء الاالحب الخالص والود الصادق هذا الباب : « عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث احلف عليهن : لا يجعل الله من له سهم فى الاسلام كمن لاسهم له واسهم الاسلام ثلاثة : الصلاة ، والصوم ، والزكاة . ولا يتولى الله عبدا فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة ، ولا يحب رجل قوما الا جعله الله معهم » .

ومن الابواب والنوافذ التى تفضى بأصحابها الى استنبات الحب الصادق والود الخالص : هذا الحديث وغيره من الاحاديث القدسية ، والنبوية ، التى استطاعت وتستطيع أن تستثير ارقى مافى مشاعر الناس واحاسيسهم ، واسمى ما فى عواطفهم ليقيموا منها . وبها فى كل زمان مجتمع خير أمة أخرجت للناس ، وقد ازدان بالحب والود ، والصفاء والالفة ، وهى كلها جوهر اخوة الايمان يقول الله تعالى فى حديثه القدسي :

المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل الا ظلي أخرجه الامام أحمد .

ويقول عز وجل في حديث قدسي آخر : « قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي ، وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي ، وقد حقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي ، وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من اجلي » أخرجه الامام أحمد والطبراني .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب الا كان أحبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه » اخرجه الطبراني .

ولعل اعظم الاسباب التي انتهت بالمجتمع الاسلامي الاول الى هذه الاخوة في الله وذلك الحب الخالص من أجله ، انما تتمثل في أمثال هذا الحديث النبوي الشريف : الذي يكشف فيه من لا ينطق عن الهوى بعض حال المحبين المخلصين عند ربهم ، ومقامهم ورتبتهم لديه ، وهو هذا الحديث الذي « أخرجه أبو داود عن عمر ، قال قال صلى الله عليه وسلم :

« ان من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا : يا رسول الله فخبرنا : من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله . على غير ارحام بينهم ، ولا اموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور . وانهم لعلى نور ، ولا يخافون اذا أخاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس . ثم قرأ الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

كما ان من أعظم هذه الاسباب قاطبة : حرص هذا النبي المعلم المبارك على أن يكون هذا الحب قدرا مشتركا بين من تحابوا في الله ، وتآخوا تحت لوائه ، وذلك يتجلى كأعظم ما يكون في ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم : الى ما يزكي هذه العاطفة ، ويقوي من أواصرها ، ويلهب من مشاعرها ، وينمي شجرتها في قوله صلى الله عليه وسلم « واذا احب احدكم أخاه فليخبره أنه يحبه » ، أخرجه الامام أحمد » .

وعن انس – رضى الله عنه – كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم – فمر رجل فقال : يا رسول الله اني أحب هذا . قال : أعلمته ؟ قال : لا . قال : فأعلمه . فلحقه ، فقال : انى أحبك في الله . فقال : أحبك الذي احببتني له ، « أخرجه أبو داود » .

ومن هذه المنافذ والابواب التي اذكت هذه العاطفة ولا تزال ، والتي علمها صلى الله عليه وسلم لاتباعه حتى يعمهم الحب والود ، والصفاء والالفة قوله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يصفين لك ودّ أخيك : تسلم عليه اذا لقيته ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه اليه » .

ومن أجل اكتمال المودة ، وتقوية أسباب المحبة ، أرشد النبي صلى الله عليه وسلم : الى ضرورة أن يتعرف كلا المتحابين في الله احدهما على الاخر تعرفا كاملا ، فلا يكفي أن يعرف كل منهما اسم الاخر ، بل ولابد أن يتعرفا على اسمى والديهما ، وبلديهما ، لان ذلك اوصل للمودة ، واكمل للمحبة .. يقول صلى الله عليه وسلم في ذلك : « اذا آخى الرجل الرجل ، فليساله عن اسمه ، واسم أبيه ، وممن هو ؟ فانه اوصل للمودة » . ومنها : تبادل الهدايا : فقد حبب الرسول صلى الله عليه وسلم تبادل الهدية بين الاحباء ، وجعلها بريد الود ، وسببا للمزيد من أواصر الاخوة والحب ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : « تهادوا تحابوا » ، ويقول : « تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدر « أى غشه ووسواسه » ! » اخرجه الترمذى » .

على أن ذلك المسلك العالي ، والنمط الرفيع من حسن المجاملة ولطف المعاشرة ، انما هو مقيد بالخط الاسلامي الذي لا يعرف التكلف ، ولا يتصنع الرياء والمداهنة ، وانما الهدف منه ، والامل المرجو من ورائه : اشاعة عطر الاخاء ، وبساطة المجاملة ، ويسر الحياة وبهجتها ، وتأكد أنها لم ولن تخلو يوما من رحيق الايمان ، وعظمة نفس اهل اليقين من المؤمنين ، وتأكيد هذا المعنى الذي اشتمل عليه هذا الحديث النبوي الشريف « خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » « أخرجه الحاكم » .

ومن السلوك الذي يصون المحبة ويستبقي المودة ألا يجلس رجل بين اثنين يفرق بينهما ، وان لا يتناجى اثنان دون الثالث ، وان لا يقيم رجل رجلا من مجلسه ليجلس هو فيه : يقول في ذلك صلى الله عليه وسلم : معلما ومؤدبا : « لا يحل لرجل أن يجلس بين اثنين الا باذنهما » .

ويقول : « اذا كانوا ثلاثة : فلا يتناجى اثنان دون الثالث فان ذلك يحزنه » .

ويقول : « لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم » .

وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم المصافحة باليد بمثابة الممحاة التي تمحوا كل اثر للضغن أو البغضاء حين اوصى الناس من أتباعه فقال : « تصافحوا يذهب الغل من قلوبكم » .

وأوصد نبي الاسلام وداعي الايمان صلى الله عليه وسلم كل النوافذ والابواب التي قد تهب منها رياح البغضاء ، او تتولد منها جرثومة الشقاق والكراهية ، والقطيعة والضغن ، في حسم لم تعرف له أساليب التربية مثيلا ولا ضريبا : حين أمر بترك المراء ، والجدال : سواء أكان أفراد المجتمع في ذلك محقين أو مبطلين ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم « ذروا المراء لقلة خيره ، ذروا المراء فان المؤمن لا يماري ، ذروا المراء فان المماري قد تمت خسارته ، ذروا المراء فكفى اثما الا تزال مماريا » ، أخرجه الطبراني » .

وحين نهى نهيا حاسما عن القطيعة والاسباب التي تؤدي اليها وحذر من نتائجها ومغبتها فقال : « لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله اخوانا . ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث ! « أخرجه البخاري » . كما وضع أيدي الناس على ما قد يثير ضغن غيرهم في قوله « من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم » « أخرجه البخاري » .

وتيقظ الاسلام لبوادر الجفاء ، وكشف على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم مصادرها حين قال : « ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم » ، أخرجه مسلم » . وذلك حتى يكون الناس على بينة من مواطىء أقدامهم . ويتعرفوا جيدا على عدوهم ، فيفزعوا الى ربهم دائما متحابين .

« للحديث صلة باذن الله تعالى

ظواهر يناهضها الاسلام

الأستاذ محمد دياب

من أبرز الظواهر السلبية التى تسود الحياة الانسانية فى هذا العصر ، تلك الظاهره التى يسميها علماء النفس والاجتماع باسم « التناقض » ، بمعنى الاختلاف بين الاقوال والافعال .. بين النظريات والتطبيق .. بين الظاهر والباطن .. أو بين « البرانية » و « الجوانية » بتعبير الفلاسفة .

وقد أصبح التناقض بهذا المعنى مرضا وبائيا ينهك صحة الحياة ، ويعطل مسيرتها نحو الافضل .. فالتناقض قائم بين الشعوب والاجناس والمفكرين والقادة .. قائم حتى بين الانسان ونفسه .

والعجيب أنه كلما تعددت افكار المصلحين لوقف تفشى هذا الوباء ، ازداد الامر تعقيدا والوباء انتشارا ، ووقف الانسان حائرا أمام هذا التدر لا يستطيع له دفعا ، ولا يملك منه مخرجا .

ولو أنصف الناس لوجدوا أنجع شفاء لاوجاع ذلك الداء فى كتاب الله الذى يعلم من خلق ، وهو اللطيف بهم الخبير بأحوال نفوسهم ، وفى سنة رسول الله الذى بعثه الله بالهدى ونور الحق رحمة للعالمين .

لو أنصف الناس لارهفوا الاحساس والسمع الى قول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .. اذن لادركوا سر ما هم فيه من تخبط وحيرة ، وعرفوا طريق النجاة مما يعانون من عذاب ومقت .

ولو أنصف الناس لوضعوا أيديهم على سبب **المأساة كلها .. وقد لخصه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ان أخوف ما أخاف على أمتى الشرك الاصغر . قالوا : وما الشرك الاصغر يا رسول الله « قال : الرياء . يقول الله عز وجل اذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » .**

هكذا يكشف لنا معلم الانسانية الاول عن أصل الداء فى كلمة واحدة ، هى الرياء والنفاق .. نفاق الناس بعضهم بعضا .. نفاق الامم بعضها لبعض .. نفاق الانسان لنفسه .. نفاقه لربه .. النفاق فى مختلف صوره هو أصل مشكلة التناقض فى هذا العصر وكل عصر . ولو انتهى النفاق على هذه الارض لما كانت للانسان مشكلة . لهذا يحذر منه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ويسميه باسمه الحقيقى « الشرك الاصغر » .. فالذين ينافقون لا يمكن ان تنسجم كلماتهم مع نواياهم ، ولا ظواهرهم مع بواطنهم .. والمنافقون فى حقيقتهم خائفون من غير الله يشركون به من عداه من خلقه ، حتى ولو كان هؤلاء المنافقون يصلون ويصومون ويحجون ويتصدقون ، فان عبادتهم نفسها تكون فى هذه الحالة من قبيل الرياء . وفى هذا المعنى يقول سيدنا رسول الله : « **من صام يرائى فقد أشرك ، ومن صلى يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد اشرك** »

وهذه ظاهرة سلبية أخرى ضحاياها كثيرون .

فهناك من يظن أن هناك انفصالا بين العقيدة والعبادة وبين السلوك العام ، وأنه يكفى أن يؤدى الانسان ما عليه من الفرائض ، ولا بأس عليه بعد ذلك ان يمارس حياته وافكاره الاجتماعية حسبما تهوى نفسه .

وهذا هو الوهم الذى يقعون فيه ، اما بسلامة نية ، واما نتيجة وقوع فى براثن بعض النظريات التى تنادى بفصل الدين عن الحياة والمجتمع .

والحقيقة الواضحة هى أن الاسلام دين الحياة ، وانه قد جاء لغاية كلية واحدة هى بناء الانسان والحياة ، وأن هناك تلازما وثيقا بين عقائد الاسلام وعباداته وبين سلوك الانسان ومثله واخلاقه ، بل ان مشروعية العبادات فى الاسلام انما هى لتنمية مجتمع الاخلاق والمثل العليا . واذا كانت الاديان السابقة قد جاءت لوضع لبنات فى البناء الاجتماعى والاخلاقى ، فان الله قد بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لاتمام البناء .

والذى لا يفهم ذلك ولا يؤمن به ، فقد خسر قضية الدين والدنيا

وقد سأل رسول الله أصحابه يوما : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، واكل مال هذا ، وسفك دم ذاك ، وضرب هذا .. فيعطى هذا من حسناته ،وهذا من حسناته ، فانفنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار »

هكذا يتضح مدى التلازم بين الايمان والعمل .. بين العبادة والاخلاق .. فلا يكفى أن يقول المرء انا مؤمن ، ولا يكفى أن يصلى ويزكى ويصوم ويحج ، اذا كان سىء الخلق ، يسب الناس ويرميهم بالسوء ، ويؤذى جيرانه ، ويأكل مال غيره .. وغير ذلك من التصرفات السيئة .

ان العباده الحقة تعكس آثارها على الناس مكارم وفضائل .. فاذا انعدمت الفضائل وساء السلوك الاجتماعى وتمزقت عرى العلاقات ، فهذا دليل على فساد العبادة وضعف الايمان او انعدامه فى النفوس!

وهذا هو الارتباط بين الدين والحياة .. ازدهارها من ازدهاره ، وبوارها من بواره .

وكل ابتداع يحاول فصل الدين عن الحياة واثارة المتناقضات فى المجتمع الانسانى ، فليس أكثر من محاولات فعالة تقوم بها بعض الفرق الدخيلة فى حياة الاسلام والمسلمين .

وتلك ظاهرة سلبية ثالثة ابتلى بها المجتمع الاسلامى .

واعنى بها ظاهرة ابتداع الفرق والتنظيمات الخارجة بآرائها وأفكارها وسلوكها على جماعة المسلمين ، تحت اسم الحرية حينا ، أو التقدم والديمقراطية حينا آخر .

وقد ناهض الاسلام ، فيما أرساه من مبادىء الحرية والشورى والعدل ، مثل هذه الظاهرة التى تستهدف تمزيق وحدة الجماعة ، واثارة الفتن بين شرائح المجتمع ، وتقديم مصالح أفراد قلائل على مصالح الامة .

ولنتأمل كلمات رسول الاسلام صلوات الله عليه ، فى حوار مفعم بالسداد والحكمة ، مع الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان رضى الله عنه :

رسول الله يقول لحذيفة : انه يأتى فى آخر الزمان دعاه الى أبواب جهنم ، ومن أجابهم اليها قذفوه فيها !

فيقول حذيفة : صفهم لنا يا رسول الله .

ويجيبه الرسول : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا !

ويسأل حذيفة : فما تأمرنى ان ادركنى ذلك يا رسول الله ؟

ويقول رسول الله صلوات الله عليه : تلزم جماعة المسلمين وامامهم .

ويعاود حذيفة السؤال : فان لم تكن لهم جماعة ولا امام ؟

ويجيب رسول الله بقوله فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل الشجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك !

هكذا .. وبكل هذا الوضوح .. يكشف نبى الاسلام أمثال تلك الفرق التى تسعى بالضلالات بين الناس ، وتحاول ان تبدو فى ظاهرها على ملة الاسلام وهى فى باطنها مخالفة للاسلام ، وقد تتكلم بالقرآن والسنة وليس فى قلوبها شىء من موعظة ولا خير ولا حكمة : « **يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم** » . وكما يكشف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الخوارج ، فانه يرسم وسائل اتقائهم وعزلهم ، وذلك باعتزالهم والتزام طريق الجماعة .

ومثلما تحققت نبوءة رسول الله فى ظهور بعض هذه الفرق بعد قرون الاسلام الاولى ، مثل القرامطة والبهائية والباطنية وغيرها ، فان هذه النبوءة متحققة ايضا فيما نشاهده فى مجتمع اليوم من أمثال تلك الشيع والفرق تحت أسماء جديدة .

....

....

هذه نظرات سريعة فى بعض الظواهر السلبية التى تعرقل مسيرتنا نحو ما ننشده .. فاذا صح عزمنا على اقتلاع جذورها وتمهيد طريقنا ، فلنتبع كتاب الله وسنة رسوله .. عندئذ يصبح موقف كل انسان كلمته ، لا يرائى ولا ينافق ولا يخاف .. عندئذ تنسجم الحياة مع الدين خيرا وبرا وحبا .. عندئذ تملك الجماعة أمنها وأمانها ضد من يخرج عليها من هواة التشيع وعبيد التقليد ، أولئك الذين عناهم الله سبحانه بقوله: « **لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل ، أولئك هم الغافلون** » .

الاسـلام

وقضـايا العصـر

الاستاذ طه محمد كسبه

يقع الذين يعالجون قضايا العصر من وجهة النظر الاسلامية بما جاء فى القرآن الكريم . فى خطأ كبير ، حينما يرجعون كل ما يحدث الان فى مجالات العلوم والتكنولوجيا المختلفة ، ومجال الاداب والتاريخ ، وما يحدث فى المجتمعات الحديثة من تغيرات بفضل التقدم العلمى الهائل الذى أصابه العالم فى العصر الحديث اليه وكيف أن هذا الذى يراه الانسان ويحسه ويلمسه فى قرنه العشرين سبق للقرآن الكريم أن تحدث عنه ، وعالجه ، وقرر فيه أمرا ، وكأنهم بذلك يريدون اثبات صدق القرآن العظيم ،كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ويدللون على صحته .

كما يخطىء أولئك الذين يتصورون أن هناك تناقضا واقعا بين الدين وبين ما يثيره العصر من أمور وقضايا تمس الدين والعقيدة ، تلك القضايا التى أثيرت ـ وتثار دائما ـ حول الروح والجسد ومطالبهما ، وحول الدين والدنيا ، وحول الدين والدولة ، وحول الدين والحضارة ، والشباب .. حتى راح البعض منهم يرمون الدين بأنه سبب التخلف الحضارى الذى نعانى منه .

ذلك أن هؤلاء الذين تصدوا لعلاج هذه الامور ، والبحث فى هذه القضايا أوحوا فى كتاباتهم بهذا التناقض الذى ابتدعوه تحت دعوى الحضارة والتقدم والتمدن وتناسوا أن الاسلام نفسه ، دين تطور وانه ثورة على التخلف وأمراض العصر المتعفنة كما كان ثورة على الوثنية المادية والشرك والالحاد .

كما تناسوا أن الاسلام يدعو الى التحرك نحو الافضل والاحسن ، والى احراز التقدم فى جميع مجالات الحياة ، لكنه اشترط أن يكون هذا فى اطار من الايمان الذى بدونه يصبح الرخاء المادى مفسدة ، الى جانب كونه عدما لامغزى له وعبثا يبعث على الحيرة والملل .

فلا يقتصر الدين الاسلامى على كونه عقيدة دينية فحسب ، ولكنه أيضا شريعة وتنظيم اجتماعى واقتصادى وسياسى للمجتمع ، ذلك أن الاسلام لم يركز عنايته لتنظيم العلاقة بين العبد وربه ، ولكنه تدخل أيضا فى تنظيم علاقة الانسان بأخيه الانسان ، فى أسرته وفى مجتمعه الصغير والكبير داخل اطار من المبادىء والتوجيهات العامة .

فالدين الاسلامى ـ دون سائر الاديان ـ جمع بين دفتيه الدنيا والاخرة ـ تحدث عن الروح والجسد ، دافع عن حق الانسان فى حياة حرة كريمة حين دافع عن حق الجسد فى الحياة والمتعة ، وعن حق الروح فى الحياة والمتعة ، وأمر الانسان بأن يلبى نداء جسده ونداء روحه ، لم ينغلق على نفسه ولم تكن دعوته أبدا اهتماما بالجسد على حساب الروح ، ولا اهتماما بالروح على حساب الجسد ، وما أمر الانسان بأن يخالف طبيعته التى تشكل منها ، ولكنه أمره بأن يكون طبيعيا فى ايمانه ، وعقيدته ، وفى علمه وعمله ، فى تصرفاته وسلوكه ، وفى فكره أيضا . أمر الانسان أن يتبع فطرته ومن يتبع فطرته التى نشأ ، وتكون منها ، استطاع أن يوائم بين حاجات الروح والجسد ، واستطاع أن يعمل فى دنياه لاخرته ، واستطاع كذلك أن يملك الدنيا والاخرة .

ذلك أن تعاليم الاسلام ، وتوجيهات القرآن الكريم ، ليست ببعيدة أو غريبة عن فطرة الانسان ، بل هى مفسرة لها دون ما غموض أو لبس ، وما أمر الانسان الا بأن يتوافق مع طبيعته التى خرج منها . ولذلك فان جميع النظم والقوانين والفلسفات ومحاولاتها باءت بالفشل فى مجال توجيه الانسانية الى الخير والسلام والرشاد وذلك لعدم انسجام هذه النظم

والقوانين والفلسفات مع الفطرة الانسانية التى فطر الله الناس عليها . ونجح الاسلام وحده فى ذلك كله .

« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

لكن .. بداءة ماذا يعنى الدين ؟

سؤال يعترض مسارنا ونحن نعرض لمقدمات الحديث عن الاسلام وقضايا عصرنا الحالى ، وقرننا العشرين ، ونحن على أعتاب القرن الواحد والعشرين . ولكى نجيب فانا نقول أن الدين - فى جوهره - ليس الا محاولة تفسير وتعليل لعلاقة الانسان بالوجود من حوله ، ومعرفة موقفه منه حين يسأل الانسان نفسه . لماذا هو حى ؟ ومن أين جاء ؟ والى أين هو ذاهب ؟ وما علاقته بمن وبما يحيط به من الناس والحيوان ، ومن النبات والجماد ؟ ما حقه عليها ؟ وما حقها عليه ؟ ما قدرته فى السيطرة عليها ؟ وما قدرتها فى السيطرة عليه ؟ ذلك أن حياة الانسان لا تصبح حياة الا اذا استطاع أن يجيب على تلك الاسئلة التى تلح على خاطره ، وحينما يجيب عليها يستطيع أن يقف على أرض الواقع الانسانى الذى يمكنه من الحياة ومن العيش فى امن واطمئنان روحى ونفسى وجسدى ، ويصبح الدين بهذا المعنى شيئا ضروريا لحياة الانسان ، وشيئا لازما له ، ويصبح الدين نفسه ذات الانسان وحياته وقيمته وعلاقته بمن حوله وما حوله .

على أن ما أصاب المسلمين لم يكن ليرجع الا لانهم راحوا يفصلون بين الروح والمادة وبين الجسد والنفس ، بين الدنيا والاخرة ، بين القلب والعقل . ثم راحوا يتحدثون عن كل بذاته ، ونسوا جميعا أن الاسلام جماع هذا كله ، وان الاسلام دين خاتم قام على أسس وقواعد هى دعائم ارتكز عليها الدين ، وابعاد اكدها القرآن الكريم فى أكثر من موضع تتلخص فى التوحيد والوحدانية ، والشمول ، وفى توازنية الاسلام .

ولعل من الضرورة بمكان أن نطرح هنا نقطة المنطلق الذى كان يجب علينا ونحن نعالج أمور وقضايا عصرنا الحديث بما اتصف به من سرعة وتغير ، وبما تميز به من غرابة وتعقيد واثارة - ان نلمسها ولتكون اساس معالجتنالهذه الامور التى تعن لنا ويثيرها ونعنى بهذه النقطة تلك المحاور والابعاد التى اشتمل عليها جوهر الاسلام كدين خاتم وكرسالة اخيرة مرسلة من عند الله سبحانه وتعالى الى عباده من البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم .

البعد الاول : التوحيد :

أثار القرآن الكريم من بين ما أثار من قضايا ، مسألة على جانب كبير من الاهمية ، ألا وهى قضية الالوهية والتوحيد ، الا أن القرآن الكريم لم يؤكد على قضية الالوهية بقدر تاكيده على قضية التوحيد . بل ان الاخيرة جاء توكيده لها أشد وألزم وذلك لان الايمان بالله الواحد الاحد ألزم من الايمان بالعقيدة الالهية على اطلاقها ولقد كان منطلق القرآن الكريم فى ذلك أن الايمان بأكثر من اله ، مفسدا للايمان ذاته ، كما انه مفسدا لفهم الانسان للكون ، ومفسدا كذلك لفهمه لواجباته الادبية والفرائض الدينية المفروضة عليه ، وكذا مفسدا لفهم الانسان بحقيقة الانسان فى هذا الكون وحجج القرآن الكريم فى توكيد الوحدانية كثيرة وقاطعة فنقرأ قول الله تعالى :

« قل لو كان معه الهة كما يقولون اذن لابتغوا الى ذى العرش سبيلا » ، وقوله « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »

ويعود القرآن الكريم ليفسر سبب هذا الفساد الذى سيقع فيه الالهة عند تعددهم فيقول : **« لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض »** .

وعليه فلم تكن من اهداف القرآن الكريم ولا من اهداف الدين الاسلامى ، ولا من بواعث رسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، دعوى اثبات وجود الله ، ولكنهم جميعا ، الكتاب والرسالة والرسول ، كان يدعون الى توحيد الله جل وعلا .

والتوحيد - كما دعا اليه القرآن الكريم - يعنى الاعتراف بقوة فى هذا الوجود ، قوة فوق كل القوى ، قوة كبرى فوق قوة كل البشر ، وان هذه القوة هى الداعية الى الخير فى هذه الحياة ، وهى القوى التى تمنح الناس المعانى الفاضلة والقيم الرفيعة من المحبة والاخوة ، والتعاون والمشاركة فى الوجدان .

كما أن التوحيد يعنى أن يصدق الانسان بقلبه ، وأن ينطق بلسانه بوحدانية الخالق الذى بيده كل شىء ، وهو على كل شىء قدير ، وعقيدة التوحيد هذه تكون الارادة الخلقية فى الانسان لانها تربى فيه صفة المراقبة التامة لخالقه ، والرقابة الدائمة تمنعه من الانحراف والزلل لان هناك عين الله التى تراه ، والتى تحصى عليه حركاته وسكناته .

كما أن التوحيد ركيزة أساسية للسلوك الانسانى ، تثبت للانسان كرامته ، وتؤكد حريته وارادته ، فمادام انه صاحب عقل يفكر به ، وصاحب ضمير يقظ ، فانه يفكر فيما يوصله نحو السعادة الحقيقية فى دنياه وأخراه .

وعقيدة التوحيد هذه تؤكد كرامة الانسان حيث تجعله يقف موقف المساواة مع جميع المخلوقين فلا يستذل لمخلوق ولا يحنى جبهته لانسان مثله : **« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »** .

والايمان بالله الواحد الاحد ليس دعوة الى العزلة ، والى البعد عن الحياة ، وانما هو دعوة الى التوازن والى الاحتفاظ للانسان ببشريته وحريته وكرامته ، لانه لا يخضع الا لتلك القدرة الهائلة الخالصة ، ولا يستمد ولاءه الا منها وحدها . وبحيث اذا امتلا القلب بعقيدة التوحيد ، وبالايمان بالله وحده ، وكان ولاؤه لها أصبح صاحبه انسانا فاضلا يسارع الى فعل الخيرات ويبتعد عن فعل الشرور لان مقتضى هذه العقيدة ومقتضى الولاء لها وحدها أن يلتزم بتعاليمها وأن يلتزم باهدافها . كما ان عقيدة التوحيد تدعو المؤمنين الى أن يتخلقوا بالاخلاق الفاضلة الحميدة وأن يتمسكوا بالسلوك السوى لان الله يتصف بكل الكمالات وقد أمر المؤمنين به بأن يتخلقوا بأخلاقه سبحانه وتعالى . كما أن التفاضل بين الناس مقياسه مدى الصلة القوية بالله الخالق وهى التقوى التى ذكرتها الاية الكريمة فى قول الله تعالى : **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير »** .

البعد الثانى : ا - شمولية الدعوة :

شاءت ارادة الله العلى القدير ان يكون الاسلام خاتم الاديان السماوية ، ومعنى هذا ان الاسلام دين يصلح لتستقيم به حياة البشر الى يوم الدين . فكما أن الدين هو الوضع الالهى الذى اختاره الله تعالى لعباده ليصلحهم فى الحياتين الاولى والاخرة فان الاسلام قد نيط به أداء هذه المهمة ، ولذا فان الدين الاسلامى يصبح دينا عالميا ومعنى عالمية هذا الدين هى أن يكون عالميا بعدم اختصاصه بجنس

من الاجناس البشرية وبعدم انحصار تطبيقه فى اقليم خاص ، أو بيئة معينة ، وبامتداد هدايته أزمانا طويلة تتجاوز العصر الذى بدأت فيه بمعنى أن يكون الدين صالحا لكل جنس وكل جيل ، وكل زمان ومكان .

فالاسلام ليس دين جنس تميزه فصيلة الدم ، او سمة اللون ، أو ظاهرة اللغة . لكنه دين لا يفرق بين العربى والاعجمى والحبشى والرومى ، كما انه لا يفرق بين الابيض والاسود والاصفر ولا يمنع من أن يستظل بلوائه متكلم بأى لغة .

ولا يوجد دين من الاديان العالمية السماوية أو الوضعية فيه هذه المواصفات التى تجعله دينا عالميا الا الدين الاسلامى . ذلك أن اليهودية لا تصلح أن تكون دينا عالميا لانها مرتبطة بشعب معين تعرض للتشريد أكثر من مرة ، حياة تقوم على العصبية الحادة والعنصرية المقيتة ، كما انه لا يوجد نص فى توراتهم يتحدث عن هذه العالمية فهو دين أسرة بشرية واحدة هى بنو اسرائيل ، كما انهم يكرهون أن يدخل بينهم غريب عليهم وليس من عنصرهم وجنسهم .

كما أن المسيحية التى دعا اليها السيد المسيح عليه السلام بدأت بدعوة بنى اسرائيل خاصة ، فيقول المسيح عليه السلام : لم أرسل الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة . كما انها تقف عند تقرير العقيدة التى لا تعتمد على الدليل المقنع بل أن الايمان بها يوجب التسليم المطلق الذى تأباه العقول فى عصرنا الذى يمجد العقل .

وعليه فان الاسلام ليس دعوة مخصوصة لقوم ، ولا لاناس معينين ، ولا لعنصر معين لكنه - على خلاف اليهودية والمسيحية - دعوة عالمية بما تعنيه هذه العالمية من شمول وتوسع . **« وما هو الا ذكر للعالمين »** (القلم ٥٢) ، **« قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا »** (الاعراف ١٥٨) ، **« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا »** (الفرقان ١) ، **« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا »** (سبأ ٢٨) **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** (الانبياء ١٠٧) .

ب - شمولية النظرة :

ذلك أن الاسلام قد بين فى جلاء أسس العقيدة والعبادة ، كما أبان علاقة الانسان بربه ووضع لها - ورسم لها - الطريق الصحيح للعبادة الحقة . كما رسم القرآن الكريم للانسان طريقه فى مجال العلاقات الانسانية كما أن الاسلام قد بين فى وضوح علاقة الانسان بغيره من بنى البشر ، وبين حياته الاجتماعية والسياسية ، ووضع القواعد والمبادىء التى يجب أن يسير عليها الانسان فى مجالات الاحوال الشخصية والميراث وعلاقة العمل برأس المال ، والقضاء بين الناس . ونظام الحرب والسلم ، واسس الحق والواجب والثواب والعقاب ، فالاسلام هنا لم يقتصر فى تشريعه على ناحية من نواحى الحياة ، بل دخل فى كل أمر ، فكان المشرع الذى لا يبارى ، والمقنن الذى لم يسبق ، ولم لا أليس من وضع الخالق ، العالم بما يحتاج اليه خلقه ؟

ذلك أن الاسلام بأصوله وتشريعاته - يهدف الى اصلاح البشرية واسعادها - وهو لهذا - وضع القواعد العامة التى تسعد بها حياة الانسان ، كما ترك لهم التفاصيل والجزئيات يطوعونها حسب أزمانهم وأماكنهم ، ومن هنا كانت مرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان حين فتح باب الاجتهاد أمام أئمة المسلمين .

وعليه فانا نرى أن الاسلام قد جمع بين الدين والدنيا باعتبار انه جعل من الدنيا طريقا الى الاخرة وبذلك أوضح الاسلام بجلاء - اتساع نظرته وشمولها الى الانسان والكون والطبيعة - الوظيفة الحقيقية للدين وضرورته الاجتماعية الانسانية لاسعاد الناس وتنظيم حياتهم داخل اطار من الشمولية والتكامل .

البعد الثالث : التوازن :

لعل من الامور والظواهر التى تسترعى النظر والامعان فيه ، أمرا على جانب كبير من الاهمية ، وظاهرة معجزة ، ألا وهى ظاهرة التوازن الذى يحيط بالانسان وبالكون والطبيعة ، وظاهرة التوازن التى تحيط بعلاقة الانسان بالكون وبالطبيعة من حوله . تلك الظاهرة التى أوضحها القرآن الكريم وأبانها بمنطقية ومعقولية وبصدق لا يمكن أن يصير الايمان بها أمرا مسلما الا لصدورها عن خالق واحد خلق الكون بمن وبما فيه وسيره ، مدرك لطبيعة خلقه للانسان والكون والطبيعة .

وصفة التوازنية التى اتصف بها الاسلام تظهر جلية فى الانسان حين نحس بتوازن السلوك الانسانى الذى استطاع أن يحتوى العقل والعاطفه والارادة داخل اطار من الانسجام بحيث يصدر الانسان فى سلوكه عن توازن وانسجام . كما تظهر واضحة فى مظاهر توازن الخلايا فى جسد الانسان ببعضها البعض ، وكذا العلاقة التوازنية بين الرجل والمرأة ، وبين الانسان والحيوان .

« وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .

كما تظهر صفة التوازن واضحة جلية فى الكون فى هذا النظام الفلكى البديع المحكم الذى لو اختل واحد على البليون لتغير شكل العالم ، ولتغيرت معالم الصورة التى نحياها تماما . فكل شىء فى الكون يتعامل مع غيره فى توازن وانسجام وتوافق ، وبذلك تتحقق واقعة استمرارية الاشياء .

« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ! » .

كما أن صفة التوازن هذه تظهر بوضوح وجلاء فى الطبيعة حين تتمثل لنا فى السماء والارض وفى كل الظواهر الكونية والطبيعية التى تحكم علاقاتها ببعضها البعض علاقات وأسباب ومسببات ونتائج داخل اطار واحد من التوازن الدقيق والتوافق المحكم الذى لا يترك مجالا للصدف او العفوية .

« والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون » .

لعلنا بهذا العرض الموجز قد طرحنا على بساط البحث تلك المحاور والابعاد التى اشتمل عليها الدين الاسلامى وأبانها ، ولعل بهذه المقدمة المطروحة قد ألمحنا الى ضرورة أن يتبين أولئك الذين يتصدون لمعالجة مشاكل العصر وقضاياه من الوجهة الاسلامية أن يتبينوا أن مجال الدعوة متسع للجميع ورحب شرط أن نكون على بينة من مواقع اقدامنا وان يكون نبراسنا جميعا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » . وان نعمل بقوله الله تعالى : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، صدق الله العظيم

التسامح في الإسلام

الأستاذ محمد النظامي

يستمد الاسلام مبادئه من كتاب الله الكريم .. وكتاب الله الكريم ضمن لهذا الدين التجدد والخلود ، وحقق للمسلمين العزة والقـوة ، والامن والطمانينه ، والمحبة والسعادة عندما تمسكوا بالمبادىء والتشريعات ، وتحلوا بالاداب والاخلاقيات التى نزل بها كتاب الله لتكون منهج سلوك ودستور حياة ومبعث نهضة والتى دعا اليها خاتم الانبياء الذى جعل الله امته خير الامم فقال : « كنتم خير امة اخرجت للناس » وجعل معجزته ابقى المعجزات فقال « انا نحن نزلنا للذكر وانا له محافظون » .

وجعل أخلاقياته أفضل الاخلاقيات فقال : « **وانك لعلى خلق عظيم** » .

ورسول الله قدم برسالة تدعو الى الحب والتسامح والرحمة والسلام فتنادى بتحقيق كل ما من شأنه دوام الحب وتقوية الروابط وتحقيق السلام ، لان الاسلام مشتق من السلام وملتقى معـه فى اهدافه ومراميه .. قال تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » وقال تعالى : « **انما المؤمنون اخوة** » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى** » .

ولان السلام صفة عباد الرحمن الذين يظفرون برضوان الله قال تعالى : « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** » ولان السلام شعار المسلمين فيما بينهم سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أى الاسلام خير ؟ فقال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »** .

ولان السلام هو طابع الليلة التى نزل فيها القرآن قال تعالى : « **سلام هى حتى مطلع الفجر** » .

ولان السلام هو تحية عباد الله الفائزين يـوم القيام (**تحيتهم يوم يلقونه سلام**) .

ولان العبادات التى أمر بها الاسلام انما هى تدريب عملى يهدف الى تحقيق السلام بين الانام ... فنحن نردد كلمة السلام فى التشهد ونختم الصلاة بالسلام مما يؤدى الى التمسك بالسلام ، ونحن بالصيام انما يشعر الغنى بألم الفقير فيتبرع له عن طيب خاطر مما يؤدى الى تحقيق السلام .

ونحن بالزكاة انما نشيع الحب فى مجتمعنا والاخاء مما يقضى على الحقد والبغضاء ويؤدى الى تحقيق السلام .

ونحن فى الحج انما ندخل من باب السلام رافعين شعار السلام مرددين « **اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك السلام فحيينا ياربنا بالسلام** » .

والاسلام يدعو الى الامر بالمعروف والاسراع الى الاصلاح بين الناس والقضاء على الخلافات حتى يتحقق السلام .. قال تعالى : « **فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم** » .

والاسلام يدعو الى محاربة الظلم لان الظلم سبيل الى العداء ويدعو الى العدل لان به يتحقق التعاون والاخاء .. قال تعالى : « **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا** » ويقول رسول الله « **عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة** » .

والله سبحانه هو الملك القدوس السلام يعفو ويغفر ويرحم عباده ومخلوقاته وينعم عليهم بنعم لا تحصى ، ويأمرهم

بالتراحم فيما بينهم ، وأن يعطف غنيهم على فقيرهم وقادرهم على محتاجهم ٠٠ قال تعالى : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ٠٠٠ ويقول صلوات الله عليه «ليس الراحم الذى يرحم نفسه واهله ولكن الراحم هو الذى يرحم المسلمين » ٠

والله سبحانه وتعالى يدعو الى العفو والتسامح وكبح جماح الغضب لان التسامح كثيرا ما يؤدى الى المحبة بعد العداء ٠٠ قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم » ٠

ويقول رسول الله : « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » ٠٠٠ والمؤمن المرتبط القلب بالله المتمسك بمبادىء الله يقابل الاساءة لشخصه فيما لا يمس شرفه وعرضه بالاحسان ٠٠٠ يقابل الاذى لشخصية فيما لا يمس شرفه وعرضه بالصفح والغفران متمسكا بقول الله : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ويقول رسول الله : « ان الله يامرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » ويقول لقمان الحكيم تلميذ داود عليه السلام : « خلاصة الحكمة أربع كلمات اثنتان منها يذكران ولا ينسيان وهما الله تعالى والموت . واثنتان منها ينسيان ولا يذكران وهما احسانك الى الناس واساءة الناس اليك » ٠٠٠ وما أجمل قول القائل :

يد المعروف غنم حيث كانت
تقبلها شكور أم كفور
فعند الشاكرين لها جزاء
وعند الله ما كفر الكفور

والمسلمون الاوائل كانوا يقابلون الاساءة بالاحسان راجين من الله التوبة والغفران ٠ وذاك عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه سرق اللصوص نقوده فجعل الناس يلعنون السارق فنهاهم عن ذلك ورفع يديه الى السماء وقال : اللهم ان كنت تعلم ان الذى سرق نقودى فى حاجة اليها فبارك له فيها ٠٠ وان كنت تعلم انه فى غير حاجة اليها فاجعلها آخر معصية له فى حياته يارب العالمين ٠٠ وما اجمل قول القائل :

كن كالنخيل عن الاحقاد مرتفعا
يرمى بصخر فيعطى اطيب الثمر

وذاك محمد بن حميد الطوسى ظفر الجنود باعدى اعدائه فاستشار جلسائه ، فأشاروا جميعا بقتله ، فاذا به يفك أسره بنفسه ، ويلاطفه الحديث ، ويشاركه الطعام ، ويلتفت الى جلساء السوء قائلا) ان خير الاصحاب من حسن لصاحبه مقابلة الاساءة بالاحسان وانا اذا عاقبنا من اساء الينا بمثل ما اساء فاين موضع الشكر لله على ان نصرنا عليه ومكن لنا منه ٠

غير ان التسامح فى حق الانسان مشروط بالا يؤدى الى تمادى المعتدى حتى لا يؤدى الى عكس المقصود كما ان التسامح هو ما كان فى حق من حقوق العباد ، اما ما كان فى حق من حقوق الله فلا يملك التسامح فيه الا الله ، فرسول الله عفا عن يهودى طالبه بدين وجذبه من ثوبه جذبة اثرت فى فى عنقه الشريفة وهو يقول له انكم يابنى عبد المطلب مطل وعندما اراد عمه تأديبه منعه رسول الله من ذلك ٠

ولكن شاعرا هجا رسول الله وعندما تمكن منه رسول الله توسل الرجل اليه فعفا عنه ، ولكن الرجل تمادى فى شتم رسول الله وهجائه فأمر رسول الله بعقابه فتوسل للرسول فابى وقال : والله لا ادعك تمشى فى شعاب مكة وتقول ضحكت على محمد مرتين ٠٠ اقتلوه فلن يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٠٠وغضب عليه الصلاة والسلام من اسامه بن زيد عندما قدم يشفع لامرأة مخزومية سرقت وقال : أتشفع فى حد من حدود الله يااسامة ؟ انما اهلك الامم قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ٠٠ وعمر بن الخطاب رضى الله عنه جلدولده بنفسه عندما شرب الخمر ، وعندما رأى ابنه عبد الله قد سمنت ابله امر بان تضم الى بيت المال وهو يقول ما سمنت ابل عبد الله الا لانها كانت ترعى بجاه أمير المؤمنين ٠

والله تبارك وتعالى حذرنا من ان يضيع الحق بين عاطفة المجاملة وعاطفة البغض ٠٠ قال تعالى محذرا من عاطفة القرب : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين » ٠٠ وقال محذرا من عاطفة البغض : « ولا يجر منكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى » ٠

ولن يصلح اخر هذه الامة الا بما صلح به اولها والا اذا أصبح دستور الله قائدنا والمبادىء التى طبقها رسول الله رائدنا ٠

ونحن اذا تركنا الظالم وشأنه دون مؤاخذة ازداد طغيانا، ونحن اذا طبقنا الحدود على الضعفاء دون الاقوياء امتلات نفوس الضعفاء بالحقد الذى يولد الانفجار الخطير ٠٠

ونحن اذا تسامحنا مع النشالين المعتدين على الحرمات ٠٠ ونحن اذا تسامحنا مع المحتكرين للاقوات ونحن اذا تسامحنا مع السارقين للاموال العامة والمختلسين الذين لا يراقبون واهب الاعمار والارزاق والخيرات !!!

ونحن اذا تسامحنا مع المفطرين فى رمضان المرتكبين للمنكرات

ونحن اذا تسامحنا مع الشيوعيين المنكرين لخالق الارض والسموات ٠

ونحن اذا تسامحنا مع هؤلاء الذين يسمحون لبناتهم وزوجاتهم بمراقصة الاجانب بدافع الاستهتار وبادعاء ان ذلك من المدنية حلت بنا أزمات وأزمات ، وندمنا بعد فوات الاوان حيث لا ينفع الندم ٠٠ لان العجز عجزان عجز التقصير حين يكون الامر ممكنا ، ثم الجد فى طلبه بعد ان فات وقت الطلب وآوانه ٠

وتلك قصة رمزية لاعرابى شاهد حية تتلوى وعلى رأسها حجر كبير اخذته الشفقة على الحية المؤذية فرفع الحجر عن رأسها فلم تنس صفة الغدر فيها ففتحت فمها تريد ابتلاعه فقال لها لقد صنعت فيك جميلا فقالت له من الذى طلب منك ان تصنع الجميل ؟ فاحتكما الى الاسد فقال الاسد لن استطيع الحكم بينكما الا اذا شاهدت الموقع بنفسى ! فذهبا الى حيث كانت الحية نائمة فطلب منها ان تنام كما كانت فنامت وطلب من الرجل ان يضع الحجر على رأسها كما كان فوضعه ثم قال له اتركها وانصرف ولا تصنع المعروف فى غير أهله ، وصدق القائل :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ونحن يجب الا تاخذنا الشفقة أو الرحمة مع الحيات التى تقضى على الامان فى المجتمع والاطمئنان ، ونحن يجب الا نترك العابثين بمبادىء الحق يتمادون حتى لا نندم بعد فوات الاوان ٠

الفن الإسلامي

فى الفن الإسلامى

المدرسة العثمانية

الأستاذة سميحة محمد الجبالى

لقد كانت الحضارة الاسلامية حلقة الاتصال بين الحضارات الضاربة فى القدم الى ما قبل التاريخ ، والحضارات الحديثة التى انبعثت فى العالم منذ النهضة الاوربية نتيجة لاتصالها بالعرب فى الشرق ، وبالدولة الاندلسية العربية فى أسبانيا ، والجزر الغربية فى البحر الابيض المتوسط التى سادت فيها الحضارة العربية .

وقد جاء الاسلام موقظا للعقل والوجدان معا فأثار المسلمين لطلب العلم من أول آيات القرآن الكريم ، وكانت أول كلمة نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم « اقرأ ! . أما تربية الوجدان فكان من أهم وسائله توجيه المسلمين الى النظر فى الكون لادراك ما أبدع الله فيه من صنع قال تعالى : [أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء » وبالنظر يدركون جمال ما خلق الله تعالى ليحبوا الجمال . ويصنعوا الجميل ليتسقوا مع الكون الذى يعيشون فيه وليتمتعوا ويمتعوا غيرهم بكل جميل .

وقد بين القرآن الكريم أن الجمال شىء يراد مع المنافع قال تعالى : (**والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**] فليس عجيبا أن يعنى المسلمون بالفنون الى جانب عنايتهم بالعلوم ، وأن تزدهر فى الاقطار التى سادها الاسلام ، وكان من طبيعة الاشياء أن تتنوع الفنون فى الاقطار المختلفة لاختلاف بيناتها وطباع أهلها وامزجتهم وان جمعت بينها بعض السمات المشتركة .

وقد تكلمنا فى مقالات سابقة عن الفن فى مصر وسورية ، والمغرب ، وفارس ، وسأقصر كلامى هنا على الفن عند العثمانيين .

فالعثمانيون ترجع تسميتهم الى اسم مؤسس الاسرة « عثمان ابن طفرل » الذى خلف والده فى حكم الامارة التى أقطعها السلاجقة أباه عندما ساعدهم ضد الغزو المغولى ، وبعد زوال حكم السلاجقة الاتراك لاسيا الصغرى فى اواخر القرن الثالث عشر الميلادى اثر هجوم المغول لبلادهم ، حل محلهم عدد من الحكام المحليين الاتراك ، وكان من بين هؤلاء أسرة عثمان التى أبلت بلاء حسنا ضد هذا الغزو وتمكنت من الاستيلاء على مقاليد الحكم فى تركيا .

ولقد كان عثمان مثالا رائعا للجندى المسلم الصادق فى ايمانه المجاهد باخلاص فى سبيل الله ، ولقد حارب هو وخلفاؤه الامبراطورية البيزنطية ، وامتدت رقعة الدولة العثمانية بعد ذلك بسرعة بعد أن تمكن العثمانيون من اخضاع معظم بلاد العالم الاسلامى الغربى لهم .

ولقد استطاع أرخان ابنه وخليفته أن ينتزع من البيزنطيين فى حياة والده مدينة بروسة التى أصبح لها شأن عظيم فى حياة العثمانيين بعد ذلك واكتسبت مكانة سامية فى نفوسهم لانه مات بها ودفن فيها مؤسس دولتهم « عثمان بن طغرل » وصاروا يحجون اليها لزيارة قبره .

ولقد سار أرخان على نهج أبيه فى توسيع ملكه ولقد وجدت قطعة نقود ترجع الى عهده تحمل على وجه عبارة « لا اله الا الله » وعلى الوجه الاخر عبارة « الامير أرخان خلد الله ملكه » .

وحكم مراد الاول [١٣٦٢ – ١٣٨٩ م]بعد أرخان ، واستولى على مدينة أدرنة ونقل اليها مقر الدولة أى جعلها عاصمة لملكه بدلا من مدينة بروسة ، وقد أنشأ مراد فى مدينة أزنيق مسجدا أبرز ما يستلفت النظر فيه بلاطات القيشانى التى تزين جدرانه ، والتى تمتاز بأن اطاراتها مذهبة .

وقد خلفه فى الحكم بعد ذلك بايزيد الاول عام ١٣٨٩ م ، ثم السلطان محمد الاول عام ١٤٠٢ م ، وتبعه السلطان مراد الثانى عام ١٤٢١ م الذى تجلت عنايته بالفن فيما خلفه وراءه من

عمائر وتحف ، ومن أهمها الجامع الاخضر الذى بناه فى مدينة بروسة عام ١٤٢٤م و الذى يمتاز بمحرابه الجميل ذى الزخارف النباتية التى يبدو فيها التأثير الصينى ، كما يستلفت النظر فى هذا المسجد امران لهما اهميتهما الفنية : الاول أن بابه يعتبر أقدم تحفة خشبية عثمانية ، والثانى أنه قد استغنى فيه عن الاعمدة ذات التيجان البيزنطية التى كانت مألوفة فى المساجد التى سبقته ، واستخدمت أعمدة لها تيجان من المقرنصات التى لعبت دورا مهما فى الفن الاسلامى وأصبحت من أبرز خصائص هذا الفن .

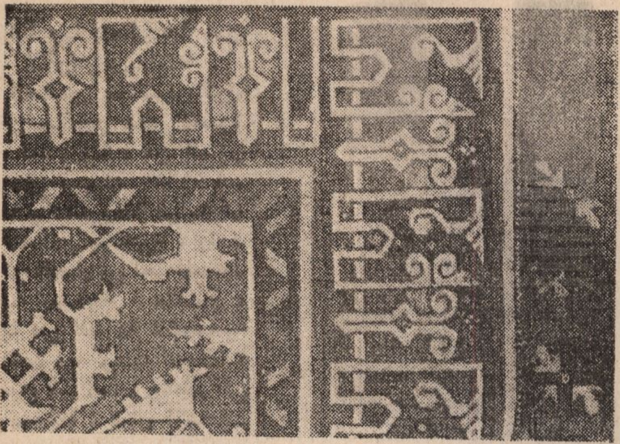

سجادة صنعت عام ١٥٤٢م ، وهى موجودة حاليا بكنيسة فى مدينة البندقية

وفى عام ١٤٥٣ م حقق محمد الثانى [الفاتح] حلم اجداده بل حلم المسلمين الاوائل فى الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة البيزنطيين واتخذها عاصمة للامبراطورية الجديدة [حاليا اسطنبول] وبذلك اصبح للدولة العثمانية نفوذ سياسى عظيم فى العالم لاسيما بعد ان آلت اليها الخلافة الاسلامية ظفرت بالسلطة الدينية بالاضافة الى السلطة السياسية . وفى الاناضول وضع العثمانيون النبنة الاولى لفنهم الاسلامى ويظهر هذا فى مبانى بلدة « قونية » . وقد تأثر الفن الاسلامى فى تركيا بالطراز البيزنطى لاسيما بعد ان غزا « محمد الفاتح » مدينة القسطنطينية مركز الاثار البيزنطية وتأثر بهذا الفن تبعا لذلك جميع مراكز العالم الاسلامى التابعة للدولة العثمانية مثل دمشق وبغداد والقاهرة وتونس والجزائر .

كما تأثرت عمارة المساجد كذلك بالعمارة البيزنطية ، من ذلك اثر كنيسة أيا صوفيا - بعد ان تحولت الى مسجد اذ ألهمت العثمانيين باتجاهات جديدة فى بناء المساجد ، فهذه الكنيسة تتكون من مربع واسع مغطى من اعلى بقبة مسطحة وجانبان من جوانب المربع قد وسعا بواسطة ردهتين تشبهان دائرتين مغطاتين بانصاف قباب ، اما الجانبان الاخران ففيهما عدد كبير من الاقواس ، تبنى العثمانيون تلك الفكرة فى رسم المساجد وتخطيطها ولكنهم طوروها حتى بدت روحهم فيها وأخذت الطابع العام لهم فى فنهم وصنعت المنارات على طراز جميل ، فالمنارة مستديرة وممتدة الى أعلى وربما بنوا بعضها بشكل الشمعدان .

وينسب الى هذا السلطان تشييد القصر العظيم المعروف باسم « طوبقابو » الذى ظل مقرا لسلاطين آل عثمان من سنة ١٤٧٢ م حتى سنة ١٨٥٣ م ، وقد تحول هذا القصر الى متحف عظيم تنطوى جوانحه على روائع التحف العثمانية التى كان يستعملها السلاطين من ساعات ومسبحات ثمينة وشبكت مرصعة بالاحجار الكريمة ، ومن التحف الجميلة الذى يفخر بها المتحف العرش الذى كان يجلس عليه السلطان أحمد الاول ، والذى ترك وراءه فى اسطنبول مسجدا يعتبر قطعة رائعة من الفن الجميل ويعرف بالجامع الازرق اخذ اسمه من كثرة الواح القيشانى الازرق التى تغطى جدرانه من الداخل حيث اكثر العثمانيون من استعمال البلاطات الخزفية او التربيعات فى عمائرهم ، ويتميز هذا المسجد بست مآذن رفيعة رشيقة تركية الطراز ، كما يمتاز بقبابه الكاملة منها والنصفية التى تسترعى الانتباه ، وقد شيد هذا الجامع فى الاستانة عام ١٦١٧ م . ولقد انتشر طراز العمارة العثمانية فى أنحاء الامبراطورية الاسلامية ومن أمثلة المساجد ذات الطراز التركى التى شيدت خارج تركيا مسجد سنان باشا ببولاق وجامع محمد على بالقاهرة الذى شيد عام ١٨٨٣ م على غرار جامع السلطان أحمد بالاستانة .

اما فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر فقد تولى عرش البلاد سلاطين كثيرون من بينهم احمد الثالث الذى كانت له عناية كبيرة بالفن فأنشأ سبيلا لا يزال قائما أمام الباب الرئيسى لقصر طوبقابو ويعتبر من اروع نماذج العمارة العثمانية فى القرن الثامن عشر وهو يزدان بكتابات عربية منقوشة بالخط الفارسى [خط التعليق] تقرأ فى بعضها « استفتح باسم الله ، واشرب هذا الماء ، وادع للسلطان أحمد » ومما يستلفت النظر لهذا النوع من الخط عدم استعمال الخط المستقيم فى الزخرفة بل استعمال الخطوط المنحنية والخطوط

الحلزونية وما يتصل بها من سطوح مائلة وأقواس مختلفة .

أما السلطان محمود الاول وهو من سلاطين هذه الفترة فتنسب له « مزولة » من الحجر مؤرخة سنة ١١٦٣ هـ « ١٧٤٩ م » معروضة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وقد كانت فى الاصل فى أحد المساجد العثمانية بمدينة اسطنبول ، والمزولة هى الساعة الشمسية التى تحدد بها أوقات الصلاة ، وهى لوح من الحجر مقسم الى أقسام مختلفة ، تمثل الساعات وأنصاف الساعات من الخامسة صباحا الى السابعة مساء ، وبها شاخص من الحديد يحدد به الظل تبعا لحركة الشمس ، ولذلك كانت توضع المزاول عادة فى مكان مكشوف فى الشمس .

وفى عهد السلاطين الذين جاءوا بعد السلطان محمود الاول فى القرن الثامن عشر ، تسربت الى الفن العثمانى تأثيرات أوربية بلغت غايتها فى القرن التاسع عشر ، اذ سرت فى الناس حمى التفرنج وأقبلوا فى شغف على اقتناء التحف الاوربية ، وعاش العثمانيون خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر معجبين بالفن الاوربى .

أما الفنون الاخرى التى أبدع فيها العثمانيون فهى كثيرة منها :

الخزف الذى وجد منه الكثير موزعا بين المتاحف والمجموعات الخاصة مثل الصحون والسلاطين والزهريات والاوانى التى تشبه المشكاوات التى كانت تستخدم فى الجوامع والمباخر ذات الاغطية المخرمة وغيرها كثير .

وقد ورث العثمانيون معظم ما وصل اليه السابقون عليهم من أسرار فى صناعة الاوانى الخزفية ولكنهم أضافوا الى هذا الميراث ما وفقوا اليه من زخارف وتلوين فوصلوا الى الذروة فى ابتداع تحف رائعة من المصنوعات الخزفية .

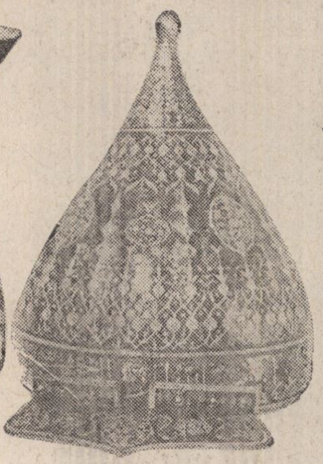

خوذة من الحديد المطعم بالذهب متحف طوبقابو

اناء خزفى به زخارف زرقاء على ارضية بيضاء ٩٠٦هـ — ١٥٠٠م . المتحف البريطانى العصر العثمانى .

أما التحف المعدنية العثمانية فتتجلى فى الاسلحة التى افتنوا فى صنعها وفى زخرفتها حتى انها لتنزع الاعجاب من كل من يراها مثل السيوف المزدانة بالزخارف النباتية الجميلة والكتابات العربية المذهبة والخناجر المرصعة بالاحجار الكريمة والدبابيس المصنوعة من الفضة المذهبة والخوذات المصنوعة من الحديد المكفت بالذهب المزينة بزخارف نباتية وكتابات عربية بعضها لنصوص من القرآن الكريم ، الى غير ذلك من الدروع والفئوس والمعدات الحربية الاخرى ، وكذلك المعادن التى استخدمت فى حياة السلم مثل شبابيك المساجد والسبل وأقفال الابواب ولعل من أروع الاقفال قفلا معروضا فى متحف طوبقابو مصنوعا من البرونز مكفتا بالذهب ويزدان بكتابات قرآنية وأدعية مثل « اللهم افتح لنا أبواب رحمتك » .

أما النسيج فقد كتبنا عنه بتوسع فى مقال سابق أوضحنا فيه مدى ازدهار صناعته فى تركيا فى عصر العثمانيين حتى صار ما كان ينتج فى مصانعها ينافس فى الاسواق الاوربية ما صنع فى البندقية وأسبانيا مثل الاقمشة المخملية والموشاة والمطرزة الرائعة الزخارف والالوان والديباج الذى يدخل فى نسجه خيوط الذهب والفضة ، وأغنى الملابس بالزخارف طولا وعرضا ملابس السلاطين .

أما السجاد ومدى تقدمه فقد تطور فى العصر العثمانى ووصل الى درجة من الاتقان والابداع حتى انه من شدة اعجاب الاوربيين به أن أقبلوا على شرائه من التجار الذين أحضروا منه الكثير وباعوه فى أسواق أوربا ففرشوه فى قصورهم أو أهدوه الى الكنائس لتفرش أو لتعلق على الجدران للزينة ، ولا تزال متاحف أوربا تحتوى على كثير من نماذج السجاجيد العثمانية .

ولقد لعب العثمانيون دورا بارزا فى كثير من الفنون الاخرى لا يتسع المقام للدخول فى تفاصيلها جميعا مثل تحف العاج والخشب والزجاج وفن الخط والتذهيب والتجليد وفن التصوير الى غير ذلك من الفنون التى سجلوا فيها صفحات مشرقة تدل فى وضوح على أن الفن فى العصر العثمانى كان عظيما بارز المعالم .

القصة

بطل ومعارك

أسامة ابن زيد

الأستاذ محمد صالح

قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أسامة بن زيد من أحب الناس الى وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم : فاستوصوا به خيراً » .

وقال عمر بن الخطاب لابنه عبد الله بن عمر عندما استكثر مالا اعطاه عمر لاسامة ان أسامة كان أحب الى رسول الله منك ، وأبوه أحب الى رسول الله من أبيك » .

شهد المعارك والغزوات وهو لايزال صبيا صغيرا واشترك فى كثير من السرايا بينها السرية التى بعثها النبى صلوات الله عليه

فى صفر من السنة الثامنة للهجرة بقيادة غالب بن عبد الله الليثى الى « فدك » .

واختاره النبى صلوات الله عليه فى صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة قائدا لجيش كبير ، يضم كبار الصحابة رغم أن عمره كان لا يتجاوز الثمانية عشرة عاما ، وكان من بينهم : عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح ولقد خرج بهذا الجيش بعد وفاة النبى فى خلافة أبى بكر وأحرز به النصر دون أن يخسر جنديا واحدا .

انه أسامة بن زيد بن حارثة ، أو الحب بن الحب كما كان يقول عنه صلوات الله عليه .

• • •

فى صفر من السنة الثامنة للهجرة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وكان عمره لا يتجاوز الخامسة عشرة ضمن سرية تضم مائتى رجل بقيادة غالب بن عبد الله الليثى ، وكانت وجهة السرية « فدك » وذلك للانتقام لما أصاب رجال سرية بشير بن سعد ، وأحرزت السرية نصرا ساهم فيه أسامة بن زيد .

وفى صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار أن يستعدوا لغزو الروم ، وارسل فى طلب أسامة بن زيد وقال له « سر الى موضع قتل أبيك فاوصلتهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش ، فاغر صباحا على أهل ابنى وحرق عليهم وأسرع فى السير تسبق الاخبار ، فان ظفرك الله تعالى فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع أمامك ! » .

وعقد النبى صلوات الله عليه لاسامة اللواء بيده وقال له : « **أغز باسم الله فى سبيل الله فقاتل من كفر بالله**

وخرج اسامة بلوائه معقودا وعسكر بالجرف على بعد ثلاثة أميال من المدينة ، ولم يبق أحد من خيرة المهاجرين والانصار الا وانضم الى جيش أسامة ، بما فى ذلك أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص .

واستعد الجميع للقتال تحت قيادة القائد الشاب الذى اختاره لهم الرسول صلوات الله عليه .

لكن رسول الله يمرض فتتعطل مسيرة الجيش حتى يطمئن الرجال على نبيهم وقائدهم الاكبر .

ويسوء البعض تامير أسامة الذى لا يتجاوز الثامنة عشرة من عمره على الجيش الذى يضمن عددا من كبار الصحابة والقادة المشهود لهم فى قيادة معارك سابقة .

ثم يعرف النبى ذلك فيخرج الى الناس وهو فى مرضه عاصبا رأسه ويخطب فيهم قائلا : « ما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تاميرى أسامة ، لئن طعنتم فى تاميرى أسامة فلقد طعنتم فى تاميرى أباه من قبل : وأيم الله انه كان للامارة خليقا وان ابنه من بعده لخليق بها : وان كان لمن احب الناس الى !.

يعود المعترضون اثر مقالة النبى الى الحق ويزداد اقبال الرجال على الانضمام الى جيش أسامة .

وعندما أفاق النبى صلى الله عليه وسلم من مرضه قليلا قال : « **انفذوا بعث أسامة !** . وفى يوم الاثنين قال صلوات الله عليه لاسامة « **اغد على بركة الله !** وودعه أسامة وخرج الى معسكره يأمر جيشه بالاستعداد للرحيل .

وبينما الجيش يتأهب للمسير جاءه خبر انتقال رسول الله صلوات الله عليه الى الرفيق الاعلى فعاد الجيش من معسكره الى المدينة .

وبعد ان تمت البيعة لابى بكر الصديق واصبح خليفة المسلمين كان أول أمر أصدره هو بعث جيش اسامة لانجاز المهمة التى أمر بها الرسول صلوات الله عليه وذلك رغم اعتراض كثير من المسلمين على هذا القرار محتجين بالموقف الداخلى فى المدينة والحاجة الى الجيش لاستخدامه فى رد الفتنة التى بدأت نذرها بين القبائل فى كثير من انحاء الجزيرة العربية بمجرد وفاة النبى ، وكان عمر بن الخطاب على راس الذين يطالبون **ببقاء الجيش لحماية المدينة من هذه الفتن .**

لكن أبا بكر أصر على رأيه واصدر امرا قاطعا هو : [**ليتم** بعث اسامة ، الا لا يبقين بالمدينة احد من جند اسامة الا خرج الى عسكره بالجرف]

ولبى المسلمون أمر الخليفة ، وذهب جميع الرجال الى المعسكر ، وخرج ابو بكر الصديق الى الجرف يستعرض جيش اسامة ، واسامة راكب فرسه والخليفة يمشى على قدميه الى جانبه

ويخجل اسامة وينظر الى الخليفة قائلا : يا خليفة رسول الله لتركبن او لانزلن

ويرد الخليفة قائلا : « والله لا تنزل ، والله لا أركب ، وما على ان اغبر قدمى فى سبيل الله ساعة » .

ثم يقول الخليفة : « ان رأيت يا أسامة أن تعينني بعمر فافعل ».

ويرد اسامة : بلى يا خليفة رسول الله ، اتى أعنيك بموقف ابو بكر الصديق يخطب فى جيش اسامة قائلا قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقتلعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولابعيرا الا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا أكلتم منها شيئا بعد شىء فاذكروا اسم الله عليه ، وتلقون اقواما قد خصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا ، اندفعوا باسم الله ».

وسار الفتى الذى لم يكتمل له من العمر ثمانية عشرة عاما على رأس الجيش الكبير الذى يضم افاضل الصحابة المهاجرين والانصار وبعد عشرين يوما من المسير يصل الجيش الى آبنى ويشن على أهلها الحرب مرددا اشعار المعركة وان اسامة بن زيد [يامنصور أمت] .

وفى نهاية اليوم كان اسامة قد احرز نصرا كبيرا فامر جيشه بمواصلة السير فوصل وادى القرى فى تسع ليال وارسل البشير الى المدينة يخبر الخليفة بسلامة الجيش .

وخرج ابو بكر يستقبل الجيش العائد المنتصر وقائده البطل الشاب اسامة بن زيد الذى لم يخسر جنديا واحدا فى المعركة .

شركة النصر للغزل والنسيج والتريكو "شوربجى سابقاً"

شوربجى
CHOURBAGUI

رمز الأناقه والجودة
والذوق الرفيع

تهنئ حجاج بيت الله الحرام
وجميع المسلمين فى العالم
بعيد

الأضحى المبارك

ويسعدها أن تقدم
أحدث انتاجها من

الملابس الجاهزة

الجوارب "حريمى ورجالى" - والكولوتات

اللانجيرى * انتاج حديث

الشعر الإسلامي

لبيك أكرم داع

الشاعر

المهدي محمود عبد الله

بالحج قد قام الخليل مؤذنا
طوعا لامر الله أكرم داعى
نادى فأسمع صوته الدنيا وما
زال النداء يرن فى الاسماع
ينساب عبر الكون فى أنشودة
قدسية النبرات والايقاع
وبه كتاب الله ظل مذكرا
بشعائر الاسلام فى اقناع
يدعو جميع المسلمين ليسعدوا
فى الدين والدنيا بخير مساعى
فمن استطاع سعى اليه ملبيا
متهللا برؤى اعز بقاع
لبى نداء الله فى شوق عسى
يحظى باشرف غاية وقناع
ويرى الربوع الطاهرات ويرتوى
من ماء زمزم بعد طول صراع
وينال فى عرفات أفضل منة
ويحوز طول العمر خير متاع
وعسى يمن الله جل جلاله
بأحب أمنية وخير طباع
بالعفو والغفران حتى ينثنى
كل الحجيج بأكرم الاوضاع
حقا فليس أجل من حج به
يتوطد الاسلام بالاشياع
كل يطوف بكعبة الله التى
ظلت منار هداية وشعاع
يسعون فى شغف وشوق عامر
من كل واد رغم كل صراع
عن رغبة جاؤوا يحيط ركابهم
فيض من الاشراق والاشعاع
فيض يضىء قلوبهم طوبى لهم
بزيارة المختار أشرف داعى

لبيك ربى

الشاعر رشاد محمد يوسف

لبيك رب البيت والاركان
لبيك رب الوحى والقرآن
لبيك من قلبى وكل مشاعرى
لبيك من فكرى ومن وجدانى
لبيك يا رباه صيحة حائر
يرجو لديك حقيقة الايمان
طال الطريق وليس من زاد سوى
شوق اليك من المحب العانى
ليلى حنين ضارع ومدامعى
تسخو بفيض غزيرها اجفانى

مالى سواك اذا الحقيقة زيفت
وطغى ضباب الوهم والبهتان
مالى سواك اذا الطغاة تآمروا
غدرا على الاخلاق والاديان
مالى سواك اذا النفاق تطاولت
اذنابه بتملق ودهان
مالى سواك اذا حياتى اقفرت
وكبا على درب الوفاء زمانى

حملت اوزارى وجئت بذلتى
وضراعتى وتبتلى وهوانى
أرجو وهل يرجى سواك لحائر
يسعى على شوق الى الرحمن
ادعو وهل يدعى سواك لتائب
تهفو مشاعره الى الغفران
وجهت وجهى للكريم ومن يفز
برضا الكريم هو الغنى الهانى
انا فى حمى الرحمن اسعى هانئا
فى ظل رحمته بكل امان

أصلح فؤادك بالطاعات

الشاعر عبد المنعم محمد عيسى

رب الوجـــود تكرم اننى ثمل
من خمر حبك انى هائم فيهـا
يا من عصيت فان الله رحمته
لكل عاص اذا ما تاب يزجيها
والجرم مهما اتاه العبد مستترا
فكل زلة نؤتى فالله يحصيها
فارفق بروحك ولتخضع لبارئها
وصل دايما وكن للنفس حاميها

• • • • •

يا مـن تعلق بالاثام مفتتنـا
بقوة الجسم أن الاثم يفنيهـا
اصلح فؤادك بالطاعات ملتزما
بشرعة الله مفتتما لما فيها
اقم الصلاة كما جاءت وكن يقظا
فاللهو يعبث بالافكار تنسيها
ذكر الاله وقد عمت مآثره
كل الانام فهيـا كى تنميها

اد الزكاة ففيها كل محمـدة
وذو القـرابه أولى اذ تؤديها
والحج يامن يستطيع اداءه
لعبادة . . تجد المهابة فيهـا
اتل الكتـاب مـرددا آياته
بتفهم وتمعن يجليهـا
ودع الامور تسير فى فلك لها
فالله قدر مجريهـا ومرسيهـا

• • • • •

هذى الحياة وان زادت مفاتنها
فلها الصفاء اذ الايام تطويها
لا تمش فى الارض مختالا ومغترا
الارض امك فاخشع واجتنب تيها
منها خلقت وفيها نومة حتى
يوم النشور ونفخ الصور ياتيها
الكل يخرج منها بعد نومتهم
ليعرضوا على مالك الدنيا وباريها
فاعمـل لاخرة لابد آتيه
لكن متى هى ؟ أن الله يخفيها

فى روضة التجلى

الشاعر صلاح عفيفى

فى روضة التجلى .. والمسجد الحرام
ما اسعد المصلى .. فى ذياك المقام

• • •

مواكب تطوف .. الوفهم ألوف ..
على المولى ضـيـوف
التقوى والطهـارة .. فى الحج
والزيارة .. .. وتستوى الصفوف

• • •

مقام ابراهيما .. وزمزم للصادى
أود ان أقيمـا .. مرتلا أو رادى
الى الصفا والمروه .. الى باب السلام
الى مهد النبوة .. والصحبة الكرام

نـويت ولعلى .. أفوز بالمرام
ما اسعد المصلى .. فى ذياك المقام

• • •

المنبر الشريف .. دنت منه القطوف ..
فى حضرة المحبوب يشع منه النور ..
وتعبق العطور .. وتلتقى القلوب

• • •

يا هجرة المختار .. يا منزل الاحباب
يا موطن الانصار .. يا مقصد الطلاب
نعمت يـ مدينة .. بالخير والسلام
وعمت السكينة .. ورفرف الحمام
أدعو اللهم صل .. على خير الانام
ما اسعد المصلى .. فى ذياك المقام

١ = ٣

وهذا صحيح
ولأول مرة في تاريخ التأمين

مبالغ التأمين الأساسية
المستثمرة تتضاعف إلى أكثر من
ثلاثة أضعافها

لهذا هو أكبر استثمار تأميني
توفره لك
الوثيقة

الماسية

لكافة الاستعلامات إملأ الكوبون المرفق
وارسله إلى :

شركة التأمين الأهلية المصرية

القاهرة ٢٣ و٣٤ شارع قصر النيل تليفون ٩٧٩١٠٠
الاسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ٨٠٢٣٢٨
القاهرة ص.ب ٥٨٠ الاسكندرية : ص.ب ٤٤٦

الاسم ....

العنوان ....

شاهندة

الطب في الإسلام

الطب الوقائى
بين الهدى النبوى

ان من عظمة ديننا الاسلامي الحنيف اهتمامه بصحة المسلمين وذلك مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم

« المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ! ».

وذلك لان المؤمن القوى سيعز الاسلام بقوته ويرفع شانه ويبنى صرح حضارته . وليس هذا بغريب على الدين القويم الذى أنزل من عند الله - سبحانه وتعالى - للبشرية جمعاء . وهو الدين الشامل الذى اهتم بكل شىء فى حياتهم . فقد نهى نبى الامة - صلوات الله وسلامه عليه . عن فعل أشياء قد تظنها من أول وهلة أنها هينة ولكنه صلى الله عليه وسلم يعلم مقدار ما سيناله الانسان من جراء فعل هذه الاشياء فقد تضر بصحته او تؤدى الى وفاته .

الدكتورة ابتسام عبد الحليم

وقد قمت بمشيئة الله - سبحانه وتعالى - بتقديم سلسلة من المقالات على صفحات مجلة « منبر الاسلام » الغراء تحمل هذا العنوان شرحت فيها شرحا مستفيضا لبعض الاحاديث النبوية الشريفة التى نهانا فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن التبول أو التبرز فى الموارد « المياه الراكدة » وعن التبرز على قارعة الطريق وفى الظلال . وبينا أمراضا شتى قد تصيب الانسان نتيجة لفعله تلك القادروات . كما قمت بربطها بما اكتشف حديثا بعد حوالى اربعة عشر قرنا من نزول الرسالة المحمديه خاتمه الرسالات .

وقد شملت تلك الاحاديث التحدث عن جزء هام من علوم الطب وهو الطب الوقائى وذلك لان الوقايه خير من العلاج .

وقد بدأت الحديث - فى المقالة السابقة التى نشرت فى مجلة منبر الاسلام الغراء فى العدد ١١ لسنة ٣٤ هجريه شهر ذى القعدة عن الامراض التى قد تصيب الانسان من جراء الاكل أو الشرب فى الاوانى التى سبق أن أكل أو شرب فيها الكلاب وما يحدث نتيجة لمداعبتها وتقبيلها لهم تلك العادات السيئة التى نراها حديثا .

فقد قال صلوات الله وسلامه عليه :-

ونظريات الطب الحديثة !

« اذا شرب الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا » .

وفى قوله أيضا :

« اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليرقه «يلقى ما فيه» ثم ليغسله سبع مرات اولاهن بالتراب » .

وقد بينت بعون الله شرح هذين الحديثين وعلة غسل الاوانى التى ولغ فيها الكلب سبع مرات أولاهن بالتراب . والاجابة انه قد يصاب الانسان بتلك الامراض من جراء ذلك الا وهى :

اولا : الاكنوكوكس جرانيولوزس «مرض الكيس المائى» .

ثانيا : المتيسبس ملتيسبس .

ثالثا : الداى باليديوم كانينم .

رابعا : مرض الكلب « الرابيس » .

ولذلك فان اقتناء الكلاب فى البيوت يعد مكروها فى ديننا الإسلامى الا للضرورة القصوى فى حالات استخدامها فى اغراض الحراسة .

وقد قمت بشرح دودة حياة الاكينوكوكس جرانيولوزس وما تحدثه من تغيرات مرضية فى جسم المصاب والاعراض ويأتى بنا الامر الى التحدث عن مرض اخر يصيب الانسان نتيجة لمخالطة الكلاب وأكلها وشربها فى نفس الاوانى . الا وهو مرض الملتيسبس ملتيسبس .

وهو من الديدان الشريطية للكلب ويعتبر الكلب العائل الاساسى له .

دورة الحياة

بويضات الملتيسبس قد تبلع بواسطه الانسان ثم تفقس فى امعاء الانساء ويخرج منها الجنين الذى يخترق الامعاء ويذهب فى تيار الدم الى الاوردة التى تصل به الى الكبد ثم الى الرئتين فالمخ وتكون فى المخ بصفة خاصة ما يشبه الكيس المائى وذلك بتكوين اليرقة فى الانسان . ولكنه أصغر من الكيس المائى ويكون بهما « سكوليكس » وتسمى « الكورنيس سيريراليس » التى تعطى اعراضا ومشاهدات تعتمد على المكان الذى تصيبه فى المخ وتسمى ورم المخ .

ويمكن تشخيصه بعد نزعه من المخ وفحصه .

العلاج :

هو الاستئصال الجراحى اذا أمكن .

طرق الوقاية :

- عدم اقتناء الكلاب الا للضرورة القصوى بغرض الحراسة .

عند الاكل فى الاناء الذى شرب منه الكلب أو ولغ فيه يجب غسله سبع مرات أولاهن بالتراب لازالة ما قد يكون عالقا به من بكتريا وطفيليات .

- تعليم الاطفال عدم مداعبة الكلاب وتقبيلها حتى لا يعلق بأيديهم بويضات الدودة أو قد يكون لسانها محتويا على البويضات من جراء لعق شعره ودبره ثم يأتى بنا الامر الى التحدث عن طفيل آخر وهو الداى باليديوم كانينم .

التوزيع الجغرافى : —

فى جميع أنحاء العالم .

وهو طفيل يصيب الكلاب أو الانسان .

الشكل الظاهرى :

من الديدان الشريطية الطفيل الناضج يبلغ طوله ٢٠ — ٨٠ سم وتحتوى رأسه على ٤ ممصات وعدة صفوف من الخطافات والطفيل خنثى ويحتوى على الجهاز التناسلى الانثوى والجهاز التناسلى الذكرى فى نفس القطعة .

والبويضة كروية الشكل نصف قطرها ٤٠ ميكرون .

وهى شفافة لا لون لها وتحتوى على جنين به ست شوكات ولها غشاءان أحدهما خارجى والاخر داخلى ينفصلان بواسطة طبقة هلامية .

دورة الحياة :

القطع الناضجة قد يحدث أن تتكسر فى أمعاء الكلب أو تمر بسلام مع البراز عندما تؤكل البويضة بواسطة العائل الوسيط وهو يرقة برغوث الكلب او قمل الكلب .

فيحدث ان تفقس فى أمعاء الحشرة ويخرج منها « الانكوسفير » . الذى

يتحول الى « السيستسيركويد فى فراغ جسم الحشرة وعندما تبلع بواسطة الكلب أو القط أو الانسان فان « السيستسيركويد يتحول فى الامعاء الى الطور البالغ من « الداى باليديوم كانيتوم » . نجد أن الانسان قد يحدث له العدوى بواسطة لعبه مع الكلب المصاب .

كما أن البراغيث التى فى الكلاب والتى قد تحتوى على السيستيركويد] مسبقا تكون معدية حتى وهى يرقة ولو حدث ان سقطت فى طعام الانسان يصاب بالعدوى ومن الجدير بالذكر ان بويضات الطفيل تظهر فى برازه بعد ٣ — ٤ اسابيع .

التشخيص :

الاعراض : الشعور بآلام فى البطن . بواسطة وجود القطع او البويضات فى البراز .

الوقاية :

— عدم مخالطة الحيوانات وخاصة الكلاب . — وضع المبيدات بانتظام على شعرهم واماكن نومهم وذلك لقتل الحشرة وهى العائل الوسيط .

— كما أنه لا يصح للكلاب أن تأكل مع الانسان على مائدة واحدة .

أما عن مرض الكلب « الرابيس » .

فيعتبر من الامراض المعدية نتيجة لفيروس الكلب . وينتقل الى الانسان عن طريق عقره بواسطة الكلب أو لعقه اى خدش جلده او ملامسة لعاب الكلب بالغشاء المخاطى المبطن للفم عن طريق تقبيله أو الاكل فى الاناء الذى ولغ فيه .

ويوجد الفيروس فى الغدد اللعابية وفى الجهاز الهضمى . وفترة حضانته فى الانسان تتراوح بين ٣٠ — ٦٠ يوما .

الاعراض والمشاهدات :

ارتفاع فى درجة الحرارة — صداع — زيادة عدد النبض — ٢٤ — ٤٨ ساعة .

ثم تبدأ مرحلة الشعور بعدم الراحة والتهيج العضلى والخوف من الماء وهو عبارة عن تقلص مفاجىء فى عضلات الفم والبلعوم والحنجرة وعضلات التنفس وذلك عند رؤية الماء للمريض وتزيد تلك الحالة بالصوت المفاجىء العالى أو الهواء البارد أو الضوء القوى وقد يحدث أن يموت المريض خلال التشنجات .

نتيجة لارتخاء الناحية اليمنى من القلب .

وبعد فان رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فهو معلم البشرية من قديم الازل . وندعو الله ان يسدد خطانا وان يوفقنا الى ما فيه الخير والسلام .

« وللحديث بقية ان شاء الله

« بقية مقال هذا هو الاسلام »

وانى لقوال لعافى مرحبا
وللطالب المعروف انك واجده
وانى لمن يبسط الكف بالندى
اذا شنجت كف البخيل وساعده

ومن اجل هذه المعانى السامية الفاضلة ، بعث الله الرسل ، وأنزل الشرائع ، فاستقامت التكاليف ، وسنت القوانين الدينية والمدنية ، ومن أجلها كان الانبياء صلوات الله عليهم امثلة عليا فى الانسانية ومكارم الاخلاق ، حتى لقد كان المصطفى عليه السلام يجوع ليشبع الناس ، ويشقى ليسعد الناس ، ويتعب ليستريح الناس ، ويحرم نفسه ليعطى الناس ، وحتى كانت المغانم والاسلاب تنهال عليه بعشرات الالاف ومئاتها فيوزعها على الناس يمينا وشمالا ، ولا يختص نفسه بدرهم واحد ، وربما بات ليلة طاوى الاحشاء ، ليس فى بيته فتيل ولا قطمير :**وفى ذلك تقول زوجه السيدة عائشة رضى الله عنها : والله كان يمر علينا الشهر والشهران ، لا توقد فى بيتنا نار ، ولا ترفع لنا قدر !!**

الا ، وان النفوس الخيرة النيرة ، متشبعة دائما بمعانى الانسانية الفاضلة تملك عليها عواطفها وشعورها ، واحساسها ووجدانها . ولعمر الحق ان هذا المعنى العظيم الكريم ، هو الذى كان يقض مضجع أمير المؤمنين سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، ويدفع به الى شوارع المدينة وطرقاتها تحت جنح الظلام ، يتفقد أحوال الرعية بنفسه عن كثب ، حتى يستطيع ان يكمل النقص ، ويقوى الضعف ، ويصلح ما يتطلب الاصلاح ، وفى ذات ليلة رأى فى طرف من أطراف المدينة امرأة توقد نارا تحت قدر ، ومن حولها صبية يبكون ويتصايحون ، فأقترب من المرأة ، وبعد أن ألقى عليها السلام ، وردت عليه سألها قائلا — لماذا يبكى الاطفال ؟ فقالت — من شدة الجوع ! فقال لها : وماذا فى القدر ؟ فقالت — ماء اعللهم به ليناموا ، فقال لها : واين امير المؤمنين عمر ؟ فقالت — شغلته شؤون الخلافة عنا ، فانصرف الخليفة وهو فى شدة التأثر : يغالب الدموع فتغلبه ! وبعد قليل عاد الى المرأة يحمل آنية على رأسه ، فيها دقيق وتمر وشحم ، وابى الا أن يهيىء الطعام للصبيان بنفسه ، ولكأنى به عليه الرضوان ، وهو جالس ينفخ فى النار تحت القدر ، والدخان يتخلل لحيته ! الى ان أنضج الطعام ، وأطعم الاطفال ، ولم يبارح مكانه حتى متع ناظريه برؤية الاطفال ، بعد البكاء يضحكون ، وبعد الصياح يمرحون ويلعبون ، وهكذا تكو نالانسانية وهكذا يكون القلب الرحيم ، وهكذا يكون الايمان العظيم شجرة خضراء ، وارفة الظلال ، ناضجة الثمار يستظل البائسون بظلها ، وياخذون من ثمارها والا فالايمان زيف وطلاء ، وكذب ورياء شنشنة وادعاء ، وتلك أمور أبعد عن الايمان بعد الارض عن السماء !! وصدق ربنا تبارك وتعالى حيث يقول (**والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) . سادتى وقرائى الكرام — كلما تهالك الناس على المادة وجدوا فى طلبها ، وركبوا متن الشطط فى سبيلها ، كلما ضعفت فيهم الانسانية ، وقويت الحيوانية — ولا تزال الروح الانسانية تضعف فيهم شيئا فشيئا بمرور الزمان حتى تموت ! وهناك يكون الويل للانسان من وحوش الانسان ، او انسان الوحوش أجل — وما أفظع الوحش الذى يلبس وجه الانسان !!

شخصيات إسلامية

الجهاد الدينى لجمال الدين الأفغانى

الدكتور أحمد الحوفى

لقد كتب فى هذا المجال كثيرا ، وتحدث كثيرا ، وأملى كثيرا . كان يعتقد أن القرآن الكريم هو الذى ايقظ المسلمين ، ونهض بهم ، فلما انصرفوا عن تعاليمه تأخروا ، وغرقوا فى أفكار الآخرين ، ودانوا بكثير مما يبرأ منه الاسلام .

كما اعتقد ان المسلمين لو فهموا حقيقة الاسلام ما خضعوا لحاكم مستبد وما استكانوا لمستعمر .

وكان يقول : « ما اكثر الجرائد السياسية والادبية فى هذه البلاد ، مع ان اهليها فى حاجة الى جريدة ابسط من هذا كله ، الى جريدة تقول لهم : اغسلوا أيديكم ، اغسلوا ارجلكم ، اغسلوا ثوابكم . ورأى ان ترسل الدولة العثمانية علماء الى الهند لتعليم الناس الاسلام ، لان اكثرهم لا يفهم عن الاسلام الا انه يحل لحم البقر » .

وود ان تساهم مصر فى تعليم الهنود وغيرهم أصول الاسلام ، بدلا من النفقات التى تبعثرها فى موالد الاولياء » .

آمن بأصول الشريعة ، وترك لنفسه الحرية فى فهم الفروع ، فخالف الجامدين والمتزمتين .

لهذا طالما دعا الى الاجتهاد والى نبذ التقليد .

سمع فى مجلسه شخصا يروى قولا عن القاضى عياض ، ويستمسك به ، فقال : سبحان الله ، لقد قال القاضى عياض ما قال على قدر ما وسعه عقله ، وتناوله فهمه ، وناسب زمانه فهل لا يحق لغيره ان يقول ما يراه أقرب الى الحق والصواب ؟

اذا كان القاضى عياض وأمثاله سمحوا لانفسهم ان يخالفوا اقوال من تقدموهم فاستنبطوا وقالوا ما يتفق وزمانهم ، فلماذا لا نستنبط ما يوافق زماننا ؟

ما معنى أن باب الاجتهاد مسدود ؟

وبأى نص سد هذا الباب ؟

وأى امام قال : لا يصح لمن بعدى ان يجتهدوا ليتفقهوا فى الدين ، ويهتدوا بهدى القرآن والحديث الصحيح والقياس على ما ينطبق على الشريعة وحاجات الزمان واحكامه ؟

ان الفحول من الائمة اجتهدوا واحسنوا ، ولكن لا يصح ان نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن الكريم ، فان اجتهادهم فيما حواه القرآن الكريم ليس الا قطره من بحر ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده .

وهو الى سماحته وحلمه وتواضعه كان لا يضيق ان يمس احد دينه أو شرفه ، سمع رجلا كبيرا قال كلمة نابية لا تليق بمقام النبى عليه الصلاة والسلام ، فأمر السيد جمال الدين من عنده من الافغانيين بضربه ، فضربوه حتى خرج يزحف .

وزاره رجل فى الاستانة ، وجرى بينهما حديث ، فقال الرجل : انى قرات كتب الفلاسفة ، فثبت لى ان الله غير موجود ، ولا يعتقد به الا حيوان . فضاق صدر جمال الدين ، ولكنه لم يجبه ، ثم دعا الحاضرين الى حديقة البيت . وكان فيها طيور ودجاج ، فصاحت الديكة ، وغردت الطيور ، فقال جمال الدين : كيف لا يفضل اضعف حيوان اعجم يذكر الله انسانا مخطئا ينكر وجود الله ؟ كيف يجرؤ على انكار واجب الوجود من يأكله الدود ؟ اذا لم يتعظ الانسان بما فوقه من اجرام ، فليتعظ بما تحته من رفات الاجسام .

فخرج الرجل الملحد خجلا لم يودعه أحد .

ولقد نجح فى مقاومة المدرسة الانجليزية التى افتتحت لنشر الالحاد وتعليم الدين الطبيعى ، فانه لم يكد يعلم بها حتى الف رسالة فى الرد عليهم والكشف عن نياتهم الخبيثة ، وهى زعزعة العقيدة الاسلامية فى نفوس الصغار . واضعاف الاسلام ، اذ لم يفلح المبشرون بالمسيحية فى استمالة المسلمين اليها ، فسارع كثير من رجال الهنود الى اخراج ابنائهم من المدرسة ، ورجع كثير من الهنود عما كان خامر نفوسهم من تعاليمها .

وحسبه فى هذا المجال انه كان الرائد والموجه للشيخ محمد عبده ، وان الشيخ محمد عبده شهد له بقوله : « له سلطة على دقائق المعانى وتجريدها وابرازها فى صورها اللائقة بها ، كأن كل معنى قد خلق له .

وله قوة فى حل ما يعضل منها ، كأنه سلطان شديد البطش ، فنظرة منه تفك عقدها .

كل موضوع يلقى اليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه ، فيأتى على اطرافه ، ويحيط بجميع اكنافه ، ويكشف ستر الغموض عنه ، ليظهر المستور منه .

واذا تكلم فى الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها . ثم له فى باب الشعريات قدرة على الاختراع ، كأن ذهنها عالم الصنع والابداع .

وله لسن فى الجدل ، وحذق فى صناعة الجدل ، لا يلحقه فيه احد ، الا ان يكون فى الناس من لا نعرفه .

وله قدرة على الجام خصمه ، روى أن احد كبار الاوروبيين جعل يجادله فى تفضيل الغرب على الشرق ، فأفحمه الافغانى بقوله : كفى بالشرق شرفا ان قام منه رجل مازالت امم اوروبا تعبده حتى اليوم » .

يريد به السيد المسيح .

أحمد

ابن فارس

يعد احمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الهمدانى الرازى – من أبرز وأعظم علماء القرن الرابع الهجرى ، فقد كانت تنحنى امامه الهامات اعجابا وتقديرا ، ويزهو الناس بجلال رسالته فى الحفاظ على اللغة ، وسمو جهاده فى تهذيب لسانها العربى الذى نزل به الكتاب وجاءت به السنن والآثار ، ولا ريب فى انهم يدركون غزارة دراساته التى تعتبر مشعلا يضىء سبيل البحث والكشف والتجرد والابداع ، ويوجه الحركة المعجمية توجيها مثمرا . ولقد اتفق المحققون على أن آثاره فى الدراسات اللغويه والبحوث القرآنيه والفقهيه ، ومؤلفاته فى السيرة والادب والاخلاق وغير ذلك لها خطرها وفضلها فى الدرس والمعرفة ، ولها دورها الكبير فى نشر التعمق الاصيل ، والتمكن البارز فى التعليل ، والنضج الواضح فى الاستنباط ، والنهج البارع فى الاحكام .

الدكتور حامد محمد شعبان

والحق أنه لم يعرف تاريخ مولده بصفة قاطعة ، ولكننى وجدت فى مجلة لغة العرب « السنة التاسعة فبراير سنة ١٩٣١ » اشارة الى تاريخ مولده فى تقديمها مقالة فى أسماء اعضاء الانسان لابن فارس ، وتذكر هذه الاشارة أنه طوى بساط أيامه فى المائة الرابعة للهجره من [٣٢٩ – ٣٩٠ هـ] ويبدو ان ذلك اجتهاد من المجلة المذكورة لم تعين مصدره ، وفى مقدمة كتاب متخير الالفاظ لابن فارس يقول المحقق عن سنة ولادته « يمكن القول على وجه التقريب انها تدور حول عام ٣١٢ هـ وهذا عندى هو ارجح الاراء فى تحديد تاريخ ولادته على وجه التقريب ويتلوه فى المرتبة ما ذكرناه عن مجلة لغة العرب ، اما اضعف الاراء فهو ما قاله ابن فرحون ، وهو أن مولده سنة ست وقيل ثمان ومائتين فهذا بعيد كل البعد فلم يقل أحد ممن ترجموا له شيئا من ذلك سوى مؤلف الديباج المذكور .

وكنا نود أن نعرف الكثير عن أسرته ، ولكن المراجع لا تذكر لنا غير ان والده كان فقيها شافعيا متدينا لغويا متبحرا فى اللغة والادب راوية للشعر أخذ عنه أبو الحسين أحمد بن فارس فقه الشافعى وروى عنه فى كتبه . ويبدو ان اسره ابن فارس كانت عربية ، فليس فى سلسلة نسبه اسم غير عربى ، ولم يقم دليل على ما زعمه بروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية من أنه من أصل اعجمى بل عرف ابن فارس بالتعصب الشديد للعرب والعربية .

اما ابرز شيوخه ففى اعتقادى أن الشيخ الأول الذى ألقى فيه حب اللغة والادب والفقه هو والده فارس بن زكريا ، ويدل على مكانته البارزة فى اللغة أنه روى عنه كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت ، ولا شك فى أنه الذى وجهه وغذاه بلبان ثقافته . والشيخ الذى اثر فيه تأثيرا كبيرا هو أبو الحسن على بن ابراهيم بن سلمه القطان القزوينى ، وكتب ابن فارس محشوة بالرواية عنه وكان يصفه بالدرايه وهناك شيخ ثالث هو راوية ثعلب أبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب حظى بالاكبار والاعجاب ، والشيخ الذى كان محل الاعجاب والتقدير الشديد عند ابن فارس هو ابن طاهر المنجم لانه يقول عنه : « ما رأيت مثل ابن عبد الله أحمد بن طاهر ولا رأى هو مثل نفسه » .

واذا كنا قد عرفنا أهم شيوخه فانه يجب أن نذكر تلاميذه الذين نهلوا منه ومن أشهرهم بديع الزمان الهمدانى الذى ولد سنة ٣٥٨ هـ ، وقد تأثر بأستاذه وتعصب لاهل الحديث والسنة مثله وأخذ عنه جميع ما عنده وكانت بينهما مراسلات تظهر اجلال البديع لشيخه ، وما أصبح مفخرة همذان الا بفضل أستاذه الذى أفاد من رسائله وتأثر بنسقها فى مقاماته وتوفى سنة ٣٩٨ هـ .

ومن أبرز تلاميذ ابن فارس الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ وكان يكرم ابن فارس ويقول : « **شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف** » . والحب المشترك والتقدير

المتبادل بدا واضحا بين الاثنين وان ساء الجو أحيانا بسبب تعصب ابن فارس لال العميد فاذ عاد الى الود وصفا ما بينهما وسمى أبو الحسين كتابه الصاحبي وأودعه خزانة الصاحب اعترافا بقدره . وممن تتلمذ أيضا على ابن فارس أبو طالب بن فخر الدولة البويهي واستطاع أبو الحسين بتعليمه له أن يجعله يبلغ في النجابة مبلغا مشهورا ونجد أيضا من تلاميذه أبا الفتح ابن العميد الذى ظهر وفيا له فأحسن تهذيبه وحافظ على صلته به غير مهتم بانحراف الصاحب بن عباد عنه لتعصبه لال العميد . ومن الذين قرءوا على ابن فارس وتتلمذوا عليه على بن القاسم المقرى وقد قرأ عليه كتابه أوجز السير لخير البشر المطبوع فى الجزائر وبومباى وكانت القراءة فى الموصل .

ومن الذين رووا عن ابن فارس القاضى أبو زرعة روح بن محمد بن أحمد بن اسحق الرازى المتوفى سنة ٣٤٣ ومن تلاميذه ابو العباس احمد بن محمد المعروف بالغضبان وابو محمد نوح بن احمد الاديب اللوباسانى وأبو الفتح سليم بن أيوب الرازى وغيرهم .

مذهبه الفقهى :

كان ابو الحسين أحمد بن فارس فقيها شافعيا حاذقا ثم انتقل الى مذهب مالك فى آخر امره وشهدت مدينته الرى ذلك الانتقال ، ومما يجدر ذكره انه سئل عن ذلك فقال : « دخلتنى الحمية لهذا الامام المقبول على جميع الالسنة أن يخلوا مثل هذا البلد – يعنى الرى – عن مذهبه فعمرت مشهد الانتساب اليه حتى يكمل لهذا البلد فخره ، فان الرى اجمع البلاد للمقالات والاختلافات فى المذاهب على تضادها وكثرتها . وقد اشار فى كتابه المقاييس (مادة صعد) الى أنه مالكى المذهب ولكنه يقف الى جانب الحق فلا يتعصب تعصبا ضارا وتذكر بعض المراجع ما يدل على اخلاصه لهذا المذهب فعندما كان يناظر فى الفقه كان ينصر مذهب مالك ولهذا عده ابن فرحون اليعمرى فى الديباج المذهب مالكيا ويؤكد كتابه الصاحبى وقد الف فى الشطر الاخير من حياته أنه مالكى فى مواضع متعددة .

هل كان شيعيا :

لم يعرف عن ابن فارس انه كان شيعيا غير أن بعض مؤرخى الشيعة ذهبوا الى انه كان كذلك ، ومن المعروف ان الفترة التى عاش فيها فترة صراع عنيف بين الطوائف المختلفة واتباع المذاهب المتعددة ، ومن المعروف ايضا أن جانبا كبيرا من هذا الصراع دار بين المسلمين من سنية وشيعة وان ابن فارس عاش فى منطقة شيعية فى ظل دولة شيعية مؤدبا لابناء سلاطينها كما أنه اتصل بشخصيات عرفت بتعصبها للشيعة الى أقصى درجة كالصاحب بن عباد والذى يبدو لى أنه كان يحب أهل البيت ويمجد الامام على ولكنه لم يغل ولم ينحرف وربما ظهر من أقواله ما يدعو الى القول بأنه من الشيعة . وعندى ان ذلك انما هو لمصانعة الشيعة . ولا تكفى عندنا الاقوال المعبرة عن حب ابن فارس لال البيت الكرام وتعيينه مؤدبا وأستاذا للامير البويهى لكى نستنبط أمر تشيع ابن فارس كما استنبط ذلك بعض مؤرخى الشيعة ، والحق أحق أن يتبع وهو انه كان ينصر أهل السنة ، وعرف بأنه محافظ الى أقصى درجة ولا يمنع ذلك من أنه ظهر بمظهر المصانعة للشيعة وبدأ اكباره لشخصية الامام على ومآثره ومن دواعى هذه المصانعة ان ذوى السلطان وهم آل بويه من الشيعة وكان متصلا بهم باقوى الاسباب وان التقريب فى عصره لمن يظهر الحب ويسلك مسلك التشيع .

مذهبه الكلامى :

فى النجوم الزاهرة وغيرها ما يشير الى أنه كان من أهل السنة ، ويذكر ابن تغرى بردى الاتابكى فى ترجمته : « وكان كاملا فى الادب فقيها مالكيا مناظرا فى الكلام وينصر اهل السنة » . ويؤكد القفطى ذلك فيقول : « وكان من رؤساء أهل السنة المجودين على مذهب الحديث » وهذا صحيح يتجلى فى منهجه فى دراسة اللغة وغيرها .

لمحات من سيرته :

كان ابن فارس يتنقل فى البلاد يأخذ العلم عن أعلامه ، فقد دخل بغداد طالبا للحديث وحضر بعض مجالسها كما رحل الى قزوين ليأخذ عن ابى الحسن القطان ، وقد حدثنا انه سمع منه سنة ٣٣٢ هـ ولم يقف به الامر عند هذا الحد لانه رحل الى زنجان الى ابى بكر احمد بن الحسن بن الخطيب راوية ثعلب وكذلك ذهب الى ميانج ، ولا نعرف سبب هذى الرحلة ، ورحل الى الموصل وأقام فى مدينتها زمانا ويبدو أن هذا بعد شهرته لان على بن القاسم المقرى قرأ عليه فيها أوجز السير لخير البشر ، اما رحلته الى مكة فان دائرة المعارف الاسلامية انفردت بالاشارة اليها ، وذكرت أنه تلقى العلم بها عندما حج اليها ، ولم أجد فى المراجع ما يفيد ذلك . وما يهمنا هنا أن نؤكد أن هذه الرحلات قد انعكست على تفكيره ، واكتسب منها ثروة ضخمة من المعارف المتنوعة ويظهر اثر هذه البيئات التى ارتحل اليها فى منهجه وتفكيره وثقافته . وفى **همذان التى أفادت المراجع أنه أقام بها رفعه علمه مكانا عليا واشتغل بالتدريس مدة من الزمن ولازم حلقته بديع الزمان والتقى بابن العميد . وتعصب له واحتفى به وداخله ونادمه حاضرا وكاتبه وجاوبه وهاداه نثرا** ونظما ، وهذا يدل على منزلته السامية عند أبى الفضل ، ومما يؤكد ذلك انه جعله يهذب ويثقف ابنه أبا الفتح ابن العميد .

وفى هذه المدينة ظهر انتاجه العلمى ، وبعث بكتاب الحجر الى الوزير الصاحب بن عباد فرفضه اولا ثم

لم تطب نفسه برده ؟ فعاد وقبله وارضى ابن فارس وسبب ذلك هو تعصب ابى الحسين لال العميد ، وكان الصاحب يبغض ابا الفتح ابن العميد ولم يزل هذا الانحراف الا فى الرى ورأينا ان الصاحب عاد يبجله ويوقره ويعترف له بالاستاذية والفضل . اما فى الرى فاننا نجد ابن فارس يؤخره بعد ان حمل اليها ليقرأ عليه ابو طالب بن فخر الدولة واستقر هذا العالم فيها وعاش أخصب فترات حياته العلمية وتأثر ببيئتها ، فقد كانت اجمع البلاد للمقالات والاختلافات فى المذاهب على تضادها وكثرتها ففيها الحضرة الصاحبية وفيها الثقافة الواسعة التى دفعته الى املاء كثير من مؤلفاته ، وكان شافعيا فتحول مالكيا لاكباره مالكا ومذهبه الذى يعتقد ان صاحبه مقبول القول على جميع الالسنة .

وأيا ما كان الامر فان آراءه واتجاهاته أثرت تأثيرا بالغاً فى الدرس والتحقيق فنظريته التى سجلها فى أصل اللغة ونشأتها ـ بكتابه الصاحبى ـ والتى قررت ان اللغة توقيف لا اصطلاح وجهت البحث فى اللغة ونشأتها توجيها نال الكثير من الاهتمام والرعاية ، ويبدو ان مذهبه كان هو الغالب على غيره من المذاهب فى زمانه ، وتشبثه بهذا المذهب واضح فى استدلاله بقوله تعالى : « **وعلم آدم الاسماء كلها** » مستندا الى تفسير ابن عباس حيث قال « علمه الاسماء كلها وهى هذه التى يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وحمار واشباه ذلك من الامم وغيرها والى رواية خصيف عن مجاهد : « **علمه اسم كل شىء** » وواضح ايضا فى ذكره ان الاوصاف توقيف ولا شىء فيها مصطلح عليه ، وفى نظره الى ان اللغة التوقيفية لم تأت جملة واحدة ولا فى زمان واحد ، ويظهر فى قوله : « **فان تعمل اليوم عنعمل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده** » .

والحق أن كثيرا من المحققين قد اثبتوا أنه ينظر الى اللغة نظرة معيارية متشددة متأثرا بمنهجه السنى ، كما انه يريد الحفاظ على لسانها العربى بمسلك فيه الجمود والنأى عن اعتبارات لا محيص عنها فى بحث اصل اللغة ، اما النصوص التى اعتمد عليها فهى تحتمل تأويلات كثيرة والادلة التى يتطرق اليها الاحتمالات يبطل بها الاستدلال ، والاحتجاج بلغة العرب لا ينهض دليلا على توقيفية اللغة ، فاللغة ظاهرة اجتماعية والمنهج الذى يتفق مع فلسفتها هو المنهج الوصفى لا المنهج الجامد الذى يغلق أبواب التجديد والنمو ومطالب الحياة وتطورها . ومهما يك من شىء فان هناك براهين وآراء لا تسلم بما قاله ابن فارس فى دعم نظرته فى اصل اللغة ، وهناك أمور تفند حججه ، ومذهبه لم يقم على مبادىء علمية تعتمد على الملاحظة والتجريب والاستنباط ومراعاة نشأة الانسان ومراحل نموه وان كان له الفضل فى دفع البحث فى أصل اللغة الى اتجاهات متعمقة ودراسات واسعة .

وأعظم دراسات ابن فارس اللغوية هى الدراسات التى ضمها معجمه العظيم مقاييس اللغه فقد ارجع كلمات كل مادة الى قدر مشترك او أقدار مشتركه ووضع نظريه الاصول اللغويه او الروابط المعنويه المشتركه فى مستوى رائع يدل على براعه وعمق وروعه . فالدرس اللغوى يرتبط بما فررته النظريه وهو ان للغه العرب مقاييس صحيحه واصولا تتفرع منها فروع ، ويرى هذا العالم ان الناس قد الفوا فى جوامع اللغة ما الفوا ولم يعربوا فى شىء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ولا اصل من الاصول كما يعتقد ان مقاييسه تعد بابا من العلم جليلا وله خطر عظيم ولذا صدر كل فصل باصله الذى يتفرع منه مسائله حتى تكون الجملة الموجزه شاملة للتفصيل ويكون المجيب عما يسال عنه مجيبا عن الباب وحسبنا ذلك فى فضله ، فانه ترك بحوثا قيمة ومؤلفات رائعة لا يتسع المجال للحديث عنها . أما وفاته فان منيته وافته بالرى سنة ٣٩٥ هجرية على أصح الاقوال . رحم الله ابن فارس فقد كان من أنشط العلماء والمفكرين وجزاه الله خير الجزاء على جهاده فى الدرس واعتصامه بالحفاظ على اللغة وحبه للقرآن والحديث والسنة والادب والاخلاق .

« حديث الى الائمة » بقية

هذا الدين ولا شىء من الاماكن يقترب منها لذاتها وانما لتقدير المعانى والمثل التى اقترنت بها ولا شىء من هذه الاماكن يضر وينفع وما هى الا أماكن أمر الله أن يذكر عندها وان يجتمع الناس حولها ولذا وجب أن نعلم أن حرمة البيت ليست لما فيه من طوب وأحجار بل بما يحفظ من ذكريات وما يقترن به من معان ومثل . فليكن شرح المعانى والمثل التى اقترنت بالبيت لاحبابنا وأخواننا . والذكرى تنفع المؤمنين .

بقية مقال « احب أيام الله »

وروى مسلم عن ابى قتادة رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة (فقال يكفر السنة الماضية والباقية) .

فعلينا أن نسرع فى هذه الايام المعدودات لنستدرك ما فاتنا وندرك امالنا من تكفير السيئات وتكثير الحسنات ورفع الدرجات . وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون .

وما أجدرنا أن ندعو الله وأن نقف بين يدى ملك الملوك صاحب القوة والجبروت صاغرين لله داعين « خير الدعاء دعاء عرفة » ......

عبد المؤمن حسن مجاهد ـ مفتش مساجد

الأستاذ توفيق أبو علم

١٢

وسار علي عليه السلام من ذي قار ومعه الناس حتى نزل على عبد القيس فانضموا اليه ، وسار من هناك فنزل الزاوية ، وسار من الزاوية يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، فلما نزل الناس أرسل شفيق بن ثور الى عمرو بن مرجوم العبدي أن أخرج : فاذا خرجت فمل بنا الى عسكر علي ، فخرجا من عبد القيس وبكر بن وائل ، فعدلوا الى عسكر علي ، وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال ، فكان يرسل علي اليهم يكلمهم ويدعوهم ، وكان نزولهم في النصف من جمادى الاخرة سنة ٣٦ .

وفي مروج الذهب : « كان مسير الامام الى البصرة سنة ٣٦ ، وفيها كانت وقعة الجمل ، وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها . ويؤيد ذلك الطبري وابن الاثير وان كان المسعودي يقول ان الوقعة كانت قبل ذلك التاريخ بخمسة أيام » .

وكان جنود عائشة رضي الله عنها ثلاثين ألفا وعسكر الامام عشرين الفا ، وافترق أهل البصرة ثلاث فرق ، فرقة مع الامام وفرقة مع أم المؤمنين وفرقة اعتزلوا .

وفي المفيد ان الامام عليا رضي الله عنه قال لاصحابه يحرضهم على القتال : « عباد الله ، انهضوا الى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم ، فانهم نكثوا بيعتي ، واخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة ، وقتلوا السيابجة ، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي ، وقتلوا رجالا صالحين ، ثم تتبعوا منهم من يحبني ، ياخذونهم في كل حائط وتحت كل رابية ، ثم ياتون بهم فيضربون رقابهم . قاتلهم الله أنى يؤفكون ، انهضوا اليهم وكونوا أشداء عليهم والقوهم صابرين محتسبين تعلمون أنكم منازلوهم ومقاتلوهم ، وقد وطنتم أنفسكم على الطعن والضرب ومبارزة الاقران ، وأي امرىء منكم أحس من نفسه رباطة جاش عند اللقاء ، ورأى من احد من اخوانه فشلا فليذب عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه ، فلو شاء الله لجعله مثله .

وخطب الامام عليه السلام لما توقف الجمعان فقال : « لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فانكم بحمد الله على حجة ، وكفوا عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى ، واذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، واذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا ، ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ، ولا تاخذوا من أموالهم شيئا ، ولا تهيجوا امراة باذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم وصلحاءكم ، فانهن ضعاف القول والانفس والعقول ، لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات ، وان كان الرجل ليتناول المراة بالهراوة والجريدة فيعير بها وعقبه من بعده » .

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي بكر قال : عصمني الله بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما هلك كسرى قال : من استخلفوا ؟ قالوا ابنته ، فقال ، لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة . فلما قدمت عائشة ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم فعصمني الله به .

وروى أيضا أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت خطيبة القوم وهم لها تبع ، فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه السلاح فقيل لعلي هذا الزبير . فقال : أما انه أحرى الرجلين أن ذكر بالله أن يذكر .

وخرج طلحة فخرج اليهما علي فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم .

قال علي : لعمري لقد اعددتما سلاحا وخيلا ورجالا ، ان كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، الم اكن اخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما ؟ ! فهل من حدث أحل لكما دمي ؟ !

قال طلحة : ألبت الناس على عثمان .

قال علي : « يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين » . يا طلحة تطلب بدم عثمان : فلعن الله قتلة عثمان ، ياطلحة جئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك ، أما بايعتني ؟ ؟

قال ، بايعتك والسيف على عنقي .

قال الطبري :

وقال علي للزبير : أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته « سلط الله على اشدنا عليه اليوم ما يكره ، يازبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غنم فنظر الى فضحك وضحكت اليه ، فقلت : لا يدع ابن ابي طالب زهوه ! فقال لك : صه ، انه ليس به زهو ، ولتقاتلنه وأنت له ظالم .

فقال : اللهم نعم ، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا ، والله لا أقاتلك أبدا . ورجع الزبير الى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقال لها : ما كنت في موطن منذ عقلت الا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا ، قالت فما تريد أن تصنع ؟ قال أريد أن أدعهم وأذهب ، فقال له ابنه عبد الله : جمعت بين هذين العسكرين حتى اذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب لكأنك خشيت رايات ابن ابي طالب ، وعلمت انها تحملها فتية أنجاد ، وأن تحتها الموت الاحمر فجبنت ، فأحفظه دمك وقال : اني حلفت ألا أقاتله ، قال : كفر عن

يمينك وقاتله ، فاعتق غلامه مكحولا ، فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمى :

لم ار كاليوم اخا اخوان ـ اعجب من مكفر الايمان بالعتق فى معصية الرحمن .

ترك الزبير الحرب ولم يحارب مع على وتوجه الى وادى السباع قاصدا المدينة ، وقتله ابن جرموز واخذ فرسه وخاتمة وسلاحه .

ويقول ابن ابى الحديد فى شرح النهج : قيل ان ابن جرموز دخل على الامام واخبره بقتل الزبير ، فدعا بالسيف فهزه فقال : سيف طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وفى رواية أخرى ـ أنه قال له : أنت قتلته ؟ ! قال نعم ، قال : والله ما كان ابن صفية جبانا ولا لئيما . وقال ابن جرموز : الجائزة ياأمير المؤمنين . فقال : اما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار .

وروى أبو مخنف : أنه لما تزاحم الناس يوم الجمل قال الامام على عليه السلام لاصحابه : « لا يرمين رجل منكم بسهم ، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى يبدءوكم بالقتال وبالقتل » .

فرمى أصحاب الجمل عسكر الامام بالنبل رميا شديدا متتابعا ، فضج اليه أصحابه وقالوا : عقرتنا سهامهم ياامير المؤمنين ، وجيء اليه برجل فقيل له : هذا فلان قد قتل فقال : اللهم أشهد ، ثم قال : اعذروا الى القوم ، فاتى برجل اخر ففيل : وهذا قد قتل . فقال : اللهم اشهد ، اعذروا الى القوم . ثم اقبل عبد الله بن ورقاء الخزاعى وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أخاه عبد الرحمن قد اصابه سهم فقتله ، فقال ، ياامير المؤمنين، هذا أخى قد قتل ، فاسترجع على عليه السلام ، ودعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الفضول فلبسها ، فتدلت على بطنه ، فرفعها بيده ، وقال لبعض اهله فحزم وسطه بعمامة ، وتقلد ذا الفقار ، ودفع الى ابنه محمد راية رسول الله السوداء وتعرف بالعقاب ، قال للحسن والحسين عليهما السلام : « انما دفعت الراية الى اخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ثم طاف الامام على أصحابه وهو يقرأ :

« ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » .

ثم قال أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعز لنا ولكم النصر ، وكان لنا ولكم ظهيرا كل أمر . ثم رفع مصحفا بيده فقال : « من ياخذ هذا المصحف فيدعوهم الى ما فيه وله الجنة » . فقام غلام شاب اسمه مسلم عليه قباء أبيض ، فقال : أنا آخذه ، فنظر اليه الامام وقال :

« يافتى ان اخذته فان يدك اليمنى تقطع ، فتاخذه بيدك اليسرى فتقطع ، ثم تضرب بالسيف حتى تقتل » . وبعد محاورة بين الامام والغلام نادى الغلام : هذا كتاب الله بيننا وبينكم . فضربه رجل فقطع يده اليمنى ، فتناوله باليسرى فضربه أخرى فقطع يده اليسرى ، فاحتضنه ، وضربوه باسيافهم حتى قتل . فقالت أم ذريح العبدية فى ذلك :

يارب ان مسلما اتاهم
بمصحف ارسله مولاهم
للعدل والايمان قد دعاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه ظباهم
وامهم واقفه تراهم
تامرهم بالغى لاتنهاهم

ويروى الطبرى هذه القصة فيقول : « أخذ على مصحفا يوم الجمل ، فطاف به فى اصحابه وقال : من يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى ما فيه وهو مقتول ، فقام اليه فتى من اهل الكوفة عليه قباء أبيض اسمه مسلم بن عبد الله ، فقال : أنا ، فاعرض عنه ، ثم اعاده ثانيا فقال الفتى : أنا ، فاعرض عنه ثم أعاده الثالثة فقال : أنا ، فدفعه اليه ، فدعاهم فقطعوا يده اليمنى ، فاخذه بيده اليسرى فدعاهم ، فقطعوا يده اليسرى ، فأخذه بصدره وبأسنانه والدماء تسيل منه فقتل ، فكان أول قتيل بين يدى أمير المؤمنين وأم المؤمنين ، فقال على : الان حل قتالهم ، وقالت أم الفتى ترثيه ،

لاهم ان مسلما دعاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
وامهم قائمة تراهم
ياتمرون الغى لاتنهاهم
قد خضبت من علق لحاهم

واقتتل الناس ، وركبت عائشة الجمل المسمى عسكرا ، وكان الجمل لواء أهل البصرة ، وقالت أم المؤمنين : « أما بعد فان كنا نقمنا على عثمان ضرب السوط ، وامرة الفتيان ، وموقع السحابة المحمية ، الا وانكم استعتبتموه ، فلما مصصتموه كما يماص الثوب الرخيص عدوتم عليه فارتكبتم منه دما حراما ، وايم الله ان كان لاحصنكم فرجا وأتقاكم لله » .

وأخذ قاضى البصرة « كعب بن سور » بخطام الجمل ، وقتل كعب وكان اول قتيل بين يدى أم المؤمنين من أهل البصرة والكوفة ، واقتتلوا الى آخر النهار وانهزم عسكر عائشة .

ويقول الطبرى : ضرب محمد بن الحنفية يد رجل من الازد فقطعها فنادى يامعشر الازد فروا ، واستحر القتل فى الازد فنادوا : نحن على دين على بن أبى طالب ، واقبل المنهزمون يريدون البصرة ، فلما رأوا الخيل أحاقت بالجمل عادوا الى الحرب .

أما طلحة فيقول ابن الاثير ان مروان بن الحكم هو الذى رماه بسهم ومات طلحة فى دار خربة فى البصرة .

وحرضت ام المؤمنين الناس ، وكانت راية على عليه السلام يوم الجمل مع ولده محمد بن الحنفية ، ويقول ابن أبى الحديد أن الامام دفع الى محمد الراية يوم الجمل وقد استوت الصفوف ، وقال له : احمل ، فتوقف قليلا ، فقال له ، احمل ، فقال ، يا أمير المؤمنين : ما ترى السهام كأنها شآبيب المطر ؟ فدفع فى صدره وقال : ادركك عرق من أمك ، ثم اخذ الراية فهزها ثم قال :

اطعن بها طعن أبيك تحمد
لاخير فى الحرب اذا لم توقد
بالمشرفى والقنا المسدد

ثم حمل وحمل الناس خلفه فطحن عسكر البصرة .

وقيل لمحمد لم يغرر بك أبوك فى الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين ؟

فقال : « انهما عيناه وانا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه » .

وتسلم محمد الراية ومعه خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وكثير من أهل بدر ، فحمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسنا .

سعد بن عبادة

الأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوي

كان سعد بن عباده من المعدودين فيمن شهد بدرا ، وان لم يكن قد شهدها بالفعل ، ذلك أنه بينما كان يتهيأ للخروج اليها كان يأتى دور الانصار يحضهم على الخروج ، فأصابه مرض قبل أن يخرج فأقام بالمدينة ، وتقديرا لصدق نيته للجهاد فى سبيل الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كان سعد لم يشهدها فقد كان عليها حريضا ونية المرء خير من عمله : بل روى بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب له بسهمه شأنه فى ذلك شأن من حضر بدرا ، .

ولكن ابن سعد ذكر فى الطبقات الكبرى ان شهود سعد بدرا ليس بمجمع عليه ولا ثبت ، ولم يذكره أحد ممن يروى المغازى فى تسميته من شهد بدرا ولكن هذا لا يمنع على وجه قاطع أن الرسول قد ضرب له بسهمه وأجره ذلك أن سعدا قد ساهم بالفعل فى الدعوة الى شهود بدر ، ونحن نعلم ان كثيرا من الصحابة لم يشهدها عن تقاعس عنها ، وانما فهموا ان الرسول لن يتعرض فيها لكيد من المشركين ،لذلك ندموا أشد الندم حينما وقعت المعركة ولم يشتركوا فيها .

وقد آثر سعد بن عباده رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبه وكرمه وسخائه ، اذ أن الرسول لما قدم المدينة كان سعد يبعث اليه فى كل يوم جمعة فيها ثريد بلحم او زبد بلبن او ثريد بخل وزيت أو بسمن ، وكان أكثر ذلك اللحم ، وكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيوت أزواجه .

ومع أن سعدا كان كريما بفطرته ، فقد نمت هذه الفطرة بعد أن اعتنق الاسلام ، وكان مصدر كرمه ينبع من كرم آبائه وجدوده ، فقد كانوا فى الجاهلية ينادون على أطمهم ، الامكنة المخصصة للجود والكرم ، من أحب الشحم واللحم فليأت اطم وكيم بن حارثة ، وكان سعد نفسه ينادى على أطمه : من أحب شحما او لحما فليأت سعد بن عبادة وكذلك فعل ابنه قيس .

وفور ان اعتنق سعد الاسلام بادر الى تكسير أصنام بنى ساعدة - قومه - وشاركه فى تكسيرها المنذر بن عمرو وأبو دجانة سماك بن خرشة : كما أن سعدا كان شخصا كاملا : فكان فى الجاهلية يكتب بالعربية ، على قلة الذين يكتبون بها يومئذ وذلك بالاضافة الى اجادة العوم والسباحة والرمى بالنبال فى الحروب .

وقال عنه ابن الاثير فى أسد الغابة : كان سيدا جوادا وهو نقيب بنى ساعدة من الانصار فى بيعة العقبة الكبرى لرسول الله وهو صاحب راية الانصار فى المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان وجيها فى الانصار ذا رياسة وسيادة يعترف له قومه بها .

روى عن قيس بن سعد بن عبادة قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزلنا ، فقال السلام عليكم ورحمة الله قال : فرد سعد ردا خفيا فقال قيس لابيه : الا تأذن لرسول الله ، قال ، دعه يكثر علينا السلام ، فقال رسول الله السلام عليكم ثم رجع واتبعه سعد فقال يا رسول الله : انى كنت أسمع تسليمك وارد عليك ردا خفيا لتكثر علينا من السلام ، فانصرف معه رسول الله . فأمر له سعد بغسل - الماء يغتسل به . فاغتسل ، ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس ، فاشتمل بها ، ثم رفع رسول الله يديه وهو يقول : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة .

وكان لاسلام سعد بن معاذ سيد الاوس ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج دوى كبير فى أرجاء مكة ولدى اليهود ، حتى قيل ان اسلامهما ادخل الاطمئنان على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فان يسلم السعدان يصبح محمد
بمكة لا يخشى خلاف مخالف
كما قيل فيهما
أيا سعد سعد الاوس كن أنت ناصرا
ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
اجيبا الى دواعى الهدى وتمنيا
على الله فى الفردوس منية عارف
وان ثواب الله للطالب الهدى
جنان من الفردوس ذات زخارف

كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بيد سعد بن عبادة فمر بها على أبى سفيان ، وكان أبو سفيان قد أسلم ، فقال له سعد : اليوم يوم الملحمة .. اليوم تستحل الحرمة .. اليوم أذل الله قريشا ، فلما مر رسول الله فى كتبته من الانصار ناداه أبو سفيان : يا رسول الله أمرت بقتل قومك زعم سعد أنه قاتلنا ، وقال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف يا رسول الله : ما نأمن سعدا أن تكون منه صولة فى قريش ، فقال رسول الله : يا أبا سفيان : اليوم يوم المرحمة .. اليوم أعز الله قريشا ، فأخذ رسول الله اللواء من سعد واعطاه ابنه قيسا .

وكان سعد غيورا شديد الغيرة ، واياه أراد رسول الله بقوله : ان سعدا لغيور ، وانى لاغير من سعد واللهاغير منا

وكانت عمرة بنت سعود أم سعد من المبايعات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان سعد حفيا بارا بها ، فقد توفيت بالمدينة ورسول الله غائب عنها فى غزوة دومة الجندل . وكان ذلك فى ربيع سنة خمس من الهجرة ، وكان سعد فى هذه الغزوة

ولما قدم الرسول الكريم المدينة ، ذهب سعد اليه فأخبره بموت امه ، وقال له : انى أحب ان تصلى عليها ، فصلى عليها بعد مرور شهر على وفاتها

واستفتى سعد رسول الله فى نذر كان على أمه فتوفيت قبل ان تقضيه ، فقال رسول الله : أقضه عنها ، واستفتاه ايضا : أفينفعها ان تصدقت عنها قال نعم قال : فانى أشهدك ان حائطى - بستانى - ويسمى المخراف صدقة عنها .

وكانت لام سعد سقاية ى المسجد النبوى شرب فيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما

وحين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع الخزرج من الانصار فى سقيفة بنى ساعده - قوم سعد - وكانت مكانا لهم يجتمعون فيه لمناقشة الشئون الهامة ، كالبرلمان فتشاوروا فى اختيار خليفة لرسول الله . وكان سعد يطمع فيها لما له من صلاحيات تؤهله لها ، ولكن لم

[البقيه ص ١٥٨]

أسماء بنت أبى بكر الصديق

الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد

في أدبنا العربي عبارات بليغة ، وكلمات فريدة مضيئة .. انبثقت عن مواقف رائعة جليلة حفظها الزمان ، وسيظل يحفظها للاجيال المتعاقبة ، غذاء رضيا للروح والفكر جميعا ..

من بين تلك العبارات الفذة ، التى لا تبلى جدتها ، وتلك المواقف الباهره التى لا يخفت لها سنا ، او يبهت بريق .. مايعلق بذهن القارىء ويجبره على ان يتوقف ليتذوق روعة المعنى ، مستعيدا – تبعا لذلك – جلال المشهد .. مثل :«مادا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها » ؟ .. و: «وأما آن لهذا الفارس أن يترجل» ؟ وقائلة هاتين العبارتين هى البطله العربية المسلمة « أسماء بنت ابى بكر » .. التى انجبت بطلا عربيا مسلما هو « عبد الله بن الزبير » .. والعبارتان قيلتا فى موقفين تقاربت بينهما المسافة الزمنيه حتى ليكادا ان يكونا : موقفا واحدا ذا شقين .. وانه لموقف – بزاويتيه – بالغ حد الروعة، والسمو والبهاء .. ولا غرو فان التى صدر عنها ذلك القول البليغ ، هى «اسماء» بنت أبى بكر ، الصديق الذى كان اول من آمن بدعوة رسول الله «سيدنا محمد » صلوات الله وسلامه عليه من الرجال

حين دعا الرسول الى دين الله الاسمى : الاسلام .. ومنذ ان غمر نور الاسلام بيت ابيها رضى الله عنه .

وقفت أسماء وقفة بطولية ، تجلت روعتها حين آذنت الهجرة وكانت تشق نطاقها الى نصفين ، تربط بأحدهما السفرة ، والثانى صنعت منه عصاما للقربة المملوءة ماء وأنشأت على ذلك النحو تروح وتغدو بين الديار فى مكة وبين متاهات الخلاء الصحراوية ، حيث غار (ثور) الذى يختبىء فيه النبى وصاحبه – أبوها أبو بكر تأهبا للانطلاق بالدعوة الى آفاق أرحب .. وحينذاك أطلق عليها الرسول اسم (ذات النطاقين) .. وفى احدى غدواتها وروحاتها تلك وكانت حاملا بابنها عبد الله .. لقيها احد أشقياء مكة ، ممن كانوا ينتشرون فى الشعاب والدروب باحثين عن المريض الخفى ابتغاء الفضاء على حامل المشعل الجديد، حتى لاتنتشر أنوار هذه الرسالة بأى حال .. وحاول أن يعرف منها شيئا يفيده فى بحثه الدائب المسعور .. ولكنها لاذت بالصمت المطبق ، فأغلظ لها القول ، ولطمها بعنف ولكن بدون جدوى فما ندت عنها أنه ولا كلمة .. وكأنما الاقدار شاءت للبطل القادم ، والذى كان مايزال فى الاحشاء جنينا ، أن يحاط منذ البداية بسياج البطولة واطار الصمود ، من أجل نصرة راية الحق والعدل .. لكى يشب فيما بعد ولديه الخلفية القوية الثرية ، الحافله بذكريات وضاءة شاهقة تضىء له الطريق الطويل الشاق ، وتمده بالعطاء المغداق الذى لا ينفد ....

وزوج أسماء هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، الصحابى الجليل وابن عمة رسول الله ، عليه الصلاة والسلام .. عانت الى جواره شظف العيش وحدة العوز ، فلم يكن يملك سوى فرسه ، فكانت أسماء تعلفه له ، وتسوسه وتدق النوى لتطعمه ، فضلا عن خدمة البيت ، ورعاية الزوج والابناء .. كانت دائما الى جوار زوجها فى جهاده تصحبه فى الغزوات .. تشد من ازره ، وتعاونه ، وتضطلع بالدور الذى يفرضه عليها الواجب كزوجة صحابى مقاتل ..

فلما ان كان العهد الاموى ، واقتضت الاطماع السياسية صرف النظر عن اقدار الرجال ومكانتهم .. وتحرك الحجاج الثقفى بجيش عرم يقذف مكة – التى اعتصم بها عبد الله بن الزبير – بالمجانيق ، ليقضى على دعوة عبد الله لنفسه بالخلافة .. وجاهد ابن الزبير ما وسعه الجهاد ، حتى ادلهم الخطب ، وأحدقت الكثرة الغاشمة ، بالقلة المؤمنة الصامدة .. وقف عبد الله قبالة أمه العظيمة ، ليدور بينهما أروع حوار بطولى دار بين أم وابنها ، فى موقف كذلك .. ومن فقرات ذلك الحوار الخالد ، والذى سيظل مشرقا ناصعا ابدا .. الجواب الذى ادلت به أسماء ، ردا على سؤال الابن ، حين سألها ماذا يفعل ، والموقف هذا شأنه . اذ قالت أسماء : (يابنى ، ان كنت ترى انك على الحق واليه تدعو .. فامض ، فلما قال لها عبد الله :

(اخاف يا أماه أن يتلعب بى غلمان بنى امية بعد موتى) – أى يمثلوا بجثتى – ردت عليه بتلك العبارة البليغة الحكيمة : «يا بنى .. ماذا يضير الشاه سلخها .. بعد ذبحها » ؟ ! .. أعطته بكلماتها المؤمنة الواثقة ، فى ذلك الموقف الحاسم الفاصل : جرعة الثبات على المبدأ ، وزاد الاقدام على الشهادة فى سبيل كلمة الحق .. فمضى عبد الله الى قتال ضار يائس غير متكافىء ، ونال الشهادة .. لكن الشر المستطير الذى تملك زمام الحجاج ، جعله لم يكتف باستشهاد البطل ، وانتهاء الحرب الى ما يروم ويهوى .. بل عمد الى جثة عبد الله – وذلك ما كان عبد الله يحدسه ، ويخشاه – فعلقها عدة أيام ، الامر الذى وان كان ألم الام وأحزنها ، الا انه لم ينل قط من يقينها انها – وابنها الشهيد – على الحق ، وأن من استبسل من أجل الحق فانه ، على الحالين ، هو الفائز .. فى النصر .. او فى الشهادة .. وذهبت اسماء الى الحجاج ، تطلب اليه آن يدفن جثمان البطل الشهيد ، ولكن الطلب بصاغ فى هذه العبارة الخالدة الشماء .. قالت للحجاج بأنفة وكبرياء ، مشيرة الى الجدث المعلق فى الهواء :

– « أما آن لهذا الفارس أن يترجل » ؟؟

أى بلاغة فى القول . أى براعة وشموخ فى الصياغة . لم تتوسل . لم تتزلف . وحتى عندما حاول الحجاج أن يستثيرها لتتراجع عن موقفها المتعالى ، بقوله أن ابنها أذاقه الله العذاب ، صاحت فى وجهه بكل الترفع والشموخ ، قائلة : « كذبت . كان ابنى برا بالوالدين . صواما . قواما . » .. وحينما حاول الحجاج أن يرجىء الاستجابة الى طلبها ، كان الامر قد جاء على عجل من عبد الملك بن مروان ، بسرعة دفن جثمان عبد الله بن الزبير .. وهكذا استراحت أسماء ، ابنة الصديق أبى بكر ، ذات النطاقين .. البطلة المجاهدة .. أم البطل الشجاع ، الشهيد .

شخصيات من التاريخ

ابن رشد

الأستاذ عبد المنعم حماده

تحدثنا في مقالنا السابق عن ابن رشد وقلنا ان بعض المؤرخين والكتاب لا يرجعون الشهرة التى نالها ذلك المفكر العربى الاندلسى الى كونه اشتغل فقط بالفلسفة وضرب فيها بسهم وافر بز به غيره من الفلاسفة ، ولكنها ترجع فى الواقع الى كونه جمع الى جانب كونه لم يقصر همته على تلك الناحية وحدها ، ولكن شهرته ، وما بلغه من مجد ، وما ناله من علو المكانة ، وما حققه من سؤدد انما ترجع كلها الى انه أحاط بكثير من العلوم ، والى ما حصله من مختلف المعارف التى اكتسبها من نشأته فى بيئة علمية ، والى ما اشتهر به آباؤه وأجداده من حب العلم ، والرغبة الشديدة فى التزود بالمعرفة فى مختلف فروعها ، وشتى مناصيها .. يقول الدكتور عبد الرحمن مرحبا فى كتابه من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية ص ٧٢٠ :

ولد ابن رشد بمدينة قرطبة وهى سوق العلم ومركز العلماء فى ذلك الحين وكان له من أسرته العريقة تراث ضخم ، فقد كان والده أبو القاسم أحمد قاضى قرطبة وكان جده . ويعرف مثله بأبى الوليد بن رشد ، قاضى القضاة فى الاندلس كلها ، وأمير الصلاة بالمسجد الجامع فى قرطبة . وله فتاوى مخطوطة لا تزال محفوظة بمكتبة باريس تدل على ملكة النظر . والقدرة على التفكير والمحاكمة العقلية التى سيرثها عنه حفيده ، وكان الاثنان - الاب ، والجد - من أئمة المذهب المالكى ، مذهب أهل المغرب والاندلس وقد ورث ابن رشد عن أبويه كثيرا من مواهبهما الفطرية ، فسلك بطبيعة تربيته وتاريخ أسرته مسلكهما فى حب العلم والاقبال على التحصيل . فأتقن علم الكلام على طريق الاشاعرة ، ودرس الفقه على مذهب مالك ، وروى الحديث عن ابيه أبى القاسم ، واستظهر عليه الموطأ حفظ ، وهو الكتاب الاول والاساسى لمذهب الامام مالك ، مما أهله لتولى مركز القضاء فى اشبيليه وقرطبة كأبيه وجده) .

ثم طلب العلم فحصله على أبيه بادىء بدء . وقبس عنه العلوم الشرعية ، ووقف على مذهب الأشعرية ، وانصرف من بعد الى الطب فأخذه عن آل زهر ، أشهر أطباء العصر فى الاندلس .

وقد تناولنا في مقالنا السابق نشره فى العدد الماضى من هذه المجلة دراسة ابن رشد العالم الفقيه . تلك الدراسة التى اتجه اليها بكل حواسه نتيجة للنزعة الدينية التى اشتهرت بها أسرته والتى يقول عنها البارون كارادى فو أن العلاقة بين الدين والفقه علاقة قوية متينة ، وما قاله الفارابى وغيره من أن علم الحديث الذى برع فيه ابن رشد براعة فاقت كثيرين غيره من علماء عصره كانت من أثر مواهبه الكثيرة الفطرية التى ورثها عن أبويه ، ونماها بفهمه فى طلب العلم حتى أنه لم يترك الدراسة وتحصيل المعارف فى حياته غير مرتين : مرة يوم زفافه ومرة يوم وفاة أبيه .

ونرجو أن نتابع الكلام عن علم الحديث الذى اهتم به ابن رشد اهتماما بالغا ، وبلغ فيه مكانة كبيرة ، ثم نستكمل الحديث عن ابن رشد كطبيب فنقول استطرادا لما قلنا من قبل : (للحديث عند المسلمين والمشتغلين بعلوم الدين أهمية عظيمة يقول عنها الاستاذ أحمد أمين فى كتابه فجر الاسلام ص ٢٠٨ : للحديث قيمة كبرى فى الدين تلى رتبة القرآن ، فكثير من آيات القرآن مجملة أو مطلقة أو عامة ، فجاء قول رسول الله أو عمله فبينها أو قيدها أو خصصها : فالقران مثلا لم يبين تفاصيل الصلاة ، انما أمر بها مجملة ، وفعل النبى أوضح اوقاتها وكيفياتها ، وحرم القرآن الخمر بقوله تعالى :

انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، ولكن ما المراد بالخمر ؟

وأى المقادير التى يحرم ؟ ونحو ذلك ، كل هذا بينه الحديث .

ولما كانت هناك مسائل تعرض لرسول الله ، وكان عليه أن يقضى فيها برأى ، ولما كانت هناك مسائل يستفتى فيها ، ويرى أنه لابد أن يجيب على ما يسأل عنه ، الى غير ذلك من شئون الحياة مما كان ينزل فيها القرآن وأحيانا لا ينزل ، وكل من النوعين مرجعا للمشرعين ، فقد اقتضى الامر جميعه العناية بالحديث .

ولم تكتب أحاديث رسول الله فى حياته ، وهناك أحاديث تدل على أنه نهى عن التدوين ، كما أن هناك أحاديث تدل على أنه أمر بالكتابة .. يقول بعض العلماء أن النهى عن الكتابة كان فى وقت نزول القرآن خشية التباس القرآن بالحديث .. ومن الامور التى لا جدال فيها أن تدوين الحديث لم يكن شائعا فى الوقت الذى كان يتنزل فيه القرآن على رسول الله ، ولا فى عهد خلفائه الراشدين من بعده ، ولم يوضع له نظام خاص لتدوينه كالذى وضع للقرآن ، ولذلك لم نجد وقتها غير كتاب واحد هو القرآن الكريم . وانما كانت أحاديث غير مدونة تروى عن رسول الله ، وكانت تروى فى الغالب من الذاكرة لا من صحيفة ، وقد نشأ عن ذلك اعتماد المسلمين فيما يروى عن الزكاة مما كان يصعب معه حصر ما قاله عليه الصلاة والسلام أو فعل فى مدة ثلاثة وعشرين عاما من بدء نزول الوحى الى الانتقال الى الرفيق الاعلى .

ونتج عن الاعتماد على الذاكرة وصعوبه الحصر ان استباح المسلمون لانفسهم وضع الحديث ونسبته الى الرسول الكريم اما صدقا واما كذبا بدليل قوله - صلوات الله وسلامه عليه - من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ..

وكان من نتائج انتشار الاسلام فى كثير من الممالك المفتوحة من فارسى ورومى وبربرى ومصرى وسورى ممن لم يتعد اسلام أهلها حناجرهم أن كثر وضع الاحاديث التى دفعت اليها الخصومة السياسية . والخلافات الكلاميه والفقهيه ، بمشايعة بعض من يتسمون بسمة العلم لهوى الامراء والخلفاء ، أو لتفضيل بعضهم فى باب الفضائل ، والترغيب والتزهيد ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تحليل حرام أو تحريم حلال .. لكل هذه الاسباب رأى فريق العلماء الافاضل أن ينهضوا لتصفية الاحاديث مما علق بها من شوائب .. يقول الاستاذ أحمد أمين فى كتابه « فجر الاسلام » صفحة (٢١٥) .

روعت هذه الفوضى فى الحديث عن رسول الله جماعة من العلماء الصادقين فنهضوا لتنقية الحديث مما ألم به ، وتمييز جيده من رديئه ، وسلكوا فى سبيل ذلك جملة مسالك ·

(منها أنهم طالبوا باسناد الحديث ، أعنى أن يعينوا رواة الحديث ، فيقول المحدث ·· حدثنى فلان عن فلان عن رسول الله أنه قال كذا ، ليتمكنوا بذلك من معرفة قيمة المحدث صدقا وكذبا ولينظروا هل المحدث ينتسب الى بدعة وضع الحديث ترويجا لها ونحو ذلك ·

ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه « تاريخ الاسلام » ، الجزء الاول صفحة (٥٠٤) :

(كانت هذه الاحاديث التي وصلت الي أيدينا موضعا للجدل العنيف بين فقهاء المسلمين ، ذلك أنه عند وفاة الرسول لم يكن السواد الاعظم من العرب يستطيعون القراءة والكتابة حتى أن تاريخ هذه الامة لم يدون الا بعد زمن طويل ، وقد روى العرب الاحاديث النبوية بعضهم عن بعض ، فتأثرت بشىء غير قليل من التبديل والتحريف مما أدى بها الى الغموض والابهام فشوهت معانيها والظروف التى أحاطت بوقوعها وقولها) ·

لذلك نشأ علم الحديث الذى توفر على دراسته ابن رشد ، والاحاطة بدقائقه وتفاصيله ثم رواه عن أبيه ابن القاسم الذى استظهر عليه الموطأ ، وهو من أقدم الكتب فى جمع الحديث وفقه الصحابة والتابعين ، وما أجمع عليه أهل المدينة ·· وقد وضعه مالك استجابة للمفكرين والحكماء ، ولاتجاه العلماء الي التدوين ·· وقد عكف ابن رشد على دراسة هذا العلم حتى برع فيه ، وحتى ذهب بعض المؤرخين الي القول بأنه كان من الاسباب التى ساعدت على اتساع شهرة ابن رشد وذيوع صيته ·

اما شهرة ابن رشد كطبيب التي يقول فيها الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد عند الكلام عن ابن رشد الطبيب في كتابه عنه ص ٩٦ : « تكلم غير واحد من مترجمي ابن رشدعن علومه ومشاركاته فقالوا أنه كان طبيبا فقيها يرحل الى فتواه فى الطب كما يرحل الي فتواه فى أحكام الشريعة ، وقد كان عمله فى القضـاء مقترنا بعمله فى الطب عنـد أمراء الموحدين ، ولم تكن الفلسفة ولا شك تستغرق كل وقته ، ولكنها – ولا شك أيضا – كانت غالبة على تفكيره ، الملموسة فى كثير من آرائه الطبية ، وربما كانت اراؤه فى أرسطو حيث عرض للكلام عن القلب والدماغ وعلاقتهما بالنفس الحيه والعقل المجرد – أرجح عنده من كلام جالينوس ، مع احاطته بكل ما وصل الى الاندلس باللغة العربية من كلام هذا الطبيب العظيم » ·

أما شهرة ابن رشد كطبيب فترجع الى دراسته هذا العلم كما جاء فى كلام الاستاذ العقاد السابق الاشارة اليه ، على أيدى المبرزين من رجاله وفى مقدمتهم أبناء زهرالذين اكتشفوا فيه ميله الى هذا النوع من العلم فأخذوا فى تنميته فى نفسه وتشجيعه عليه حتى نال فيه شهرة عظيمة قربته من الخليفة ومكنت له فى نفسه حتى عينه طبيبا خاصا له ·· يقول الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا فى كتابه « من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية » صفحة (٧٢٢) : (وهنا لمع نجم ابن رشد ونال حظوة كبيرة لدى الخليفة ، فقد عينه هذا الاخير طبيبا خاصا له الي جانب طبيبه الفيلسوف أبي بكر بن طفيل (، وخلال اشتغاله لدى الخليفة ذاعت شهرته الطبية ذيوعا كبيرا حتى كثر حساده وشانئوه ونقموا عليه منزلته التى وصل اليها ·

وكان ابن طفيل هو الذى عرفه بالخليفة ورشحه لتولي منصب الطبيب الخاص ، فلما توفي ابن طفيل فى سنة ٥٨١ هجرية ١١٨٥ ميلادية انفرد ابن رشد بمنصب الطبيب الخاص ، ولبث على مكانته في بلاط خليفة الموحدين حتى أصابته النكبة زمن الخليفة أبى يوسف يعقوب الملقب بالمنصور الذى عاد فعفا عنه وأرجعه الى مكانته السابقة غير أن الزمن لم يطل به فقد توفى بعد قليل من صدور العفو عنه ·

ومن شدة حب ابن رشد بالعلوم الطبية ألف كتاب الكليات فى الطب ، وهو مطبوع ألفه قبل سنة ١١٦٢ م ، وقد سأل ابن رشد صديقه أبا مروان ابن زهر أن يؤلف كتابا يضمنه الاقاويل الجزئية المقابلة للكليات ، وهكذا كلف أبو مروان كتابا سماه التيسير ذكر فيه علامات الامراض المختلفة وأسبابها وطرق علاجها ، كما شرح أرجوزة الرئيس ابن سينا يعقب بها على ما جاء فى تلك الارجوزة ، كما ألف مقالة فى حميات العفن – مسألة نوائب الحمى – وعن تدبير الطفل في بطن أمه وبعد ولادته قال ،

الطفل يحفظ فى بطن أمه

كى لا يصيبه آفة فى جسمه

يريد أنه ينبغى أن تحفظ الام كى لا تصيبها ضربة فينحل جزء من أعضاء الطفل ·

والظئر ان تطعمه أو تسقيه

فاختر له مدة من سن التربية

يقول : والظئر التى تطعمه أو تسقيه فأخير ماله من التربية أو تكون حسنة المزاج من أجل لبنها ، وان كان يريد بالظئر المرضعة ، وان كان يريد غير المرضعة فمعناه أن تكون عارفة بتدبير الاطفال ، أعنى بتغذيتهم واحمامهم وغير ذلك مما يحتاج اليه الطفل ·

واحفظ الحامل فى معدتها

كى لا يرى الفساد فى شهواتها

ولما كان الحوامل يعرض لهن كثيرا انقلاب المعدة ، وذلك فى أول حملهم ، ويعرض لهن شهوات غير طبيعية ، يقول : احفظ عليها فى معدتها بأن تطعمها المقوية للمعدة القاطعة للشهوة الردية ·

(ويصلح الدم وينقى الفضل

ذلك الذى يكون منه الطفل)

(وان هاجها دم فلا تفصدهما

بل بالبرود واللطاف قصدها)

وقد تكلم ابن رشد فى شرحه لارجزة ابن سيناء عن تدبير الطفل عن الفصول وأثرها فى أمزجة الطفل ·

واذا نحن أردنا أن نتناول الحديث عن كل عمل من الاعمال التي قام بها ابن رشد كنا أشبه بمن يحاول البحث عن حصاة فى بحر ،

وفي تدبير الطفل فى حاجته يقول ابن رشد :

أوهنه بالقابض عند شده

حتى ترى صلابة فى جلده

وحمه نطفة من أخلاطه

ووسط الشد على قماطة

يقول : أدهنه بالادهان القابضة عند شد قماطه ، وحمه بالماء الحار المعتدل الحرارة ، وأن ينظف من الاوساخ ، واجعل شد القماط عليه متوسطا ·

وجالينوس يأمر بأن يسحق الملح ويزر على الاطفال حين يولدون ·

ألزمـه فى يقظتـه الضـياء

كيما يرى النجوم والسماء

كثر له الالوان بالنهار

لكى تقويه على الابصار

هذه وصية فى رياضة بصره وتقويته بالاستعمال ، وذلك أن كل عضو يقوى بالاستعمال ، وذلك أن يلزم فى يقظته المواضع المضيئة ، وأن يجعل بحيث يرى السماء والنجوم ، وأن يكثر له الالوان الملونة ·

ناغية بالاصوات فى تعليم

كيما تقويه على التكليم

هذه وصية باستعمال آلات السمع منه واعداده لان يتكلم ، وذلك أن الاطفال من شأنهم أن يروضوا محاكاة المتكلم كما يفعل الطير الذى يقبل تعليم الكلام ·

فقد ترجمت كثير من مؤلفاته الطبية الى اللاتينية والعبرية غير أن كثيرا من أصولها ضاعت وبقيت ترجماتها التى لا يزال بعضها محفوظا الى اليوم بمكتبات سويسرا وباريس بعضه العربى مكتوبا بحروف عبرية ..

لقد كان ابن رشد فى العلوم والمعارف المختلفة بحرا لا يدرك غوره ، ولا تحد نهايته - فاينما نظرت اليه وجدت عالما كبيرا يموج بالالوان من المعرفة لا حصر لها ، ووقفت على كنوز من العلم يصعب استيعابها استيعابا تاما كاملا يكتشف جديدا من الاراء والافكار التى لا يحيط بها الا من اوتى حظا كبيرا من توفيق الله ، ومن رجاحة العقل واتساع الافق .

رحم الله ابن رشد فقد كان من اعظم فلاسفة العرب واعظم حكماء القرون الوسطى .

بقية مقال « ازاهير »

التحريف فرددناها وأعجبنا بها ناسين أنها عربية ولكن محرفة .

هذا الاسم فى حقيقة الامر اسم مقدس يعرفه حجاج بيت الله الحرام فهو علم على أحد الجبلين المشهورين فى مكة : أعنى المروة ، والجبل الاخر هو الصفا والحجاج يسعون بين هذين الجبلين طبقا لشعائر الفريضة ، وقد استهوى الاتراك هذان الاسمان فأطلقوهما على ابنائهم من بنين وبنات تبركا بهما فجعلوا فى لغتهم بنطقون الواو فاء « كحرف » « ف » فى اللغة الانجليزية) كما انهم يقفون على الهاء بتاء ساكنة فنطقوا (مروة) مرفت

ومن الكلمات العربية التى خضعت لتحريفهم هذا : (حكمة - عزة - بهجة - عصمة - رفعة - ثروة - حشمة - رأفة - شوكة - همة .... الخ) فصارت عندهم بعد تحريفها :

(حكمت - عزت - بهجت - عصمت - رفعت - ثروت - حشمت - رأفت - شوكت - همت) .

وأخذناها منهم وصارت اعلاما عندنا دون ان نفطن الى أصلها العربى !!

● هكذا الدنيا ●

يروى لنا ابن خلكان فى كتابه « وفيات الاعيان » ان محمد بن غسان بن عبد الرحمن الهاشمى دخل على والدته فى يوم الاضحى فوجد عندها امرأة مهيبة فى ثياب رثة فقالت له والدته : أتعرف من هذه ؟ قال : لاقالت : هذه ام جعفر البرمكى « الذى كان وزيرا لهارون الرشيد ثم انقلب الرشيد عليه بعد أن استبد بنفوذه وعرفت هذه الحادثة بنكبة البرامكة) فاقبل عليها وأكرمها وتحادث معها ثم قال لها : ما أعجب ما رأيت . فقالت أم جعفر : لقد أتى على يا بنى عيد مثل هذا وعلى رأسى اربعمائة وصيفة ، وانى كنت أعد جعفرا ابنى عاقا ، مقصرا فى حقى ولقد أتى على يا بنى هذا العيد وماعندى الا جلد شاتين افترش أحدهما والتحف الاخر ، فواساها محمد بن غسان وطيب خاطرها وظل يعنى بها حتى توفاه الله .

● متى شرعت الاضحية ●

الاضحية اسم لما يذبح او ينحر من النعم فى عيد الاضحى تقرب الى الله وقد شرعها الله فى السنة الثانية من الهجرة .

● ما أعظمه من جزاء لو خلصت النية ●

سأل قوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : ما هذه الاضاحى ؟ قال : سنة ابيكم ابراهيم . قالوا : ما لنا منها ؟ قال : بكل شعرة منها حسنة قالوا : فالصوف ؟ ! قال : (بكل شعرة من الصوف حسنة) صدق رسول الله .

فما أعظمه من جزاء لو خلصت النية وبعدت عن مظاهر الرياء وحب الظهور .

● ايام التشريق ●

يام التشريق هى الايام الثلاثة التى تلى يوم النحر وسميت بذلك لان لحوم الاضاحى تشرق (بتشديد الراء ، فيها اى تقدد وتترك للشمس ، وقيل سميت لان الهدى لا ينحر حتى تشرق الشمس .

● لماذا انتحر الخروف ؟ !! ●

أراد أحد أصدقاء الشاعر الكبير المرحوم محمد الاسمر أن يهدى اليه خروفا فى عيد الاضحى ، ولكن الخروف مات قبل ارساله اليه فقال فى ذلك قصيدة منها :

من لامه فى فعلــه فاننى
عذرته - والله فيمن عذرا
لمـا احس انـه هديـة
لشـاعر فكر ثـم انتحـرا

محمد عبده قناوى

بقية مقال « سعد بن عباده »

تتحقق له رغبته ، فقد بادر سيد من سادات الاوس ، هو بشير بن سعد الى مبايعة ابى بكر وتابعه قومه وبذلك ضاعت الفرصة على سعد : ومع ذلك فانه اصر على عدم مبايعة أبى بكر .

وسعد بن عبادة من ذؤابة الخزرج من الانصار فهو ابن دلهم ابن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلب بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، ويكنى أبا ثابت وأمه عمرة بنت مسعود بن قيس ابن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجاربن الخزرج .

وكان لسعد من الولد : سعيد ومحمد وعبد الرحمن وامهم غزية بنت سعد بن خليفة ابن الاشرف بن أبى خزيمة بن ثعلب ابن طريف بن الخزرج بن ساعدة .

كما كان له من الولد : قيس وأمامه وسدوس وأمهم فكيهة بنت عبيد بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف ابن الخزرج .

وروى عنه ابن عباس وغيره ان النبى صلى الله عيه وسلم قال ما من رجل تعلم القرآن ، ثم نسيه الا لقى الله وهو اجذم وما من أيد عسرة الا أتى يوم القيامة مغلولا حتى تطلقه العدل .

وقد مات سعد فى حوران بالشام لسنتين ونصف سنة فى خلافة عمر

المكتبة الإسلامية

قــراءات جــديدة
من كتـب قديمـة
من معــارك
جمــال الدين الافغــانى
ضــد أعـداء الشعوب

— الأستاذ صبرى أبو المجد —

من بين ما احتفظ به كذخيرة تاريخية بعض كتب قديمه مضى على طبعها — ولا اقول تاليفها — ما يقرب من مائة عام .

وقد اتيح لى فى هذا الشهر ان اقرأ بعض تلك الكتب قراءة جديدة ، بعد ان قرأتها مرات ومرات فى صدر شبابى ، من بين تلك الكتب « كتاب الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية ، من اثار سعادة « عبد الله باشا فكرى » : الطبعة الاولى بالمطبعة « الميرية » — هكذا جاء فى الكتاب — ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠٢ هجرية » « ورسالة فى ابطال مذهب الدهريين » وبيان مفاسدهم واثبات ان الدين اساس المدنية والكفر فساد العمران « من تاليف : حضره الامام الشهير الاستاذ جمال الدين الحسينى الافغانى نفع الله بعلومه نقلها من اللغة الفارسية الى اللغة العربيه العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده افندى المصرى بمساعدة عارف افندى ابى تراب الافغانى طبعت فى بيروت سنة ١٣٠٣ وكتاب « ادب الدنيا والدين » تاليف العالم العلامه الحبر الفهامة الامام الكبير المحقق الشهير اقضى — هكذا فى عنوان الكتاب — القضاة ابى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى رحمه الله تعالى : وكانت نصاره المعارف العمومية قد قررت لزوم طبع هذا الكتاب على نفقتها واستعماله بالمدارس الاميرية وقد تم تصحيح الكتاب مع بعض اختصار بمعرفة اللجنة المنتخبة من حضرتى عبد الله افندى الانصارى وعبد الجواد افندى عبد المتعال ، تم تصديق فضيلتلو « العلامة الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية بالمدارس ، وقد تم طبع الكتاب بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١٦ هـ ، ١٨٩٨ ميلادية وكتاب الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية يتحدث فى البداية على الايام والشهور والسنة العربية ، وايام الاسبوع ، والشهور العربية والافرنجية والتاريخ الهجرى ، والتاريخ القبطى ، والتاريخ الافرنجى وفى الكتاب فصل عن قيمة النقود المشهورة فى مصر باعتبار الاسعار المتداولة المعروفة بالعملة الدارجة فالجنيه المصرى مثلا يساوى ٢٠٠ غرش وربع الجنيه يساوى خمسين قرشا والغرش هنا كما هو واضح يعنى « تعريفة » والغرش [أى القرش] يساوى اربعين فضـة او اربعين بارة ، والبارة عشرة جدد .

وفى الكتاب فصل عن الوالدين وفضلهما وواجب الابناء نحوهما ، وفى هذا الفصل قصة احدهم « كبرت عنده امه وطال عمرها الى ان صارت من زيادة الكبر ، والهرم ، لا تقدر ان تقوم ولا تقعد ولا تتحرك ولا تأكل ولا تشرب بيدها فصار يحملها على ظهره ، ويطعمها ويسقيها بيده كما كانت تفعل معه فى صغره ، وصار يظن انه قضى جميع حقوقها ويقول قد فعلت أنا كل ما فعلته هى معى ، فى الصغر ، ولم يبق لها شىء فى ذمتى فقيل له : انك غلطان فانها كانت تخدمك سابقا وهى تتمنى لك طول العمر ، وطول الحياة وتخدمها الان وانت لا تكره لها قرب الوفاة وايضا هى السابقة بالفضل والفضل للمتقدم ولولا انها ربتك ، فى الصغر ، ما وصلت الى ان تخدمها انت فى الكبر » .

ويروى عبد الله باشا فكرى فى كتابه وهو يتحدث عن ضرورة الرفق بالحيوان ان الزمخشرى احد كبار العلماء المشاهير صاحب كتاب الكشاف فى التفسير كان فى صغر سنه وايام صباه قد اخذ عصفورا وربط برجل العصفور خيطا طويلا وصار يلعب به فرأته أمه فرق قلبها للعصفور المسكين وادركتها الشفقة لما رأته فيه من العذاب والمشقة فصارت تطلب من ابنها ان يتركه ويطلقه فلم يمتثل ولم يقبل منها ، وصار العصفور يطير من محل . الى محل وهو يجذبه بالخيط فانقطعت رجل العصفور فاغتاظت ام الزمخشرى وغضبت ودعت عليه بقطع رجله كما قطع رجل العصفور ، فلما كبر الزمخشرى سافر الى بعض البلاد فاصاب رجله شدة البرد من كثرة الثلج فتلفت رجله وقطعت » .

وينصح عبد الله باشا فكرى فى نهاية كتابة كل مواطن « يحب الخير للجميع اذ لا خير للمواطن الا مع مواطنيه وبأن يشتغل لنفع نفسه ونفعهم ، ولايتبع البطالة والكسل والرخاوة والنذالة لانه بذلك يكون مقصرا فى حق اهل وطنه الذين ينتفع باعمالهم وفى حق وطنه الذى يعيش من خيره بل فى حق نفسه لانه يقضى حياته فقيرا ذليلا ، حقيرا بغيضا مذموما ، مطرودا محروما .

فـذلك الذى كان عـاش لا يعتنى به
وان مـات لم تحـزن عليـه اقاربه !

ويوجه عبد الله باشا فكرى النصيحة الى كل

شاب : بأن تكون محبته لوطنه واهله ، مثل محبته لعينه التى يبصر بها وروحه التى يعيش بها بل اعظم بحيث لا يقاومها شيء ولا يعادلها شيء من الدنيا كلها وعلى حسب ذلك تجعل ابها الولد ، العاقل الذيه الكامل جميع اعمالك وافكارك وآمالك منصرفة الى نفع الوطن واهله ، فتعيش فى الدنيا سعيدا معتبرا، موقرا مكرما معظما ، وتكون عند الله ، سبحانه وتعالى مقبولا مرضيا محبوبا صفيا . فان احب عباد الله الى الله انفعهم لعباده فكل من كان نفعه لعباد الله اكثر كانت محبته عند الله ، اكثر ومنزلته اكبر ، الناس فى الدنيا والدين ، ولا تظن ان ما ذكرناه من حب الوطن واهله ، مقتضاه ، ان لا يفارق الانسان منتشأه ولا يخرج عنه الى غيره ولو لمنفعة الوطن كما يعتقده بعض العوام ، العاجزين ، القاصرة انهامهم فليس محب الاوطان من لا يخرج على الحيطان بل المحب لاوطانه فى الحقيقة من يسعى فى مصلحتها، ومصلحة اهلها ولو بالخروج منها الى البلاد الاجنبية والسفر الى الممالك البعيدة لتحصيل علم من العلوم يستفيده ، ويفيده لقومه ، او تعلم صنعة ينتفع بها فى وطنه او تعاطى تجارة يجلب لبلاده ما تمس اليه الحاجة وتتعلق به المنفعة من حاصلات البلاد الخارجية وبضائعها واثار فنونها ، وصنائعها ، او يخرج من بلاده ما زاد عن حـاجـة اهلها ولوازمهم ، مـن الحاصلات والبضائع ، لرد ثمنها اليهم وفتح ابواب الثروة عليهم ، الى غير ذلك من المقاصد الصحيحة النافعة ولقد حرصت على اشارة الى كتاب عبدالله باشا فكرى والاشادة به فى نفس الوقت لاننى اردت ان الفت النظر الى معنى هام وجليل يجب ان نعيه جيدا وهو ان يهتم كبار كتابنا وشعرائنا ، ورجال التعليم عندنا اهتماما خاصا بالطلاب فى كل مراحل التعليم فان عبد الله باشا فكرى وقد كان القمة فى نظارة المعارف لسنوات عديدة وجد ان واجبه الوطنى والوظيفى يحتم عليه ان يؤلف كتابا يتوجه فيه الى الطلاب فى مراحل الطفولة والصبا ، والشـبـاب ليتعلموا منه كيف يحب المواطن وطنه ، وكيف يتخلق الشباب بالاخلاق الطيبة ويقتدوا بالمثل العليا وان يكونوا فى كل مراحل حياتهم نعم الابناء بالنسـبـة لوالديهم ، واقاربهم ، ونعم المواطنين بالنسـبـة لوطنهم وهكذا يجب ان يكون الاهتمام بالطلاب فى كافة مراحل التعليم والكتاب الثانى ، الذى قرأته من جديد بعقل مفتوح ، وقلب مفتوح هـو كتاب الافغانى الثائر الاسلامى ، العظيم ، والذى قـام بترجمته الى اللغة العربية كما سـبق ان ذكرت الاستاذ الامام ، الشيخ محمد عبده فى بداية شبابه والكتاب يوضح العلاقة الوطيدة التى كانت تربط بين العالمين الثائرين الافغانى ، ومحمد عبده ■

ومقدمة الكتاب تعطينا ــ وفى اجمل صوره الملامح الرئيسية لسيرة الشيخ جمال الافغانى « ذلك الرجل الفاضل وقد حمل ناشر الكتاب على ان يذكر شيئا من سيرته « ما رايناه من تخالف الناس فى امره وتباعد ما بينهم فى معرفة حالة ، وتباين صوره فى مخيلات اللافتين لخيره حتى كانه حقيقة كليه تجلت فى كل ذهن بما يلائمه او قوة روحيه قامت لكل ناظر يشكل يشاكله والرجل فى صـفـاء جوهـره وذكاء مخبره ثم يمسه وهم الواهمين ولم عسيسه حزر الخراصـيـن » وتقول المقدمة عن جمال الدين الافغانى : انه السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفتر من بيت عظيم فى بلاد الافغان ينتمى نسبه الى السيد على الترمذى المحدث المشهور ويرتقى الى سيدنا الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه وآل هذا البيت عشيره وافره العدد تقيم فى خطة كنز » من اعمال كابل تبعد عنها مسيره ثلاثة ايام ولهذه العشيرة منزلة علية فى قلوب الافغـانـيـين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف وكانت بهـا سيادة على جزء من الاراضى الافغانية تستقل بالحكم فيها وانما سلب الامارة من ايديها « درست » محمد خان جد الامير الحالى وأمر بنقل ابى السيد جمال الدين وبعض اعمامه الى مدينة كابل » وتقول مقدمة الكتاب ان جمال الدين اجلس للتعلم فى ســن الثامنة ، وان والده عنى بتربيته ، فأيد العناية به قوة فى فطرته ، واشراق فى قريحتـه وذكاء فى مدركته ، فأخـذ مـن بدايات العلوم ولم يقف دون نهاياتها . تلقى علوما جمة برع فى جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ومنها علم الشريعة من تفسير وحديث وفقه ، واصول فقه ، وكلام وتصوف ومنها علوم عقليه من منطق وحكمة ، عملية سياسية ومنزلية وتهذيبيـة وحـكـمـه نظـريـة طـبـيـعـيـة والهـيـة ومنها علوم رياضية من حـســاب وهـنـدسـة وجبر وهيئة افلاك ومنها نظريات الطب والتشريح. اخذ جميع تلك الفنون عن اسـاتـذة مـاهـريـن على الطريقة المعروفة فى تلك البلاد وعلى ما فى الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه فى الثامنة عشرة من سنه ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية فأقام بها سنة وبضعة اشهر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربيه الجديدة واتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج وكانت مدة سفره اليها نحو سنة وهو ينتقل من بلد الى بلد ، ومن قطر الى قطـر حتى وافى مكة المكرمة فى سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التى مر بها فى سـيـاحـتـه ، واكتنه اخـلاقـهـم واصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع بـعـد اداء الفريضة الى بلاده ودخل فى سلك رجال الحكومة » واشترك فى بعض الحروب وعظمت مكانة جمال الدين فى عهد محمد اعظم خان فكان يلجأ لرأيه فى العظائم وما دونها ــ على خلاف ما تعود امراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم ■

ثم مرت ظروف قاسية بمحمد اعظم خـان كان للانجليز فيها اليد الطولى حيث اشعلوا الحرب بين

ابناء الاسرة الواحدة « وانفقوا قناطير من الذهب فبيعت امانات ونقضت عهود وجددت خيانات » ورغم التجاء محمد اعظم خان الى ايران بعد هزيمته وموته بعد اشهر فى مدينة نيسابور الى ان السيد جمال الدين بقى فى كابل لم يمسسه احد بسوء احتراما لعشيرته ، وخوف انتقاض العامة على من يمسسه بسوء حمية لآل البيت النبوى وراى السيد جمال من قبيل الاحتياط ان يفارق بلاد الافغان ، فاستأذن للحج فأذن له على شرط الا يمر بايران كيلا يلتقى بمحمد اعظم وكان لم يمت فارتحل عن طريق الهند سنة ١٢٨٥ بعد هزيمة محمد اعظم بثلاثة اشهر ورغم ان حكومة الهند استقبلته بحفاوة فى اجلال الا انها لم تسمح له بطول الاقامة فى بلادها ، ولم تأذن للعلماء فى الاجتماع به الا على عين من رجالها فلم يقم اكثر من شهر ثم سيرته من سواحل الهند فى احد مراكبها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر واقام بها نحو اربعين يوما تردد فيهما على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم الذين طلبوا منه ان يقرا لهم « شرح الاظهار » فقرا لهم بعضه ثم سافر الى الاستانة وقابل الصدر الاعظم وعلا ذكره فى الاستانه وسمى عضوا فى مجلس المعارف ولكن شيخ الاسلام حسن افندى فهى خشى على رزقه ومركزه من آراء الافغانى ونشاطه فدبر ضده مؤامرة تتلخص فى ان مدير دار الفنون طلب من الافغانى القاء خطبة عن الصناعة ولانه كان يجهل التركية فقد اعتمد على مدير دار الفنون وكانت الخطبة جيدة للغاية ولكن شيخ الاسلام ومن معه اولوا بعض الكلمات التى جاءت فى تلك الخطبة خاصة بمقام النبوة وتم بناء على توجيهات شيخ الاسلام التنديد فى المساجد بموقف السيد جمال الدين واصدر الصدر الاعظم — بعد مناقشات عنيفة شغلت الراى العام — امرا الى الافغانى « بالجلاء عن الاستانه بضعة اشهر حتى تسكن الخواطر ويهدا الاضطراب ثم يعود ان شاء » ففارق الاستانة مظلوما فى حقه وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها فى اول محرم ١٢٨٨ ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها الى ان قابل رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام بها واجرت عليه الحكومة مرتبا قدره الف قرش كل شهر فى مقابل عمل وكانت مدرسته بيته من اول يوم الى آخر يوم فلم يذهب الى الازهر مدرسا ولا يوما واحدا وانما ذهب اليه زائرا واغلب ما كان يزوره يوم الجمعة وحمل تلاميذه على العمل فى الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية وكان فى مقدمة المجيدين للكتابه عبد الله باشا فكرى ، وخيرى باشا ومحمد بك سيد احمد ، ومصطفى باشا وهبى واخذ على جمال الدين — فى راى البعض — انه يقرا كتب الفلاسفة بينما كان جماعة من المتاخرين وقتئذ يقولون بتحريم النظر فيها خشية على عقائدهم من الزيغ .

وتمكن الحاسدون من نسبة ما اودعته كتب الفلاسفة الى راى هذا الرجل واذاعوا ذلك بين العامة ثم ايدهم اخلاط الناس من مذاهب مختلفة كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون مالا يفهمون ثم يحرفون فى النقل عنه ولا يشعرون غير ان هذا كله لم يؤثر فى مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شأنه فى ارتفاع والقلوب عليه فى اجتماع الى ان تولى خديوية مصر توفيق باشا وكان جمال الدين من مؤيديه « الا ان بعض المفسدين ومنهم مستر فيقيان قنصل انجلترا العام ، سعوا للوقيعة بين الخديوى والسيد جمال الدين حتى اصدر الخديوى امرا باخراجه من القطر المصرى هو وتابعه ابو تراب ففارق مصر ، الى الهند سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر اباد الدكن وفيها كتب رسالته فى نفى مذهب الدهريين » والرسالة فى حوالى الخمسين صفحة وهى فى عشرين فصلا وتبدا بتقسيم الحكماء الى آلهيين وماديين ثم تقسم الماديين الى مشارب وتزييف كل مشرب ومن بين فصول الرسالة فصل عن مظاهر الماديين ومقاصدهم وفصل آخر عما افاد الدين من العقائد والخصال وبيان العقائد الثلاث وخواصها ، وفصل اخر عن تفصيل غايات التبشريين — اى الطبيعيين او الدهريين كما تسميهم الرسالة وفصل اخر عن مسالك الدهريين فى طلب غاياتهم واخر فصول الرسالة عن الاعتقاد بالله واليوم الاخر وعن دين الاسلام ، والرسالة — كما تقول مقدمتها — على ايجازها قد جمعت لارغام الضالين ، وتأييد عقائد المؤمنين ما لم يجمعه مطول فى طوله ، وحوت من البراهين الدامغة والحجج البالغة ما لم يحوه مفصل على تفصيله دعا الشيخ جمال الدين الحسينى الى تصنيفها حمية جاشت بنفسه ايام كان فى البلاد الهندية عندما راى حكومة الهند تمد فى الغى جماعة من سكان تلك البلاد اغراء لهم بنبذ الاديان وحل عقود الايمان وان كثيرا من العامة فتنوا بآرائهم وخدعوا عن عقائدهم وكثر لاستفهام منه عن حقيقة ما تدعيه تلك الجماعة الضالة وممن ساله عن ذلك حضرة الفاضل مولوى محمد واصل مدرس لفنون الرياضة بمدرسة الاعزة « بمدينة حيدر اباد الدكن من بلاد الهند فاجابه الشيخ برقيم صغير يعده فيه بانشاء رسالة فى بيان ما كثر السؤال عنه . ويمضى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى مقدمته قائلا : وقد حدانى علو الموضوع وسمو منزلة الرسالة منه الى الاجتهاد فى نقلها من لغتها الى اللغة العربية فتم لى ذلك بمساعدة عارف افندى الافغانى تابع الشيخ المؤلف .

وخطاب مولوى محمد واصل الى السيد جمال الدين الافغانى جاء فيه : « لا تخلو بلدة او قصبه من الهند من جماعة يلقبون بالتبشريين ويظهر لنا ان من يعلق عليهم هذا اللقب ينمو عددهم على امتداد الزمان خصوصا بين المسلمين » وينهى مولوى محمد واصل رسالته برجاء للافغانى ان يشرح حقيقة

« البقية ص ١٦٨ »

روح البيــــان فى تفســـير القـــرآن

الدكتور منيع عبد الحليم محمود

ان هذا التفسير مشهور شهرة كبيرة نسمع به هنا ونسمع به هناك . وهو مشهور فى أوساط العرب ، ومشهور فى أوساط العجم يعجب به أولئك ويقدسه هؤلاء ، الفه اسماعيل حقى بن مصطفى الاسلامبولى .

وهو تركى ولد فى آبدوس ، وتعلم كما كان طلبه العلم اذ ذاك يتعلمون ، العربية فى استفاضة حتى تزيل العجمة — وحتى تكون هى الطابع الغالب على طالب العلم ، وتعلم الطالب اسماعيل حقى فى اطار اللغة : النحو والصرف وتعلم البلاغة باقسامها وكان نابها نابغة فى الدروس ممتازا وفى القسطنطينية تعلم عن طريق العربية التفسير والحديث والفقه والعلوم الاسلامية على وجه العموم .

وكان يقف كثيرا أمام أيات القرآن التى تتحدث عن التقوى وعن القرب مثل : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » .

ومثل :

« ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » .

ويقف عند الايات التى تتحدث عن التوكل ، ويبحث فى الجو الذى قيلت فيه وهكذا فى كل مايتصل بالقلب فى القرآن الكريم .

أما فى الاحاديث الشريفة ، فانه كان يطيل النظر فيما يسمى الرقائق ، والرقائق كلمة يراد بها فى الحديث كل ما يتصل بالسرائر والبواطن تهذيبا واصلاحا ، أو - على حد تعبير القرآن الكريم - تزكية) ، والله سبحانه وتعالى يقول : « **قد أفلح من زكاها** » ، وقاده ذلك كله الى ان يتجه شطر التصوف وينخرط فى سلك المريدين . واخذ طريق الخلوتيه .

وكان للطرق اذ ذاك منهج اصطلاحى يرقى بالمريد خطوة فخطوة الى القرب من الله تعالى ولم يكن الطريق سلبيا ، وانما الجهاد للنفس والجهاد فى المجتمع حتى تستقيم النفس ويستقيم المجتمع على أمر الله .

ولكن الجهاد فى المجتمع محفوف دائما بالاشواك وذلك ان الغرائز والشهوات والنزغات والفساد المختلف الالوان حينما يستشرى فى المجتمع ، فان اقتلاعه مثير دائما للخواطر ، ولم يبال اسماعيل حقى بهذه المخاطر . وانما جابه المجتمع بكل ما يعتقد انه حق فأثار ذوى الاغراض الفاسدة .

وكان اسماعيل حقى قد انتقل من القسطنطينية الى « بروسه » .وأعلن منهجه الاصطلاحى وجاهد فى سبيله فنفى الى « تكفور طاغ » .

وناله من الاذى الكثير : لقد أوذى فى نفسه وفى ماله واستمر الايذاء أمدا من الدهر ، ثم عاد الى بروسه واستمر بها الى أن مات سنة ١١٢٧ هـ ـ ١٧١٥ م أما تآليفه فانه كان تارة يؤلف بالعربية وتارة يؤلف بالتركية ومما الفه بالعربية : « الرسالة الخليلية » فى التصوف وهى رسالة الخلة : شروطها وطريقها وثمرتها وغايتها بالنسبة للاخوان ، والخلة التى وصل اليها سيدنا ابراهيم عليه السلام حينما اصبح خليل الله ، وهى درجة لا تتأتى لغير الانبياء ، ولكن وضعها كذروة يسير الانسان نحو أنوارها ويهتدى بهديها يجوز لغير الانبياء : ان الله سبحانه وتعالى حينما يقول :

« **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** » .

انما أحب سبحانه ان تتخذ منه المنارة التى تسير نحوها وفى اضوائها . والرسالة الخليلية انما تنهج هذا النهج .

ومن عادة كثير من كبار العلماء ان يختاروا اربعين حديثا من الاحاديث الشريفة ينتخبونها فى دقة ويذيعونها ويشرحونها يستشفعون بها الى الله فى أن يكتب لهم النجاة ، ومن اشهرها الاربعون النووية » التى جمعها الامام النووى رضى الله عنه ، وسلك الامام اسماعيل حقى هذا المسلك فجمع من الاحاديث الشريفة اربعين وسماها « الاربعون حديثا » .

اما أثره الخالد فانه كتابه فى التفسير وهو تفسير لغوى بيانى صوفى ، أى أنه جمع ميزة التفسير العادى الذى يلتزم أسباب النزول والاثار والقراءات ، واللغة ، وميزة التفسير الصوفى ، ولعل مكانة هذا التفسير عند الصوفية لا تضارعها مكانة تفسير آخر ذلك انه خلا من الشطح ومن المغالاة والتزم القصد والاعتدال مع اعتماد على الاثرواللغة. واللغة .

وفيما يلى ما يلقى بعض الاضواء على جوانب من حياته وعلى ظروف تأليف التفسير ، انه يقول : « وبعد : فيقول العبد الفقير سمى الذبيح الشيخ اسماعيل حقى الناصح المهاجر ، كلاه الله من فتن الغدايا والعشايا والهواجر ، لما أشار الى شيخى الامام العلامة ، واستاذى الجهبذ الفهامة سلطان وقته ونادرة زمانه ، حجة الله على الخلق بعلمه وعرفانه مطلع أنوار العناية والتوفيق ، وارث اسرار الخليفى على التحقيق ، المشهود له بسر التجديد فى رأس العقد الثانى من الالف الثانى معدن الالهام الربانى السيد الثانى الشيخ الحسيب النسيب سمى بن عفان نزيل قسطنطينية امده الله وامدنا به فى السر والعلانية ، بالنقل الى بروج الاولياء مدينة بروسا ، صينت عن تطاول يد الضراء والبؤس ، فى العشر السادس من العشر العاشر من العقد الاول من الالف الثانى ولم أجد بدا من الوعظ والتذكير ، فى الجامع الكبير والمعبد المنير الشهير . وقد كان منى حين انتواء الاقامة ببعض ديار الروم ، بعض

صحائف ملتقطة من صفحات التفاسير وادوات العلوم ، مشتملة على مايزيد على ال عمران ٠ من سور القرآن، ولكنها مع الاطناب الواقع فيها كانت متفرقة كايادى سبا ، جزء منها حوتة الدبور وجزء منها حوتة الصبا ، اردت ان الخص مافرط من الالتقاط ، واخلص الاوراق المتفرقةمن مسحات الالفاظ والحروف والنقاط واضم اليهاكايادى مما سنح لى من المعارف واجعلـه فـى سـمط ما أنظمه مـن اللطـائف ، واسرد بانملـة البـراعة ، وان كنت قليل البضاعة قصير الباعة ، مايليه الى اخر النظم الكريم ، ان أمهلنى الله العظيم الى قضاء هذا الوطر الجسيم ، وابيض للناس قدر ما حررته بين الاسابيع والشهور وافرزته بالتسوية اثناء السطور ، ليكون ذاخرا للاخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون وشفيعا لى حين لا يجدى نفعا غير الصاد والنون ، واسأل الله تعالى ان يجعلهمنصالحات الاعمال وخالصات الاثار ، وباقيات الحسنات الى آخر الاعمار فانه اذا اراد بعبد خيرا حسن عمله فى الناس واهله لخيرات هى بمنزلة العين من الرأس وهو الفياض ، أ هـ

ويقول فى آخر التفسير :

هذا وقد تم تحرير روح البيان فى تفسير القرآن ، فى مدة الوحى تقريبا لما ان قسى الاقدار رمتنى الى اقاصى اقطار الارض ، وايدى الاسفار النائية تداولتنى من طول الى عرض ، حتى اقامنى الله مقام الاتمام ، فجاء باذن الله التمام يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الاولى المنتظم فى سلك شهور سنة سبع عشرة ومائة والف آ ـ هـ

وقد أتقن اسماعيل حقى الفارسية أيضا وكثيرا ما يستخدم الفارسية والتركية فى تفسيره فيورد أبياتا من الشعر بالفارسية أو التركية وجملا بهذه وبتلك ٠ وهاك نموذج من تفسيره :

(**تلك الرسل**) اشارة الي الجماعة الذين من جملتهم النبي عليه الصلاة والسلام ، فاللام فـى الرسـل للاستغراق (**فضلنا بعضهم على بعض**) بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره ، واعلم أن الانبياء كلهم متساوون في النبوة لان النبوة شيء واحد لا تفاضل فيها وانما التفاضل باعتبار الدرجات بلغ بعضهم منصب الخلة كابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يحصل ذلك لغيره ، وجمع لدواوين الملك والنبوة وطيب النغمة ولم يحصل هذا لغيره ، وسخر لسلميان الجن والانس والطير والريح ولم يحصل هذا لابيه داود ، وخص محمدا عليه وعليهم السلام بكونه مبعوثا الى الجن والانس ، ويكون شرعه ناسخا لجميع الشرائع المتقدمة ، ومنهم من دعا أمته بالفعل الى توحيد الافعال وبالقوة الى الصفات والذات ، ومنهم من دعا بالفعل الى الصفات أيضا وبالقوة الى الذات ، ومنهم من دعا الى الذات أيضا بالفعل وهو ابراهيم عليه السلام فانه قطب التوحيد اذ الانبياء كانوا يدعون الي المبدأ أو المعاد والى الذات الاحدية الموصوفة ببعض الصفات الالهية الاحدية ولذا أمر الله نبينا صلى الله عليه وسلم باتباعه بقوله ، ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) فهو من أتباع ابراهيم باعتبار الجمع دون التفصيل اذ لا متمم لتفاصيل الصفات الا هو ولذلك لم يكن غيره خاتما للانبياء وان كانوا متفاوتين فى درجات الدعوة بحسب مشارب الامم الا أن كلهم واصلون فانون فى الله باقون بالله لان الولاية قبل النبوة حيث أن آخر درجات الولاية أول مقامات النبوة فهى تبنى على الولاية ومعنى الولاية الفناء فى الله والبقاء بالله فالنبى لا يكون الا واصلا محرزا جميع مراتب التوحيد من الافعال والصفات والذات (**ومنهم من كلم الله**) أى فضله الله بأن كلمه بغير واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام فهو وكليمه بمعنى « مكالمة » واختلفوا فى الكلام الذى سمعه موسى وغيره من الله تعالى هل هو الكلام القديم الازلى الذى ليس من جنس الحروف والاصوات ، قال الاشعرى وأتباعه المسموع هو ذلك الكلام الازلى قالوا كما أنه لم تمتنع رؤية ما ليس بمكيف فكذا لا يستبعد سماع ما ليس بمكيف ، وقيل سماع ذلك الكلام محال وانما المسموع هو الحروف والصوت (**ورفع بعضهم درجات**) أى عمل درجات أى على درجات فانتصابه على نزع الخافض وذلك بأن فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة والظاهر انه أراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الايات المتكاثرة المرتقية الى ثلاثة آلاف آية وأكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتى الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات ، وفى الحديث (**فضلت على الانبياء بست أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون**) ، قال فى التأويلات النجمية أعلم أن فضل كل صاحب فضل يكون على قدر استعلاء ضوء نوره لان الرفعة فى الدرجات على قدر رفعة الاستعلاء كما قال تعالى (**والذين أوتوا العلم درجات**) فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم زادت الدرجة فناهيك عن هذا المعنى قول النبى عليه السلام فيما يخبر عن المعراج أنه راى آدم فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة وادريس فى السماء الرابعة وهارون فى السماء الخامسة ، وموسى فى السماء السادسة ، وابراهيم فى السماء السابعة وعبر النبى عليه السلام حتى رفع الي سدرة المنتهى ومن ثم الى قاب قوسين أو أدنى ، فهذه الرفعة في الدرجة في القرب الى الحضرة كانت له على قدر قوة ذلك النور فى استعلاء ضوئه وعلى قدر غلبات أنوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضهم فوق بعض فلما غلب نور الوحدانية على ظلمة انسانية النبى عليه السلام أضمحلت وتلاشت وفنيت ظلمة وجوده سطوات تجلي صفات الجمال والجلال فكل نبى بقدر بقية ظلمة وجوده بقى فى مكان من أماكن السموات ، **فانه صلى الله تعالى عليه وسلم مابقى فى مكان ولا فى الامكان لانه كان نائيا عن ظلمة وجوده باقيا بنور وجوده ولهذا سماه الله نورا وقال (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) فالنور هو محمد عليه السلام والكتاب هو القرآن فافهم واغتنم فانك لا تجد هذه المعاني الا ههنا ، انتهى كلام التأويلات النجمية ٠ هذا وبالله التوفيق ٠**

الإهداء

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

س ١ : من المواطن السيد محمد عبد الفتاح الحملى بلبيس شرقية وطالب بمدرسة بلبيس الثانوية التجارية .

من هم السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم القيامة ؟

الجواب :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ، الامام العادل ، وشاب نشا فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل طلبته ذات منصب وجمال** « أى امرأة ذات حسب أو مال وجمال » **فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه** » رواه البخارى .

ومما يجب الاشارة اليه أن ذكر الرجل لا مفهوم له بل هو مذكور على سبيل التغليب والنساء داخلة فى كل ما ذكر فيما عدا الامامة العظمى حيث لا تتولاها النساء وكذلك ملازمة المساجد لان صلاتهن فى البيوت افضل - وقد وردت أحاديث بغير هؤلاء السبعة كمن أنظر معسرا الى ميسرة أو تنازل عماله عليه ، والتاجر الصدوق ، والغازى فى سبيل الله وغير ذلك مما وردت به الاحاديث .

س ٢ : من الطالبة مها محمد نجيب - القاهرة .

تسأل عن سيدنا يعقوب هل هو أخ لسيدنا اسحق بن ابراهيم عليهم السلام أم هو ابن لسيدنا اسحق مع أن البشارة كانت بهما معا لسيدتنا سارة فى قوله تعالى « فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب » .

الجواب :

آيات القرآن الكريم دالة على أن سيدنا ابراهيم عليه السلام لم يرزق الا باسماعيل واسحق قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام « **الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء** » فاسحق ليس له اخوة الا اسماعيل عليهما السلام وأسماعيل أمه هاجر أسكنه أبوه بواد غير ذى زرع بجوار بيت الله المحرم وقد أكرم الله به العرب فنشأ بينهم وصاهر منهم وحقق الله دعوة أبيه ابراهيم « **ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » وكان من ذرية اسماعيل عليه السلام أكرم خلق الله خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولاسماعيل كان الفداء « **وفديناه بذبح عظيم** » وسن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاضحية كل عام شكرا لله وتذكيرا لحادثة الابتلاء بالذبح والفداء . أما اسحق عليه السلام فأمه سيدتنا سارة وقد كانت

البشرى لها بابن تلده وهى عجوز عقيم وبابن ابن لها فكان ابنها اسحق ومن وراء اسحق اى ومن عقبه وذريته يعقوب « **فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب** » فاسحق ابنها ويعقوب ابن اسحق وهو والد يوسف عليه السلام واخوته ومنهم كان الشعب اليهودى الذى بعث فيه من الانبياء قبل البعثة المحمدية موسى وعيسى عليهما السلام .

ومن الايات التى تدل على أن سيدنايعقوب عليه السلام ليس من ابناء ابراهيم عليه السلام بل هو ابن لاسحق بن ابراهيم قوله تعالى « **ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** » اى أن ابراهيم وصى بنيه بالتمسك بهذه الملة السمحاء كما وصى يعقوب بنيه بذلك ىيعقوب ليس ابنا لابراهيم انما هو ابن ابنه .

س ٣ :من المواطن ل . م . ر . ح .من الامام الشافعى ـ القاهرة .

هل لابد للماموم فى الصلاة ان يقرأ الفاتحة وشيئا من القرآن أم يصمت ويستمع الى الامام فقط دون قراءة ؟

الجواب :

قراءة المأموم خلف امامه من المسائل التى اختلف فيها الفقهاء فالشافعية يقولون : يفترض على المأموم قراءة الفاتحة خلف الامام الا ان كان مسبوقا بجميع الفاتحة أو بعضها فان الامام يتحمل عنه ما سبق .

ويرى المالكية أن القراءة خلف الامام مندوبة فى السرية مكروهة فى الجهرية الا اذا قصد مراعاة الخلاف فيندب .

ويرى الحنابلة أن القراءة خلف الامام مستحبة فى صلاة السرية وفى سكتات الامام فى الصلاة الجهرية وتكره حال قراءة الامام فى الصلاة الجهرية .

أما الحنفية فانهم يرون أن قراءة المأموم خلف امامه مكروهة تحريمافى الصلاة السرية والجهرية لما روى من قوله صلى الله عليه وسلم « **من كان له امام فقراءة الامام له قراءة** » .

س ٤ : من ماهر مناع ـ من المنشاة بسوهاج .

س (اقترض من) ص (مبلغا كبيرا من المال حال عليه الحول فعلى أى منهما تجب زكاة هذا المبلغ هل يخرجها (س) أم (ص) أم لا هذا ولا ذاك على اعتبار أن (س) ليس صاحب المبلغ و (ص) ليس عنده المبلغ حاليا لانه موجود عند (س) ولم يرده حتى الان ؟

الجواب :

الذى اختاره من اقوال الفقهاء فى زكاة الدين وجوب زكاة هذا المبلغ على « ص » لانه مالك المال ويجب عليه الاداء بالقبض فكلما قبض مبلغا ادى عنه زكاته .

س٥ : من نفس السائل

شخص بذل جهدا ووقتا كبيرا لادخار مبلغ من المال بقصد الزواج فهل يجب عليه زكاة عن هذا المبلغ

الجواب :

اذا توفرت شروط وجوب الزكاة فى هذا المال ببلوغ النصاب وحولان الحول والخلو من الدين ومن الحاجة الاصلية فقدوجبت فيه الزكاة .

وليعلم السائل هووغيره أن الزكاة تطهير للمال وتزكية للنفس وأداء لفريضة دينية واجتماعية تحقق التضامن والتكافل فى المجتمع الاسلامى قال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم » .

س ٦ : من ك . ب القصر الجديد ولاية مدنين الجمهورية التونسية

هل المحلات العمومية أى التى يعرض النساء ابدانهن فيها للرجال مقابل مقدار من المال برخصة من الحكومة (جائزة فى الاسلام ام لا ؟

الجواب :

الاسلام لايبيح شيئا من ذلك اطلاقا وليست الرخص التى تعطيها الحكومات لهذه المحال بممارسة مثل هذه الامور التى حرمها الاسلام مبيحةله شرعا فالاسلام بنص القرآن الكريم اوجب على الجنسين غض البصر فقال تعالى « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** » **وقال** « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن** » **وحرم على المرأة أن تبدى مواضع زينتها الا لافراد حددها الاسلام وبينتها الاية الكريمة وهى قوله تعالى . . . ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .**

هذا هو حكم الاسلام بالنسبة لما يجوز ابداؤه من جسمها ولمن يجوز فكل مخالفة لحكم الاسلام فهى حرام والتصاريح التى تعطيها الحكومات لمثل تلك المحال تصاريح لاترضى عنها الشريعة الاسلامية فاعطاؤها حرام وممارسة العمل المحرم حرام ودخول الرجال لرؤية مايعرض فيها حرام سواء دفعوا فى ذلك مالا أو دخلوها بالمجان وهذه المحال وباء تركه المستعمر فى البلاد الاسلامية التى ابتليت به وحينما تحررت من الاستعمار لم تتحرر من رجسه والله المسئول ان يطهر بلاد المسلمين مما لا يرضاه

س ٧ من نفس السائل

اذا اؤتمن شخص على شىء كالنقود مثلا واحتاج اليها أشد الحاجة فهل يجوز ان يستعملها ؟

الجواب

الاسلام يطالب برعاية الامانة وحفظها وقد جعل القرآن الكريم ذلك من صفات المؤمنين يقول تعالى « قد

أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون » .

ويأمرنا القرآن الكريم برد الامانات الى أهلها قال تعالى : « **ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها** » والتفريط فى الامانة خيانة جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم احدى علامات النفاق ـ فقال صلوات الله وسلامه عليه « **آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان** » .

فمن كان عنده مال امانة لاحد فهو مطالب بالمحافظة عليه وعدم المساس به فاذا اشتدت حاجته اليه استأذن صاحبه فى ذلك فان اذن له فى اخذ شىء من هذا المال فهو وما أراد ويكون ما يأخذه دينا عليه او كما يرى صاحب المال ، فان أخذ من المال المودع امانة عنده بغير اذن مالكه كان مغتصبا ويضمن لصاحب المال ما أخذه لان يده تنقلب من يد أمانة الى يد غصب .

س ٨ من محمد ـ ع ـ ص السيدة زينب

هل تجوز قراءة القرآن فى المصحف بغير وضوء ؟

الجواب :

مادام الانسان طاهرا من الحدث الاكبر فله ان يقرأ القرآن فى المصحف وفى غير المصحف حتى ولو كان بغير وضوء غير أن مس المصحف يحرم على غير المتوضىء لقوله تعالى « **لايمسه الا المطهرون** » فالمحرم عليه هو المس فقط مادام طاهرا من الحدث الاكبر وهذا شامل للحائض والنفساء فيحرم عليهما القراءة فان طهرا حلت لهما قراءة القرآن ولو بغير وضوء بشرط عدم مس المصحف الا مع الطهارة من الحدث الاصغر كذلك .

ردود خاصة

س ٩ للسائل السابق

على صاحبك هذا أن يعتمد على الله ويترك هواجس الشيطان وأن يستمر فى توبته النصوح وفى عبادته لربه واذا كان الطبيب قد أخبره بأنه لا يستطيع الصوم لمرض السكر فاخراج الفدية جائز مادام لا يرجى برؤه وعليه أن يتصدق بمثل الاموال التى احذها ظلما من الناس مدى حياته وهو لا يدرى كم أخذ ولا ممن أخذ فليقدر مبلغا من المال يغلب على ظنه انه يساوى ما سرقه ويتصدق به على الفقراء ثم ليترك الامر بعد ذلك لله يدبره كيف يشاء .

س ١٠ للمواطن ع ـ أ ـ ن مصر للسياحة

نرجو ان تعالج الامر بينك وبين زوجتك بالحكمة ولا تتعجل الامور ولا تيأس وذكرها فى رفق ولين بأن هذا الامر حقك عليها وأن الزواج بينكما سكن ومودة ومادمت تعز أولادك فمن أجل أولادك ابحث عن السبب فى امتناعها فلعل عندها سببا صحيا أو نفسيا وأنت كفيل بحكمتك بمعرفة السبب وازالته وعودة الحياة بينكما الى ما كانت عليه من الود والحب والطاعة ـ والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

بقية مقال « من معارك جمال الدين الافغانى ضد أعداء الشعوب »

التبشرية والتبشريين بتفصيل ينفع الغلة ، ويشفى الغلة » وقد جاء فى رد الافغانى على المولوى « التبشر اسم للطبيعة ، وطريقة التبشر هى تلك الطريقة الدهرية التى ظهرت ببلاد اليونان فى القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد ارباب هذه هو محو الاديان ووضع اساس الاباحة والاشتراك فى الاموال والابضاع بين الناس عامة وقد كدحوا لاجراء مقصدهم هذا وبالغوا فى السعى اليه وتلونوا لذلك فى الوان مختلفة وتقلبوا فى مظاهر متعددة وكيفما وجدوا فى امة افسدوا اخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالزوال وايما ذاهب ذهب فى غور مقاصد الاخذين بهذه الطريقة تجلى له ان لا يتجه لمقدماتهم سوى فساد المدينة وانتقاص بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية اذ لا ريبة فى ان الدين مطلقا هو سلك النظام الاجتماعى ولن يستحكم اساس للتمدن بدون الدين .

واول تعليم لهذه الطائفة اعدام الاديان وطرح كل عقد دينى واما عدم شيوع هذه الطريقة وقلة سلاكها مع طول الزمن على نشأتها فسببه ان نظام الالفة الانسانية وهو من آثار الحكمة الالهية السامية كانت له الغلبة على اصولها الواهية وشريعتها الفاسدة وبهذا السر الالهى انبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ومن هذا لم يسبق لهم ثبات قدم ولم تقم لهم قائمة أمر ولا فى وقت من الاوقات .. »

واول كلمات الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم . فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب » . الدين قوام الامم وبه فلاحها وفيه سعادتها وعليه مدارها . « التبشرية » جرثومة الفساد واردته الاداد وخراب البلاد وبها هلاك العباد .

واخر فقرة جاءت فى الرسالة : ان المدينة الفاضلة التى مات الحكماء على حسرة من فقدها لا تختط العالم الانسانى الا بالدين الاسلامى فان قال قائل ان كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فما بال المسلمين ، على ما ترى من الحال السيئة والشأن الحزين فجوابه ان المسلمين كانوا كما كانوا وبلغوا بدينهم ما بلغوا والعالم يشهد بفضلهم واكتفى الان من القول بهذا النص الشريف « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

« وللحديث بقية » ...

حج المرأة

الاستاذة سهير محمد الحلبى

الحج هو قصد مكة لاداء عبادة الطواف والسعى والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لامر الله تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » وابتغاء مرضاته . وهو أحد اركان الاسلام الخمسة لقوله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

والحج واجب على المراة وجوبه على الرجل سواء بسواء اذا استوفت شرائط الوجوب وهى : **الاسلام ، البلوغ، العقل، الحرية ، الاستطاعة** . ويزاد عليها بالنسبة للمراة أن يصحبها **محرم والمقصود « بالمحرم » هنا** شخص مسلم ذكر ممن حرم عليه نكاحها – أى الزواج منها – على التأبيد بسبب مباح لحرمتها . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا يخلون رجل بامراة الا ومعها ذو محرم ولا تسافر المراة الا مع ذى محر م» فقام رجل وقال : يا رسول الله : ان امراتى خرجت حاجة ، وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا فقال عليه الصلاة والسلام ؟ انطلق فحج مع امرأتك » رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم .

غير أن الزوج ليس ملزما بالحج مع زوجته اذا كان قد سبق له الحج باعتبار الحج من الفرائض التى تؤدى مرة واحدة ، وأكثر من ذلك يعتبر على سبيل التطوع . ومن هنا جاءت فكرة « **المحرم** » حيث يجيز الاسلام للمراة أن تحج فى صحبة من تنطبق عليه صفات « المحرم » وكذلك المراة الارملة او غير المتزوجة او المطلقة .

ومن المشهور عند الشافعية – كما قال الحافظ – اشتراط الزوج او المحرم او النسوة الثقات ، حيث قيل أنه « **تكفى امرأة واحدة ثقة** » وفى قول نقله الكرابيسى وصححه فى المهذب – **تسافر وحدها اذا كان الطريق آمنا** . وهذا كله فى الواجب من حج او عمرة ، وفى سبيل السلام . وقال جماعة من الائمة « **يجوز للعجوز السفر من غير محرم** » على أنه اذا خالفت المراة وحجت دون ان يكون معها زوج أو محرم صح حجها طبقا لرأى ابن تيمية « **انه يصح الحج من المرأة لغير محرم** ، ومن غير المستطيع » على اعتبار ان المعصية ان وقعت فهى فى الطريق ، وليس فى نفس المقصود .

ويشترط الاسلام على المراة ان تستأذن زوجها فى الخروج الى الحج الفرض فان اذن لها خرجت ، وان تعنت معها ولم يأذن لها يبيح لها الاسلام أن تخرج بغير اذنه لانه ليس للرجل منع امرأته من حج الفريضة ، لانها عبادة وجبت عليها ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . ولها أن تعجل به لتبرىء ذمتها ، كما ان لها ان تصلى اول الوقت وليس له حق منعها . ويلحق به الحج المنذور ، لانه واجب عليها كحجة الاسلام ، وللرجل فقط فى حالة حج التطوع حق منعها ، طبقا لرواية الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – فى امراة كان لها زوج ولها مال ، فلا يأذن لها فى الحج قال « **ليس لها أن تنطلق الا باذن زوجها** ! فقد أجمع العلماء على ان الحج لا يتكرر ، وانه لا يجب فى العمر الا مرة واحدة – الا أن ينذره المرء فيجب الوفاء بالنذر ، وما زاد فهو تطوع .

المراة والجهاد :

الحج من الفرائض الدينية المصحوبة بالمشاق البدنية ، ولذلك يوصف بأنه نوع من الجهاد ، فعن الحسن بن على رضى الله عنهما ، أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى جبان ، وانى ضعيف ، فقال : « **هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج** » .رواه عبد الرزاق والطبرانى ورواته ثقات . وعن ابى هريرة – أيضا – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **جهاد الكبير ، والضعيف ، والمرأة : الحج** » رواه باسناد حسن .

بيد أن الاسلام يبيح للمراة اذا كانت متقدمة فى السن أو

مريضة - شأنها شأن الرجل - أن تنيب عنها رجلا أو امرأة - اذا كانت قادرة اقتصاديا - ليحج بدلا منها ففي الحديث دليل على أن المراة يجوز لها ان تحج عن الرجل والمراة ، والرجل يجوز له أن يحج عن الرجل والمراة ، ولم يأت نص يخالف ذلك . واذا عفيت من مرضها بعد ان حج عنها نائبها او نائبتها ، فان الفرض يسقط عنها ولا تلزمها الاعادة . وليس للمراة أن تنيب عنها من تشاء ليحج بدلا منها ، وانما يشترط فيمن يحج عن غيره ان يكون قد سبق له الحج عن نفسه ، لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال « **أحججت عن نفسك ؟** » ، قال : لا ، قال : « **فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة** » رواه ابو داود وابن ماجة .

المراة وآداب الحج :

يلزم الاسلام المراة - قبل الاحرام - بالنظافة بمختلف أركانها ، وهي : تقليم الاظافر ونتف الابط ، وحلق العانة ، الوضوء او الاغتسال وهو افضل ، وتسريح شعر الراس . غير انها اذا كانت حائضا او نفساء ، لا يجوز لها أن تطوف بالبيت حتى تطهر وانما يجوز لها أن تغتسل وأن يكون الغسل بنية الاحرام ، ثم تحرم وتقضي مختلف المناسك . والاغتسال ايضا من أجل تغيير الرداء والازار ، ويجوز فيه استعمال الصابون ولو كان له رائحة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه الصلاة والسلام قال « **ان النفساء والحائض تغتسل ، وتحرم وتقضي المناسك كلها ، غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر** » رواه احمد وأبو داود ، والترمذي وحسنه . وإذا أحرمت ، فانه لا يجوز لها تقليم الاظافر او ازالة الشعر بالحلق او بالقص او بأية طريقة ، سواء أكان شعر الراس او غيره لقوله تعالى « **ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله** » ويجوز ازالة الشعر عند التأذي من بقائه ، وفيه الفدية الا في ازالة شعر العين اذا تأذت به وهي محرمة ، فانه لا فدية فيه لقوله تعالى « **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** » . هذا واذا طافت المراة وهي حائض أو نفساء أو جنبا او اشتركت مع زوجها في جماع بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق ، فانه تجب عليها « **البدنة** » أي ذبح جمل وتوزيعه على الفقراء ، ومن لم تجد بدنة فعليها ذبح سبع شياه لقوله تعالى « **والبدن - الابل - جعلناها لكم من شعائر الله - أعمال الحج** .

وليس للمراة في الحج أن تستخدم المكياج الثقيل او الخفيف ، وانما يجوز لها التطيب بمياه الوكلونيا اوما اشبهه ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : **كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ، فتنضح جباهنا بالمسك عند الاحرام : فاذا عرقت احدانا سال على وجهها ، فيراه النبي عليه الصلاة والسلام فلا ينهانا** » رواه أحمد وأبو داود .

ويكره للمراة الخضاب بالحناء ، حال الاحرام الا اذا كانت معتدة من وفاة ، فيحرم عليها ذلك ، كما يحرم عليها الخضاب اذا كان نقشا ولو كانت معتدة . فقد قال الاحناف والمالكية : **لا يجوز للمراة أن تختضب بالحناء في اى جزء من البدن سواء أكان رجلا أم امراة** ، لانه طيب ، **والمحرم ممنوع من التطيب** .

ومن المحظور على المراة والرجل في الحج « **الجماع ودواعيه ، كالتقبيل ، واللمس ، بشهوة ، وخطاب الرجل المراة فيما يتعلق بالوطء** .. وكذلك **اكتساب السيئات واقتراف المعاصي التي تخرج المرء عن طاعة الله** .. وكذلك » **مخاصمة الرفاق والخدم وغيرهم** ، لقوله تعالى « **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** » . أما من كانت لها عذر واحتاجت الى ارتكاب محظور من محظورات الاحرام هذه غير الوطء ، كحلق الشعر أو لبس المخيط ، اتقاء لحر او برد ونحو ذلك لزمها أن تذبح شاة أو تطعم ستة مساكين ، كل مسكين نصف صاع ، أو تصوم ثلاثة ايام وهي مخيرة بين هذه الامور الثلاثة ، مع مراعاة أنه لا يبطل الحج أو العمرة بارتكاب شيء من هذه المحظورات سوى الجماع قبل الوقوف بعرفة .

واذا كان الاسلام يوجب على الرجل حلق شعره بالموسى ونحوه ، عند دخوله الى المسجد الحرام لقوله تعالى « **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون** » . فانه يجيز للمراة ان تدخل المسجد الحرام دون تقصير شعرها ، فقد روى ابو داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ليس على النساء حلق ، وانما على النساء التقصير** » . حسنه الحافظ . والطريقة ان تجمع المراة شعرها الى مقدم رأسها ، ثم تأخذ منه نصف سنتيمتر تقريبا ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال « **المراة اذا ارادت أن تقصر ، جمعت شعرها الى مقدم رأسها ، ثم أخذت منه أنمله** » وقيل لاحد لما تأخذه المراة من شعرها . وقالت الشافعية اقل ما يجزيء ، ثلاث شعرات .

واخيرا يبيح الاسلام التعجيل بطواف الافاضة يوم النحر اذا كن يخفن مبادرة الحيض ، فقد كانت عائشة تأمر النساء بتعجيل الافاضة يوم النحر مخافة الحيض . والله الموفق .

إعداد: فؤاد هيبة

عزيزى القارىء:

علينا ان نلتزم الصدق مع انفسنا ومع الاخرين اذا اردنا ان نكون صادقين مع الله جل علاه ..

وخير ما نعمر به الارض هو الصدق، وتجتمع اركان الاسلام والمعاملات والعبادات حول حقيقة الصدق ..

فالصدق فى الشهادة يجنبنا الشرك الخفى ويؤكد لنا حقيقة هامة يفتقدها الكثيرون فى حياتهم وهى ان الصدق فى الشهادة يجلعنا **لانخضع ولانذل ولانسال ولانخاف ولا نعبد الا الله تبارك وتعالى ..**

وان الناس جميعا على اختلاف مناصبهم وقدراتهم **ان هم الا عبيد الله بالقوة والفعل لا خيار لهم فى ذلك فلم يوجد ولن يوجد جبار الا وهفا قلبه وان ابى عقله الى الله يسأله الشفاء من المرض تحت وطأة الموت .. ويساله النجاة تحت الم الهزيمة والشيخوخة .. فالله غالب على أمره، « والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم »** وهو القائل جل شأنه « **وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم** »

فصدق الشهادة ينجى صاحبه من غياهب الاوهام ومخاوف الاخطار، ووعثاء السفر، وسوء المنقلب **لانه وحده جل شانه الذى يعلم السر فى السموات والارض. وهذا الصدق كما قلنا لاتصح بدونه عبادة ولاتنمو بدونه تجارة ولا تنجح بدونه معاملة ..**

وصدق الله العظيم اذ يقول فى محكم كتابه العزيز « **هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** » .. وكان نداء التكريم من الله لانبيائه ورسله « **يوسف أيها الصديق** افتنا فى سبع بقرات سمان » « **واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا** » « **واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا** » « **وأمه صديقة كانا ياكلان الطعام** » **صدق الله العظيم** « **ومن أصدق من الله حديثا ..** » **فحرى بنا ان نلتزم الصدق فى كل ما نقول ونفعل اذا اردنا ان نحقق لانفسنا وجودا طيبا واسرة صالحة ووطنا تقوم دعائمه على اركان ثابتة البنيان فارعة العمدان عظيمة الشان.**

اردت بهذا الحديث ان يكون قرة اعيننا ونحن عازمين على اداء فريضة الحج حتى لاتكون مجرد احرام وسعى وطواف وانفاق **وحتى يتحقق للفريضة قداستها بالعمل الصالح والبراءة من الاثام وحسن المعاملة مع الله والناس وان يحج الى الله بقلبه وفكره وروحه وان يجعل القرآن قرة عينه** وان يجعل العبادات فلاح روحه وسلوك قلبه وسبيل سعادته .. حتى يرقى بنفسه الى المفهوم الصادق لقوله تعالى « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** »

فمفهوم الاستطاعة ليس ماليا او صحيا فحسب لان الانسان انما يدور فى وجوده من خلال ماله وصحته وسلوكه والعدل فى الاخذ والعطاء.

●● رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين

●● ربنا وتقبل دعاء ..

والى اللقاء

رسالة الاردن ..
بقلم الصديق جميل عياد الوحيدى

ياسئق العيس : تبغى الحج معتمرا :
عرج عليه ، وسلم ، غير محتشم
ناشدتك الله ، فاذكرنى هناك ، ولا
تبخل على ، فما المكدى بذى شبم
قف بالحمى.. ففؤادى مدنف.. كلف ..
وان تخلف ، لم يبرح ، فلا تلم
فان حبى له ، قد كاد يقتلنى
وان هجعت : فمن حبيه ، لم انم
اكابد الشوق لا يعيى به جلدى .
والدمع ينزل .. من عينى : كالديم
ان غابت العيس عن قلبى وعن بصرى
فما لحقت بها .. اواه !! واندمى !!
ما ان سلوت ولا قلبى جفا .. ابدا
وكيف اسلو ؟ وما السلوان من شيمى
اهفو للقياه .. كى احظى برؤيته
فهو الشفيع لنا .. من زلة القدم
وهو الحبيب الذى ترجى وسيلته
وهو المرجى ليوم المشهد العمم

●●●

ومن رسالة بقلم الصديق محمد سليمان النجار واعظ مركز الحسينية شرقية .. ج.م.ع يقول

الصلاة عماد الدين وعصام اليقين . وصلة بين العبد وبين ربه وبركة فى الرزق وقبولا للاعمال واجابة للدعاء وسلاحا قويا على الاعداء وتقربا لرب الارض والسماء لما لها من اثر كريم فالعبد اذا اعتاد الوقوف بين يدى مولاه خاشعا متدبرا ما يتلوه من آيات الله انغرست فى نفسه خشية مولاه فى جميع اعماله . وحضرته هيبه فى عموم احواله لان الصلاة الكاملة تجلو القلب وتهذب النفس وتعلم العبد آداب العبودية وواجبات الربوبية بما تغرسه فى القلب من جلال الله وعظمته .

امر الله المؤمنين بادائها فى اوقاتها وشدد التحذير من تركها لان السبب الاول فى البعد عن الله هو ترك الصلاة والاهمال فى ادائها . قال تعالى « واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى الذاكرين » وقال « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » .

والصلاة افضل العبادات لما فيها من تسبيح وتكبير ودعاء وتلاوة قرآن . وياحبذا لو كانت الصلاة فى جماعة فان صلاة الجماعة افضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة . والجماعة تعود الانسان الطاعة والنظام والاتحاد والتعاون والمحبة والالفة . ومن حافظ على الصلوات فى الاوقات واداها بخشوع وخضوع استنار قلبه وتهذبت نفسه وحسنت معاملته وكان بينه وبين المحرمات سدا منيعا .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر »

●●●

ومن رسالة بقلم الصديق محمد يس ابراهيم المدرس بالتربية والتعليم ج.م.ع يقول

لا يسعنى وانا اكتب لكم الا ان اشكر السادة العاملين الساهرين من اجل نشر الدعوة الاسلامية واخراج مجلتنا الغراء منبر الاسلام فى تلك الصورة المحببة الى النفوس الجاذبة لكل الاطراف الجامعة لكل الناس على محبة الاسلام وعلى تعلم الدين وعلى التفقه فى اصوله وانا وان كنت واحدا من ملايين كثيرة احس انها تحترم الكلمة الطيبة فانى اهيب بكم ان تعملوا اكثر واكثر على الاكثار من الدراسات والتشريعات القرآنية التى تفتح اذهاننا الى اصول ديننا وتشدنا شدا الى حبل الله نعتصم جميعا به ونلوذ كلنا بالجاه الواقى من كل شر الحامى من كل ضرر الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر الواصل بكل من سار على هديه الى ذلك الصراط القويم المستقيم وفقكم الله نعم المولى .. « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا » ... « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

●●●

رسالة تونس
بقلم الصديق كمال عروة

تحية طيبة عطرة ابعثها من صميم الفؤاد اليكم مع النسمات الرقيقة .. تحية صادقة لو انها صعدت الى السماء لكانت قمرا منيرا يضىء الدنيا باثرها ، ولو انها هبطت الى الارض لكانت وردة متفتحة تبعث روح المحبة والاخوة الخالصة بين الاخوة العرب فى أى بلد عربى . ابعث اليكم بهذا الخطاب لاعبر عن مدى تقديرى لكم من محبة واكرام لما تقدمونه من برامج متنوعة لتثقيف الشعوب المسلمة وحتى العرب قاطبة فى مجلتكم [منبر الاسلام] بما تقدمونه من اعمال لصالح الشعوب الاسلامية ولابراز الشخصيات العظيمة فى الحقل الاسلامى والاجتماعى والثقافى والى آخره من الاعمال التى تنفع الشعوب والانسانية .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الاسم : بن الشريف محمد الطيب
البلد : الجزائر
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : جمع الطوابع — قراءة المجلات الدينية
العنوان : ١٣ ش على زغدود ميلة ولاية قسنطينه

الاسم : عادل شاكر منصور
البلد : ج٠م٠ع
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : جمع الطوابع
العنوان : ٤٤ ش حامد يوسف المنيرة — امبابة

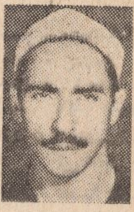

الاسم : عاطف شاهين السيد
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٢٧ سنة
المهنة : طالب ازهرى
الهواية : القراءات الدينية
العنوان : ٢٤ ش الازهار

الاسم : ميلود فورسم الهوارى
البلد : الجزائر
السن : ٢٨ سنة
المهنة : موظف
الهواية : المراسلة وتبادل الآراء الدينية
العنوان : ١١/١٩٦ الجلفه حى قنانى

الاسم : محمود محمد حسن الكيلانى
البلد : الاردن
السن : ٢٥ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : الرياضة والمراسلة والقراءة الدينية
العنوان : الاردن — الرصيفة الجبل الشرقى

الاسم : عبد الباقى معروف يوسف
البلد : العراق
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المناظر والطوابع والرحلات
العنوان : كلية العلوم — جامعة الموصل محافظة نينوى

الاسم : كاملي عبد العزيز
البلد : الجزائر
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : مراسلة الشباب المسلم
العنوان : رقم ٢٠٦٤ شارع جنان المبروك العاصمة

الاسم : نبيل على عبدالظاهر
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٢٢ سنة
المهنة : موظف
الهواية : مراسلة الاصدقاء فى الوطن العربى
العنوان : ميدان الازهر رقم ١٥ شارع الصنادقيه طرف عبدالعال اسماعيل

الاسم : عبد المجيد عنتر
البلد : الجزائر
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : قراءة الكتب وتبادل الاراء
العنوان : ثانوية العربى بن امهيدى بسكرة

الاسم : حمدان عبد السلام بن بالرحائل
البلد : الجزائر
السن : ٣٤ سنة
المهنة : معلم قرآن كريم
الهواية : المراسلة والاستماع الى القرآن الكريم
العنوان : حائطه ٣٣٦ رقم الدار ١٠ حى بوسيجور

الاسم : بركانى يحيى
البلد : الجزائر
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والقراءات الدينية
العنوان : عمارة البرتقال رقم ٢٥ س بالبليدة

الاسم : محمد كمال مدكور
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب جامعى
الهواية : الرياضة والقراءة فى الدين
العنوان : كلية العلوم — جامعة القاهرة

الاسم : طارق ابراهيم مصطفى
البلد : ج ٠ م ٠ ع
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب أزهرى
الهواية : القراءات الدينية والصوفية
العنوان : ١١٨ش ترعة الجبل حدائق القبة

الاسم : محمد يس ابراهيم
البلد : ج٠م٠ع
السن : ٣٧ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : القراءات الدينية وتبادل الاراء
العنوان : ١٤ شارع مطر — الزيتون

اقرأ في هذا العدد

■ معالم الطريق : نص الخطاب التاريخي الهام الذى القاه الرئيس المؤمن محمد انور السادات فى مجلس الشعب ٣

■ دراسات قرآنية :

تفسير سورة آل عمران	الاستاذ أحمد حسين	١٢
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى	١٧
خصائص القصة القرآنية	الاستاذ فتحى رضوان	١٩
العلم فى القرآن	الدكتور أحمد حسنين القفل	٢٣
من امثال القرآن	الشيخ احمد كامل الخضرى	٢٥
السمو بالانسان فى ضوء القرآن	الدكتور محمد القيعى	٣٠
من اخلاق القرآن	الدكتور أحمد الشرباصى	٣٣
تاملات فى البيان القرآنى	الدكتور ابراهيم عوضين	٣٦

■ التشريع الاسلامى :

من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها	الشيخ محمد خاطر	٤٠
الاخلاق الانسانية	الاستاذ عبد العظيم منصور	٤٢
شخصية الرسول عليه السلام واثره	المستشار احمد محمود خليل	٤٥
فى اصول الفقه	الدكتور محمد سعاد جلال	٤٧
البيوع فى الاسلام	الدكتور محمد عبد المنعم خميس	٤٩
فى مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم	الاستاذ ابراهيم مصباح	٥١
مال المسلمين بين الكسب والانفاق	الاستاذ عبد الله كامل	٥٣

■ الحج :

الحج الى بيت الله الحرام	الاستاذ محمد محمد عبد اللطيف	٥٦
لماذا الحج ؟	الاستاذ أحمد زين	٥٨
ليشهدوا منافع لهم	الدكتور على صافى حسين	٦٠
دعوة ابراهيم الخليل عليه السلام	الاستاذ عبد المعطى عباده	٦٢
البيت العتيق	الاستاذ عبد الحكيم النجار	٦٥
يوم عرفة الخالد	الشيخ محمد هلال عبد الرسول	٦٧
ولله على الناس حج البيت	الاستاذ مامون غريب	٦٩
لبيك اللهم لبيك	الاستاذ احمد وامى	٧٢
قلوب بين مكة والمدينة	الاستاذ عبد السلام القوصى	٧٤
كلمات عن الحج	الاستاذ صلاح عزام	٧٦
عيد الاضحى عيد للتضحية	الشيخ عبد الرحمن النجار	٧٨
الحج والاستطاعة	الشيخ موسى محمد على	٨٠
الحج فى ضوء العقيدة والتاريخ	الدكتور زكى مشعل	٨١

■ الدعوة والدعاة : يشرف على تحريره : منصور عبيد / فؤاد هيبه / على عياد

حديث الى الائمة		٨٤
منهج الاسلام فى تربية الشباب	الشيخ منصور عبيد	٨٥
خطبة عيد الاضحى	الشيخ مرتضى محمد متولى	٨٨
زيارة الحرم النبوى	الشيخ عبد الفتاح مصطفى	٨٩
المحصر والامن والمتمتع	الشيخ أحمد حجازى السقا	٩٠
احب ايام الله	الشيخ عبد المؤمن مجاهد	٩٣
اماكن مطهرة لها ذكرى عطرة	الشيخ الطنطاوى أحمد عمر	٩٤
الرياضة فى الاسلام	الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	٩٧

	منافع الرحلة الايمانية	الاستاذ محمد لطفى محمد على	٩٨
	أزاهـــير	الاستاذ محمد عبده قناوى	١٠٠
	قرأت لــك	الاستاذ محمود معوض	١٠١
	دعـــاء		١٠٢
■ التصوف :	الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	١٠٤
	أركان الحج فى مرآة التصوف	الاستاذ زكريا عامر البكرى	١٠٨
■ العلم والايمان :	العدالة الاجتماعية فى الاسلام	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	١١٢
	هذا هو الاسلام قوام البشرية	الشيخ محمود طيرة	١١٤
	الدين النعمة الكبرى فى مجال العقيدة	الدكتور ابراهيم هلال	١١٦
	من أحداث السيرة	الشيخ الصاوى شعلان	١١٨
	من ملامح واخلاق مجتمع العلم والايمان	الشيخ مصطفى الجندى	١٢٠
	ظواهر يناهضها الاسلام	الاستاذ محمد دياب	١٢٤
	الاسلام وقضايا العصر	الاستاذ طه محمد كسبة	١٢٦
	التسامح فى الاسلام	الاستاذ محمد النظامى	١٢٩
■ الفن الاسلامى :	فى الفن الاسلامى ــ المدرسة العثمانية	الاستاذة سميحه محمد منير الجبالى	١٣٢
■ القصة الاسلامية :	رجل ومعارك : اسامة بن زيد	الاستاذ محمد صالح	١٣٦
■ الشعر الاسلامى :	فى روضة التجلى	الشاعر محمد صلاح عفيفى	١٤٠
	لبيك ربى	الشاعر رشاد محمد يوسف	١٤٠
	أصلح فؤادك بالطاعات	الشاعر عبد المنعم محمد عيسى	١٤١
	لبيك أكرم داعى	الشاعر المهدى محمود عبد الله	١٤١
■ الطب والاسلام :	الطب الوقائى بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	١٤٤
■ شخصيات اسلامية :	الجهاد الدينى لجمال الدين الافغانى	الدكتور أحمد الحوفى	١٤٨
	الامام أحمد بن فارس	الدكتور حامد محمد شعبان	١٤٩
	الامام على بن أبى طالب	الاستاذ توفيق أبو علم	١٥٢
	سعد بن عبادة	الاستاذ عبد المنعم الادفوى	١٥٤
	أسماء بنت أبى بكر الصديق	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	١٥٥
	ابن رشـــد	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٥٦
■ المكتبة الاسلامية :	قرراءات جديدة فى كتب قديمة	الاستاذ صبرى أبو المجد	١٦٠
	روح البيان فى تفسير القرآن	الدكتور منيع عبد الحليم محمود	١٦٣
■ الافتـــاء :	أنت تسأل والمفتى يجيب	الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود	١٦٦
■ الاسرة المسلمة :	حج المرأة	الاستاذة سهير محمد الحلبى	١٦٩
	مع القراء	الاستاذ فؤاد هيبة	١٧١
	بريد التعـــارف		١٧٣

وثيقة الشرق الجديدة

أولادك أمانة فى عنقك

فماذا أعددت لهم ؟

وثيقة الشرق الجديدة تحقق الأمان لأسرتك

فهى الوثيقة ذات المزايا العديدة

- فى نهاية مدة التأمين تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- فى حالة الوفاة العادية تدفع الشركة للمستحقين فوراً مبلغ التأمين الأصلى مضافا إليه زيادة قدرها ٥٪ عن كل سنة من بدء التأمين حتى الوفاة .
- فى حالة الوفاة بحادث تدفع الشركة للمستحقين مبلغ التأمين الأصلى بالإضافة إلى مبلغ التأمين المستحق فى حالة الوفاة العادية .
- فى حالة الإصابة بعجز كلى دائم تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- تأمين إضافى على الأرملة بمبلغ التأمين الأصلى بدون دفع أقساط .
- تغطية أخطار الحرب للمدنيين بدون قسط إضافى .
- تمنح الشركة قروضا بعد سداد أقساط سنتين معفاة من الفوائد فى حالة الحج والتدريس والعمليات الجراحية .

(أنظر الكوبون صفحة ١٤٢)

شركة الشرق للتأمين

المركز الرئيسى ١٥ شارع قصر النيل - القاهرة

يسرى